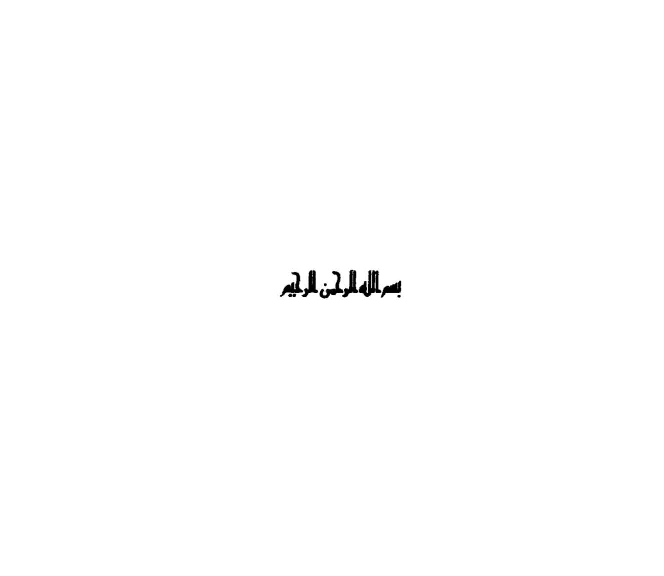


تاريخ
العالم
الإسلامي
الحديث والمعاصر
الجزء الأول
الجناح الآسيوي
الدكتور إسماعيل أحمد ياغي
محمود شاكر

تاريخ
العالم الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم



الدكتور إسماعيل أحمد ياغي　　محمود شاكر

الجزء الأول

الجناح الآسيوي

© طبعة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ الرياض

دار المريخ للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

انتشار الإسلام

لاشك أن ظهور الإسلام وانتشاره بتلك السرعة المذهلة في البداية كان أعظم أحداث تاريخ البشرية وأكثرها إثارة للانتباه ، إذ على مدى قرن من الزمان غطّى الإسلام نصف العالم المعروف آنذاك .

وتعدّ وثبة العرب من جزيرتهم إلى غزو العالم القديم من الأحداث الخارقة ، إذ تمكنت بعض قبائل العرب الرحل منذ أربعة عشر قرنا من قهر دولتين من أعظم دول العالم القديم منعةً وضخامة هما الدولة الرومانية والدولة الفارسية ، ولم يردها كفايتهما الحربية المؤزرة ولاجيوشهما القوية المظفرة .

وكان النصر حليف تلك القبائل البدوية ، ولم يمض نصف قرن حتى تمكنت من بناء دولة شامخة على أنقاض ماهدمت من صروح الدولتين العظيمتين . وكما أن هذا النصر يعد ظاهرة مدهشة من ظواهر التاريخ فإن ظفر الإسلام بالأديان القديمة يعد ظاهرة من أغرب ظواهر التاريخ أيضا ، وأعظم ما سجل تاريخ الأديان والعقائد .

وإذا كانت الديانات الأخرى قد انتشرت بفضل نفوذ الملوك الذين اعتنقوها مثل قسطنطين بالنسبة للنصرانية وقورش بالنسبة للزرادشتية ، إذ ساند كل منهما بقوته وجبروته الديانة التي اعتنقها فان الاسلام عندما خرج من شبه الجزيرة العربية ، إنما كان يستند على العرب من حيث الرجال ، ولكن يعتمد على الفطرة التى فطر الله الناس عليها من حيث المعنوية ، لهذا فقد أحرز من الانتصارات ماأذهل العالم أجمع . وفي خلال جيلين صارت دولة الإسلام تمتد من جبال البرانس غربا إلى جبال الهملايا شرقا .

وقد تكوّن العالم الإسلامي إما نتيجة لفتوح عسكرية أو بواسطة انتشار الإسلام نفسه في بلاد غير إسلامية بفضل قوته الذاتية ، ولم تنشر القوة العسكرية الإسلام بل مهدت له الطريق ثم انتشر الإسلام بنفسه في البلد المفتوح بما يعتمد عليه من فطرة

البشر ، فالأمة الإسلامية التى تولت الفتوح وفي مقدمتها العرب والبربر والأتراك والفرس لم تفرض الإسلام بقوة السلاح ، وإنما عرضته على الناس وتركتهم أحرارا ، فمن شاء اعتنق الإسلام ومن شاء بقي على دينه بشرط أن يدفع الجزية .

وقد شملت الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر بلاد جنوبي العراق وغربه وفلسطين (واقعة أجنادين)[1] ثم امتدت الفتوحات إلى بلاد الشام بعد موقعة اليرموك[2] في عهد عمر بن الخطاب الذى أتم فتح بلاد الشام كلها وفلسطين وباقي بلاد فارس وخراسان ومايعرف اليوم بأفغانستان ، وامتدت الفتوح شرقا حتى حوض نهر السند وإقليم أذربيجان وهكذا انضمت هذه البلاد الواسعة إلى دولة الإسلام وكانت تضم شعوبا تفوق العرب عددا وثروة ، وتشمل عناصر أقبلت على الإسلام إقبالا عظيما .

هذا وقد فتح عمرو بن العاص مصر في أول المحرم ١٩هـ وتعد مفتاح المغرب ، وباب السودان ، واتجه عمرو غربا ودخل إقليم برقة .

وتم فتح أفريقية (وهي تونس حاليا) في عهد عثمان ٢٧هـ ، ثم طالت قصة فتح المغرب التي توالت فيها كل من الانتصارات بالهزائم على مدى سبعين عاما ، عبر بعدها طارق بن زياد البحر إلى بلاد الأندلس ٩١هـ ، وتوغل العرب بها حتى بلغوا جبال البرانس في الشمال ، ثم عبروها حتى (بواتييه) بلاط الشهداء في وسط فرنسا تلك الموقعة الفاصلة ، وقد أخذت راية الإسلام ترفرف هناك ثمانية قرون حتى سقطت غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس ٨٩٧هـ .

وقد أخذ الإسلام طريقه من بلاد المغرب الأقصى إلى جهات أفريقية المدارية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى دولة المرابطين ، تلك الدولة التي قامت أساسا على الجهاد في سبيل الله ، واتجه قادتها بجيوشهم جنوبا حذاء ساحل المحيط الأطلسي حتى بلغوا أحواض أنهار السنغال وغينيا ، وأخذ الإسلام ينتشر بين أهالي تلك المناطق ، ومنها انتقل إلى جهات أفريقية الاستوائية ، حيث قام جماعة من المرابطين المؤمنين المتحمسين بنشر الإسلام بين القبائل الافريقية وتعريفهم بعقائده .

---

(١) أول جمادى الثانية سنة ١٣هـ .

(٢) رجب سنة ١٥هـ .

وساعدهم فئات من الجوالين المجاهدين ، وهم غالبا تجار يخرجون بتجارتهم مع القوافل ويدعون الناس للإسلام في أثناء تجوالهم وينشئون زوايا ومساجد ومراكزدينية . وبهذا الأسلوب الهادىء أسلم الألوف وانتشر الإسلام وغمر أجزاء أفريقية الغربية المدارية والاستوائية حتى بلغ حوض نهر النيجر ، وقد أنشئت دول إسلامية كان لها أثر بعيد في نشر الإسلام في تلك القارة الافريقية . وإذا نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي يتضح أن هذه الجماعات قد أضافت إلى هذا العالم مالايقل عن نصفه مساحة وسكانا . ومن هذا النصف بلاد السودان الممتدة جنوب مصر إلى جنوب خط الاستواء والتي انتشر فيها الإسلام بفضل جهود العرب المهاجرين من جنوبي مصر ، بالإضافة إلى جماعات عربية أخرى عبرت البحر الأحمر إلى الشاطىء الأفريقى ، وقد ساد الإسلام في بلاد السودان بعد منتصف القرن السابع الهجري ، كما قامت فئات عربية مهاجرة من جنوبي شبه الجزيرة وشرقها وفي مقدمتها اليمنيون والحضارمة والعمانيون بنشر الإسلام في الصومال والجهات المعروفة في الوقت الحاضر بتنزانيا (تنجانيقا وزانزبار) وغيرهما من أنحاء شرقي أفريقية وكانوا يفدون عادة للتجارة ، وينتشر الإسلام بمجرد اختلاطهم بالأهالى وتعريفهم بتعاليمه السمحة ، وتوغل هؤلاء العرب في أفريقية الاستوائية مخترقين نطاق الغابات الاستوائية الذى كان من الصعوبة بمكان ، ووصلوا إلى حوض نهر الكونغو . وظن الأوروبيون عندما وصلوا إلى هذه الجهات أنهم أول المكتشفين لها ولشد ماكانت دهشتهم عندما تبين لهم أن العرب قد سبقوهم اليها من وقت بعيد ، ومن هنا كانت الحرب الشعواء التي أعلنوها على المسلمين دون هوادة .

ومع العرب انتشر الإسلام في عدد من أجزاء أفريقية الاستوائية ، وفي مقدمتها تنزانيا ومالاوى وأوغندا وكينيا وزامبيا وبوروندى وزائير وغيرها ، وكذلك في انغولا وموزامبيق .

وهكذا تكونت جماعات إسلامية في قارة أفريقية ، أصلها متطوعون ومعظمهم جنود مجهولون من المرابطين المجاهدين في سبيل الله ، وبعضهم تجار اجتذبوا الأهالي إلى الإسلام بالمثل الطيب والقدوة الحسنة وإقامة رابطة تعاون وأخوة بين المسلم الوافد والمواطن المقيم .

ومن جهة « ثانية » وفي خلال أواخر القرن الأول الهجرى بلغ الإسلام بلاد السند في شمال غربي شبه القارة الهندية ، وهي اليوم جزء من باكستان ، ثم توقف انتشار الإسلام حوالي قرنين من الزمان ، بسبب قيام الدولة العباسية ١٣٢هـ التي لم تكن تهتم بنشر

الإسلام خارج حدوده ، وانصب اهتمامها على المحافظة على حدودها التي أخذت تتناقص شيئا فشيئا .

وبظهور الأتراك الذين كانوا يسكنون جنوب شرقي تركستان وهضاب أفغانستان بدأ حماس الفتوح الإسلامية يتجدد ، فهم رجال أشداء يعيشون رعاة وصيادين في هضابهم وجبالهم العالية عندما وصل إليهم الإسلام . وما لبثوا حتى كونوا الدولة الغزنوية التي تعد من دول الفتوح الاسلامية شأنها في ذلك شأن دولة المرابطين في شمالي إفريقية ، وقام ملوكها بفتح شمالي الهند كله شاملا نهر الفانج إلى مصبه وبلغ الإسلام سفوح جبال هيمالايا شمالا وهضبة الدكن جنوبا ، حيث أزال الوثنية وتلاشت الأصنام وحلت محلها المساجد . وبعد تفكك الدولة الغزنوية قامت الدولة الغورية ، وقد ثبت سلاطينها دعائم الإسلام في شمالي شبه القارة الهندية ، وفي أعقابهم جاءت دولة المغول (خلفاء تيمورلنك) التي دخل الإسلام عن طريقها بلاد بورما ، وكان ذلك في القرن العاشر الهجرى عن طريق التجار والرحالة الهنود ، وأخذ الإسلام ينتشر حتى بلغ شبه جزيرة ملقا (بلاد الملايو حاليا) مع قدوم تجارمن العرب اليمنيين والحضارمة والعمانيين وأهل الخليج العربي ، وقد أنشأ المسلمون هناك سلطنات ، كانت أهمها سلطنة ملقا التي اتسعت حتي شملت جنوبي شبه جزيرة الملايو وبلغت أوجها خلال القرن الحادي عشر الهجري . ورغم تعرضها لاستعمار البرتغاليين ثم الهولنديين وبعدهم الانكليز ، فقد قامت بها جمهورية إسلامية حديثة سنة ١٣٨٧هـ هي ماليزيا .

وبواسطة التجار العرب بلغ الاسلام جزائر الهند الشرقية التي تكونت منها حاليا أندونيسيا . وكان أول دخول الإسلام هناك إلى جزيرة سومطرة ، حيث أنشأ المسلمون مراكز صغيرة على ساحلها الغربي في بادىء الأمر ، وبدأ الإسلام يتوغل دون ماعقبة أو صعوبة ، وفي الوقت نفسه وصل دعاة الإسلام إلى جزيرة جاوة حيث أنشأوا مراكز أخرى ، ومنها انتشر الإسلام إلى غيرها من جزائر أندونيسيا ، وخلال القرن الحادي عشر صارت معظم جزائر أندونيسيا إسلامية .

ومن أندونيسيا انتقل الإسلام الى الجزائر الجنوبية للفلبين ، وفي مقدمتها صولو ومنداناو . غير أن الإسلام لم يكد يثبت أقدامه هناك حتى وصل المستعمرون الأسبان سنة ٩٧٢هـ واصطدموا بالمسلمين مما أدى إلى زوال الاستعمار الأسباني وقدوم الأمريكيين ليحلوا محله عام ١٣١٦هـ ، وبعد حصول الفلبين على الاستقلال وإلى يومنا هذا .

بجانب الجماعات الإسلامية الرئيسية نجد جماعات أخرى أقل عددا منها مسلمو غربي الصين ، ومسلمو روسيا ، والأقليات الإسلامية في بعض دول أوربا ، وأمريكا ، واستراليا فهناك عشرات الألوف في المانيا ، وفرنسا ، وانكلترا ، والولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى ألوف كثيرة من المسلمين في دول أمريكا اللاتينية التي أخذ عدد المسلمين فيها يتزايد بالتدريج مثل البرازيل ، والأرجنتين ، وبوليفيا ، وسورينام ، وغويانا البريطانية ، وكولومبيا ، واكوادور ، وشيلى ، والبيرو .

هذا ويضم الاتحاد السوفيتى ضمن جمهورياته ست جمهوريات إسلامية بها مايزيد على أربعين مليونا من المسلمين ، وفي بلادهم تقع عواصم الحضارة الإسلامية الكبرى المعروفة مثل بخارى ، وسمرقند ، وطشقند ، ومرو ، وغيرها وكان لها أثر بعيد في تاريخ الإسلام .

وقد تعرض العالم الإسلامي في العصر الحديث الى الحملات الاستعمارية الصليبية الشرسة . فسيطرت عليه الدول الاستعمارية كبريطانيا ، وفرنسا ، والبرتغال ، وأسبانيا ، وهولندا ، والمانيا وغيرها ، وذلك لما للعالم الإسلامي من أهمية كبرى من موقع استراتيجى وثروات هائلة ، ولما تحمله هذه الدول من حقد صليبى دفين .

وإزاء ذلك فقد سلك الاستعمار وسائل مختلفة للسيطرة على العالم الإسلامي .



العالم الإسلامي

يشكل المسلمون محيطا اجتماعيا وحضاريا عظيم الامتداد ، وتحتل دول العالم الإسلامي جزءا كبيرا من سطح الأرض يمتد من أقصى الشرق من آسيا إلى أقصى الغرب من إفريقية ، ومن أعالى نهر الفولفا شمالا إلى أواسط إفريقية جنوبا ويشغل ، العالم الإسلامي موقعا استراتيجيا ممتازا بين مناطق العالم الأخرى ، فهو يطل على عدد كبير من المسطحات المائية المفتوحة التى تمثل أهم طرق المواصلات البحرية فى العالم وممراتها من جهة ، كما أنه يتحكم فى طرق الملاحة الجوية العالمية من جهة أخرى .

وعلى هذه الرقعة الواسعة تتناثر اثنتان وخمسون دولة إسلامية تختلف فيها نسبة عدد المسلمين . فهناك دول إسلامية وهى التي يشكل المسلمون فيها أغلبية كبيرة . ودول ثانية تزيد فيها نسبة المسلمين قليلا على النصف ، هذا بالإضافة الى الأقليات الإسلامية .

وتتوسط هذه الدول الإسلامية جميعها المنطقة العربية التي تحتل مكان القلب فى العالم الإسلامى ، وهي بحكم ماضيها وعراقتها فى الإسلام لها مركزها الخاص وأهمية كبيرة ، ففى جزيرتها العربية ظهرت الدعوة الإسلامية ومنها انطلقت رسالة الإسلام لتغطي أرجاء المعمورة . كما انبثقت من هذه المنطقة حضارة الإسلام الرفيعة التي أضفت على دول الأرض وشعوبها نور المعرفة فى كافة المجالات الفكرية والعلمية والانسانية

ونحن اليوم فى أمس الحاجة إلى دراسة « متكاملة » صحيحة عن العالم الاسلامى ترسم قبل كل شيء جغرافية الإسلام من حيث هو غطاء روحى واسع الانتشار بالغ الخطورة فى الحياة البشرية ... وترسم ملامحه بدقة وأمانة بعد أن كانت تضيع وسط زحام الزيف والبعد عن الواقع .

أولا – الموقع الجغرافى وأهميته :

يقع العالم الإسلامى بين خط عرض ٦٠° شمالا عند أعالى نهر الفولفا ، ويمتد جنوبا حتى خط الاستواء وجنوبه قليلًا في أندونيسيا وتانزانيا . أما امتداده شرقا فيصل من خط طول ١٢٠° شرقا فى جزر الفلبين ، ويصل الى أقصى الغرب عند الرأس الأخضر على خط طول ٢٠° غرباً .

وعلى ذلك فإن رقعة العالم الإسلامى تبلغ مساحة كبيرة وشاسعة على سطح الكرة الأرضية ، وتمتد من ملقا بالملايو شرقا الى ملقة بالأندلس غربا ، أو من أرض المورو بالفلبين الى أرض المورو بالمغرب ، أو من غينيا الجديدة فى أقصى الشرق من آسيا إلى جمهورية غينيا فى أقصى الغرب من إفريقية .

يشكل المسلمون محيطاً اجتماعيا وحضاريا عظيم الامتداد ، وعلى هذا السطح كثير من الدول والوحدات السياسية التى يدين أكثر سكانها بالإسلام ، وتبلغ مساحة هذا السطح حوالى ٣٥ مليون كيلو متر مربع ، كما يمتد من تانزانيا جنوب خط الاستواء حتى جمهورية كازاكستان ، وهى الآن تحت حكم روسيا فى وسط آسيا شمالا وهذا الامتداد يشمل عدداً من الأقاليم المناخية والنباتية والحيوانية والزراعية .

بهذا الامتداد يشغل العالم الإسلامى موقعا استراتيجيا ممتازا بين مناطق العالم الأخرى فهو يطل على عدد كبير من المسطحات المائية المفتوحة ، وهذه تمثل فى الوقت نفسه أهم طرق المواصلات البحرية فى العالم . فمن جهة الغرب يشارك العالم الإسلامى مناطق العالم الآخرى المطلة على المحيط الأطلسى وبه أضخم حركة ملاحية فى العالم ، سواء فى نقل البضائع أو النفط أو الركاب ، إذ يمر به حوالى ٥٥٪ من مجموع حركة التجارة الدولية ، كما تمتد من هذا المحيط ذراع بحرية مهمة تتمثل فى البحر المتوسط وتعد أقصر طريق يربط بين الشرق والغرب ، وسواحله الجنوبية والشرقية والشمالية الشرقية كلها سواحل إسلامية ، كما تتحكم الدول الإسلامية فى مداخل هذا البحر ، إذ تسيطر المغرب على الساحل الجنوبي لمضيق جبل طارق ، وتتحكم مصر فى المدخل الجنوبى لهذا البحر من خلال سيطرتها على قناة السويس ، كما تسيطر تركيا على مضيقي البوسفور والدردنيل ، ويعدان أهم طريق يربط الامبراطورية الروسية بالبحار الدافئة .

ويطل العالم الإسلامى كذلك على المحيط الهندى ، وبه حركة بحرية عظيمة تتمثل فى نقل النفط الخام والمواد الأولية بصفة خاصة ، ويتحكم المسلمون فى أهم مداخل هذا

المحيط أيضا ، فمضيق باب المندب مدخله الغربي ويقع تحت سيطرة اليمن من جهة وجمهورية جيبوتى من جهة أخرى ، كما أن مدخله الشرق يقع فى منطقة إسلامية إذ تشرف عليه ماليزيا من ناحية وأندونيسيا من ناحية أخرى ، وتمتد من هذا المحيط ذراعان مائيتان هما البحر الأحمر والخليج العربي وتتعمقان فى أراض إسلامية صرفة .

وقد لعب العالم الإسلامى بالنسبة لجهات الدنيا الأخرى أدوارا عظيمة الأهمية فى تاريخ الحضارة الانسانية ، فطرق التجارة البحرية بالإضافة إلى المسطحات المائية التى يشرف عليها قد جعلته يقوم بدور المعبر أو همزة الوصل بين الشرق والغرب ، كما كانت التجارة البرية من المؤثرات الحضارية والثقافية المهمة . فقد جعلت العالم الإسلامى دائم الصلة بين أجزائه المختلفة وبينه وبين غيره من أجزاء العالم الأخرى فقد كان (طريق الحرير) مثلا منذ أقدم العصور أحد هذه الطرق البرية المهمة ، وكان يربط الصين بمنطقة البحر المتوسط ، ونشأ على هذا الطريق بعد انتشار الإسلام كثير من المدن الإسلامية المهمة ، مثل طشقند وبخارى وسمرقند .

وقد أضافت قناة السويس ميزة أخرى لهذا العالم الإسلامى فهى توفر على السفن التى تصل بين الشرق وغربى أوزبا أو العكس ، بين ١٧٪ و٥٩٪ من المسافة التي تقطعها ، كما توفر كمية الوقود التى تستهلكها بنسبة تتراوح بين ٥٠٪ ، ٧٠٪ .

زِد على ذلك ، فان موقع العالم الإسلامى يتحكم أيضا فى الملاحة الجوية العالمية من ناحية توسطه بين أطراف العالم ومن ناحية صفاء سمائه فى أكثر الأوقات .

يزيد عدد المسلمين اليوم على المليار ، وتكون نسبتهم حوالي ٢٥٪ من سكان العالم ، وقد أجمعت الكتابات التى صدرت فى السنوات الأخيرة على أن الإسلام فى توسع حركي مطرد ، وأنه أكثر الأديان نموا عدديا وهو فى كل يوم يكسب أرضا جديدة أكثر على امتداد جبهة عريضة فى إفريقية وفى آسيا وفى الأمريكتين ، وفى ذلك تعويض عما فقده خلال القرنين الماضيين من أرض وقاعدة بشرية ، إذ تعرض المسلمون للغزو والاستعمار الذى تمكن من قهرهم والسيطرة على مقدراتهم ، ومنذ ذلك الحين والاستعمار يحاول تقويض رسالة الإسلام ، ويقف سدا أمام انتشارها ، ويعمل على إفساد كل أثر خلفه وأضاعة وكل نتيجة حققها ، ولولا هذه المرحلة القاسية الطويلة التى مرت بالمسلمين لانطلقوا إلى آفاق أوسع ولاتسعت رقعتهم وأرضهم فى المشرق والمغرب ، ولأصبحت خريطة الإسلام اليوم شيئا آخر يختلف عما هى عليه الآن .

هذا التوسع هو الذي يخيف العالم النصراني أو الغرب أو الشرق فيعملون على وأد الحركات الإسلامية والتخطيط للنيل منها ، وأخطرالمخططات ماكان في ضربه من الداخل وبيد أبنائه .

ثانيا – الإسلام بين القارات الثلاث :

تعد قارة آسيا هي مركز ثقل العالم الإسلامي ، ففي هذه القارة تتركز النسبة الغالبة من عدد المسلمين في العالم ، فهي تضم وحدها مايقرب من أربعة أخماس المسلمين أو حوالي (٥٥٠) مليون مسلم .

ويطلق بعض الكتاب على هذه القارة اسم « بيت الإسلام الحقيقي » ففيها الجزيرة العربية التي قامت على أرضها الدعوة الإسلامية ، كما أنها مركز انطلاقها إلى الدنيا بأسرها .

وأيا ما كان الأمر فعلى الرغم من الكثرة العددية للمسلمين في آسيا إلا أنها لاتمثل في الحقيقة سوى ٢٩٪ فقط من عدد سكانها الذين يبلغون مايزيد على (٢٥٠٠) مليون نسمة ، وإذا رجعنا إلى تاريخ المسلمين في آسيا في عهد الفتوحات والدول الإسلامية ، وقارنا بين مكانتهم في تلك العهود وبين حالتهم اليوم لوجدنا الوضع يختلف كثيرا . فالرقعة التي كانوا يتحكمون فيها قد انكمشت وعددهم قد تقلص نسبيا وخاصة في مناطق الشمال وشمال شرقي آسيا ، وهذا راجع إلى الحملات العنيفة التي شنها عليهم خصوم الإسلام من ناحية والحروب التي قامت بينهم من ناحية أخرى . أما عن المسلمين في أوربا – وهذا العدد يتركز في يوغوسلافيا وألبانيا وبلغاريا – فالمعروف أن الإسلام قد ازدهر في أوربا إبان عصر قوة الدولة العثمانية ، ومن قبل أيام الفتوح الإسلامية لبلاد الأندلس حتى أصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية وامتد نفوذهم حتى وصل إلى مناطق متعددة من القارة الأوربية .

ولكن الحقد الصليبي على المسلمين في أسبانيا ثم التدهور الذي أصاب الدولة العثمانية تسبب في انكماش الرقعة الإسلامية وعدد المسلمين في أوربا ، وبدا هذا واضحا منذ نهاية القرن الماضي حين أخذت المناطق في أوربا والتي تتبع الخلافة العثمانية تنفصل عنها بتحريض ودعم أوربي ، وكان أول شيء يتبع هذا الانفصال هو تصفية الوجود الإسلامي فيها وترحيل المسلمين منها إلى الأراضي التركية .

وبالنسبة لقارة أفريقية فقد أجمعت الكتابات والتوقعات على أنها قارة المستقبل بالنسبة للإسلام فهى جبهة زيادة وزحف الاسلام واحتياطى توسعه خلال السنوات القادمة .

وإذا كان الإسلام قد فقد البحر الأبيض كبحيرة إسلامية فانه قد وجد العوض فى أفريقية لتكون قارته الإسلامية ، وإذا تتبعنا عدد المسلمين فى أفريقية خلال نصف القرن الأخير لوجدناه فى زيادة مضطردة ، رغم أن هذه الإحصاءات لاتمثل إلا أرقاما تقريبية ففى عام ١٣٥٠هـ تجاوز عدد المسلمين فى أفريقية الثمانين مليونا ، وزاد هذا العدد فى عام ١٣٧١هـ إلى حوالى مائة وأربعين مليونا ، وبعد عام ١٣٩٢ هـ تجاوز هذا العدد مائتي مليون ، وهكذا يصل عدد المسلمين فى أفريقية إلى أكثر من نصف عدد السكان فى القارة (٥٩٪) بسبب زيادة معدلات مواليدهم وقلة وفياتهم وإطمئنانهم الى مستقبلهم بعد زوال شبح الاستعمار عن بلادهم ودخول أفواج جديدة في الإسلام ، ويتطلع المسلمون في أفريقية إلى آفاق رحبة جديدة ومستقبل يليق بهم .

ثالثا – قطاعات العالم الإسلامى :

ويقسم الجغرافيون العالم الإسلامي إلى قطاعين رئيسيين :–

(أ) القطاع الغربى من العالم الإسلامي .
(ب) القطاع الشرقى من العالم الإسلامي .

أما القطاع الغربي ، فيشمل دول العالم الإسلامي فى أفريقية وفي غربي آسيا وفى البلقان وهضبة إيران وباكستان ، ثم يستمر فى سهول طوران وتركستان حتى مشارف الفولفا شمالا والتركستان الصينية شرقا ، ويبلغ عدد المسلمين فى هذه الكتلة مابين ٦٥٠ مليون نسمة أى مايوازى ثلاثة أخماس العالم الإسلامى ، كما أن هذا القطاع يغطى رقعة كبيرة من أرض الإسلام وهى لهذا تعد صلبه ومركز ثقله .

وأهم حقيقة جغرافية فى هذا القطاع أنه كتلة واحدة متصلة تقريبا لا انقطاع فيها ، كما يتميز بأنه يضم فى وسطه العالم العربى الذى يعد بمثابة قلب العالم الإسلامي النابض باعتباره مهد العقيدة وموطن الأماكن المقدسة . فهذا العالم كما هو معروف هو نواة الإسلام وحولها يلتف عدد كبير من المسلمين يمثل مايقرب من خمس عددهم فى العالم .

أما خارج العالم العربي فى آسيا فهناك مناطق الأناضول التى يوجد بها مجموعة إسلامية تزيد على خمسة وأربعين مليونا ، ثم هضبة إيران التى تتكون من إيران وأفغانستان وبها مايقرب من خمسة وستين مليون مسلم ، وإلى الشرق من هذه الكتلة توجد كتلة باكستان التى تشمل أكبر تجمع إسلامي منفرد فى القطاع الغربى من العالم الإسلامى بعد نيجيريا ، وبها ما يقرب من السبعين مليون مسلم ، ويضم هذا القطاع كذلك قارة الإسلام فى المستقبل وهى قارة أفريقية .

وهناك أيضا كتلة المسلمين فى البلقان والاتحاد السوفيى ، ويقدر عددها بحوالى خمسين مليون مسلم ، ويتركز المسلمون فى الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة فى جمهوريات وسط آسيا الخمس ، وقد تعرض السكان لغزو عنصرى من قياصرة الروس ، ثم من النظام الشيوعى الحاكم الآن ، وفى أقصى الشرق من أطراف القطاع الغربي ، وحيث مناطق سيكيانغ . يبلغ تعداد الكتلة الإسلامية عشرين مليون نسمة .

والقطاع الشرقي ويبدأ من الهند وينتهى بجزر الفلبين ويمتاز القطاع الشرقى للعالم الإسلامى بعدم الاتصال والتقطع بين أجزائه بعكس القطاع الغربي ، ولعل أهم نقطة تجمع فيه تقع فى مجموعة الجزر الأندونيسية .

ومناطق القطاع الشرقي كلها بعيدة عن مهد الإسلام وعن قلبه العربي ، وكان طبيعيا أن يكون لهذا البعد أثره فى ضعف وصول التيارات الإسلامية عبر المسافات السحيقة إلى هذا القطاع وإلا لارتفعت نسبة المسلمين فيه ، ورغم هذا فان عدد المسلمين فيه يصل الى ٣٥٠ مليونا ، ويمثلون حوالى $\frac{٢}{٥}$ عدد المسلمين فى العالم ، وتوجد فيه أندونيسيا أكبر دول العالم الإسلامى .

ويشمل هذا القطاع أيضا أقليات إسلامية تعيش وسط دول غير إسلامية كالهند مثلا حيث يبلغ عدد الأقلية الإسلامية فيها ما يزيد على عشر عدد السكان ، ويبلغ عددهم حوالى ٧١ مليون مسلم ، وعددهم يفوق تقريباً العدد الموجود فى أية دولة إسلامية فى القطاع الغربى باستثناء نيجيريا .

ويتراوح عدد المسلمين فى الصين مابين ٧٥ - ٨٠ مليوناً ، وفى بنغلادش يبلغ عددهم حوالى ٧٨ مليون مسلم ، ويصل عدد المسلمين كذلك فى الملايو إلى مايزيد على نصف عدد السكان البالغ عددهم أربعة عشر مليون نسمة ، وتعد الملايو بؤرة توزيع الإسلام فى جنوب شرقي آسيا .

ومما يجدر ذكره أن الإسلام قد جاء إلى هذه المناطق عبر الطريق البحرى ، وذلك لأن العوامل الجغرافية الطبيعية (كجبال هملايا الشاهقة) قد حالت دون انتشاره بالطريق البرى ، وكانت حضرموت محور الطريق البحرى ومركز إرسال الدعوة الإسلامية والمسلمين إلى جنوب شرق آسيا ، كما كانت شبه جزيرة الملايو تمثل مركز استقبال لهذه الدعوة .

وفى هذا القطاع تقع الجزر الأندونيسية التى تعد طليعة التجمع الإسلامى فى العالم ، إذ يمثل المسلمون نحو ٩٢٪ من السكان البالغ عددهم ١٤٥ مليون نسمة ، وتقع جزر الفلبين كذلك فى الطرف الشرقى للقطاع ، ويسميها الجغرافيون أرض الشمس المشرقة فى العالم الإسلامي ، وفيها يستقر عدد كبير من المسلمين يعرفون باسم « المورو » وهى تسمية أطلقها عليهم المستعمرون الأسبان على نحو ما عرفوا به المسلمين فى أسبانيا والمغرب وجزيرة مدغشقر ، وسيلان .

ويتراوح عدد المسلمين فى الفلبين مابين ٦ - ٧ ملايين مسلم ، ويتركزون فى الجزر الجنوبية مثل مندناو وصولو ، ومسلمو الفلبين يتألفون جنسيا من عنصرين رئيسيين الملايو المهاجرون الذين دخلوا الإسلام بعد القرن الخامس الهجرى ، وقبائل الناجال الوطنية التى أسلمت على أيديهم فى القرن الثامن الهجرى .

رابعا - خريطة العالم الإسلامى السياسية :

يوجد المسلمون فى أكثر من سبع وخمسين دولة موزعين على خريطة العالم ، وتتفاوت أعدادهم من دولة إلى أخرى ، ومن هذه الدول دولة واحدة في أوربا ، وخمس وعشرون فى آسيا ، وسبع وعشرون فى أفريقية ، ولاتخلو كذلك دولة من دول العالم الجديد من إسلام المهجر والمهجرين .

(أ) دول أسلامية :

يبلغ عدد الدول الإسلامية سبعا وخمسين دولة فى العالم واحدة منها فى أوربا هى ألبانيا والبقية موزعة بين آسيا وأفريقية ، وهى تسع وعشرون في آسيا وست وعشرون في أفريقية ، وهى فى مجموعها تفوز بأكبر من نصف عدد المسلمين فى العالم بكثير ، بل

مايقرب من تسعة أعشار مسلمي العالم ، حيث يصل تعداد المسلمين فيها إلى حوالى تسعمائة مليون مسلم وفى هذه الدول قل أن يخلو الأمر من أقليات دينية إذ أنه من النادر أن توجد دولة إسلامية يصل فيها عدد المسلمين إلى مايقرب من مجموع سكانها كما هي الحال فى المملكة العربية السعودية حيث تصل نسبتهم إلى ١ر٩٩٪ والصومال إلى ٩٩٪ وتركيا الى ٩ر٩٨٪ ، والأغلب أن تؤلف الأقليات الدينية نسبة تتراوح من ٥ – ١٠٪ من عدد السكان ، كما هي الحال في مصر والعراق مثلا ، وقد تصل إلى حوالي الربع كالوضع فى السودان أو إلى الثلث كالنسبة الموجودة في ألبانيا .

وتوجد أهم التجمعات الإسلامية فى العالم العربي حيث يمثل الإسلام فى هذه المجموعة الدين الرسمى لهذه الدول ، سواء نص على ذلك دستوريا أم لم ينص عليه .

ومهما كان الأمر فان الاستعمار قد بذر فكرة الطائفية وغذّاها وجعل منها هدفا للتفرقة ، إذ بدأ يشجع أبناء عقيدته ويدعمهم واستغل ذلك لتفتيت الشعب وفي الوقت نفسه الذي فتح فيه باب التبشير بالنصرانية والإرساليات والمدارس الدينية النصرانية ، وغير ذلك من الوسائل التي تخدم أغراضه ونحن لاننسى هنا الأقليات الدينية النصرانية التى زرعها فى العالم العربى ، ليقوى بها شوكته مثل الأرمن والمالطيين والقبارصة واليونانيين ثم اليهود ، وكان هذا التصرف يبدو واضحا فى كل من مصر والسودان وسوريا ولبنان وفلسطين .

أما التجمع الثانى الكبير للدول الإسلامية فيتمثل فى كل من أندونيسيا ، وأفغانستان ، وإيران ، وتركيا ، وباكستان ، وهذه الدول يمثل الإسلام دورا أساسيا فى وجودها السياسى فهى تنتسب للإسلام أصولا ونشأة وكيانا ، بل إن إحداها جعلت من اسمها جمهورية باكستان الإسلاميةً ، والذى يتتبع هذه الدول يجد أنها ظهرت على مسرح السياسة العالمية على دعوة الإسلام واستظلت بظله فى كل تحركاتها وعلاقاتها الدولية ونحن لاننسى موقف تركيا إبان فترة أمجاد الدولة العثمانية ، وكيف كانت مقرا لخلافة المسلمين ، ثم اصرارها على حمل لواء الزعامة فى العالم الإسلامى ، رغم ماوصلت اليه من ضعف وتدهور فى المرحلة الأخيرة من أيامها ، وذلك حتى تبقى على البقية الباقية من نفوذها .

(ب) دول الأقليات الإسلامية :

وهى وإن كانت تضم نسبة محدودة من قوة المسلمين العددية إذ تتراوح نسبة الإسلام

بين الأقليات الكبيرة والأقليات الصغيرة ، ففى بعض هذه الدول تزيد نسبة الأقلية الإسلامية على ثلث عدد السكان أو تقرب من النصف مثل أوغنده ، والغابون .

ويختلف وضع الأقليات الإسلامية من دولة إلى دولة ، فالأقليات الكبيرة تتطلع إلى المشاركة فى الحياة السياسية والاقتصادية والدينية بحيث تعمل على نشر الإسلام وكسب أعداد جديدة إلى صفوفه ، وفي أكثر الجهات تتعرض الأقليات الإسلامية للضغوط والحكم القسرى .

والجدير بالذكر أن دول الأقليات الإسلامية في أفريقية تمثل حاليا الوحدات التى يزحف فيها الإسلام بقوة ، والتى يرجح أن له فيها توسعا كبيرا .

ويتوقف دور المسلمين السياسي فى هذه الدول على قدر نسبتهم فيها .

وعلى العموم فإن دور الإسلام السياسى فى دول الأقليات الإسلامية يختلف من مكان إلى آخر فهو ينزع إلى الاستقلال كما هي الحال بالنسبة للمسلمين فى كينيا ويهدف أبناؤه لنشر الدين والقيام بدور الداعية فى هذا السبيل لكسب أعداد جديدة إلى الإسلام .

وفى مناطق أخرى اصطدمت تطلعات المسلمين بسياسة الدولة التى يعيشون فيها فتعرضوا لغضبها ، كما حدث فى غانا عند ماقررت حكومتها إلغاء الحزب الإسلامي فيها .

وهناك أقليات إسلامية تعيش تحت وطأة الحكم العسكري وتعامل من جانب الدول التي تحتويهم بالعنف والبطش ففى جنوب شرقي آسيا مثلا ، وفي جزر الفلبين بالذات حاول المسلمون فيها القيام بحركات جهاد لتحسين أوضاعهم وتحرير رسالة الإسلام من الخوف والاستبداد ، ولكن حركتهم هذه قوبلت بمذابح وحشية ولاتزال حتى اليوم تقاوم بشدة .

وفى الهند وجد المسلمون أنفسهم يذوبون داخل الكيان السياسى للبلاد ، وأنه لامفر للملايين منهم من الضياع داخل هذا الكيان ، وهم يحاولون باستمرار الخروج من هذا المصير المحتوم ولكن حركاتهم تقابل بالقوة ، وغالبا ماتضطرهم الحكومة الهندية للهجرة الى باكستان تخلصا من مشكلاتهم على زعمها وأحيانا تتعقد الأمور بين المسلمين والهندوك فى شبه القارة الهندية فيصل هذا التعقيد إلى ذروته فتنشب الحروب بين الفريقين ، وما الحروب الأخيرة التى دارت منذ أعوام ونتج عنها انفصال إقليم بنغلادش إلالون من ألوان تفاقم الموقف بين الفريقين .

وأما قبرص فتبلغ نسبة الأقلية الإسلامية فيها مايزيد قليلا على خمس عدد السكان فى الجزيرة ورغم أن المسلمين أقلية إلا أن حركتهم الانفصالية التى تطالب بتقسم قبرص تشتد ولاتعرف الاستكانة .

١ ـ جزيرة العرب

سكن جزيرة العرب من القديم جماعات من البشر في عدة مناطق منها ماباد مثل طسم وجديس في نجد (اليمامة) ، وعاد (قوم هود) في الأحقاف ، وثمود (قوم صالح) في وادى القرى ، ومدين (قوم شعيب) في الشمال الغربي من الجزيرة في بلاد مدين . وقامت فيها بعض المراكز الحضارية مثل مكة ، والطائف ، ويثرب في القسم الغربي ، وحجر (الرياض) في الوسط ، ودومة الجندل في الشمال . كما تأسست فيها بعض الممالك مثل معين ، وسبأ ، وحمير في بلاد اليمن ، وكنده في الوسط في القسم الجنوبي منه .

وجاء الإسلام ، وعمّ جزيرة العرب في عهد رسول الله ﷺ ، ثم نجم النفاق وحدثت الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ . وقام أبو بكر رضي الله عنه فقاتل المرتدين ومانعي الزكاة وأعاد الإسلام إلى الجزيرة ، وانطلق بالمسلمين إلى الفتوحات ، وخرجت أعداد كبيرة من الجزيرة للجهاد في سبيل الله ، واستقرت جماعات منها في البلدان المفتوحة . وتتابعت الفتوحات فى العهد الراشدى الذى كانت المدينة المنورة حاضرته ومكان انطلاق المجاهدين ، باستثناء مدة قصيرة كانت الكوفة قاعدة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أواخر عهده .

وفي العهد الأموي انتقلت عاصمة المسلمين إلي دمشق .... وبعد وفاة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما حدثت بعض القلاقل في الجزيرة العربية أيام ابنه يزيد ، إذ ضربت المدينة ، وحوصرت مكة المكرمة ، ولم يلبث أن توفي يزيد في دمشق ، وقام أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة ودانت له الجزيرة ، ثم انفصل الخوارج ، وسيطروا على اليمامة والبحرين . ثم صفا الجو لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة ، وعادت الجزيرة جزءاً من الدولة الإسلامية الواسعة التي عاصمتها دمشق . كما انتهى عبد الملك من الخوارج في شرقي الجزيرة . ولما

ضعفت الدولة الأموية طمع بنو حنيفة بالاستقلال في نجد ، وطلب المهير بن أبي سلمى بن هلال الحنفي من والي بني أمية على المنطقة وهو (علي بن المهاجر) مغادرة المنطقة فرفض ، فجمع المهير جيشاً وساربه إلى الوالي في (حجر) قاعدة المنطقة إلا أنه هزم ، وعند موته استخلف عبد الله بن النعمان الذي كان ضعيفاً فاستطاع يزيد بن عمر بن هبيرة أن يخضع نجداً ، وأن يرسل ابنه المثنى والياً عليها عام ١٢٨ ، وقد بقي حتى قامت دولة بني العباس .

عيَّن السفاح عمه داود بن علي والياً علي جزيرة العرب إلا أن هذه الولاية كانت اسمية ، وخاصة نجد التي بقي فيها الوالي الأموي المثني بن يزيد بن عمر بن هبيرة . ولما توفي داود بن علي أرسل السفاح مكانه زياد بن عبيد الله الحارثي فوصل إلي المدينة ، وأرسل إلي نجد ابراهيم بن حسان السلمي فقتل المثني ودانت الجزيرة كلها للعباسيين .

قامت بعض التمردات مثل تمرد بني نمير عام ٢٣٢ أيام الواثق ، ولكن قضي علي هذا التمرد بسرعة ، ومن ثم ضعفت الدولة العباسية .

قام في الحجاز اسماعيل السفاك بن يوسف الطالبي عام ٢٥١هـ في الحجاز ، ولما توفي في العام الثاني ٢٥٢هـ قام بعده أخوه محمد الأخيضر بن يوسف ، ولما كثرت تعدياته أرسل له العباسيون جيشاً فانهزم وسار إلى نجد وأسس فيها الدولة الأخيضرية التي قاعدتها الخضرمة .

خضعت الحجاز للدولة الطولونية عام ٢٥٤هـ واستمروا في حكمها حتى عام ٢٩٠هـ حيث عاد العباسيون ، ولكن القرامطة عاثوا الفساد في الحجاز في هذه الآونة وأخذوا الحجر الأسود إلى مدينتهم هجر عام ٣١٧هـ .

ووصل نفوذ الإخشيديين إلى الحجاز عام ٣٣٠هـ وبعد خمسة أعوام عاد الأخيضريون إلي الحجاز ، ولكن أنهى القرامطة حكم الأخيضريين هناك عام ٣٥٠هـ ، بينما أبقوه في نجد .

وجاء الفاطميون عام ٣٥٩هـ وأجلوا القرامطة عن الحجاز ، واستمروا فيها حتى جاء السلاجقة عام ٤٦٣هـ ، وورثهم الأيوبيون عام ٥٦٧هـ ، ثم المماليك عام ٦٥٠هـ ثم جاء العثمانيون عام ٩٢٣هـ .

هذا بالنسبة إلي الحكومات أو الدول الأساسية ، أما الحكم فقد كان بيد أسر تعود إلى بني عادة ، فقد حكم الحجاز بعد زوال القرامطة عام ٣٥٩هـ أسرة بني موسى ،

وتنتسب إلى الحسن بن على رضى الله عنهما ، واستمر أمرها حتى عام ٤٥٣هـ ، ويعد أمراؤها من عمال الفاطميين . ثم آل أمر الحجاز إلى أسرة بني فليتة ويعودون أيضاً في أصلهم إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبقوا في إمارتهم حتى عام ٥٩٨هـ ، وكانوا عمالًا للفاطميين ثم للسلاجقة . وجاء الأيوبيون أيام السلاجقة .

وفي عام ٥٩٨هـ جاء أمير ينبع أبو عزيز من بني قتادة فقضى على حكم بني فليتة وأسس أسرة حكمت الحجاز حتى عام ١٣٤٢هـ ، وكان آخر أشرافها الحسين بن علي وابنه علي .

كانت شرافة مكة أيام أسرة بني قتادة قوية تصل إلي عسير أحياناً ، وتنكمش عنها أحياناً أخرى فيحتمل العسيريون أجزاء من أطراف الحجاز ، وقد تتنازع الحجاز واليمن على عسير ، كذلك كانت تمتد سلطة بني قتادة أحياناً إلى نجد فتدين لهم الإمارات بالطاعة أو تقف في وجههم إمارات أخرى ، ولربما وصل نفوذ هؤلاء الأشراف إلى البحرين .

وعندما قامت الدعوة السلفية في نجد وقفت شرافة مكة في وجهها في الحجاز ووقع قتال بين الطرفين ، أما الإمارات الصغيرة الواقعة بين نجد والحجاز فكانت تارة تعاون الحجاز إذا وجدت في ذلك مصلحة لها ، وتقاتل نجدا ، وتنضم أحياناً إلي نجد ضد الحجاز إذا وجدت كفة نجد هي الراجحة .

أما نجد فقد انتهى حكم الأخيضريين فيها بزوال دولة القرامطة التي قضي عليها السلاجقة الذين سيطروا على بغداد عام ٤٤٧هـ ، وقضوا على نفوذ البويهيين الذين كانوا من الشيعة ، كما قضوا على الحركات الشيعية الأخرى التى كانت تسيطر على أجزاء واسعة من العالم الإسلامى ، منها المتطرفة أمثال القرامطة ، والحمدانيين في حلب ، والفاطميين في مصر ، والبويهيين في بغداد ، ومنها المعتدلة أمثال الأخيضريين في نجد ، وزال حكم الأخيضريين من نجد عام ٤٦٧هـ . وضعف الأمر في المنطقة ، وانقسمت إلي إمارات صغيرة لايزيد بعضها أحياناً على مدينة واحدة وماحولها ، ووقع الصراع بين هذه الإمارات فكان بعضها يخضع بعضها الآخر ، وقد تمتد سلطة الحجاز إلي نجد أو يتسع نفوذ البحرين ليضم عددا من إمارات نجد ، وأخيرا خضعت نجد إسمياً للدولة العثمانية ولكن الإمارات المتعددة بقيت على حالتها والتنافس بينها استمر على طبيعته ، ودام الأمر حتى ظهرت الدعوة السلفية وقامت الدولة السعودية .

أما البحرين (شرق الجزيرة العربية) فقد وفد إلي المدينة المنورة وفد بنى عبد القيس في السنة السابعة للهجرة ، وأسلموا . وعندما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتد في البحرين بنو بكر بن وائل ، وثبت بنو عبد القيس ، وتمكن المسلمون من إحراز النصر على المرتدين بمساعدة القوة التى أرسلها لهم الصديق رضي الله عنه بإمرة العلاء بن الحضرمي . واشترك سكان البحرين بالفتوحات ، ووصل بنو عبد القيس إلي الهند بالقرب من بومباى وإلى سيلان في غزواتهم ، وكانت آخر غزوة لهم في العهد الراشدي أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث ساروا بإمرة الحارث بن مرة العبدي وحصلوا على النصر وأصابوا مغانم كثيرة .

وفي العهد الأموى سيطر الخوارج بإمرة نجدة بن عامر الحنفي على البحرين ، وقد اتخذ القطيف قاعدة له . ثم تولى مكانه أبو فديك أحد أنصاره السابقين ، وهو من الخوارج أيضاً ، واستمر في حكمه حتي أرسل له عبد الملك جيشاً قضى عليه عام ٧٣هـ . وخرج بعد وفاة عبد الملك مسعود بن أبي زينب العبدي ، ولكن مسعود لم يلبث أن قتل في معاركه مع الأمويين ، وصار أمر الخوارج من بعده إلى هلال بن مدلج ، وثار بالخوارج المهير بن أبي سلمي بن هلال واستولى على البحرين ، وفرّ منها واليها علي ابن المهاجر ... وعندما مات المهير خلفه عبد الله بن النعمان ، إلا أن الأمويين ولوا على اليمامة المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة فاستطاع ضم البحرين إليها .

وفي العهد العباسى كانت ولاية الجزيرة إلى داود بن علي عم الخليفة السفاح ، ولكن كانت ولايته اسمية وبقيت البحرين تحت سلطة المثنى بن يزيد ، وعندما توفي داود بن علي تولى أمر الجزيرة زياد بن عبيد الله فاستطاع أن ينتصر على المثنى ، وأن يضم البحرين إليه .

وثارت البحرين على المنصور بإمرة سليمان بن حكيم العبدى عام ١٥١هـ إلا أنه قتل بعد ستة أعوام وعادت البحرين تخضع للعباسيين حتى عام ١٩٠هـ حيث خرج فيها سيف بن بكير العبدى ولكنه قتل . وعندما ضعفت الدولة العباسية بعد أيام المتوكل أصبح للبحرين تاريخ منفصل وإن بقيت اسمياً تتبع الدولة العباسية .

ومنذ عام ٢٤٩هـ بدأت حركة الزنج في منطقة البحرين بمدينة هجر ، وتبعتها حركة القرامطة منذ عام ٢٨١ وكان مقرها مدينة القطيف ، واستمرت دولتهم حتى عام ٤٦٧هـ ، ومن البحرين امتدت إلى أرجاء واسعة حتى وصلت إلى بلاد الشام .

وجاءت بعد القرامطة الدولة العيونية ، وبقيت حتى عام ٦٤٢هـ إذ خلفهم بنو عقيل في حكم البحرين ، واستمروا في سلطتهم حتى وصل البرتغاليون إلى المنطقة وقتلوا مقرن بن أجود بن زامل عام ٩٢٧هـ ، ولكن بقي بعض زعماء بني عقيل يحكمون تحت إشراف البرتغاليين .

وجاء العثمانيون فحكموا البحرين منذ عام ٩٤٥هـ ، ثم عاد البرتغاليون ثانية واحتلوا القطيف ، وهجـر ، وجزيرة أوال ، وتاروت ، وسيهات ، غير أنهم هزموا ثانية أمام العثمانيين عام ٩٤٤ والذين بقوا في البحرين حتى عام ١٠٨١هـ حيث استقل بنو خالد ، واستمروا في وضعهم حتى عام ١٢٠٨ حيث جاء السعوديون الذين بدأت غاراتهم على المنطقة منذ عام ١١٦٦هـ ، كما أنهم كانوا يغيرون أيضاً على نجد من جهةٍ ثانية .

أما عسير فقد كانت جزءاً من الحجاز وأحياناً تتبع اليمن مدة الخلافة الراشدية والأموية ، وكانت موطن قبائل أزد شنوءة ، فلما دالت دولة بني أمية ، وقامت دولة بني العباس ، وبدأت ملاحقة الأمويين فرّ عدد من أمراء بني أمية إلى جهات مختلفة ، ومنها عسير ، فقد سار إليها علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وتحالف مع قبائلها ، واستطاع بعد مدة وجيزة أن يكون صاحب الكلمة المسموعة ، وصاحب النفوذ ، ثم ثار ضد الخليفة العباسي الثالث محمد المهدي ، فاتجه إليه الجيش العباسي السائر إلى اليمن بقيادة عبد الرحمن الغامدي فقتله عام ١٦٩هـ ، وضعف شأن أهله من بعده إلا أنهم تماسكوا وعاد لهم نفوذهم ، وبقوا سادة المنطقة ، وإن كانت الخلافات تقع أحياناً بين أفراد هذه الأسرة ، كما حدث عام ٦٥٢هـ إذ اختلف صقر بن حسان مع ابن عمه علي ابراهيم ، وفي خلال هذه الخلافات يضعف أمرهم ، فإذا كانت قوة الحجاز قوية سيطرت على المنطقة ، وإن كانت اليمن قوية ساد نفوذها أو اختلفت اليمن والحجاز على المنطقة ، وإن كانت كلتاهما ضعيفة مثل عسير فإن كل منطقة تبقى بحالتها لاتتفرغ لغيرها ولاتهتم بشؤون خارج دائرتها إلى أن يقوى أمر إحداهما . واستمر وضع عسير هذا حتى انتشرت فى ربوعها الدعوة السلفية ، واصطدم أتباعها بأمير المنطقة من آل يزيد محمد بن أحمد بن محمد فقتلوه عام ١٢١٦هـ وأصبح محمد بن عامر المتحمي من أتباع الدعوة السلفية سيد المنطقة ، ولكن أفراد الأسرة الأموية قد انضموا إلى الدعوة السلفية وأخلصوا لها فعادت إليهم إمرة المنطقة ، ومنهم سعيد بن مسلّط ، وعلي بن مجثّل ، وعائض بن مرعي ، الذي أسس أسرة حكمت المنطقة ، وانتهت عندما قامت الدولة السعودية الثالثة عام ١٣٤٢هـ .

هذه المناطق الأربع : الحجاز ، ونجد ، وعسير ، والمنطقة الشرقية تشمل أكثر أجزاء الجزيرة العربية ، ومنها تشكلت المملكة العربية السعودية التي سنتحدث عنها الآن ، أما بقية الأجزاء فسنتحدث عن تطورها إن شاء الله عندما نتحدث عن الدول التي قامت فيها .

(أ) المملكة العربية السعودية

كانت الفوضى تعمّ أرجاء الجزيرة العربية كلها في مطلع القرن الثاني عشر ، بل كانت أحوال العالم الإسلامي على حالة لايحسد عليها أهله . ومن هذه المناطق نجد بصفة خاصة فالفوضى السياسية قائمة ففي كل بلد أمير ، وفي كل ناحية حاكم يأخذ مايحلو له من الثمار ، وقد يأتي شريف مكة فيفرض نفوذه ، وقد يسير حاكم الأحساء فيخضع الأمراء لسلطانه ، وهم يتبعون له ، ويغزو بعض الأمراء بعضاً ، ويعتدي الجوار بعضهم على بعض ، وغارات البدو لاتنقطع ، وتسلّط القبائل وشيوخها على الحضر لاينتهي ، وانتشار اللصوص في كل مكان لا حدود له ، ووجود الحرابا في الطرقات والدروب .

ولا يقل الجهل في الأمور الدينية عن الفوضى في النظام فتقديس القبور والمظاهر الخاصة بذلك قائمة ، والتعامل بالربا ، وارتكاب الفواحش ، والإكراه على تزويج البنات ، وانتشار الخرافات ، والتوسل بغير الله من أضرحة الصالحين والأولياء ، والاعتقاد ببعض الأشجار والأحجار بأنها تكون سبباً في إنجاب الأولاد ، أو إيجاد الزوج ، وحفظ النسل إذا قام الطالب عندها ببعض التصرفات ... كل هذا كان قائماً وزيادة من الأمور التي يجد المرء صعوبة في ذكرها ، وكان لابّد من منادٍ للإصلاح وشاء الله أن يكون هذا المنادي الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي المولود في بلدة العيينة[1] عام ١١١٥هـ ، وكان أبوه قاضياً فيها ، ثم انتقل إلى حريملاء[2] لاختلافه مع أميرها ابن

(١) العيينة بلدة شمال الرياض تبعد عنها أربعين كيلو متراً .

(٢) حريملاء بلدة شمال الرياض على بعد ثمانين كيلو متراً .

معمر ، وارتحل ابنه معه وذلك عام ١١٥٣هـ ، وقد انصرف إلي التأليف حسب نصيحة والده الذي لم يلبث أن توفي ، فقام ابنه يدعو الناس إلى ترك مادخل على الدين من بدع وخرافات ، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح ، ويأمر بالمعروف وينهى المنكر ، ووجد أن الجو في حريملاء لا يناسبه فقرر العودة إلى العيينة ، وساعده أميرها عثمان بن معمر في نشر دعوته ، وقطعت الأشجار التي كان يتبرك بها الناس ، إلا أن ابن معمر لم يلبث أن تنكر للشيخ بناء على طلب حاكم الأحساء سليمان بن محمد بن غرير الذي كان ابن معمر يتبع له ، ويتقاضى منه راتباً ، فطلب ابن معمر من الشيخ أن يغادر بلده فارتحل إلى الدرعية [1] عام ١١٥٧ ، وكان أميرها محمد بن سعود منذ عام ١١٣٩هـ ، فاستقبله ودعمه ، ومنعه ، وبدأ دعوته فغدت الدرعية مركزاً دينياً ومقراً للنشاط . وبدأت إمارة محمد بن سعود تتوسع وتأسست الدولة السعودية الأولى .

الدولة السعودية الأولى : ضمت إمارة الدرعية إليها العيينة وحريملاء وبعض المناطق ، ووقعت صدامات مع الرياض ، ومع حاكم نجران ، والأحساء ، وبعض الأمراء الآخرين ، وكان قائد جيوش الدرعية عبد العزيز محمد بن سعود .

توفي محمد بن سعود عام ١١٧٩هـ بعد أن ضم إليه العارض عدا الرياض ، وأكثر بلاد الخرج ، وحائر ، والوشم ، والمحمل ، وسدير . وخلفه ابنه عبد العزيز فضم الرياض عام ١١٨٧هـ ، والقصيم ، والأحساء عام ١٢٠٨هـ ومكة والطائف عام ١٢١٧هـ ، ووصلت إمارته إلى جنوبي العراق ، ودخل كربلاء ، كما وصلت إلي جنوب بلاد الشام ، وكان ابنه سعود قائد جيوشه ، وفي عام ١٢١٨هـ طعن بيد شيعية وهو يصلي صلاة العصر .

تولى ابنه سعود الحكم بعده ، وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد توفي عام ١٢٠٦هـ ، فغزا سعود جنوبي العراق في أواخر عام ١٢١٨هـ ، ثم عام ١٢٢٠هـ ، وعام ١٢٢٣هـ ، وأرسل ابنه عبد الله في غزو آخر عام ١٢٢٥هـ ،

وانتشرت الدعوة السلفية في عسير ، وكان أميرها محمد بن عامر ، وتمكن من قتل أميرها عام ١٢١٦هـ وهو محمد بن أحمد بن محمد ، ودخلت الحجاز في الطاعة ، وأغار

---

(١) الدرعية بلدة شمال الرياض على بعد عشرين كيلو متراً منها .

على أطراف الشام فوصل إلي مزيريب وبصرى وذلك عام ١٢٢٥هـ ، ومن ناحية الشرق وصلت الدعوة إلي عُمان التي كانت تدخل في الطاعة بعض الأحيان ، وتنقض العهد أحياناً أخرى . وهكذا دانت أكثر الجزيرة العربية إلي سعود ، ولم يبق منها خارجاً عن الطاعة سوى جزيرة البحرين ، وبعض مراكز النفوذ الانكليزي . إذ كانت الأحساء قد دخلت في الطاعة منذ عام ١٢٠٨هـ ، واستولى طامى بن شعيب على تهامة ، وكان يومها أمير عسير ، كما أن إمام صنعاء المنصور وابنه المتوكل قد هادنا سعوداً واستجابا إلى شيء من الدعوة السلفية .

تأثرت الدولة العثمانية من الوضع الذي آلت إليه الجزيرة العربية ، ولم يقو ولاتها في الشام والعراق على الوقوف في وجه الدولة السعودية ، بل إن الدعوة السلفية قد بدأت تنتشر في كل مكان . فكلفت محمد علي باشا بقتال السعوديين ومحمد علي صاحب أطماع وتخافه الدولة العثمانية التي رأت ضربه بالسعوديين وضربهم به ، وأعطته ولاية جدة ليبدأ الاحتكاك . فأرسل محمد علي باشا مندوباً له إلي الجزيرة العربية يستطلع الأوضاع الداخلية ، ويتعرف على أحوال القبائل ، ويتصل بالشريف غالب بن مساعد شريف مكة الذي صالح السعوديين ، وأقرّ لهم بالطاعة وهل كان ذلك عن قناعةٍ وعقيدةٍ أم عن ضعف وخوف ؟ ، ووصل المندوب إلي الجزيرة بنية العمرة ، ودخل مكة والتقى بالشريف فوجده على حذرٍ شديدٍ من السعوديين ويتربص بهم الدوائر ، وهذا ماشجع محمد على لحرب السعوديين .

أرسل محمد علي حملة قوامها ثمانية آلاف من المشاة وألفان من الفرسان مع ماتحتاجه من عمال وفنيين وطهاة وغيرهم ، وكانت بقيادة ابنه أحمد طوسون الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، والذى سار مع الفرسان براً ، وانتقل المشاة بحراً فسقطت مدينة ينبع بأيديهم عام ١٢٢٦هـ ، ثم اتجهوا نحو المدينة المنورة حسب نصيحة الشريف غالب الذي تنكر للسعوديين وقدّم خدماته كلها لجيش محمد علي .

وتقدم السعوديون بقوةٍ قوامها خمسة عشر ألفا ، وقد انضم إليها أمير الطائف عثمان المضايفي وأمير عسير طامي بن شعيب ، وانتصروا على الحملة المصرية في موقع الصفراء ... إلا أن النجدات قد وصلت إلى طوسون بناء على طلبه ، وأعاد الكرة وحاصر المدينة المنورة عام ١٢٢٧هـ وتمكن من أخذها ، وسار بعدها إلى مكة المكرمة وجدة فدخلهما بمعونة الشريف غالب ، وأسر الأمير عثمان المضايفي .

وجاء محمد على بنفسه إلى مكة ليكون على مقربة من ميدان الأحداث وأقام فيها مدة ، وقبض فى أثناء ذلك على الشريف غالب وأمر بنقله إلى مصر ، ثم إلى سالونيك باليونان حيث بقي فيها حتى مات بها .

أراد المصريون التقدم نحو نجد فهزموا في الحناكية شرق المدينة ، كما هزموا على محور الطائف مرتين في (تربة) ، وأرسلوا حملة إلى عسير عن طريق القنفذة فهزمت كذلك ، وفي زحمة هذه الأحداث توفي سعود بن عبد العزيز وخلفه ابنه عبد الله عام ١٢٢٩هـ .

حاول المصريون تطويق عسير فهزموا من كلا الجانبين من الغرب ومن الشمال ، ولكن في الوقت نفسه هزم السعوديون شرق الطائف في (بسل) وكانوا بإمرة فيصل بن سعود ، وكانت هزيمة منكرة فبدأ محمد علي يطاردهم ، ويشنّ حرباً على القرى التي بدأت تستسلم للمصريين من الخوف الذي أصاب أهلها من ظلم محمد علي وطغيانه .

وتمكن المصريون من هزيمة عسير ، وأسرطامي بن شعيب أمير المنطقة ، ونقله مكبلًا إلى مصر حيث صلب هناك .

وتقدم طوسون من المدينة شرقاً ، ووصل إلى (الرس) ، واستقر بالخبراء ، والتقى بالسعوديين لكن صلحاً عقد بين الطرفين يقضي بوقف القتال ، وانسحاب المصريين من نجد التي يستقل آل سعود بحكمها . وبقاء الحجاز لمحمد علي ، وعدم منع أي حاج من تأديته فريضته . ورحل المصريون عن نجد ، وسافر طوسون إلي مصر ، إلا أن محمد علي قد رفض الصلح ، وسير حملة بإمرة ابنه ابراهيم باشا ، فالتقى بالسعوديين في شرق المدينة فانتصر عليهم ، وتابع حتى دخل مدينة الدرعية مقر حكم آل سعود ، وسلم عبد الله بن سعود نفسه فى ١١ ذي القعدة من عام ١٢٣٣هـ . فأخذ إلى مصر ، ومنها إلى استانبول حيث أعدم هناك ، كما نقلت أعداد من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر ، وهرب من تمكن منهم من الهرب ، واختفى من اختفى ، وهدمت الدرعية ، وعاد ابراهيم باشا إلى القاهرة عام ١٢٣٥هـ .

وانتهت الدولة السعودية الأولى بعد أن توالى على حكمها أربعة حكام .

وعادت الفوضى إلى نجد ، ورجعت الإمارات الصغيرة ، وبقي آل خالد زعماء الأحساء في مركزهم ، وتسلّط الأشراف من جديد على الحجاز . وبعد أن رحل ابراهيم باشا عن الدرعية انقض عليها أمير العيينة محمد بن مشاري بن معمر وأخذ البيعة لنفسه ،

ثم تنازل لمشاري بن سعود الذي هرب من قافلة الأسرى وبايعه ، لكنه لم يلبث أن قاتله وأسره وسلمه إلى الأتراك فقتلوه ، وعاد ابن معمر يحكم الدرعية ، وسار إليه تركي بن عبد الله [1] فقتله عام ١٢٣٦هـ ، وجاءته قوة تركية دخلت الرياض فاضطر أن يغادرها عام ١٢٣٧هـ ، ثم رجع إليها وانتصر على الترك عام ١٢٤٠هـ .

الدولة السعودية الثانية : استقر تركي بن عبد الله بالرياض ، وأطاعه أهل نجد جميعاً ، كما انتصر على بني خالد في المنطقة الشرقية فبايعته ، وهكذا عادت الدولة السعودية من جديد ،ولكن أصبح مقرها الرياض .

فر من مصر مشاري بن عبد الرحمن (ابن اخت تركي)عندما وصل إليه خبر تأسيس الدولة السعودية ثانية على يد خاله ، ووصل إلى نجد عام ١٢٤٣هـ ، ثم تمكّن فيصل بن تركي من الفرار أيضا ، وكان عوناً لأبيه في توطيد دعائم الدولة ، إذ كان قائد الجيوش .

كان فيصل بن تركي في المنطقة الشرقية يقاتل خصوم الدولة ، ويحاصر الطائف وإذ يصل إليه مصرع أبيه في أواخر أيام عام ١٢٤٩هـ (٢٩ من ذى الحجة) على يد ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن وتسلمه السلطة في الرياض ، ففك الحصار عن الطائف ، ورجع إلى الرياض ، واستعاد الحكم بعد أن قتل عبد الله بن رشيد قاتل تركي في مطلع عام ١٢٥٠هـ ، وأصبح فيصل إمام الدولة ، ودانت له البلاد كلها .

ضعفت قوة محمد علي في الجزيرة إذ ثار ضده شريف مكة ، وهزم في عسير أمام آل عائض ، وقام ضده أهل جدة ، وقويت دولة آل سعود من جديد ، فأراد أن يضرب بعض هذه الحركات ببعض ، وأن يفرق الأسرة الواحدة . واستطاع أن يخمد ثورة شريف مكة يحي بن سرور ، وأن يعزله ويولي مكانه محمد بن عبد المعين بن عون ، كما سيطر على جدة ، إلا أنه هزم في عسير . أما بالنسبة لنجد فقد أرسل حملة بإمرة خالد بن سعود أخي الإمام عبد الله بن سعود الذي استسلم إلى ابراهيم باشا وأعدم في استانبول ، ولعل في هذا الأمر تكون طاعة أهل نجد لخالد ذكرى لأخيه الإمام ، واستطاع خالد فعلاً دخول الرياض ، وخرج منها فيصل إلى الخرج ، ومنها إلى المنطقة

---

(١)تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود هرب إلى الخرج وتحصن فيها عندما كان ابراهيم باشا يحاصر الدرعية ، ثم حكم الرياض أيام ولاية ابن عمه مشاري بن سعود ، ثم غادرها بعد عودة ابن معمر إلى الحكم .

الشرقية . وأصبح خالد بن سعود أمير نجد ، وفى الوقت نفسه اتبع خالد سياسة محمد علي في تفريق الأسر ، فقد عزل عن حائل أميرها عبد الله بن رشيد صديق فيصل ، وولى مكانه عيسى بن علي .

هزم خالد أمام قوات الخرج ، والحوطة ، والحريق التي تدعم فيصل ، وجاء فيصل كذلك من المنطقة الشرقية ، وحاصر الرياض إلا أن خالداً قد جاءته نجدات مصرية كانت في طريقها لحرب عسير ، واستطاعت فك الحصار ، واتجه فيصل إلى الخرج ولكنه هزم فصالح خالد ، وحمل أسيراً إلى مصر ، وتمكن خالد من الحكم .

ثار عبد الله بن ثنيان على خالد ، واستطاع دخول الرياض ، ففر خالد إلى الأحساء ، ومنها إلى الكويت ، فمكة وبقي فيها حتى مات . وكان الذي مكن ابن ثنيان من النصر كره الأهالي لخالد . وبسط ابن ثنيان نفوذه ، وساعده على ذلك ضعف حكومة محمد علي فى مصر بعد هزيمته في الشام ، وانحصر نفوذه في مصر بعد توقيع معاهدة لندن ، فانسحب المصريون من الجزيرة وخلا الأمر لابن ثنيان في نجد حتى عام ١٢٥٩هـ .

هرب فيصل من سجنه في مصر ، وانتقل إلى الجزيرة العربية حيث مر على حائل ، ونزل عند صديقه عبد الله بن رشيد ، واتجه نحو الرياض فحاصرها ثم فتحت له أبوابها فقبض على ابن ثنيان وأودعه السجن حتى مات فيه عام ١٢٥٩هـ ، واستعاد هو حكمه ، إذ دانت له نجد ثم المنطقة الشرقية عام ١٢٦٠هـ ، وصالح شريف مكة محمد بن عون الذي وصل إلى عنيزة فى نجد .

امتد نفوذ الإمام فيصل على أكثر الجزيرة فنجد والمنطقة الشرقية ضمن دولته ، وعمان تدفع له الزكاة ، وفي عسير حكومة آل عائض تؤيده وتدعمه ، وقد شملت سلطتها تهامة وأكثر أرض اليمن ، أما الحجاز فكانت تتبع العثمانيين ، ويسير الأشراف أمورها .

وكانت حكومة فيصل قويةً ، والأمن موطداً ، والاستقرار قائما ، وتمتد من جنوب بلاد الشام شمالًا إلى الربع الخالي جنوباً ومن الحجاز وعسير غرباً حتى الخليج شرقاً ، وكان فيصل يتقي العثمانيين بأن يدفع لهم أحياناً بعض الأموال أو يظهر لهم التبعية الإسمية ، وكانت صلته حسنة بالانكليز الذين لم يعترفوا بأية تبعية للعثمانيين على فيصل .

توفى الإمام فيصل عام ١٢٨٢هـ ، وله أربعة أولاد ، وقد بويع عبد الله بن فيصل إماماً مكان أبيه ، ولكن أخاه سعودا نافسه وثار فى الخرج عام ١٢٨٣هـ إلا أنه هزم فالتجأ إلى عسير ، ولما لم يدعمه ابن عائض تركه ، والتجأ إلى نجران فوجد مساعدة

فحارب أخاه غير أنه هزم ثانية ، فسار إلى المنطقة الشرقية ، واحتمى بواحة البريمي ، ولما قوي أمره عاد إلى حرب أخيه ، فانتصر في هذه المرة ، وغادر أخوه عبد الله الرياض ، ولما لم يدخلها سعود فقد رجع إليها عبد الله .

زحف سعود إلى الرياض وتمكن من اقتحامها عام ١٢٨٨هـ فخرج منها عبد الله ، واتجه إلى قبائل قحطان في الجنوب ، وحاول العودة إلى الرياض إلا أنه هزم .

احتل العثمانيون المنطقة الشرقية فسار إليهم عبد الله وطلب مساعدتهم . وثار أهل الرياض على سعود وولوا مكانه عمه عبد الله بن تركي الذى تنازل بعد شهرين من حكمه لابن أخيه عبد الله الذي جاء من المنطقة الشرقية .

كان سعود بن فيصل قد فرّ إلى الخرج ، وجمع جموعه وسار بهم إلى أخيه في الرياض فانتصر عليه ، وفر عبد الله إلى الكويت ورجع سعود يحكم الرياض عام ١٢٩٠هـ .

حاول سعود دخول الأحساء ففشل ، وطلب دعم الانكليز ففشل ، واتفق الآن الأخوان سعود وعبد الله ، وحاولا مهاجمة العثمانيين ولكن لم يفدهما هذا الاتفاق ، وهزموا في الهجوم .

انسحب العثمانيون من الأحساء عام ١٢٩٠هـ بسبب ما أصابهم من أمراض ، وقام فيها عبد الرحمن بن فيصل لكنه لم ينجح . وتوفي سعود عام ١٢٩١ ، واختار أهل الرياض أخاه عبد الرحمن إماماً لهم ، وأيده أبناء أخيه سعود في البداية ، ثم اختلفوا معه وأخرجوه من الرياض وحكموها .

اتفق أبناء فيصل (عبد الله ، محمد ، عبد الرحمن) ضد أبناء أخيهم سعود ، فحكموا الرياض ، وتولى عبد الله الأمر للمرة الثالثة ، وخرج أبناء سعود منها ، ولكن في عام ١٣٠٢هـ عاد النصر إلى جانب أبناء سعود فدخلوا إلى الرياض ، وحكم محمد بن سعود ، وسجن عمه عبد الله بن فيصل فسار من حائل أميرها محمد بن عبد الله بن رشيد إلى الرياض بحجة إعادة عبد الله بن فيصل إلى الحكم ، إلا أن ابن رشيد بعد أن دخل الرياض أبقى فيها حاميته تدير شؤونها بأمره وبقيادة سالم السبهان ، وحمل معه عبد الله وعبد الرحمن بن فيصل بن تركي . وبعد مدة سمح ابن رشيد لابني فيصل بالعودة إلى الرياض التي سحب حاميته منها ، ولكن لم يلبث أن توفي عبد الله بن فيصل بعد يومين من عودته وذلك عام ١٣٠٧هـ ، وأصبح عبد الرحمن هو الإمام المبايع . ولم يلبث ابن رشيد أن أرسل حملة انتصرت على أهل القصيم ، وغادر عبد الرحمن الرياض

إلى الأحساء فالقطيف ، ومنها إلى الكويت ، ثم إلى قطر فالبحرين ، وأخيراً سمح له أمير الكويت بالإقامة فيها ، فانتقل إليها عام ١٣٠٩هـ ، وأصبح آل رشيد حكاماً لنجد ، وانتهت الدولة السعودية الثانية بعد أن سادها الخلاف مدة ربع قرن .

الدولة السعودية الثالثة : (المملكة العربية السعودية) وقع الخلاف بين أبناء الصباح في الكويت ، إذ ثار أبناء إخوة الشيخ مبارك عليه واتجهوا إلى العراق يطلبون مساعدتهم من الدولة العثمانية ، فأوكلت الأمر إلى ابن رشيد في حائل لمساعدة هؤلاء ضد عمهم الذي تفاهم مع الانكليز .

كان عبد العزيز بن عبد الرحمن يقيم في الكويت مع والده ، فرأى أن يستفيد من الخصومة بين الشيخ مبارك وآل رشيد فطلب من الشيخ مبارك أن يرسله بقوة يحتل بها الرياض وينقذها من آل رشيد ، كي تضعف قوتهم ويقاتلوا في جبهتين ، فوافق الشيخ مبارك ، وسار عبد العزيز بقوة إلى الرياض عام ١٣١٨هـ وحاصرها غير أن هزيمة الشيخ مبارك اضطرته إلى العودة من حيث أتى ، ولكنه سار فى العام التالي ١٣١٩هـ ، ودخل الرياض على حين غرة من أميرها وقتله فى قصره ، وتسلّم حكم الرياض ، وبدأ يوسّع نفوذه فاحتل الوشم وسدير عام ١٣٢١هـ ، وبريدة وعنيزة عام ١٣٢٢هـ ، وعلى بقية القصيم عام ١٣٢٤هـ بعد مقتل أمير حائل في المعركة التي دارت بينهما في روضة مهنا ، ثم تجدد القتال بعد صلح ، وبعد خلافات حدثت في آل البيت الرشيدي ، وأخيراً دخل عبد العزيز بن عبد الرحمن حائل ١٣٤٠هـ وضمها إلى ملكة ، كما أنه ضم الأحساء من قبل عام ١٣٣١هـ بعد أن ضعفت الدولة العثمانية إثر حروب البلقان .

اصطدم عبد العزيز بن عبد الرحمن مع شريف مكة الحسين بن علي الذي ثار على الأتراك في أثناء الحرب العالمية الأولى وشعر بقوته ، وتلقب باسم ملك العرب ، وخاصة بعد أن حكم أولاده الأردن ، والعراق ، واستطاع السعوديون دخول الطائف عام ١٣٤٣هـ بعد هزيمة (تربة) وتنازل الشريف حسين لابنه علي عن الملك وغادر البلاد ، ثم تمكّن السعوديون من دخول مكة المكرمة في العام نفسه ، وانسحب علي بن الحسين إلى جدة ، ثم تنازل عن الحجاز ، ودخل السعوديون جدة والمدينة المنورة عام ١٣٤٤هـ بعد حصار ، وهكذا انتهى حكم الأشراف عن الحجاز التي أصبحت جزءاً من ملك السعوديين .

كما استطاع الجيش السعودي دخول أبها عاصمة عسير عام ١٣٣٨هـ ، وعاد آل عائض إلى الانتفاض على السعوديين ولكنهم هزموا عام ١٣٤٠هـ بعد معارك دامية ، ونقل آل عائض إلى الرياض .

كما ضم عبد العزيز بن عبد الرحمن تهامة التي كان الأدارسة قد استقلوا فيها عن الدولة العثمانية ، وتحالفوا مع الطليان ثم مع الانكليز .... وثار السكان ضد على الإدريسي فالتجأ إلى الرياض ، وبايع أهل المنطقة عمه الحسن الذي فاوض انكلترا وأعطاها حق التنقيب عن النفط فى جزر فرسان ، كما فاوض إيطاليا ،وإمام اليمن ، ثم فاوض السعوديين ونجح في ذلك ، وضمت تهامة إلى السعوديين عام ١٣٤٥هـ .

بويع عبد العزيز أميراً على نجد بعد أن دخل الرياض عام ١٣١٩هـ ، وأصبح سلطاناً على نجد وملحقاته بعد أن دخل حائل عام ١٣٤٠هـ ، وغدا ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته بعد أن استولى على الحجاز عام ١٣٤٤هـ ، وبعد عام أصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاته ، وأخيراً في ١٧ جمادى الأول عام ١٣٥١هـ أصبح ملك المملكة العربية السعودية .

استفاد ابن سعود من جماعة أسماها « الإخوان » وتضم الجماعة المتدينين من أهل البادية الذين استقروا في الهجر التي أسسها لهم ، وقد ضحت هذه الجماعة بكل شيء في سبيل نشر الدعوة ثم بدأ الخلاف بينها وبين الملك عبد العزيز ، ودارت معارك بين الطرفين خرج عبد العزيز منها منتصراً ، وقضى على خصومه .

وجرى الخلاف بين المملكة العربية السعودية واليمن على الحدود ، وجرت مفاوضات بين الطرفين لحل هذا الخلاف غير أن اليمن قد احتلت جيزان وماحولها أثناء المفاوضات ، فأرسل الملك عبد العزيز جيشاً بقيادة ابنه فيصل احتل ميدي والحديدة ، ثم تدخلت الدول فتوقف القتال ، وعقدت معاهدة الطائف عام ١٣٥٣هـ التي حددت الحدود بين الدولتين .

عمل الملك عبد العزيز على تطبيق حدود الشريعة الإسلامية فساد الأمن ، واستقر الوضع ، ووجد النفط في المنطقة الشرقية من بلاده ، فاتجهت أنظار الدول نحو الخليج أكثر من ذي قبل ، واتفق مع الدول المجاورة ذات الشأن فرسمت الحدود ، وعقدت المعاهدات لحسن الجوار ، وتوفي عام ١٣٧٣هـ فخلفه ابنه الأكبر سعود ، حسب النظام القائم بحكم الولد الأكبر من أسرة الملك عبد العزيز .

سار سعود بن عبد العزيز بالبلاد شوطاً ، ثم انصرف عن الشؤون العامة فوقع الخلاف بينه وبين أخيه ولي عهده فيصل الذي كان نائبه على الحجاز ، وبايع العلماء فيصل فنجح في نقل الملك إليه ، وغادر سعود البلاد إلى أن توفي في مصر عام ١٣٨٧هـ .

قام الملك فيصل بالأمر وسار سيرة حميدة ، ودعا إلى التكتل الإسلامي ، وفي عهده زادت خيرات البلاد مع زيادة الثروة النفطية ، والحاجة الماسة للنفط الذي أصبح شريان الحياة الاقتصادية ، ونعمت المملكة بالرخاء ، وسار الأمن والاستقرار ، واتسع العمل ، وجلبت الأيدي العاملة من جهة ، وقتل من قبل ابن أخيه مساعد في ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ ، فاعتلى الحكم أخوه خالد ، وبايعته الأسرة جميعها ، واستمر في الحكم حتى عام ١٤٠٢هـ حيث توفي فجأةً ، فخلفه أخوه فهد بن عبد العزيز .

(ب) اليمن

تقع اليمن في جنوبي الجزيرة العربية ، وهي منطقة جبلية ، تنالها الأمطار الصيفية الناشئة عن الرياح الجنوبية الغربية ، لذا عرفت من القديم باسم بلاد العرب السعيدة ، وعمل أهلها بالزراعة ، وأقاموا الدول مثل معين ، وسبأ ، وحمير ، وظهرت فيها بوادر الحضارة التي امتازت ببناء السدود مثل مأرب ، وبناء القصور مثل رغدان . وكثر السكان فيها حتى وصلوا في عددهم إلى ما يقرب من نصف سكان الجزيرة عامة .

ومع ضعف الدولة في اليمن بهجرة أعداد من سكانها من خراب سد مأرب ، وانتقالهم إلى عمان (أزدعمان) ، وإلى عسير (أزد شنوءة) ، وإلى الحجاز (الأوس والخزرج) وإلى بلاد الرافدين (المناذرة) ، وإلى الشام (الغساسنة) ، تسلط الأحباش على اليمن ، وانتشرت في أيامهم النصرانية ، وكان الروم يدعمون الأحباش ويشجعونهم على نشر النصرانية ، كما انتشرت اليهودية ، وأراد بعضهم الهجوم على بيت الله الحرام فرده الله صاغراً ، وأهلكه وعدداً كبيراً من جيشه بإرسال الطير عليهم .

وقام بعض أبناء البلاد بمحاولة طرد الأحباش أمثال سيف بن ذي يزن ، واستعانوا بالفرس على الأحباش ، فنجحوا إلا أن نفوذ الفرس قد حل محل نفوذ الأحباش ، واستمر ذلك حتى جاء الإسلام .

انتشر الإسلام في اليمن في عهد رسول الله ﷺ ، وما أن انتقل الرسول الكريم من هذه الحياة الدنيا حتى بزغت قرون الردة ، وقام الأسود العنسي متنبئاً وتبعه كثير من أهل اليمن فأرسل لهم الصديق رضي الله عنه الجيوش التي فرقت أمرهم فعاد إلى الإسلام من كتب الله له الخير ، وقتل من قتل . ودخل أهل اليمن في الإسلام ، وانطلقوا مع إخوانهم إلى الفتوحات وكان على أيديهم الخير الكثير .

وتوقفت الفتوحات الإسلامية بعد الخلاف الذي دبّ بين المسلمين ، وبايعت اليمن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وبعد مقتله عادت فبايعت بني أمية حتى إذا دالت دولتهم بايعت بني العباس إلا أن أمرهم كان فيها ضعيفاً لبعدها عن مركز الحكم ، ولطبيعتها الجبلية ، ولوعورة أرضها ، وللسبب نفسه كانت ملجأ لكثير من الفارين من الحكم أو الثائرين عليه . فقد قامت فيها دولة بني زياد عام ٢٠٤هـ . ثم سيطر القرامطة على اليمن بقيادة علي بن الفضل عام ٢٩٢هـ ، ونهبوا مدنها ، وفعلوا الأفاعيل ، واستباحوا المنكرات ، وقاموا بكل رذيلة . وقام بعدئذ بنو نجاح وهم من مماليك بني زياد ، وحكموا زبيد وملحقاتها عام ٤١٢هـ ، وكان بنو يعفر يحكمون صنعاء من عام ٢٤٧هـ وحتى عام ٣٨٧هـ ، بينما سيطر بنو صليح على صنعاء ٤٣٩ - ٤٩٢هـ ، وخلفهم بنو همدان حتى ٥٦٩هـ . وآل أمر زبيد إلى بنى مهدي من ٥٥٤ - ٥٦٩هـ . وتسلم آل زريع إمارة عدن ٤٧٦ - ٥٦٩هـ . أما صعدة فكانت تحت حكم دولة بني رس الشيعية التي قامت عام ٢٨٠هـ .

وجاء الأيوبيون عام ٥٦٩هـ فقضوا على عدد من الإمارات في اليمن ، وجمعوا أمرها إذ أنهوا حكم بني همدان في صنعاء ، وبني مهدي في زبيد ، وبني زريع في عدن ، واستمر أمرهم حتى عام ٦٢٦هـ .

خلف بنو رسول الأيوبيين في اليمن ، ودام حكمهم أكثر من قرنين ٦٢٦ - ٨٥٨هـ ، ثم قام بعدهم بنو طاهر واستمر أمرهم حتى عام ٩٣٢هـ حيث جاء المماليك إلى المنطقة لرد البرتغاليين عن ديار الإسلام ثم لم يلبث أن جاء العثمانيون للغاية نفسها .

حاول المماليك الوقوف في وجه البرتغاليين ، وبنوا أسطولًا لهذا الغرض ، وحرصوا على تلبية نداء مسلمي الهند إلا أن أسطولهم قد هزم في معركة ديو في المياه الهندية عام ٩١٥هـ . وحاول البرتغاليون عبور البحر الأحمر والسيطرة عليه بعد سيطرتهم على المياه

الهندية والخليج العربي ، وشن البوكرك هجوماً على عدن للسيطرة عليها عام ٩١٩هـ غير أنه فشل ، وقامت حملة برتغالية بقيادة سواريز للاستيلاء على جدة لكنها أخفقت ، وتعاون البرتغاليون وتحالفوا مع الأحباش .

وقام العثمانيون يدرعون الخطر عن ديار الإسلام ، ويلبون نداء مسلمي الهند ، ورفض المماليك التعاون معهم ، فاحتل العثمانيون أرض الدولة المملوكية ، وورثوا عنها المهمة الملقاة على عاتقها وهي حرب البرتغاليين ، ودخلوا اليمن بصفة أن أرضها قاعدة ارتكاز لمحاربة البرتغاليين سواء أكان ذلك في البحر الأحمر ، أم في الخليج العربي ، أم في المياه الهندية . كما أن العثمانيين قد بسطوا نفوذهم على السواحل الغربية للبحر الأحمر لضمان المحافظة عليه ، ولانقاذ المسلمين من سيطرة الحبشة حليفة البرتغاليين ، وقد تم للعثمانيين ذلك عام ٩٦٥هـ وكانت الحبشة في حالةٍ من الفوضى بسبب الخلاف بين حكامها وارتباطهم بالكنيسة الغربية أم الكنيسة الشرقية ، وهذا ماسهل للعثمانيين بسط نفوذهم على مصوع ، وسواكن ، وسواحل البحر الأحمر كافة ، ولكنهم لم يستغلوا هذه الفرصة و يتوغلوا نحو الداخل لينهوا الحكم الحبشي ، الذي يتعاون مع كل صليبي ، ويمد يده لكل دخيل نصراني يعمل ضد المسلمين ، كما أنه يقاتل مسلمي الحبشة باستمرار ، ويسيطر على المسلمين في المناطق الواقعة بين هضبة الحبشة والبحر الأحمر ، ولم يزل هذا ديدنه حتى الآن .

وقبل أن يبسط العثمانيون نفوذهم على سواحل البحر الأحمر الغربية أرسلوا حملات إلى الخليج العربي لطرد البرتغاليين من هناك ، ففي عام ٩٥٩هـ أرسلوا حملة احتلت مسقط وهزمت أسطولًا برتغالياً ، وحاصرت هرمز لكنها فشلت وعادت . وأرسلوا حملة ثانية عام ٩٦١هـ لكنها هزمت ، كما هزموا في حملة ثانية في العام التالي ، وبعدها انحصرهّم العثمانيين بالدفاع عن البحر الأحمر وتوجيه الجهود إلى اليمن . وحرم العثمانيون على السفن النصرانية دخول البحر الأحمر .

وعندما قام علي بك الكبير بحركته ضد العثمانيين وانفرد بحكم مصر ، فتح البحر الأحمر لسفن الدول النصرانية ، وكان قد وقع تحت تأثير تاجر من البندقية هو كارلو روسيتي الذي أقنعه بضرورة فتح البحر الأحمر أمام مراكب الدول النصرانية لتشجيع التجارة والإفادة من ذلك .

وعندما دخل العثمانيون اليمن مرة ثانية عام ٩٧٧هـ على يد سنان باشا ، حرصوا على

بقاء سيطرتهم على اليمن لمالها من أهمية ، ولكن الولاة اختلفوا في سياستهم ، وقامت عدة حركات ضد العثمانيين .

عندما استولى العثمانيون على اليمن كانت حال الأئمة الزيود في صنعاء جيدة وكانوا على رضى مع العثمانيين ، ولكنهم حافظوا على استقلالهم في صنعاء ، ثم بدأت حركات المقاومة منذ عام ٩٦٤هـ ، وكان الإمام الطهر قد عادى العثمانيين ، واستطاع أن يستولي على صنعاء عام ٩٧٥هـ ، وهذا ما استدعى قدوم حملة عثمانية كبيرة بقيادة سنان باشا الذي استولى علي اليمن .... ولكن لم تلبث أن عادت الحركات بعد مدة .

ففي عام ١٠٠٨هـ قام الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بثورته التي شملت أجزاء واسعة في اليمن ، واستدعت إرسال عدة حملات عثمانية تمكنت في النهاية من إعادة توطيد الأمن . ثم تجدد النزاع بين العثمانيين والأئمة الزيود إذ شن المؤيد بالله محمد بن القاسم حرباً على الوالى العثمانى أحمد فضلى عام ١٠٣٠هـ ، وتمكن الإمام نتيجتها من الاستيلاء على صنعاء ، وتعز ، وعدن ثم أخرج العثمانيين من اليمن كلها عام ١٠٤٥هـ ، وأسس دولة الإمامة الزيدية التي اتخذت صنعاء مقراً لها . وتوفي الإمام المؤيد بالله عام ١٠٥٢هـ وخلفه أخوه أحمد الذي اضطر بعد عامين للتنازل عن الحكم لأخيه اسماعيل بعد خلاف بينهما .

وضعف الأئمة الزيديون نتيجة الخلاف على الإمامة ، واستقلت القبائل عن صنعاء ، كما انفصلت مناطق ، فاستقلت حضرموت ، ولحج عام ١١٤٥هـ ، وقوي أمر الإمام المهدي عباس ١١٥٩هـ ثم هبت رياح الفوضى في البلاد بعد موته ، واستقلت تهامة الشمالية ، واتخذت مدينة (أبو عريش) مقراً لها ، وبدأت الدعوة السلفية تنتشر فيها ، ثم استولى محمد بن عامر المتحمى على (أبو عريش) وعددٍ من موانىء اليمن حتى المخا ، وقام مقامه أخوه عبد الوهاب ، ثم طامي بن شعيب .

استنجد الإمام المتوكل على الله بالسلطان العثماني محمود القباني فأرسل الأتراك مدداً إلى عسير وتهامة ، وتمكن محمد علي باشا المكلف بحروب الدولة العثمانية من أسر طامي بن شعيب ونقله إلى مصر حيث صلب هناك ، وبذا استعاد الإمام عبد الله المهدي نفوذه ، وبدأ يرسل جزية سنوية إلى السلطان العثماني .

وعادت القوة إلى عسير بعد محمد بن أحمد المتحمي وقيام سعيد بن مسلط بأمر العسيريين ومن بعده علي بن مجثل ، وعائض بن مرعي فتوالت الحملات على المنطقة

وجاءت حملة عام ١٢٥١هـ بقيادة ابراهيم يكن ، وتمكنت من القضاء على الثورة التي اندلعت في تعز ضد الإمام علي بن عبد الله المهدي وذلك عام ١٢٥٣هـ ، كما استطاعت بعض فرق الحملة العثمانية من دخول عدن .

احتل الإنكليز عدن عام ١٢٥٥هـ ، كما اضطر محمد علي إلى سحب قواته من اليمن وعسير بعد هزيمته في بلاد الشام ، وعقد معاهدة لندن عام ١٢٥٦هـ .

وضعف أمر الأئمة في هذه المدة إذ بدأ الخلاف بينهم ، واستنجد الإمام محمد بن يحيى بالأمير عائض بن مرعي لنصرته فأرسل إليه قوة سارت عن طريق صحار ، والأخرى عن طريق صعدة وكانت الثانية بإمرة الشريف حسين بن علي حيدر شريف (أبو عريش) ، والأولى بإمرة يحيى بن مرعي أخي عائض بن مرعي ، وتمكنت القوتان من دعم محمد بن يحيى وتثبيته في صنعاء ، وعُدّ والياً للأمير عائض بن مرعى ، وخفّ الهجوم على الدعوة السلفية في اليمن . ولكن ما إن عادت القوة العسيرية حتى تنكر الإمام محمد بن يحيى للعسيريين والدعوة السلفية فكلف عائض بن مرعي عامله على أبي عريش حسين بن علي حيدر بتأديب إمام صنعاء ، إلا أن الحيدرى قد هزم ووقع أسيراً بيد اليمنيين . وأراد عائض مرعي أن يسير إلى صنعاء لإنقاذ واليه إلا أن العثمانيين كانوا قد وصلوا إلى اليمن .

تضايق العثمانيون من نجاح الدعوة السلفية ، وانتصار عائض بن مرعي في اليمن ، وخافوا مغبة الأمر ، وفي الوقت نفسه فقد استنجد الإمام علي بن المهدى بالسلطان عبد المجيد ضد محمد بن يحيى وعائض بن مرعي ، فأمر السلطان نائبه في جده توفيق باشا بالتوجه إلى اليمن ومعه أمير مكة الشريف محمد بن عون ، وسارت القوة من جدة ووصلت إلى الحديدة في ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٢٦٥هـ وتابعت زحفها إلى صنعاء دون أن تلقى أية مقاومة . وما إن علم الإمام المتوكل محمد بن يحيى بهذا الأمر حتى أطلق سراح الشريف الحيدري ، وأسرع للقاء توفيق باشا فاستقبله ، واتفق معه ، وصحبه إلى صنعاء وأنزله فى قصر غمدان .... وأنكر أهل صنعاء على الإمام فعلته وثاروا عليه في الحال وأرغموا الأتراك إلى العودة إلى الساحل ، وألقوا القبض على محمد بن يحيى ، ونصبوا علي بن المهدي إماماً .

وحدثت خلافات بين علي بن المهدي بصنعاء ، ثم الذي قام مكانه وهو المؤيد العباس بن عبد الرحمن وبين المنصور أحمد بن هاشم بصعدة ، وكادت رياح الفتن تعصف باليمن كلها .

كان العثمانيون قد قضوا على إمارة آل عائض في أبها وقتلوا محمد بن عائض ، وحملوا جماعة من كبار القادة والعلماء إلى استانبول ، وتولى أمر عسير أحمد مختار باشا بعد مقتل رديف باشا ، استغل أحمد مختار الفوضى في اليمن فسار بقوة على طريق الساحل ، ودخل صنعاء وأنهى هذه الخلافات ، ولكنه لم يستطع أن يبسط نفوذه على شمال اليمن إذ بقي تحت سلطة المتوكل المحسن بن أحمد حتى توفي عام ١٢٩٥هـ فخلفه الهادي شرف الدين بن محمد .

تولى حكم اليمن عام ١٢٩٠هـ بعد أحمد مختار باشا مصطفى باشا فاشتد على السكان الأمر الذى أدى إلى قيام ثورة قادها محمد بن يحيى حميد الدين الذى كان قد سجنه مصطفى باشا مع عدد من سادات البلاد في الحديدة ، وفر من السجن وحمل لواء الثورة ، وتلقب بالمنصور .

وفي شمال اليمن توفي عام ١٣٠٧هـ الهادي شرف الدين بن محمد فقرر السكان مبايعة محمد بن يحيى حميد الدين الذي استطاع أن يؤلف جيشاً ، ويحارب الولاة العثمانيين ، وأن ينتصر عليهم ، وأن يحاصر صنعاء ، واضطر العثمانيون إلى اعادة أحمد فيضى باشا إلى ولاية اليمن ، فجاء بقوة كبيرة تمكنت من فك الحصار عن صنعاء ودخولها ، وغادرها المنصور أحمد بن هاشم حيث اعتصم في (حاشد) ، وحاول أحمد فيضي باشا القضاء عليه عدة مرات ولكنه فشل ، واستمر الإمام في الشمال حتى مات عام ١٣٢٢هـ ، وخلفه ابنه يحيى الذى اتخذ لقب المتوكل ، واتخذ بلدة (قفلة عذر) قاعدة له ، وعاصمة مؤقتة .

أرسل العثمانيون قوةً لعجم عود الإمام يحيى فوجدوه صلباً ، وقد هزمت قوتهم ، وشجعت هذه الهزيمة سكان اليمن فقاموا بحركتهم التي دفعت القوات التركية نحو صنعاء فحاصروها ، واضطرت إلى الاستسلام وفر القائد التركي إلى زبيد . فأرسلت الحكومة التركية أحمد فيضي باشا مرة ثالثة على رأس قوة كبيرة نزلت بالحديدة ، واتجهت إلى صنعاء فدخلتها ، وانتقل الإمام يحيى إلى (شهارة) ، فلحقه أحمد فيضى باشا ولكنه هزم على أبواب شهارة هزيمة نكراء ، وعندما وصل الخبر إلى الحكومة التركية أرسلت المشير عزت باشا الألباني مندوباً للمفاوضة ، فاتصل بالإمام يحيى وعقد معه اتفاقية دعّان . ولم تمض سوى ثلاث سنوات حتى قامت الحرب العالمية الأولى وخرج الأتراك من اليمن .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى ضرب الإنكليز ميناء الحديدة واحتلوها بمساعدة الإدريسي فى تهامة الذي كان يعمل بجانب الحلفاء ، وعندما انتهت الحرب انسحبت القوات من اليمن بعد هزيمتها أمام الحلفاء ، وخرجت جنودها في اليمن عن طريق عدن .

وبقيت تهامة اليمن والحديدة تحت سيطرة الأدارسة حيث منحتهم انكلترا هذه المناطق ، واختلف الأدارسة بعد وفاة الإدريسي بين مؤيد لابنه علي بن محمد ولأخيه حسن بن علي ، واستغل اليمنيون هذا الخلاف وزحفوا على تهامة واحتلوها وفرّ حسن بن علي الإدريسي إلى نجد وذلك عام ١٣٤٣هـ ووقع مع الملك عبد العزيز معاهدة مكة التي تتضمن دخول الإمارة الإدريسية ضمن الدولة السعودية .

عاد حسن بن على الادريسي فتمرد ولكنه هزم وألغيت إمارة صبيا وأبو عريش ، وقامت مفاوضات بين اليمن والدولة السعودية لتحديد الحدود ، غير أن نائب الإمام في صعدة قد أرسل بعض رجاله فدخلوا نجران فتعكر جو المفاوضات ، فأرسل الملك عبد العزيز ابنه فيصل على رأس قوة احتلت حرض ، وميدى ، والحديدة . وأرسل الإمام يحيى برقية إلى المجلس الاسلامي الأعلى الذي كان منعقداً في فلسطين لإرسال وفد لرأب الصدع ، فبعث المجلس وفداً مؤلفاً من : الحاج أمين الحسيني ، وهاشم الأتاسي ، ومحمد علي علوبة ، وشكيب أرسلان فانتهى الخلاف ، وانسحبت القوات للطرفين إلى ماكانت عليه ، وعقدت معاهدة الطائف عام ١٣٥٣هـ ، ورأس وفد السعودية خالد بن عبد العزيز ، ووفد اليمن عبد الله بن أحمد الوزير .

شاركت اليمن مع وفود الدول العربية الأخرى لبحث قضية فلسطين في القاهرة عام ١٣٥٨هـ ، وفي بلودان في سوريا عام ١٣٦٥هـ . وكانت من بين الدول التي ساهمت في انشاء جامعة الدول العربية ، وانضمت إليها عام ١٣٦٥هـ ، ثم انضمت إلى الأمم المتحدة عام ١٣٦٧هـ ،

أما على الصعيد الداخلي فقد تعرضت حكومة الإمام يحيى لتمرد قبائل المشرق عام ١٣٤٣هـ وقد أخضعتها قوة بقيادة عبد الله بن أحمد الوزير .

وتمردت قبيلة الزرانيق عام ١٣٤٧هـ بتهامة بتحريض من الطليان ، واستمر التمرد عامين ثم قضى عليه سيف الإسلام أحمد بن الإمام يحيى .

وقامت حركة محمد الدباغ بالبيضاء عام ١٣٥٩هـ ودعمته انكلترا لتوسيع مناطق نفوذها ، وأنهى التمرد الشريف عبد الله الضمين .

ثم قامت ثورة على الإمام يحيى في ربيع الثاني عام ١٣٦٧هـ أطاحت به ، واشترك فيهاعبد الله بن أحمد الوزير ، وبعض أبناء الإمام ، ونجحت ثم استطاع سيف الإسلام أن يعود وأن يقضي على الثوار ، وأن ينتزع الملك .

شاركت حكومة الإمام أحمد أيضاً في القضايا العربية والإسلامية كلها ، كما انضمت إلى اتحاد الدول العربية الذي نشأ بعد الوحدة التي تمت بين مصر وسوريا ، بل هي الدولة الوحيدة التى انضمت إلى الوحدة وشكلت الاتحاد ، وتوفي الإمام أحمد عام ١٣٨٢هـ بصورة غامضة ، وخلفه ولده سيف الإسلام محمد البدر وتلقب بالمنصور بالله ، وبعد ثمانية أيام قام فريق من الضباط بقيادة عبد الله السلال الذي كان سجيناً فأخرجه محمد البدر ، وأعلن عبد الله السلال نهاية حكم الإمامة في اليمن وقيام الجمهورية اليمنية ، واستنجد بمصر فأمدته بقوات ، وبدأ الصراع بين الملكيين والجمهوريين ، واستمر سبع سنوات .

انسحبت القوات المصرية من اليمن عام ١٣٨٧هـ بعد لقاء بين الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية في الخرطوم حيث كان لقاء لرؤساء الدول العربية ، وما إن انتهى الانسحاب حتى قامت القوات اليمنية بانقلاب ضد عبد الله السلال الذي التجأ إلى بغداد ، وتولى رئاسة اليمن مجلس يرأسه عبد الرحمن الإيرياني ، واستمر القتال من جهة أخرى بين اليمن الشمالي والجنوبي ، ولكن توقف في الأيام الأخيرة من عام ١٣٨٩هـ بعد أن خرجت أسرة حميد الدين من السعودية ، وأدخل في الوزارة اليمنية الجديدة بعض أنصار الملكية .

خرج عبد الرحمن الإيرياني من البلاد ، وأصبح نائب رئيس مجلس الوزراء للشئون الداخلية المقدم ابراهيم الحمدي رئيساً للدولة ، ولكن بعد مرور عامين (١٣٩٢هـ) ، قام بانقلاب آخر رئيس الأركان العقيد محمد الغشمي ، وهو من رؤساء قبيلة همدان ، وبعد عام آخر قام انقلاب تزعمه علي عبد الله صالح .

(جـ) اليمن الجنوبية

كانت جزءاً من اليمن ، انفصلت عنها بعد أن احتلت انكلترا عدن عام ١٢٥٥هـ ، ومن ثم بدأت انكلترا توسع نفوذها على طول الساحل ، وتحاول التوغل نحو الداخل ،

فعدت عدن مستعمرةً ولم تكن لتزيد مساحتها على ١٩٥كيلو متراً مربعاً وتتبعها جزيرة بريم وجزيرة كارمن ، وتقع كلاهما في مضيق باب المندب ، وتعرفان باسم ميون . وعدت القسم الثاني محميةً ، وخضعت للحماية الانكليزية في الفترة ١٢٢٨ - ١٣٣٣هـ ، وتضم ثلاثاً وعشرين سلطنة ، وتنقسم إلى قسمين : محمية عدن الغربية وتضم عشرين سلطنة ، ومحمية عدن الشرقية وتشمل ثلاث سلطنات .

وفي منتصف عام ١٣٧٨هـ انضمت ست سلطنات بعضها إلى بعض وكونت اتحاداً فيما بينها ، دعمته انكلترا ، ثم انضمت لحج إلى هذا الاتحاد وبقيت تتابع السلطنات في الانضمام حتى بلغت اثنتي عشرة سلطنة ضمن الاتحاد ، ثم انضمت مستعمرة عدن في عام ١٣٨٢هـ وأطلق عليه اسم اتحاد الجنوب العربي .

عارضت هذا الاتحاد بعض العناصر وعدته دولة مشبوهة ، وكان فى البلاد تنظيمان هما : جبهة تحرير جنوب اليمن ويتزعمها عبد القوي مكاوي ، وجبهة التحرير الوطنية ويتزعمها قحطان الشعبي .

أعلنت انكلترا أنها ستنسحب من جنوب اليمن قبل حلول عام (١٩٦٨م) أوائل شوال عام ١٣٨٧هـ ، فنشطت الجبهتان للسيطرة على مقاليد الأمور ، وكانت مصر تدعم الجبهة الأولى ، أما جبهة التحرير الوطنية فتلقى تعاطفاً من القوات المسلحة العدنية . كما بدأت الجبهتات بحرب العصابات ضد المحتلين ، وتمكنت جبهة التحرير الوطنية من السيطرة على اتحاد الجنوب العربي ، ويشمل سبع عشرة سلطنة وفرّ بعض السلاطين ، واستقال بعضهم ، وأسر آخرون . وفي الوقت نفسه فقد وقع صدام بين الجبهتين . وسلم الانكليز مقاليد الأمور لجبهة التحرير الوطنية برئاسة قحطان الشعبي ، وغادروا البلاد في ٢٥ رجب ١٣٨٧هـ ، وأعلن قيام جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية .

وفي عام ١٣٨٩هـ حدث تغيير في الحكم إذ وضع قحطان الشعبي تحت الإقامة الجبرية وتولّى السلطة سالم ربيع علي ، وتولى رئاسة الوزراء محمد علي الهيثم ، ثم علي ناصر محمد الذي يشغل أيضاً منصب وزير الدفاع .

وجرت محاولات لقيام وحدة بين شطري اليمن إلا أن الشقة الواسعة بين نهجي البلدين قد حالت دون ذلك .

ثم قامت حركة تالية أزيح فيها سالم ربيع علي ، وتسلم الأمر عبد الفتاح اسماعيل . وماهي إلا سنوات مضت حتى تلت حركة انتهى معها حكم عبد الفتاح اسماعيل وقام حكم علي ناصر محمد ، وكل حركة جديدة تتهم سابقتها بما اتهمتها به الأسبق .

(د) عُمـان

تقع عمان في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية . يحدها من الشرق خليج عمان ، ومن الشمال اتحاد الإمارات العربية ، ومن الغرب المملكة العربية السعودية ومن الجنوب المملكة واليمن الجنوبية .

اعتنق عرب عمان الإسلام فى أعقاب ظهور الدعوة الإسلامية ، واتصف اقليم عمان بنزعته القبلية ، ومن الملاحظ أن عرب الجنوب كانوا هم أول الوافدين على عمان واستمروا يقومون بالسلطة فى ذلك الاقليم ، ولكن بمرور الزمن أخذت عناصر الشمال تفد إلى عمان واختلط العنصران عن طريق التزاوج وإن وقفت العصبية مع ذلك حائلا دون قيام اتحاد تام بين هذين العنصرين ، كان من نتيجته أن بات كل عنصر يتطلع الى السيطرة على العنصر الآخر ، ولاشك أن طابع ذلك التنافس هو من أهم السمات المميزة لتاريخ عمان القديم والحديث[١]

ويعتبر اقليم عمان أهم المعاقل الإباضية إذ يعتنق المذهب الإباضى معظم سكان هذا الاقليم وخاصة فى الداخل ، واشتهرت هذه المنطقة منذ القرن الأول الهجري بأنها مركز اضطراب دائم ، فقد استقر بها الخوارج الإباضيون الذين قاموا بعدة ثورات على الخلفاء الأمويين والعباسيين . ونجح بنو جلندي بزعامة جلندي بن سعود الأزدي فى تزعم حركة انفصالية بدأت عام ١٣٧ . وحكم عمان من هذه السلالة تسعة وعشرون إماما إباضياً ، كان آخرهم أبو جاد موسى بن موسى المتوفى عام ٥٧٩ ولكن حكمهم لم يكن مستقرا . فقد تعرضوا لحملات عديدة أرسلها الخلفاء وبنو بويه . وخضعت البلاد للقرامطة أكثر من نصف قرن (٣١٧ ـــ ٣٧٥) . وحكم عمان بعد ذلك بنو بنهان

---

(١) أحمد قاسم البوريني: الإمارات السبع على الساحل الأخضر ، بيروت ١٩٥٧م ، ص ٩٧ - ١٠٢

ولقبوا بالملوك (٥٧٩ ــ ٨٠٩) ، وقامت ثورات كثيرة ضد البنهانيين لما كان يتصف به حكمهم من ظلم وجور ، وأسفرت تلك الجهود عن القضاء على ملكهم وبعث الإمامة الإباضية (والأزد) من جديد فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى ٨٣٩هـ (١) .

وفي خلال حكم الأئمة الأزديين تعرضت عمان للغزو البرتغالي في عهد بركات بن محمد بن اسماعيل ١٠٦٨هـ . فقد وصل البرتغاليون إلى مياه الخليج العربي فى وقت خضعت فيه سواحل عمان لحكم ملك هرمز الذي أقام حصونا قوية في مسقط وغيرها من مدن الساحل العماني . وتعرض ميناء رأس الحد ٩١٢هـ لقصف الأسطول البرتغالي الذي دمر المدينة والسفن الراسية فى الميناء . وتعرضت لمثل ذلك فى العام نفسه موانيء مسقط ، وصحار ، وخور فكان ، وهرمز نفسها . واستقر البرتغاليون فى هرمز وبنوا فيها حصناً وخضع لهم ملكها ، ولكنهم غادروها وهجروا حصنهم فيها بعد عامين .

وتنازع البرتغاليون والفرس والعثمانيون السيادة على مياه الخليج طيلة القرن العاشر ونجح شاه فارس فى حمل ملك هرمز على تقديم ولائه له بعد جلاء البرتغاليين عن هرمز . وفشلت محاولة برتغالية لاستعادة هرمز ٩٢٠هـ فقاد البوكيرك بنفسه أسطولا فى العام التالي وتمكن من إخضاعها . واعترف الشاه بالسيادة البرتغالية على هرمز مقابل وعد برتغالي بمساعدته ضد العثمانيين . ومالبث البوكيرك أن عاد مريضاً إلى الهند وتوفي آخر العام بعد أن حكم في الهند مدة وخلفه دالميدا الذى قاد الأسطول البرتغالي فى المياه الشرقية أكثر من عشرة أعوام . وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز فسيطروا على جماركها عام ٩٢٨هـ وقمعوا بشدة ثورات هرمز ، ومسقط ، وصحار والبحرين . ونصبوا محمود شاه ملكاً على هرمز وسنه لاتتجاوز الثالثة عشرة ، وأجبروا أباه على الفرار . ووقّع محمود فى رمضان ٩٢٩هـ معاهدةً تسلم البرتغاليون بموجبها مقاليد الأمور في هرمز ، وفرضوا على ملك هرمز شروطا جديدة عام ٩٢٩هـ(١)واستولى البرتغاليون كذلك على بعض الموانىء فى شرقي أفريقية .

وازداد نشاط العثمانيين في مياه الخليج وقاموا بعدة محاولات للقضاء على النفوذ البرتغالي مكرسين موارد مصر لهذا الهدف . فقد وصل أسطول عثماني إلى الخليج عام

---

(١) Miles. col.S.B.: The countries and the tribes of the pesrian Gulf 2vols. (london 1919) r. 157-158, 163.

(٢) لوتروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى حـ٢ ، بيروت دار الفكر ، ٣٥٦ ط٤ ١٩٧٥م

٩٣٥هـ ، ولكن لم يلق ترحيبا فخسر الجولة بسبب عدم وجود قاعدة له فى الخليج . ولم يكن العراق قد أصبح عثمانيا بعد . ووجد العثمانيون أنفسهم بحاجة إلى العراق وإلى ميناء البصرة كقاعدة لدفع الخطر البرتغالي ، فاحتل العثمانيون العراق باستثناء البصرة التى احتلوها عام ٩٥٣هـ ، وبدأوا بإعداد دار لصناعة السفن فيها . وخضع عرب القطيف للعثمانيين وسلموا إليهم حصنا فانتقم البرتغاليون من المدينة ودمروا الحصن عام ٩٥٨هـ وفشلت محاولة بيري بك عام ٩٥٩هـ فى احتلال هرمز ولكنها استولت على مسقط . وعهد بقيادة أسطول البصرة إلى حاكم القطيف مراد بك فلم يستطع تحقيق شيء وفشل فى إنجاد مسقط التى استعادها البرتغاليون(١) .

وأعد العثمانيون أسطولاً رابعاً فى السويس عهدوا بقيادته إلى سيدي علي رئيس أحد مساعدي خير الدين بربروسا وسنان باشا . وأسند إلى سيدي علي قيادة أسطولى البصرة والسويس العثمانيين عام ٩٦٠هـ فتوجه إلى البصرة أواخر ٩٦١هـ، وكان همه الأول إعداد سفنه بحيث تصبح صالحة لخوض معارك حربية . وأقلع الأسطول العثمانى من ميناء البصرة إلى القطيف ثم إلى البحرين . وكانت البحرين عثمانية يحكمها آنذاك مراد رئيس ، وعادت طلائعه تخبره بأن لاأثر للأسطول البرتغالي . ودام القتال طول النهار وانسحب البرتغاليون في الليل . واستمر الأسطول العثماني في سيره محاذياً ساحل عمان فالتقى ثانية بالأسطول البرتغالي المتمركز في مسقط ، ولحقت بالأسطول العثماني إصابات بليغة حتى اضطر قائد الأسطول إلى نصب الشراع تمهيدا للانسحاب . ودفعته الريح باتجاه شمالى شرقي فوصل إلى ميناء بندر شاهبور الفارسي فتزودوا منها بالماء(٢) .

ثم اتجه ثانية إلى اليمن فقارب ظفار ثم قذفته الريح ثانيةً إلى ساحل الهند ، فإذا هو أمام ديو البرتغالية فسارع إلى تغيير اتجاهه حتى وصل إلى الكجرات ، والتجأ إلى ميناء سورات . وبادر الملاحون والجنود العثمانيون إلى هجر سفنهم والعودة إلى بلادهم . أما سيدي علي فقد باع سفنه وعاد براً حاملًا إلى السلطان ثمن أسطوله (٣) .

---

(١) عباس العزاوى : عشائر العراق جـ٤ بغداد ١٩٥٦ ص ٦٨ – ٧١

(٢) المصدر السابق ص ٧١ – ٨١

(٣) عبد الكريم غرايبة : مقدمة فى تاريخ العرب الحديث ، ص٢٦٤

وضعفت القوة البحرية البرتغالية والعثمانية فى البحار الشرقية أواخر القرن العاشر فلم يقم العثمانيون بأيه محاولة جديدة كبيرة بعد فشل سيدي علي رئيس ، أما البرتغاليون فقد ضمت بلادهم إلى أسبانيا سنة ٩٨٩هـ وأصبحت ممتلكاتهم فريسة سهلة لأعداء أسبانيا . وكانت هولندا هي العدو الرئيسي لأسبانيا ثم تبعتها انكلترا ، واستطاع كلاهما أن ينتزع السيادة البحرية من أسبانيا والبرتغال . وفى عام ١٠٠٢هـ كان الهولنديون قد كوّنوا شركة الهند الشرقية الهولندية للتجارة ، وبعد أعوام قليلة تبعهم الانكليز سنة ١٠٠٩ فمنحوا شركة الهند الشرقية البريطانية أول امتياز لها[١] .

غير أن الوضع الحربي في الخليج العربي قد تغير منذ مطلع القرن الحادى عشر ، فقد تحالف أمير البصرة مع البرتغاليين ضد الفرس ، كما تحالف شاه فارس مع الانكليز والهولنديين . واستطاع الشاه بمساعدة حلفائه الجدد أن ينتزع البحرين من البرتغاليين ويضغط على هرمز . نجح البرتغاليون فى الدفاع عن هرمز بل واحتلوا ميناء بندر عباس الايرانى عام ١٠٢١هـ . واستطاع الشاه بعد عامين أن يخرجهم من بندر عباس ثم منح الهولنديين قاعدة حربية فيها[٢]

وبدأت سفن شركة الهند الشرقية البريطانية تتردد على موانىء الخليج العربي والهند أوائل القرن الحادي عشر ، وكانت ملكة بريطانيا قد منحت في عام ١٠٠٩هـ امتيازاً بتأسيس شركة الهند الشرقية الانكليزية كشركة متممة لشركة الليفانت (الشرق) التى سبقتها بعشرين عاما . ونظمت شركة الهند الشرقية رحلات تجارية سنوية إلى الهند . وتمكن قائد أسطول الشركة عام ١٠٢١هـ من انتزاع امتيازات من حاكم (سورات) الهندي فأقر امبراطور الهند المغولي هذه الامتيازات . وعينت الشركة بعد ثلاثة أعوام سفيرا انكليزيا فى بلاط امبراطور الهند المغولي[٣] .

وحاول الانكليز كسب ود شاه فارس والتقرب اليه والتحالف معه ضد السلطان العثمانى ، فنجحوا فى استمالته إلى جانبهم ، وأرسلت بريطانيا إلى شاه فارس خبراء فى السياسة والشؤون العسكرية لتدريب جيشه ، كما زودت الجيش الفارسي بالأسلحة . واستطاع شاه فارس بهذه القوة العسكرية طرد العثمانيين من جميع الأراضي الفارسية عام ١٠١٤هـ . ومقابل ذلك منح شاه فارس الانكليز حق الاتجار مع بلاده عبر ميناء (جسك) ومنحهم امتيازا بذلك عام ١٠٢٥[٤] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) Wilson, A.: op. Cit., PP. 140-141

(٣) Wilson, A.: op. Cit., PP 134-135

(٤) Mils,S.B.:op.Cit.,P175

وقدمت لأول مرة سفينة انكليزية إلى ميناء (جسك) قادمة من (سورات) بالهند ، وفشلت جهود البرتغاليين فى التعرض للسفينة التي استطاعت أن تفرغ حمولتها وتبيعها بسهولة . وبعد أن تبين للتجار الانكليز أن هذه التجارة مربحة ، بادروا إلى فتح وكالة تجارية لهم فى الميناء الإيرانى رغم معارضة السفير الانكليزي فى دلهي . كما هزمت السفن الإنكليزية أسطولا برتغالياً حاول اعتراض طريقها(١) .

وعزم الشاه على الاستيلاء على هرمز بمعونة الانكليز . وتمكن الحليفان من احتلال الحصن البرتغالي فى قشم على الساحل الإيراني ١٠٣١ . وبدأ الحلفاء هجومهم على هرمز واستسلمت بعد شهرين ووقع فى الأسر ثلاثة آلاف برتغالي . وهكذا طويت صفحة برتغالية فى هرمز التي ارتفع عليها علم البرتغال أكثر من قرن . وأصبحت هرمز جزيرة إيرانية . ولم يبق بيد البرتغاليين فى الخليج سوى ساحل مسقط . ووجه الشاه قواه بعد هذا النصر ضد بغداد فاحتلها في العام التالي . ولكنه فشل فى احتلال البصرة وبقي أميرها مواليا للسلطان العثماني فقاوم الإيرانيين بمساعدة البرتغاليين(٢) .

لم يبق بيد البرتغاليين غير مراكزهم على ساحل عمان . فانتزعوا صحار وأبادوا حاميتها ، ولكنهم خسروا بعد أربعة أعوام مركزهم قرب رأس الخيمة . وانتزع الإيرانيون لفترة قصيرة حصون صحار و(خور فكان) وحاولوا احتلال مسقط نفسها ، ولكن عاد البرتغاليون فاستعادوا حصونهم المفقودة وأخرجوا الايرانيين منها وهددوا الموانىء والسفن الإيرانية فى الخليج . وسمح لهم أمير البصرة بفتح وكالة تجارية برتغالية فى البصرة عام ١٠٣١هـ ، وغدت البصرة مركزاً برتغاليا هاما(٣) .

غير أن تطورات هامة حدثت فى عمان غيّرت استراتيجية الخليج العربي . فقد استتب الأمر فى عمان للإمام الإباضى ناصر بن مرشد بن سلطان عام ١٠٣٤هـ ، وأخضع « الملوك » المحليين واستولى على الميناء العماني الوحيد الذي لم يكن بيد البرتغاليين وهو ميناء لادة . وشرع الإمام ناصر بمهاجمة الحصون البرتغالية ففشل في احتلال مسقط ولكنه نجح فى احتلال صحار . وتابع الإمام سلطان بن سيف سياسة ابن عمه وسلفه في

---

(١) Mils, S.B.: Op. Cit., PP. 187-188

(٢) Wilson, A : op. Cit., PP. 143-149

(٣) Miles, S.B.: op. Cit., PP. 187-188.

تطهير البلاد من البرتغاليين فحرر مسقط وهى آخر معقل للبرتغاليين ، ولم يكتف بذلك بل قام بمهاجمة الحصون البرتغالية فى الهند فقصد ديو وسواحل الكجرات وعاد بغنائم كبيرة[1] .

أصبح العمانيون بعد نجاحهم فى طرد البرتغاليين من الخليج العربي وشرق أفريقية قوة ذات خطر ، كما أضحى أسطولهم الشراعي يسيطر علي التجارة فى المحيط الهندي ، وساعدهم على ذلك أن سياسة الدولة الأوربية التى خلفت البرتغال في البحار الشرقية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري كما كانت سياسة البرتغاليين ، وإنما انصرفت إلى تأسيس المستعمرات واستغلال الأهالي وتكوين الامبراطوريات . أما في التجارة فقد أفسحت المجال للعناصر التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل فيها من جديد ، وإنما حرصوا في الوقت نفسه على تأمين المواصلات لامبراطوريتهم الاستعمارية ، وترتب على ذلك دخولهم فى علاقات مع القوى المسيطرة على أهم القواعد في طريق هذه المواصلات كفارس وعمان والدولة العثمانية[2] .

ومهما يكن من أمر ، فان دولة اليعاربة التي كان لها دور كبير فى طرد البرتغاليين ، سرعان ما أصابها الوهن والضعف ، وتفشت فيها الفتن والثورات مما أضعفها وأدى إلى نهايتها لتقوم على أنقاضها دولة البوسعيد بزعامة الإمام أحمد بن سعيد الذين حكموا عمان منذ عام ١١٥٤هـ حتى يومنا هذا .

نجح أحمد بن سعيد مؤسس تلك الأسرة فى طرد الفرس من عمان ١١٥٧هـ ، وبذلك أصبح الطريق ميسراً أمامه للوصول إلى الإمامة خاصة بعد النجاح الذي أحرزه على الفرس ، الذين آثروا تركه يصرف شؤون البلاد على شرط تقديم الجزية لهم والاعتراف بسيادتهم على البلاد . على أن الظروف لم تلبث أن سنحت لأحمد بن سعيد ليعلن استقلاله عن الفرس منتهزا حالة الفوضى والاضطرابات التي ترددت فيها الدولة الفارسية عقب اغتيال نادر شاه فى عام ١١٦٠هـ ، وبذلك استطاع أن ينأى ببلاده عن كل تبعية كما كان لتزعمه حركة التحرير العمانية ضد الفرس أثر كبير فى عقد البيعة بالإمامة له[3] وبنى السلطان الإمام أحمد أسطولًا حربياً قوياً فطهّر شواطىء ملبار من

---

(١) جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد فى عمان وشرق أفريقيا ص ٢١ وانظر كذلك
نور الدين عبد الله السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان آلعمان ، جـ٢ ، ص ١١ . (القاهرة ١٣٣٠هـ)
(٢) جمال زكريا : المصدر السابق ، ص ٢٥
(٣) نور الدين عبد الله بن حميد السالمى : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ ص ١٦٢ القاهرة (١٣٣٠هـ)

القراصنة وانجد البصرة ضد الفرس عام ١١٨٨هـ ، ولكنه فشل فى القضاء على حكم اليعاربة فى بعض المناطق (الحزم والنخل) ، كما بقيت بلاد الظاهرة وواحة البريمي وساحل عمان الشمالي الغربي بيد بني غافر القيسيين العدنانيين[١] .

اشتهر أحمد بن سعيد بإدارته الحازمة فعند وصوله إلى السلطة قام بوضع كثير من القوانين لإدارة جهاز حكومته مهتماً بصفة خاصة بإرساء القواعد الاقتصادية والقضائية والإدارية . ومع ذلك فان الظروف اضطرت الإمام أحمد إلى تكوين حكومته على شكل لامركزي حينما ترك اليعاربة والغافريين يمارسون سلطتهم على بعض مقاطعات البلاد على الرغم من الجهود التى بذلها ، لكي ينتزعها من سيطرتهم ويضمها إلى حكمه . والذي يؤخذ على الإمام أحمد إشراك أبنائه معه فى الحكم فقد كانت العواقب وخيمة في حياته وكان كثيرا مايضطر إلى التدخل ليحمي أبناءه من هجوم بعضهم على بعض ، بل إنه كان يضطر أحيانا إلى حماية نفسه من هجوم أبنائه عليه . وهكذا ورثت أسرة بوسعيد التنازع الأسري والاضطراب الداخلي[٢] .

وقد حدثت فتنة أواخر عهد الإمام أحمد بوسعيد وبعد وفاته ، فقد ثار عليه ولداه سيف وسلطان كما ذكرنا واستطاع أحمد أن ينهى هذه الفتنة بصورة سلمية . وبايع الناس بعده ابنه سعيدا ولكن ابنه حمد ثار عليه ، وبدأت الاضطرابات فى البلاد فخرج على حمد عمه سيف الذي فشلت ثورته ففر إلى زنجبار ، وتوفي حمد فحاول أبوه سعيد أن يستعيد السيطرة الفعلية إلا أن أخاه سلطان بن أحمد استولى على الحكم واستبد بالأمر[٣] .

توصل سلطان بن أحمد إلى الحكم ١٢٠٧هـ فوجد عمان بلداً مجزءا ومهدداً ، فقد استقل إمام عمان فى داخل البلاد متخذاً رستاق عاصمة له ، وانفصل بنو غافر فى البريمي والظاهرة ، واستقر القواسم فى رأس الخيمة والسواحل القريبة . ولم يبق بيد سلطان مسقط سوى ساحل الباطنة . ولم يمض زمن قصير على ولاية سلطان حتى كان ابراهيم بن سليمان بن عفيصان قد استقر فى البريمي لنشر الدعوة الوهابية . وفرض

---

(١) عبد الكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٢٦٩

(٢) جمال زكريا : المصدر السابق ص ٤٢

(٣) miles, S.B: op. cit. pp. 279- 285

الوهابيون معاهدة ولاء على القواسم عام ١٢١٤هـ وسيطروا على الزبارة . وفشلت محاولات سلطان بن أحمد لصدهم ، ولم يستطع الحصول على مساعدة شريف مكة . وألحق الوهابيون به هزيمة كبيرة وكادوا يحتلون مسقط نفسها لولا وصول أنباء وفاة الأمير عبد العزيز(١) .

ولكن سلطان نجح فى مشروعاته الخارجية ، فقد احتل بندر عباس وهرمز وبعض الموانىء فى مكران على الساحل الفارسي . وعقد سلطان معاهدة مع بريطانيا عام ١٢١٣هـ تعهد بموجبها بعدم التعامل مع فرنسا والسماح بإقامة وكالة بريطانيةٍ وحاميةٍ عسكريةٍ فى ميناء بندر عباس الإيرانى التابع لإمام مسقط . ووصل مسقط فى العام التالي مندوب بريطاني استطاع أن يقنعه بقبول ممثل بريطاني في مسقط . وعادت علاقات الإمام بفرنسا ودّيةً بعد جلاء الفرنسيين عن مصر عام ١٢١٦(٢) .

وقتل سلطان فى طريق عودته إلى مسقط على يد القواسم فى ١٣ شعبان ١٢١٩هـ فنشبت فتنة بين ولديه سالم وسعيد وعمه سعيد الذي بقي إماما رمزياً في رستاق واستنجد ولداه بشاه إيران ضد الوهابين ، ولكن الحملة الإيرانية فشلت فى إبعاد الخطر الوهابي . وسيطر على الأمور بمساعدة الوهابيين بدر بن سيف الذي حكم باسم سعيد بن سلطان ، إلا أن سعيداً اغتاله وتسلم الحكم بنفسه عام ١٢٢١هـ . وفشلت محاولة عمه قيس بن أحمد بن سعيد حاكم صحار للاستيلاء على الحكم(٣) .

حكم سعيد بن سلطان ساحل عمان قرابة نصف قرن (١٢٢١ — ١٢٧٢) واستطاع فى أوائل عهده أن يستعيد ممتلكاته الأفريقية التى شغلته عن كثير من الأمور الهامة فى بلاده . وتعرض لخطر وهابي شديد فألحق به الوهابيون هزائم متعددة ، فاشترك فى حلف مع الانكليز ضد رأس الخيمة ، كما شارك فى الحملات التى أرسلها الانكليز لإخضاع رأس الخيمة والتي أدت إلى خضوع هذه الإمارات والمشيخات للإنكليز وإجبارها على توقيع ١٢٣٥هـ . وعقد مع الانكليز عام ١٢٥٥هـ معاهدة تجارية ، كما وقّع معهم اتفاقيات لمكافحة تجارة الرقيق ، ومنح الإنكليز إعفاءات جمركية واسعةٍ ، وتوثقت علاقاته مع بريطانيا فأهداها جزر كوريا موريا . ولكن بريطانيا لم تقدر له

---

(١) Wilson,A: op. cit, pp. 231-233

(٢) ج.ج. لوريمر : دليل الخليج جـ٢ ، قطر ١٩٧٥ ، ص ٦٦١ — ٦٧٠

(٣) المصدر السابق ص ٦٨٤ — ٦٨٩

صداقته حينما وقفت موقفاً عدائيا لعمان إبان النزاع بين عمان وإيران . فقد احتلت إيران المراكز العمانية في بندر عباس وساحل كرمان ، وفي العام نفسه الذي تخلى فيه السلطان عن جزر كوريا موريا لبريطانيا . واستطاع السلطان أن يستعيد ممتلكاته الإيرانية إلا أن الشاه أرسل حملة ثانية فاحتلها ، وتدخلت بريطانيا تمنع السلطان من استعادتها ، ولتفرض معاهدة إيرانية عمانية١٢٧٢هـ .تخلى السلطان بموجبها عن ممتلكاته الإيرانية . ومالبث سعيد أن توفي حزيناً بعد نصف عام(١) .

ونشبت فتنة بين أولاده ماجد وتركى وثويني . وتدخل الانكليز فقسموا الدولة بين ماجد وثويني عام ١٢٧٧هـ . ونال ماجد الممتلكات الأفريقية زنجبار وممباسا مقابل تعهده بدفع تعويض سنوي لسلطان مسقط . أما تركي فقد اعتصم فى المناطق الجنوبية ورفض الاعتراف بسيادة أخيه الأكبر ثوينى ، الذى حكم البلاد عشر سنوات كانت مليئة بالاضطرابات مما اضطره إلى أن يستنجد بالوهابيين الذين أنجدوه ، ولكنهم فرضوا عليه دفع إتاوة سنوية . وكثر عليه الثوار فأنجده الانكليز وأمدوه بالمدافع والعتاد وشجعوه على غزو البريمي . وكافأ ثوينى الإنكليز بمنحهم حقوق مد خطوط هاتفية ، وفشل ثوينى فى الاستفادة من الاتفاقية البريطانية الفرنسية الموقعة عام ١٢٧٨هـ والتى اعترف فيها الطرفان باستقلال سلطنتى مسقط وزنجبار(٢) .

وانتهت حياة ثويني نهاية مفجعةً . فقد تآمر ضده ابنه سالم واغتاله واعتقل تركى بن سعيد . واعترفت بريطانيا بسلطنة سالم ولكن أهل عمان لم يعترفوا به وثاروا عليه بزعامة عزان بن قيس . كذلك أفلت تركى من سجنه واحتل صحار ، وكاد يدخل مسقط لولا تدخل الانكليز الذين اعتقلوه ونفوه الى الهند . وكثرت الثورات على سالم ففر الى الرياض طالبا المساعدة الوهابية بعد أن تخلى عنه الانكليز ، وبايع أهل عمان عزان بن قيس إماما ، واحتل عزان واحة البريمي بالاشتراك مع حاكم أبو ظبي وشيخ بنى عامر . واختلف عزان مع حلفائه الذين هزموه . وعاد أثناء ذلك تركي بن سعيد من الهند فتغلب على عزّان ، وقتله وأعلن نفسه سلطانا (١٢٨٨ – ١٣٠٥) . أما البريمي فقد احتلها حاكم الشارقة وأعادها للوهابيين . وازداد النفوذ البريطانى فى عهد تركى وابنه

(١) عبد الكريم غرايبة : مقدمة فى تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٧٠ – ٢٧١ .
(٢) جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ص ٢٥٥ – ٢٦٨ .

فيصل فقد عقد تركي معاهدة مع بريطانيا لمكافحة تجارة الرقيق عام ١٢٩٠ ، واعترف بالقنصل البريطاني قاضيا يفصل فى الخصومات بين الرعايا البريطانيين كما سمح للقنصل بحرس بريطاني . وتعهد تركي بألا يتنازل عن أي جزءٍ من ممتلكاته وألا يفرض قيوداً على التجارة إلا بموافقة بريطانيا . ومع ذلك لم يقدم الانكليز له أية مساعدة عندما ثارت عليه القبائل عام ١٣١٣هـ ولم يتدخلوا إلا بعد نجاحه فى إخماد الثورة إذ قدمت له حكومة الهند كمية من الأسلحة والذخيرة(١) .

وكان تركي قد سمح للفرنسيين بفتح قنصلية وأعطى مثل هذا الحق للولايات المتحدة . وازداد فيصل تقربا من الفرنسيين فمنحتهم حق إقامة مركز تموين للفحم ، ولكن بريطانيا أجبرته على إلغاء هذا الامتياز . وخلف فيصل ابنه تيمور الذى حكم البلاد ثمانية عشر عاما (١٣٣١ - ١٣٥٠هـ) ثم تنازل عن السلطنة لابنه السلطان سعيد بن تيمور . وشغل تيمور وابنه سعيد بنزاع شديد مع سكان الداخل . فقد ثار سكان داخل عمان وانتخبوا سالم بن راشد الخروصي إماما ، وسيطر سالم على معظم عمان باستثناء مسقط وبعض الموانىء التى أعلنت بريطانيا حمايتها لها منذ عام ١٣١٣ .

واضطر السلطان تيمور إلى توقيع معاهدة المسيب مع الإمام الجديد محمد بن عبد الله الخليل عام ١٣٣٩ ، اعترف بموجبها باستقلال عمان . وهكذا انقسمت البلاد الى قسمين : ١ - إمامة عمان فى الداخل ، ٢ - سلطنة مسقط على الساحل . وكان لكل من هذين القسمين حكومة صورية وحدود وهمية . غير أن السلطان نقض المعاهدة بايعاز من بريطانيا ، وأرسل حملة عسكرية بقيادة ضابط بريطانى فاحتلت نزوى عاصمة إمامة عمان فى ١٣٧٤(٢) وأصبحت البلاد موحدة تحت حكم السلطان سعيد بن تيمور ولم يهتم السلطان سعيد بترقية أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مما اضطر بعض المخلصين بالتعاون مع ولده قابوس إلى إبعاد السلطان سعيد عن الحكم واستيلاء ولده قابوس فى عام ١٣٩٠ ، والذي أخذ يعمل بسرعة على ترقية أحوال البلاد فى شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وفى عهد السلطان قابوس الحالى دخلت سلطنة عمان الجامعة العربية وهيئة الأمم إثر استقلالها . وفى عهده كذلك تم القضاء على ثورة ظفار التى اندلعت قبل توليه السلطة بخمس سنوات(٣) .

---

(١) Wilson, A: OP. cit., PP. 237-240

(٢) زاهية قدوره : تاريخ العرب الحديث ص ٧٤ - ٧٥

(٣) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى حـ٧ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(هـ) دولة الإمارات العربية المتحدة

تقع هذه الدولة على طرف الجزيرة العربية الشرقي محاذية للخليج العربي وخليج عمان ممتدة من الغرب إلى الشرق فى سبع إمارات عربية هى : أبو ظبى ، ودبى ، والشارقة ، وأم القيوين ، عجمان ، رأس الخيمة ثم الفجيرة التى تقع على خليج عمان .

وهذه الإمارات تشكل امتدادا طبيعيا لشبه الجزيرة العربية يطل على خليج عمان والخليج العربي . وتبلغ مساحة هذه الدولة ١٦٧٫٠٠٠ ميل مربع ويسكنها حوالى نصف مليون نسمة وقد أطلق على هذه الإمارات قبل استقلالها اسم مشيخات الساحل العماني ، وأطلق عليها الاستعمار ساحل القرصان ، ثم غير هذا الاسم ليصبح مشيخات الساحل المهادن .

كان لهذه المنطقة دور هام فى منطقتى ساحل عمان والخليج العربي قبل عام ١٢٢٠هـ ، ففى عام ١١٦٠ أسس رحمة بن مطر القاسمي دولة امتد نفوذها على طول الساحل الشرقي والشمالي للخليج العربي وبلغت حدودها الشواطىء الهندية والبحر الأحمر ، واستطاعت أن توطد أركانها بأسطول بحري ضخم كان يسيطر سيطرة شبه تامة على مياه الخليج والبحر العربي كله . واتخذ من الشارقة عاصمة له ، ووقفت هذه العائلة (القواسم) على قدم المساواة فى معاملاتها مع سلطان مسقط والأمير السعدوي .

شهدت هذه الدولة أول انتصار لها على البرتغاليين الذين كانوا يحتلون ساحل عمان كله سنة ١٠٢٨هـ ، وبعد تقلص النفوذ الفارسي إثر وفاة نادر شاه عام ١١٦٠هـ ازداد نفوذ القبائل العربية التى عادت إلى التجمع على ساحل الخليج بعد مدةٍ طويلة من الرعب الإرهاب والنزوح إبان الحكم البرتغالي ، واستوطنت الساحل وأخذت تعمل فى الصيد والسيطرة على البحار والاستيلاء على سفن الأعداء ، إذ كانت تعتبر أن هذا العمل جهاد إسلامى مشروع وعمل شريف فى حين كان الأعداء يسمونه قرصنة ، ولذلك أطلقت بريطانيا على هذا الساحل ساحل القرصان ، وعندما تهادن معها سمى بالساحل المهادن . سيطر القواسم على الخليج سيطرة تامة وأثار ذلك حنق بريطانيا عليهم ، لأنها عدت هجمات القواسم على سفن الانكليز فى الخليج تدخلا فى شؤون الامبراطورية البريطانية التى كانت تربطها علاقات تجارية واسعة بالشرق . فأرسلت الحملات البحرية البريطانية للقضاء على قوة القواسم (حكام الشارقة ورأس الخيمة) وبدأت أول حملة

١٢٢٠ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٣٤هـ استطاعت فى نهايتها تدمير رأس الخيمة ، وكذلك تدمير أسطول القواسم ، ووقعت بريطانيا مع شيوخ الإمارات معاهدة فى عام ١٢٣٥هـ نصت على وقف الهجمات على السفن الأجنبية فى الخليج ، وبذلك أنهت هذه المعاهدة قوة العرب البحرية فى مياه الخليج ، وبدأت معها على الفور الحماية البريطانية على المنطقة بأسرها .

ولكن المعاهدة لم تتعرض للنشاط البري ولم تضع حدا للقتال البري بين الشيوخ ، فقد وقعت عدة منازعات وخصومات بين شيوخ أبو ظبى ودبي ، وكان شيخ الشارقة سلطان يقوم برأب الصدع وحل الخلافات بينهما . وبعد وفاة شيخ الشارقة سلطان تفككت إمارته فانفصلت أم القيوين وعجمان والفجيرة عن الشارقة . كما انفصلت مؤخرا رأس الخيمة فى عام١٣٣٨هـ . وعلى ذلك لم يكن فى إمارات الخليج ذات دور مهم سوى الشارقة والتى لعبت دورا هاما فى التاريخ الحديث .

نعود بعد ذلك إلى علاقة بريطانيا بدول الخليج ، فمنذ أن سيطرت بريطانيا على هذا الساحل منذ عام ١٢٣٥هـ ، كانت هذه المعاهدات تخرق بين الحين والحين ، وتقوم بريطانيا بتجديدها سنويا كما فرضت معاهدة عام ١٢٥٩هـ مدتها عشر سنوات ثم جعلتها عام ١٢٧٠هـ معاهدة دائمة أبدية تعهد بموجبها شيوخ الشارقة ، ودبى ، والعجمان ، وأم القيوين ، وأبى ظبى بوقف الأعمال الحربية بحراً . وأتبعتها عام ١٣١٠هـ بمعاهدة أعطت بريطانيا وضعا خاصا ، وحرمت على الشيوخ التصرف بأرضهم ومنح امتيازات أو قواعد بدون موافقة بريطانيا ، ولم تمنحهم بريطانيا مقابل ذلك أية حماية ضد الغزو البري ، بل تركتهم يحارب بعضهم بعضا ، ومنحت بريطانيا نفسها حق القيام بأعمال قرصنة سياسية ضد هذه المشيخات ، فنراها تهدد وتقصف رأس الخيمة أكثر من مرة . وتابعت بريطانيا هذه السياسة حتى فى السنين الأخيرة . فقد قصفت الفجيرة عام ١٣٧١هـ وحاصرت دبي عام ١٣٧٤هـ ولكن وقفت على الحياد عندما نشب القتال بين دبي وأبى ظبى عام ١٣٦٧هـ . وكانت المحميات هذه تابعة لحكومة الهند البريطانية .

وكانت إمارات ساحل عمان تخضع مباشرة للمقيم السياسى البريطاني فى بوشهر فى إيران منذ عام ١٢٣٩هـ وحتى عام ١٣٦٧هـ ، ثم انتقل المقيم السياسى البريطاني إلى البحرين ، وعين أول ضابط سياسي بريطانى مقيماً سياسياً في الشارقة فى العام نفسه ، ثم أنشئت هناك عام ١٣٧٢هـ دار الاعتماد البريطاني نفسه ، وانتقلت إلى دبي عام ١٣٧٤هـ . ونظمت بريطانيا مؤتمراً سنوياً للشيوخ فاجتمع المؤتمر الأول فى ١٣٦٤هـ

فى البريمى برئاسة المندوب البريطانى ، وشكلت بريطانيا عام ١٣٧٠هـ قوةً محليةً بقيادة بريطانيا جاوز عدد أفرادها الألف واستخدمتهم فى عملية احتلال البريمى . ولعل هذه المنطقة من المناطق القليلة فى العالم التى تستطيع فيها دولة كبيرة متمدنة أن تقوم بأعمال قرصنة دون أن يعلم الرأى العام العالمي ، ليفرض على هذه الدولة وجوب اتباع خطط أكثر إنسانية .

ومن الجدير بالذكر أن المعاهدات اقتصرت على الشؤون الخارجية للإمارات وحفظ الأمن فيها ، وأبقت الشؤون الداخلية طوال مدة الحماية فى أيدى حكام الإمارات الذين تعاقبوا على حكمها ، غير أن التطورات المعاصرة فى منطقة الخليج العربى حدت بحكام الخليج إلى أن يوحدوا إماراتهم ، خاصةً بعد إعلان بريطانيا عن عزمها الانسحاب من منطقة الخليج فى موعد أقصاه عام ١٣٩١هـ .

وفى ١٨ شوال عام ١٣٨٧هـ قام الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (حاكم أبو ظبى) بتشجيع من بريطانيا بزيارة إلى دبي وبحث مع حاكمها الشيخ راشد بن سعيد المكتوم إقامة اتحاد يضم الإمارتين المتجاورتين تكون مهمته الإشراف على الشؤون الخارجية والدفاعية ، والأمن ، والخدمات الصحية ، والتعليمية والسكانية لكل من الإمارتين . واتفق الحاكمان على دعوة حكام الإمارات السبع الأخرى ، وكذلك البحرين وقطر للاجتماع في دبي ، لمناقشة موضوع الدعوة إلى الاتحاد ، ولبى الحكام الدعوة واجتمعوا فى دبى فى شهر ذي القعدة ١٣٨٧هـ . وانبثقت عن هذا الاجتماع اتفاقية إتحاد الإمارات العربية التسع وهي الاتفاقية المعروفة « باتفاقية دبي » ونصت على أن يبدأ العمل بها في ١٣٨٨/١/١هـ . وجاء فى الاتفاقية أنه تم الاتفاق على إنشاء اتحادٍ للإمارات العربية فى الخليج العربي ، لتوثيق الصلات والعلاقات بين الإمارات العربية ، وتقوية التعاون بينها ، وتنسيق خطط تقدمها وتوحيد السياسة الخارجية والتمثيل الخارجى ، ودعم الدفاع الجماعي لها ضمن احترام سيادة واستقلال كل منها .

وفى ٢٥ صفر ١٣٨٨هـ عقد الاجتماع الأول للمجلس الأعلى لاتحاد الإمارات العربية في مدينة أبوظبي ، وقد تم فيه اختيار الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيسا للمجلس الأعلى للاتحاد ، وشكلت عدة لجان لمتابعة دراسة الموضوعات الأخرى . وعقدت الدورة الثانية للمجلس الاتحادى الأعلى فى الدوحة (قطر) ، وتقرر إنشاء قوة مسلحة برية للاتحاد .

وفى ٢٠ صفر ١٣٨٩هـ عقدت الدورة الثالثة للمجلس الاتحادى الأعلى واتفق فيها على أن يكون للمجلس الأعلى الاتحادى رئيس ونائب رئيس ، ينتخبان من بين أعضائه لمدة سنتين ، واتفق كذلك على تشكيل مجلس وزراء وعلى إنشاء علم واحد ، وتشكيل لجنة لوضع الدستور المؤقت للاتحاد .

ووضع الدستور ، وعقدت الاجتماعات ، وظهرت صعوبات وعقبات ، وبذلت حكومة أبو ظبى جهودا كبيرة لتذليل هذه الصعوبات والعقبات ، ولم يكتب لهذه الجهود النجاح . كما فشلت جهود الوساطة الكويتية السعودية فى عام ١٣٩١هـ نحو تحقيق هذا الهدف .

ولما تعذر قيام اتحاد الإمارات التسع ، سارع حكام إمارات الساحل العمانى إلى الاجتماع فى منتصف عام ١٣٩١هـ فى دبي حيث تكللت جهودهم بالنجاح باقامة إتحاد سباعي يضم إمارات الساحل العمانى ، وأعلن مولد دولة الإمارات العربية المتحدة فى ١٩٧١هـ . وتنفيذا لبيان المجلس الأعلى لحكام الإمارات الصادر بتاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٣٩١هـ اجتمع المجلس المذكور في شوال عام ١٣٩١هـ ، وأعلن رسميا قيام « دولة الإمارات العربية المتحدة » التى ضمت آنذاك ست إمارات هي : أبوظبى – دبي – الشارقة – عجمان – أم القيوين – الفجيرة . ثم لم تلبث إمارة رأس الخيمة أن انضمت بعد ذلك إلى الدولة الجديدة فى ٢٤ ذى الحجة عام ١٣٧١هـ ، وقد انتخب فى احتفال رسمى حاكم أبو ظبى رئيسا لدولة الإمارات العربية المتحدة ، كما انتخب حاكم دبي نائبا للرئيس ، وعين ولى عهد دبي رئيسا لوزراء حكومة الاتحاد .

وفى اليوم نفسه الذي أعلن فيه قيام الدولة الجديدة اجتمع الشيخ « زايد بن سلطان آل نهيان » رئيس الدولة مع السير « جيفرى آرثر » المقيم السياسى البريطانى في الخليج حيث تبادل الطرفان وثائق إنهاء المعاهدات والاتفاقات السياسية ، كما وقع الطرفان معاهدة صداقة لمدة عشر سنوات . وقد قبلت الدولة الجديدة عضوا فى الجامعة العربية في شوال ١٣٩١هـ ، كما وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قبولها عضوا في الشهر نفسه ، وبعد ثلاث أيام فقط ، وأصبحت العضو الثالث والعشرين بعد المائة .

ملحق خاص بالإمارات

الإمارة	عدد سكانها	مساحتها
أبوظبى	١٥٠٠٠٠نسمة	٢٦٠٠٠ ميل مربع
دبي	١٤٠٠٠٠ نسمة	١٥٠٠ميل مربع
الشارقة	٥٠٠٠٠ نسمة	١٠٠٠ ميل مربع
عجمان	٥٠٠٠ نسمة	١٠٠ ميل مربع
أم القيوين	٥٠٠٠ نسمة	٣٠٠ ميل مربع
رأس الخيمة	٥٠٠٠٠ نسمة	٦٥٠ ميل مربع
الفجيرة	١٠٠٠٠ نسمة	٤٥٠ ميل مربع

و – قطر

تقع شبه جزيرة قطر داخل الخليج العربى ، وفيها تقع دولة قطر وعاصمتها الدوحة ، ومن أشهر بلدانها الزبارة ودخان ، وهى منطقة حقول الزيت ، وتبلغ مساحة قطر ثمانية آلاف ميل مربع (١٧٫٥٠٠كم٢)وسكانها زهاء مائتي ألف . وهى غنية بالنفط الذى نال امتيازه شركة قطر التى تشبه فى تشكيلها شركة نفط العراق . وبدأ إنتاج البترول عام ١٣٦٨هـ وغدت قطرت البلد الحادى عشر فى إنتاج النفط فى العالم[١] .

كانت قطر جزءاً من البحرين يحكمها حاكم من قبل الخلافة وأحياناً يستقل بهذه المناطق وفي كثير من الأحوال كانت منطقة البصرة أو اليمامة . وفى القرن الثامن الهجرى – استولى بنو نبهان العمانيون على قطر ، ولم يطل مقامهم بها ، ومن بعدهم تناوب على قطر وغيرها من مناطق البحرين كثيرون من أهل البلاد . وفى عام ٩٢٣هـ استولى البرتغاليون على قطر ، وفى عام ٩٤٣هـ أرسل السلطان سليمان القانوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا والي مصر لمحاربة البرتغال وطردها ، ونجح هذا الأسطول فى مهمته فطرد البرتغال من البحرين ، والقطيف ، وقطر واستولى عليها ، كما استولى على الأحساء . وعندما ضعفت الدولة العثمانية استطاع آل حميد من بنى خالد أن يطردوا العثمانيين سنة ١٠٨٠هـ ويصبحوا حكام الأحساء .

---

(١) د. عبد الكريم غرايبة : مقدمة تاريخ العرب الحديث ص ٢٦٠ دمشق ١٩٦١م

وعندما قامت الدولة السعودية الأولى مدت سلطانها إلى قطر فى عهد عبد العزيز بن محمد ، وأرسلت حملتين إحداهما سنة ١٢٠٢هـ بقيادة سليمان بن عفيصان ، والثانية سنة ١٢٠٨هـ بقيادة ابراهيم بن عفيصان . وبعد سقوط الدرعية مدّآل خليفة أمراء البحرين سلطانهم إلى قطر(١) .

ولعل من المفيد أن نتتبع تطور القوى المحلية فى قطر منذ البداية ، فمن المعروف أن العتوب هاجروا من موطنهم فى نجد فى أواخر القرن الحادى عشر وأوائل القرن الثاني عشر ، فنزلوا فى منطقة قطر فى ظل قبيلة آل مسلم التي كانت تحكم تلك المنطقة من شرق الجزيرة العربية . وقد استقر العتوب فى قطر مدة تقرب من نصف قرن ، تعلموا خلالها ركوب البحر ، وأصبحوا مهرة فى شؤون البحار ، وعرفوا صيد اللؤلؤ والتجارة البحرية ، وخبروا مزايا موقع أرضهم الجديدة في شرق الجزيرة العربية ، وبمرور الوقت نمت القوة الاقتصادية البحرية للعتوب ، وأصبحوا يمثلون خطراً حقيقيا لآل مسلم حكام قطر . وشعر هؤلاء - أي آل مسلم - أن استمرار وجود آل صباح وآل خليفة في قطر يشكل خطراً عليهم ، لذا فقد نشب النزاع بينهم ، واضطر العتوب (آل صباح وآل خليفة) إلى الهجرة بحراً نحو رأس تنورة في الأحساء ، وتبعهم آل مسلم ليحطموا قواهم حتى لاتقوم لهم قائمة بعد ذلك ، وبعد تنقل وتشتت حطّ العتوب الرحال في ثغر الكويت ، واستقروا بعد أن سمح لهم بنو خالد بالإقامة هناك (أي في الكويت) واقتسم العتوب الحكم فى الكويت ، فكان لآل صباح إدارة شؤون الحكم ولآل خليفة إدارة شؤون التجارة ، وللجلاهمة إدارة شؤون البحر . ومالبث آل خليفة أن هاجروا من الكويت إلى قطر ثانيةً في عام ١١٨٠هـ أي بعد خمسة عشر عاماً من إقامتهم فى الكويت(٢) .

أسس آل خليفة مدينة الزبارة ، وسرعان مانمت وازدهرت لتتحول إلى مركز تجاري نشيط ، راح ينافس ميناءى العقير والقطيف على ساحل الأحساء بل وراح ينافس أيضاً موانىء الفرس على الخليج . وفى عام ١١٩٨هـ كان بدء الصدام بين القوة النامية الجديدة وبين القوى القديمة التي أحست بخطر الوافد الجديد ، فكان هجوم الفرس بقيادة الشيخ ناصر حاكم بوشهر على الزبارة ، وقددحر هذا الهجوم ، وتراجعت السفن القادمة بعد أن

---

(١) د. أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى حـ٧ ،القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٦٤٦

(٢) د. عبد العزيز المنصور ود. فتوح الخدش :نشوء قطر وتطورها . الكويت دار ذات السلاسل١٩٧٧ ص ٣٩ ، ٤٠

تكبدت أفدح الخسائر ، وكان من الطبيعي أن تحس القوى الجديدة بذاتها ، وأن تزداد لديها التطلعات والآمال[1] .

وكان التطلع نحو البحرين هو هدف القوى المحلية ، ففي عام ١١٩٨ قامت القبائل العتبية بغزو البحرين بأسطول كبير من شبه جزيرة قطر ، وحاصرتها لمدة امتدت حوالي الشهرين ، وانتهى الحصار بفتح جزر البحرين ، وبعد فتح البحرين تغير ميزان القوى فى المنطقة ، فبعد أن كان اهتمام آل خليفة مركّزاً في قطر ، تحول هذا الاهتمام إلى البحرين . واذا كان دخول البحرين قد تحقق باتحاد قبائل قطر وتكامل وتحالف وقوة العتوب (آل خليفة والجلاهمة وآل صباح) إلا أن الجلاهمة خرجوا من الفتح دون أن ينالوا مايوازي ماقدموه . لذلك فان البنيان الجديد أخذ يهتز من داخله ويحمل بين طياته عوامل فنائه ، إذ اجتاحته نزاعات ، انتهت بانفصال قطر عن البحرين ، بعد أن تبلورت في قطر قوة محلية تحت زعامة واحدة بقيادة قاسم آل ثاني[2] .

ونتيجة لما قدمه آل ثاني من مساعدات لآل خليفة في فتح البحرين ، عين آل خليفة آل ثاني حكاماً لقطر يحكمونها باسمهم ، وهكذا أصبح آل ثاني هم زعماء الشعب فى قطر ، وقد حافظوا على زعامتهم الشعبية منذ ذلك الحين ، وكان محمد آل ثانى حاكم قطر لايقر أمراً من الأمور إلا بموافقة آل خليفة ، وكان ابنه الشيخ قاسم نائباً له فى أثناء حياته ، ولكنه كان من عظماء السياسة ، فبدأ يستقل بالأمر دون أن يعود لاستشارة آل خليفة ، فطلب آل خليفة من والده الشيخ محمد أن يرسل لهم ابنه الشيخ قاسم (لتجديد الصحبة ولإزالة الشبهة) فاستجاب لهم[3] . إلا أن البحرين قد ألقت القبض عليه واعتقلته . وهاجم قومه البحرين لإنقاذه ولكنهم هزموا ، وتعقبتهم قوات البحرين إلى ساحل قطر ، وكان ذلك عام ١٢٨٤هـ ، وتمكن أهل قطر من اختطاف أحد أقارب شيخ البحرين ثم أخلوا سبيله مقابل فك أسر الشيخ قاسم الذي أصبح سيد قطر الفعلي[4] .

---

(١) لوريمر . ج .ج : دليل الخليج (التاريخي) حـ ، ص ١١٩٧ (قطر ١٩٧٥)

(٢) عبد العزيز المنصور ، وفتوح الخدش : نشوء قطر وتطورها ، ص ٤١

(٣) مصطفى كامل الدباغ : قطر ماضيها وحاضرها ، ص ١٧٧

(٤) عبد الكريم غرايبة : مقدمة تارخ العرب الحديث ، ص ٢٥٩

وكان لتدخل بريطانيا أثر كبير فى فصل قطر عن البحرين ، فقد عقدت بريطانيا اتفاقية مع الشيخ محمد آل ثاني زعيم قطر تعهد فيها بألا لايقوم بأي عمل عدواني ضد جيرانه ، كما تعهد بألا يرتكب أي عمل عدواني في البحر ، بل عليه أن يحل كل الخلافات والمنازعات التي قد تنشب بينه وبين جيرانه بتوجيهها إلي المقيم البريطاني للفصل فيها[١] . وحددت بريطانيا كذلك العلاقات بين قطر والبحرين . وقد وضع هذا الاتفاق أساس استقلال قطر عن البحرين . وكان على قطر أن تدفع ضريبة لحاكم البحرين غير أن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي تولى الحكم بعد أبيه امتنع عن دفع الضريبة مدعماً بذلك استقلاله[٢] .

وقد وحد الشيخ قاسم ١٢٩٥ – ١٣٣١هـ قطر ، وقضى على مناوئيه فتألق نجمه ، وعلت مكانته ، ومن هنا خشى العثمانيون أن يخرج عن طاعتهم كما فعل آل خليفة ، فهاجمت القوات العثمانية قطر عام ١٢٨٨هـ واحتلتها وأجبرت الشيخ قاسم على الفرار . واعترف العثمانيون أول الأمر بزعامة أحمد أخي قاسم ثم اعتقلوه . ولكن الشيخ قاسم تمكن من إلحاق هزيمة بالعثمانيين وتحرير أخيه واستعادة سيطرته على قطر . ونجح قاسم في صد حاكم أبي ظبي ، واستعادة الدوحة منه ، وفرض عليه صلحاً عام (١٣٠٣ – ١٣٠٦هـ) ، وفشلت محاولة قاسم لغزو البحرين عام ١٣١١هـ إذ تدخل الأسطول البريطاني ، وحطم قوارب الغزو القطرية ، وفرض على الشيخ قاسم معاهدة صلح[٣]

وكان الشيخ قاسم سيىء العلاقة بالانكليز يعارض سياستهم ولايسير فى فلكهم ، مما جعل بريطانيا تتحين الفرصة للانتقام منه ، واغتنمت بريطانيا فرصة نشوب الحرب العالمية الأولى ، وجلاء القوات والنفوذ العثماني عن قطر ، ففرضت في عام ١٣٣٥هـ معاهدة حماية على قطر بعد أن تنازلت لها الدولة العثمانية عام ١٣٣٢هـ عن حقوقها في قطر في العام الذي توفي فيه الشيخ قاسم . وقد جاء في هذه الاتفاقية « تتنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر التي سيستمر في حكمها الشيخ قاسم بن

---

(١) لوريمر . ج .ج : دليل الخليج جـ ، ص ١٢١٦

(٢) أمين الريحانى : تاريخ نجد وملحقاته ، ص ١١٣

(٣) عبد الكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ، ص ٢٦٠

ثاني وخلفاؤه من بعده ، وتعلق الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بتدخل شيخ البحرين فى أمور قطر الداخلية أو ضمها إلى أراضيها »[1]

خلف الشيخ قاسم ابنه الشيخ عبد الله الذي لم يكن فى حزم أبيه ومكانته ، فأصبح النفوذ البريطاني في عهده قوياً وعقد معاهدة مع بريطانيا ، وفي عهده اكتشف النفط فمنح امتيازا لاستثمار النفط عام ١٣٥٥هـ ، وتنازل الشيخ عبد الله عن الحكم لابنه علي لأسبابٍ صحية عام ١٣٦٩هـ ، وظل الشيخ علي في الحكم حتى عام ١٣٨٠هـ وفى عهده حدثت زيادة هائلة فى البترول فى قطر نتج عنه ارتفاع فى مستوى المعيشة وزيادة فى العمران . ولكن الشيخ علي تنازل لابنه الشيخ أحمد ليصبح أميراً لقطر ، ونصت وثيقة التنازل على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني (ابن أخي الشيخ علي) ولياً للعهد ونائباً للحاكم الجديد ، وقد ظل الازدواج قائما حتى عام ١٣٩٢هـ حيث عزل الشيخ أحمد ، وأصبح الشيخ خليفة بن حمد هو أمير قطر وحاكمها ، ومازال حتى اليوم ، وهو الذي أعلن استقلال البلاد عام ١٣٩١هـ[2] .

(ز) البحرين

مجموعة من الجزر تقع في الخليج الكائن بين شبه جزيرة قطر وساحل المنطقة الشرقية (الأحساء) بالمملكة العربية السعودية ، لاتزيد مساحتها جميعا على ٥٧٥ كيلو متراً مربعاً . ويزيد عدد الجزر على إحدى عشرة جزيرةً ، أكبرها جزيرة البحرين التي أعطت اسمها للدولة كلها ، والذي أخذته من إسم المنطقة كاملةً ، وكانت من قبل تعرف باسم جزيرة (أوال) .

سبق أن ذكرنا أن بني خليفة وهم من العتوب قد غادروا القرين (الكويت) مغاضبين أبناء عمومتهم آل الصباح لسبب من الأسباب ، واتجهوا نحو الجنوب ، ورغبوا في الاستقرار في جزيرة البحرين ، ولكن حكام الجزيرة من بني مدكور من قبيلة المطاريش لم يسمحوا لهم بذلك مما اضطرهم إلى متابعة السير إلى (الزبارة) في قطر

---

(١) مصطفى الدباغ : قطر ماضيها وحاضرها ، ص ١٩٤

(٢) المرجع السابق .

فنزلوا فيها عام ١١٧٩هـ بإمرة شيخهم محمد بن خليفة ، وكانت المنطقة من ديار بني مسلم .

حصن آل خليفة الزبارة ، وحصلوا على نوع من الاستقلال الذاتي ولما طالبهم آل مسلم بدفع الزكاة لهم رفضوا ذلك ، ولم يمض بعد على استقرارهم أكثر من عامين . وعمل آل خليفة بصيد اللؤلؤ ، ونمت تجارتهم ، وعفوا البضائع من الرسوم فتطورت مدينتهم وجذبت إليها عدداً من القبائل الأخرى منها عدد من العتوب من الكويت ، مثل قبيلة الجلاهمة التي منها آل جابر أشهر قبائل العتوب فى ركوب البحر ، وكان المهاجرون من الكويت من الكثرة حتى اضطر أهل الزبارة إلى رفض بعضهم وطردهم وإعادتهم إلى الكويت .

ضعفت دولة آل خالد فى المنطقة وحصل كثير من أتباعهم على الاستقلال مثل آل الصباح في الكويت ، وآل مسلم في قطر ، وسار على طريقهم آل خليفة في الزبارة .

وقع خلاف بين آل خليفة وآل جابر ، واعتزل آل جابر في منطقة الرويس ، وعملوا في بناء أسطول خاص بهم ، ثم تجدد الخلاف فقتل زعيم آل جابر ، وأبيد أكثرهم ، ولم ينج منهم إلا القليل وأكثرهم من النساء والأطفال .

وحصل نزاع بين آل خليفة في الزبارة وبين حكام بوشهر والدورق وبندر رق وهؤلاء لهم السيطرة على جزيرة البحرين ، ونتيجة الصراع سيطر آل خليفة على جزيرة البحرين .

وبدأ الصدام بين السعوديين في الأحساء وآل خليفة في الزبارة والبحرين ، وذلك عام ١٢١٠هـ ، ابتدأ السعوديون بالهجوم على الزبارة بقيادة ابراهيم بن عفيصان وألقوا الحصار على المدينة ، ولما اشتد الأمر على سكانها قرروا إخلاءها وتخريبها وارتحلوا عنها بصورة جماعية إلى البحرين ، إلا أن قادتهم قد وقعوا أسارى بيد ابن عفيصان الذي عين حاكماً على البحرين من قبله .

رجع سلمان بن خليفة عام ١٢١٤هـ حاكماً على البحرين ، ولكنه تعرض في العام التالي لهجوم سلطان مسقط عليه ، إلا أن هذا الهجوم قد فشل غير أنه نجح في المرة الثانية بعد سنة ، وفتحت مدينة المنامة أبوابها لسلطان مسقط الذي نقل بعض الرهائن من آل خليفة إلى مسقط على حين هرب بعضهم إلى الزبارة .

واستطاع آل خليفة بعد عامين من الرجوع إلى جزيرتهم ، وكان النفوذ السعودي ينتشر في البحرين فاستعان آل خليفة بالسعوديين ضد العمانيين . وتوطدت العلاقات بين آل سعود وآل خليفة ، وخاصة عندما رجع سلمان بن خليفة إلى الحكم بمساعدة عبد العزيز محمد آل سعود عام ١٢٢٤هـ ، بعد أن أجبر على تركه بسبب هجوم سلطان عمان .

تمكن الجيش السعودي من طرد سلطان عمان ، ولكنه أخذ بعض آل خليفة إلى نجد حيث احتجزهم الإمام سعود الكبير هناك . لكن آل خليفة استعانوا بأعدائهم السابقين العمانيين ضد السعوديين ، وأخرج السعوديون من البحرين بمساعدة الأمير عبد الله بن أحمد الذي ثار عليه بعد مدة أحد أبناء عمومته ، وهو محمد بن خليفة بن سلمان ، إلا أن محمداً هذا قدهزم في معركة الناصفة فالتجأ إلى عبد الله بن ثنيان من آل سعود ، وكان وقتذاك في المنطة الشرقية . ولكن ابن ثنيان لم يستفد من خلاف آل خليفة لأن حكمه قد انتهى بمجيء فيصل بن تركي . فذهب محمد بن خليفة يطلب النجدة من قطر فحصل عليها ، واستطاع الانتصار على ابن عمه عبد الله بن أحمد ، وتسلم الحكم عام ١٢٥٨هـ .

فرّ عبد الله أحمد إلى إيران وطلب النجدة ، ولكنه لم يوفق ، أمامن الجهة الثانية فقد تمكن الإمام فيصل بن تركي آل سعود من دخول مدينة الدمام وانتزاعها من أيدي البحرانيين ، وأراد السيطرة على البحرين كلها .

انتقل عبد الله بن أحمد إلى الدمام ولكنه لم يستفد شيئاً ، وتوفي عام ١٢٦٥هـ ، وصفا الجو لمحمد بن خليفة الذي استمر في الحكم حتى عام ١٢٨٦هـ ، وكان قد عقد معاهدة مع بريطانيا عام ١٢٧٩هـ .

انتقل الحكم إلى علي بن خليفة بعد وفاة محمد غير أنه قتل بعد عدة أشهر بيد أخيه ناصر ، ولكن عيسى بن علي قد قبض على زمام الأمر ، وتسلم الحكم حتى عام ١٣٤١ ، وعقد معاهدة عام ١٢٩٨هـ مع بريطانيا وجددت عام ١٣١٠هـ وبموجبها لايحق لأمير البحرين أن يتنازل عن أي جزء من أراضيه إلى أية جهة سوى بريطانيا ، ولا أن يعقد أية علاقة مع أية دولة دون علم بريطانيا ، وأن يقيم مستشار بريطاني في المنامة بجانب الأمير .

توفي الأمير عيسى بن خليفة عام ١٣٤١هـ فتسلم الحكم بعده ابنه أحمد حتى عام ١٣٦١هـ ، وفي عهده وجد النفط في البلاد بكميات تجارية . وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وقعت بريطانيا نيابة عن شيخ البحرين معاهدة تمنح الحكومة الأمريكية بموجبها حق اتخاذ البحرين مقراً لقيادة أسطولها في الشرق الأوسط .

تسلم الحكم في البحرين بعد وفاة الأمير أحمد ابنه سلمان حتى عام ١٣٨١هـ ، وقد طرد سلمان المستشار البريطاني من البلاد عام ١٣٧٧هـ وبدأت البلاد تسير نحو الاستقلال الذي تم في عهد عيسى بن سلمان الذي لايزال أميراً على البلاد ، إذ أجري استفتاء في البحرين من قبل الأمم المتحدة استقلت على إثره عام ١٣٩٠هـ ، وانضمت إلى الأمم المتحدة وإلى جامعة الدول العربية .

(ح) الكويت

تقع الكويت فى الزاوية الشمالية الغربية من الخليج العربى على هيئة مثلث ، ضلعه الشمالي عند حدود العراق ، وضلعه الجنوبي على مشارف المملكة العربية السعودية ، وضلعه الثالث الشرق على شاطىء الخليج العربي . ويبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ٢٨٠ كيلو مترا وعرضها من الشرق الى الغرب ٣٨ كيلو مترا ومساحتها ١٥٠٠٠ كم٢ ، وعدد سكانها حوالى مليون وربع مليون . وأرضها صحراوية قارية المناخ ترتفع درجة الحرارة فيها صيفا إلى ٤٨° درجة مئوية فى الظل أثناء النهار ، ولاتهطل فيها أمطار إلا نادرا وتفتقر إلى الينابيع . ويقع على طول الساحل عدد من الجزر الصغيرة أهمها جزيرة بوبيان ، وهى أكبرها ولكنها غير مسكونة ، وجزيرة فيلكا التى يسكنها عدد قليل[1] .

ولم يكن اسم الكويت معروفاً قبل القرن الثانى عشر الهجري ، فقد كانت منطقة الكويت تحمل اسم القرين بسبب وقوعها على خليج الكويت الذي يشبه القرن ، أما كلمة (كويت الحالية) فهى تصغير لكلمة كوت ، والكوت عبارة عن حصن صغير كان موجوداً فيها ، وبناه محمد بن عريعر زعيم قبيلة بنى خالد التى كانت تسيطر على

---

(١) عبد الكريم غرايبة : تاريخ العرب الحديث ص ٢٤٤ – ٢٤٥

تلك المنطقة فأقام فيها بعض أتباعه ، واتخذوا منه مستودعا للزاد والذخيرة ، ومايحتاجون إليه ، فإذا أرادوا الغزو شمالا أو المرعى قريبا من ذلك الحصن تزودوا بما يريدون ، ونسبة إلى الكوت سميت الكويت ، وذلك بعد هجرة آل الصباح اليها .

والواقع أن استقرار الحكم لآل صباح فى الكويت قد مر بمراحل عدة ، فقد هاجر آل الصباح من نجد ومعهم آل خليفة وبعض جماعات العتوب ، فوصلوا إلى الزبارة فى شبه جزيرة قطر ، فأقاموا فيها بعض الوقت غير أنهم لم يلبثوا أن غادروها إثر معركة دارت عند رأس تنورة رغم أن النصر كان حليفهم ، ومن ثم واصلوا سيرهم بحراً حتى وصلوا إلى منطقة الكويت . فنزلوا بجوار كوت بنى خالد واستأذنوهم فى النزول فرحب بنو خالد بهم وكان ذلك عام ١١٢٩هـ . فاتفق جماعة العتوب على إدارة شؤون البلاد إدارة مشتركة ، على أن يتولى آل صباح شؤون الحكم ، وأن يتولى آل خليفة شؤون المال والتجارة فى حين يتولى الجلاهمة شؤون العمل فى البحر . فاستقل آل صباح بحكم الكويت ١١٧٠هـ بعد أن هجرها آل خليفة وتبعهم الجلاهمة ، واختار اهل الكويت صباح بن جابر حاكما عليهم ، وهكذا خلص أمر الكويت لآل صباح الذين نمت الكويت فى عهدهم وازدادت أهميتها مما أدى الى قيام نوع من العلاقات المحلية والمنافسات الدولية بشأنها .

وأقام آل الصباح علاقات ودية مع القوى المحلية المجاورة ، فاتفقوا مع بني خالد على حسن الجوار وعدم الانضمام إلى أعدائهم مقابل استقلال آل الصباح فى حكم الكويت ، ولكنهم (آل صباح) مالبثوا أن تخلصوا من هذا الارتباط واستقلوا بالكويت . أما بالنسبة لبنى كعب (أمراء عربستان) فقد كانوا يسيطرون على الخليج ويفرضون الضرائب على سكان المنطقة ، ولكن آل صباح رفضوا أن يدفعوا هذه الرسوم ، فجرت معركة بحرية بين الطرفين فى موقعة الرقة وانتصر فيها الكويتيون بقيادة الشيخ عبد الله الأول الصباح (١١٧٦ - ١٢٢٩هـ) ، وتابع الكويتيون حروبهم مع بنى كعب فى عهد الشيخ جابر الأول الملقب بجابر العيش ، (١٢٢٩ - ١٢٧٦هـ) وأحرزوا انتصارات كثيرة مكنتهم من توطيد نفوذهم فى البلاد . وساعد آل صباح أبناء عمومتهم من آل خليفة حينما استولوا على البحرين .

ونمت الكويت بسرعة وازداد عدد سكانها ، وأصبح لها أسطول تجاري من ثمانمائة مركب شراعي ، كما ازدادت أهميتها التجارية بعد سقوط البصرة . وتعرضت الكويت

أواخر عهد عبدالله لخطر الوهابيين . وتدخل الانكليز لمنع الجيش المصري من التمركز في الكويت عام ١٢٥٥هـ فاكتفوا بإرسال مندوب سياسي إليها . وفى عهد الشيخ جابر الأول توطدت علاقة الكويت مع العثمانيين ، وقدم لهم مساعدات عسكرية ، وذلك بسبب الهجمات الوهابية على الكويت . ولم يحدث مايستحق الذكر فى عهد صباح (١٢٧٦ - ١٢٨٤هـ) سوى تأزم العلاقات بينه وبين عبد الله بن فيصل آل سعود .

وازداد النفوذ العثماني فى عهد عبدالله الثاني بن صباح بن جابر (١٢٩٣ - ١٣٠٩هـ) ، فقد اتبع عبد الله سياسة موالية للعثمانيين فعينه مدحت باشا قائمقام (أي متصرفاً) على الكويت مرتبطا بولاية البصرة . وقدم الشيخ عبد الله مساعدة عسكرية للحملة العثمانية التى أرسلها مدحت باشا لاحتلال الأحساء . وخلفه فى الحكم أخوه محمد (١٣٠٩ - ١٣١٣هـ) والذي كان كأخيه موالياً للعثمانيين وأشرك محمد أخاه جراح بالحكم فأغضب بذلك الأخ الثالث مبارك . واعترفت الحكومة البريطانية فى عهده فى عام ١٣١٠هـ بتبعية الكويت للعثمانيين .

استولي مبارك على الحكم ١٣١٣هـ بعد أن قتل أخويه محمد وجراح ، وعمل على النهوض بالكويت فزاد من عمرانها ، واتسعت مساحتها ، وكثرت منازلها ، وتقدمت تجارتها ، وزادت ثروتها بفضل الاهتمام بحرفة الغوص واستتب الأمن والنظام في عهده ، وأسس أول مدرسة نظامية والتى حملت اسمه (المدرسة المباركية) ولاتزال قائمة حتى اليوم .

ومنذ أن تولى مبارك الحكم ساءت علاقته بالدولة العثمانية خاصة بعد أن فر يوسف آل ابراهيم وأولاد محمد جراح الى البصرة ، واستنجدوا بوالي البصرة ضد مبارك معترضين على الطريقة التي استولى بها مبارك على الحكم ، غير أن الدولة العثمانية اضطرت للاعتراف به حاكما على الكويت . ولجأ يوسف إلى قاسم بن ثانى شيخ قطر فاستعان مبارك بمنصرف الأحساء واستنجد يوسف بابن الرشيد فهزم ابن الرشيد مبارك فى معركة الصريف ١٣١٨هـ وكان الأمير عبد الرحمن ابن مسعودوابنه عبد العزيز قد لجآ إلى الكويت فرارا من ابن الرشيد . ولكن مباركاً ساعد آل سعود ضد ابن الرشيد فتمكن عبد العزيز آل سعود من احتلال الرياض ١٣١٩هـ واستراح مبارك بعد أن تخلص من أعدائه إثر وفاة خصمه يوسف آل إبراهيم وابن الرشيد .

ولكن علاقاته مع الدولة العثمانية ظلت متوترة ، فقد رفض السماح للعثمانيين بتعيين

مشرف عثماني لميناء الكويت وإيفاد موظف للحجر الصحي ، واقامة دار عوائد فيها . ووجود قوات عثمانية فى الكويت . فوجهت الحكومة العثمانية إنذارا إلى الشيخ مبارك طلبت فيه أن يتخلى عن بريطانيا ، وعرضت على مبارك عضوية مجلس الشورى فى استانبول أو الإقامة في أي مكان والتخلي عن مشيخة الكويت على أن تدفع له مرتباً كبيراً . واستنجد مبارك بالانكليز الذين أيدوه وعقد معهم معاهدة ١٣١٦هـ تعهد فيها بوضع الكويت تحت الحماية البريطانية .

والواقع أن محاولات بريطانيا ومساعيها المستمرة قد كللت بالنجاح ، فقد حاولت بريطانيا مراراً قبل عهد الشيخ مبارك أن تعقد معاهدة ولكن محاولاتها باءت بالفشل ، إلا أنها نجحت مع الشيخ مبارك الذى تعهد بجعل سياسته الخارجية مرتبطة ببريطانيا كما ألزم نفسه وورثته من بعده بألا يتنازل أويؤجر أو يبيع أو يرهن أي جزءٍ من أراضيه إلى حكومة أخرى دون موافقة بريطانيا .

ويمكن تفسير هذه الاتفاقية (المعاهدة) على أنها التزام من جانب واحد هو الكويت ، وليس فيه التزام من جانب بريطانيا . وقد حصلت بريطانيا بموجب هذه الاتفاقية على امتيازات مختلفة منها حظر استيراد الأسلحة إلى الكويت أو تصديرها ، وإقامة مكتب بريد انكليزى وإقامة لاسلكى واتفاق حول النفط .

ووقف الشيخ مبارك إثر ذلك موقفاً حازماً من العثمانيين . فلم يرحب بالبعثة الألمانية التي وصلت إلى الكويت عام ١٣١٧هـ برئاسة القنصل الألماني في بغداد لدراسة خط حديد برلين بغداد . وانتقم منه العثمانيون بمصادرة أملاكه فى البصرة . وسويت علاقاته بالعثمانيين الذين تخلوا عن الكويت واعترفوا بالأمر الواقع ، وأعادوا إليه أملاكه المصادرة في البصرة . وحاول مبارك بدوره مجاملة العثمانيين فتبرع لضحايا حريق استانبول عام ١٣٢٩هـ ، كما تبرع لحرب طرابلس فمنحه السلطان العثماني الوسام المجيدي ، وتنازل العثمانيون عن الكويت عام ١٣٣١هـ واعترفوا بمركز بريطانيا الممتاز فيها . كذلك اعترف ابن سعود بالوضع الجديد فى الكويت . وأيد مبارك الحملة البريطانية ضد البصرة أثناء الحرب العالمية الأولى ، فتعهدت بريطانيا بالاعتراف باستقلاله تحت الحماية البريطانية .

وفى عام ١٣٣٤هـ توفي الشيخ مبارك ، وخلفه في الحكم ابنه جابر الذي حكم لمدة سنتين فقط والذي خفض الرسوم على تجارة اللؤلؤ وأعفى الناس من ضريبة العقارات ،

وفي عهده عقد مؤتمر الكويت لحكام الخليج لدعم ثورة الشريف حسين . وخلفه فى الحكم أخوه سالم والذي عمل على تنمية التجارة في عهده فخفض الرسوم الجمركية على الواردات إلى ٤٪ ، وألغى كافة الرسوم على الصادرات ، وربط الكويت بالعالم الخارجى عن طريق محطة البرق . وأقيم في عهده سور الكويت لحمايتها من الأعداء . أما سياسته الخارجية فقد تميزت بالتوتر مع بريطانيا والسعوديين ، فقد رفض محاولات بريطانيا فرض حصارٍ على بلاده لمنع تصدير الأسلحة للعثمانيين في بلاد الشام ، ولكنه اضطر تحت التهديد الانكليزى بوضع لجنة مراقبة انكليزية في ميناء الكويت إبان فترة الحرب . وبالنسبة لعلاقته مع السعوديين فقد ساءت بسبب مسألة الحدود بين البلدين وجرت معركة حمض ١٣٣٩هـ جنوب الكويت هزم فيها الكويتيون واضطروا إلى بناء السور ، كما وقعت معركة الجهراء ١٣٤٠هـ والتي كاد يسيطر فيها السعوديون بقيادة فيصل الدريش لولا تدخل بريطانيا . وظلت العلاقات سيئة مع أن أهل الخير حاولوا إصلاح ذات البين بين السعوديين والكويتيين إلا أن القدر لم يمهل الشيخ سالم ليرى نتيجة الصلح .

تولى الشيخ أحمد الجابر ١٣٤١ - ١٣٧٢هـ الحكم عقب وفاة عمه الشيخ سالم ، وقد شهدت البلاد نهضة فى عهده فقد شكل مجلس الشورى ، ومجلس البلدية ، والمعارف ، والمجلس التشريعى ، وذلك استجابة لرغبات المواطنين بالاشتراك بالحكم إلا أن هذه التجربة فشلت لأن الشيخ أحمد الجابر لم يرد لها النجاح بسبب الخلاف بين الحكومة والمجالس . وقد عني كذلك بتشجيع الحركة العلمية والأدبية والفكرية فى الكويت ، كما أسست فى عهده الدوائر الحكومية ، وتدفق النفط فى عهده بكميات تجارية صارت تصدر منذ عام ١٣٦٨هـ ونجح الشيخ أحمد الجابر فى حل مشكلاته مع السعوديين وخاصة مسألة الحدود المسابلة (التجارة) فقد نجحت بريطانيا بحل هذه المشكلات بعد عقد مؤتمر العقبة ١٣٤٢هـ لحل مشكلة الحدود . وتوطدت علاقته مع السعودية ومع البلاد العربية الأخرى .

وخلفه فى الحكم ابن عمه الشيخ عبدالله السالم الصباح (١٣٧٠ - ١٣٨٥هـ) ، وقد عمل الشيخ عبدالله على توجيه ثروة البلاد وطاقاتها وإمكاناتها لتطوير الكويت فى نظم الحكم والادارة والنهوض بها فى جميع الشؤون العلمية والاجتماعية والاقتصادية . وفى عهده استقلت الكويت فى عام ١٣٨١هـ ودخلت الجامعة العربية ، وهيئة الأمم ، وفي المجال الداخلي وجد بالكويت الدستور والمجلس النيابي ، وتشكلت حكومة من ١٤

وزيرا ، كما تقدمت الحالة العلمية ، والاجتماعية ، والاقتصادية فى عهده . وفي المجال الخارجي أسهمت الكويت بنصرة القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين ، كما ساهمت فى تقديم العون المادى للدول العربية ، وتطورت الكويت فى عهده تطويرا كبيرا فاق كل التصورات .

وتابعت الكويت مسيرتها الحضارية فى عهد كل من الشيخ صباح السالم الصباح (١٣٨٥ - ١٣٩٨هـ) وحاكمها الحالي الشيخ جابر الأحمد الجابر فقد شهد عهد الشيخ صباح افتتاح جامعة الكويت ، وازدياد المدارس ، والمعاهد العليا الفنية ، كما تقدمت كافة الخدمات الصحية والاجتماعية ، واشتركت الكويت فى مؤتمرات القمة العربية ، والمؤتمرات الإسلامية ، والمؤتمرات الدولية ، ومازالت الكويت تنمو وتتطور فى عهد حاكمها الحالى الشيخ جابر الأحمد الجابر .

٢ - بلاد الشام

كانت بلاد الشام كلها جزءاً واحداً منذ أن فتحها المسلمون ، وكانت ضمن أجزاء الدولة الإسلامية أيام الراشدين ، ومقر الدولة الأموية ، ثم تبعت العباسيين ، وخضعت أجزاء منها للطولونيين في مصر ، وقامت في الشمال الدولة الحمدانية ، وتقاسمت بلاد الشام مع الأخشيديين في مصر ، وكان صراع دائر بين الطرفين على أرضها . وقامت الدولة الفاطمية فى مصر ، وكان نفوذها يمتد إلى بعض أطراف بلاد الشام التى ضعفت هيبة الحكم فيها تماماً ، وجاء الصليبيون وحصلوا على بعض النصر وشكلوا إمارات فى الرها ، وطرابلس ، وعكا ، واستولوا على القدس ، وقام آل زنكى يقفون في وجه الصليبيين ، وقضى صلاح الدين الأيوبي على الدولة الفاطمية فى مصر ، واتحدت بلاد الشام ومصر تحت نفوذ الدولة الأيوبية ، وأخرج صلاح الدين الصليبيين من القدس عام ٥٩٢هـ ، وقام يقاتلهم ، ولكن ضعف الأيوبيون من بعده ، وإن استمر الصراع مع الصليبيين ، وقامت الدولة المملوكية في مصر على أنقاض الدولة الأيوبية عام ٦٥٨هـ .

وكانت الدولة العباسية قد سقطت على أيدي المغول عام ٦٥٦هـ فتعرضت بلاد الشام للغزو المغولي فسادت الفوضى وحل الدمار كما حدث أيام الصليبيين ، ووقف المماليك في وجه المغول وانتصروا عليهم في معركة عين جالوت عام ٦٥٨هـ ، كما أن

هؤلاء المماليك تمكنوا من التخلص من الصليبيين نهائياً والقضاء على مراكزهم جميعا في بلاد الشام ومصر ، وتوسع نفوذ المماليك ، وامتدت الدولة على أرجاء واسعة ، ثم اعتراها الضعف .

وجاء البرتغاليون من الجنوب وقد التفوا حول أفريقية ، جاءوا يريدون تطويق المسلمين لحصارهم والقضاء عليهم ، جاءوا يحملون الحقد الصليبي وقد أخرجوا المسلمين من الأندلس عام ٨٩٧هـ ، واحتلوا عدن عام ٩١٩هـ ، كما ركزوا أنفسهم في الخليج العربي عام ٩٢١هـ ، وقد تساهل الصفويون حكام فارس معهم ، أو لقوا شيئاً من الدعم منهم ، وحاول المماليك الوقوف في وجه البرتغاليين ، ولكنهم هزموا أمامهم ، فساد الفزع المسلمين ، وعم الخوف .

وتحرك العثمانيون من الشمال يريدون أن يقفوا في وجه البرتغاليين للدفاع عن الإسلام وأرضه . ورفض المماليك مرور العثمانيين من أرضهم خوفاً على أنفسهم منهم ، وخوفاً من انتقام خصوم العثمانيين من المماليك . فما كان من العثمانيين إلا أن دخلوا بلاد الشام عنوة ثم مصر ، ورحب الشعب بهم بحرارة ، بل طلبوا منهم ذلك ، إذا جاءوا حماةً ومنقذين ، فالمماليك ضعاف وقساة من جهة ، والبرتغاليون يهددون ويحملون معهم الحقد الصليبي الذي لايزال يتناقل أهل الشام مآسية ، وانضم الشاميون وقادتهم إلى العثمانيين القادمين بقيادة السلطان سليم في معركة مرج دابق شمال حلب عام ٩٢٢هـ فهزم المماليك وقتل قائدهم قانصوه الغوري . ثم دخل السلطان سليم بقية بلاد الشام دون مقاومة بل بالترحيب .

وأصبحت بلاد الشام جزءاً من الدولة العثمانية التي غدت أقوى الدول الإسلامية ، ومقر الخلافة . كانت استانبول عاصمة هذه الدولة التي تقدمت في أوربا بل وصلت إلى أواسطها وحاصرت فيينا عدة مرات . وخافت أوربا ورأت في ذلك قوة للإسلام من جديد فقامت تقاتل الدولة العثمانية وتعمل على تجزئتها وتدعم كل حركةٍ تقوم فيها ، وتضفي عليها صفة الاخلاص والوطنية مادامت ضد العثمانيين ، وأخذنا نحن هذا بعد ذلك من الأوربيين عندما سجلنا التاريخ ، وفعلاً قامت بعض الحركات من الفئات المعادية للاسلام أمثال المعنيين أمراء الدروز في لبنان ثم خلفائهم الشهابيين ، كما قام بعض المتمردين من قطاع الطرق أمثال ضاهر العمر ، وكلهم أخذوا صفةً فيما بعد أسموها الوطنية كما نعتتهم أوربا . كما قام المماليك في مصر ، وتقدموا في جنوب بلاد الشام . كما

تقدم الفرنسيون أثناء حملة نابليون على مصر ١٢١٣هـ ، ولكن هزموا أمام أسوار عكا وصمود واليها . وفشلت الحركات كلها .

وقامت أوربا تدعم الطائفية في بلاد الشام ، وتمد يدها للنصارى في لبنان ، وتؤسس المدارس لهم حتى قوي أمرهم ، ولاتتمكن أوربا من ذلك إلا بسبب ضعف الدولة العثمانية ، وأوجدت أوربا لهؤلاء النصارى فكرة القومية يستترون بها ، وليس لهم دعوة سواها حتى بزغ قرنها ، وقوي أمرها ، وانطلقت الدعوة لها . ووصلت هذه الدعوة إلى الدولة العثمانية ، وسيطر الاتحاديون أنصار الدعوة القومية على مقدرات الخلافة ، فوجدت قوميتان وبدأ الصدام ، واستفاد مروجوها فأثاروا العرب ضد الترك وضموها إلى جانبهم في الحرب العالمية الأولى ، إذ تحرك الشريف حسين من مكة وقاد ابنه فيصل القوات المنضمة إليه ضد العثمانيين الذين هزموا أمامهم وأمام الانكليز المتقدمين من مصر ودخلوا بلاد الشام . ونتيجة الصراع بين هاتين القوميتين فقد أضفى صفة الوطنية على كل الذين حاربوا العثمانيين مدى التاريخ سواء أكانوا حاقدين على الإسلام أم قطاع طرق ، أم خونة متصلين مع الغرب ، أم مخلصين فعلاً ينشدون الإصلاح والعودة بالإسلام إلى النبع الأصيل بعد أن شابت أعمال أبنائه الشوائب .

وفي الوقت نفسه فقد تفاهمت الدول الأوربية على تقسيم بلاد الشام فيما بينها ، فكان نصيب فرنسا بلاد الشام الشمالية (سوريا ولبنان) ، ونصيب انكلترا بلاد الشام الجنوبية (الأردن وفلسطين) ، واحتلت انكلترا فلسطين أثناء مطاردة الترك ، وانسحبت من الأراضي التي دخلتها في الشمال ، وتقدمت بعد ذلك إلى شرق الأردن ، وانزلت فرنسا قواتها على ساحل بلاد الشام الشمالية ، واستقرت في لبنان ثم تقدمت نحو الداخل . وأصبح لكل جزء من هذه الأجزاء تاريخ نضال خاص .

(أ) سوريا

الحكم العربي فى سوريا ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ :

احتل جيش الثورة العربية بقيادة فيصل الأول دمشق في أيام عام ١٣٣٦ هـ (٢٣ ذي الحجة) ودخلت معه الجيوش البريطانية ، ثم استمرت الكتائب العربية فى الزحف

إلى ماوراء دمشق ، حتى دخلت حمص وحماه وحلب من جهة ، ومن جهة أخرى استمر الزحف الساحلي الذى بدأ فى حيفا وعكا إلى صور وصيدا وبيروت ، وطرابلس وبذلك تم الاستيلاء على بلاد الشام .

قوبل دخول فيصل إلى بلاد الشام بحماس كبير فى جميع المدن السورية واللبنانية التى أخذت ترفع الأعلام العربية ، وتعلن انضمامها للثورة واستجابتها لأوامر القيادة العربية ، قبل أن تصل اليها كتائب الجيش الظافر ، إيمانا منها بأن دخول فيصل دمشق هو تحقيق لآمال رجال الحركة العربية فى الاستقلال بعد ما غُذّيت بفكرة الصراع بين العرب والترك ، وبعد أن أعدم جمال باشا الذين يتعاونون مع الانكليز والفرنسيين لطرد الترك من بلاد الشام إثر دخوله سفارتي هاتين الدولتين ، ولم يعلم الشعب هذه العلاقات فأضفى صفة الشهداء على هؤلاء الذين أعدموا نتيجة صلاتهم مع الأجانب . وقد أيدت بريطانيا هذا الحديث ، لهدف يختلف تماما عن أهداف السكان ، لإيمانها بأن حكومة عربية بقاعدتها الواسعة كانت قادرة على امتصاص حماسة وتضحيات الثوار ، وجعلها مسالمة . وكان أول عمل قام به فيصل فى دمشق أن شكل حكومة عسكرية برئاسة رضا باشا الركابي ، تشمل صلاحياتها بلاد الشام كلها ، وأرسل شكرى باشا الأيوبى إلى بيروت لتأسيس إدارة عسكرية فيها . وقد ضمت حكومة فيصل سوريين وفلسطينيين ولبنانيين وعراقيين وحجازيين ، وأخذوا يعملون يداً واحدة فى مجابهة دسائس الاستعمار ، ووضع أسس جديدة لدولة عربية حديثة تحمل الفكر اللاديني (العلماني) الذى ينادي به ويعمل له (ساطع الحصري) الذي كان ظل فيصل ، وقد أوكل إليه توحيد التعليم في بلاد الشام .

وفي هذه الأثناء ، وقبل إقرار الأوضاع شرعيا ودوليا ، قسمت البلاد السورية الى ثلاث مناطق باشراف الجنرال اللنبى . وكان المنطقة الأولى الشرقية : وتشمل (سوريا وشرق الأردن) برئاسة الأمير فيصل ، والثانية المنطقة الغربية : وتشمل الساحل السورى (صور ، صيدا ، بيروت ، طرابلس ، اللاذقية ، وقضائى انطاكية واسكندرونة) وهى تحت الحكم الفرنسى والمنطقة الثالثة : شملت فلسطين ، ووضعت تحت الحكم البريطاني .

وسرعان ماتطورت الأمور لتكشف حقيقة نوايا الدول الغربية ، فقد ساورت الشكوك السكان حول هذه التقسيمات ووجدوها أنها مطابقة للمخطط الاستعمارى

الذى وضعه الانكليز والفرنسيون (سايكس - بيكو ١٣٣٥ هـ) وقد عرف هذا فيصل في العقبة أثناء تحركه نحو الشمال إذ التقى بجمال باشا ، وأطلعه على تفاصيل هذه الاتفاقية ، وقد حصل عليها عن طريق حلفائه الألمان ، ولكن لم يرعو الشريف حسين بذلك ، إلى جانب الشائعات التى تناقلتها الصحف . وتحولت شكوكهم إلى يقين عندما أقدمت الجيوش الفرنسية على احتلال بيروت وسائر المدن الساحلية في بلاد الشام ، وأنزلت الأعلام العربية عن المباني الرسمية ، وطردت ممثل حكومة فيصل من بيروت . وأدى ذلك إلى قيام حركة تمرد فى الجيش العزبي ، مما جعل فيصل يطلب من الجنرال اللنبي توضيح الموقف ، فصدر على الإثر البيان البريطاني الفرنسي فى اليوم الأول من شهر صفر عام ١٣٣٧هـ الذى أكد للعرب أن هدف فرنسا وبريطانيا من خوض الحرب فى الشرق هو تحرير الشعوب التى رزحت أجيالا طوالاً تحت مظالم الترك تحريرا نهائيا وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين لها اختيارا حرا .. « وقد أسكت هذا البيان الشعب » لأن قادته قد سكتوا ورضوا ، بل كانوا راضين إلا أمام شعوبهم

انتهت الحرب العالمية الأولى ، وعقدت الهدنة فى ٤صفر عام ١٣٣٧هـ ، بين الفريقين المتحاربين الحلفاء وألمانيا ، فاطمأن قادة العرب لطرد الأتراك من البلاد العربية ، وباتوا ينتظرون تحقيق وعود الحلفاء . ذهب فيصل إلى باريس فى أواخر ربيع الأول ١٣٣٧هـ لحضور مؤتمر الصلح بصفته رئيسا للوفد الحجازى ، وممثلا لوالده الشريف حسين ، فواجهته صعوبات كثيرة فى باريس منها : عدم اعتراف فرنسا به بحجة أن الحلفاء لم يعترفوا بعد بالحجاز دولة مستقلة ، واعتراض فرنسا كذلك على تسلم فيصل رئاسة البلاد السورية ، ثم جابهته اتفاقية سايكس بيكو ، وقضية فلسطين وما يحيط بها من ضغط صهيوني واستعمارى .

اشترك فيصل فى مؤتمر الصلح بعد أن تراجعت فرنسا عن موقفها ، وبذل جهودا كثيرة منها مذكرة قدمها إلى المؤتمر فى شوال ١٣٣٨هـ ثم ألقى خطابا فى المؤتمر مذكرا بحقوق العرب فى الاستقلال والوحدة ، وأشار إلى مبادىء ولسن بحق الشعوب فى تقرير المصير ، كما أشار إلى الدور الذى لعبه العرب فى الحرب ، وندّد باتفاق سايكس - بيكو وطالب بتحقيق وعود الحلفاء للعرب . واقترح أن يرسل مؤتمر الصلح لجنة تحقيق تزور سوريا وفلسطين للتأكيد من رغبات السكان وحقهم فى تقرير مصيرهم ، ورغم كلامه

عن العرب إلا أن حديثه كان يقتصر على بلاد الشام التي مناه بها الحلفاء بشكل غير مكتوب ، وقد سال لعابه على ذلك .

وقد قرر المؤتمر فصل البلاد العربية (لبنان وسوريا وفلسطين والعراق) عن تركيا على أن تكون تحت إشراف وصي يعمل باسم عصبة الأمم . ووافق المؤتمر على اقتراح فيصل بارسال لجنة دولية إلى بلاد الشام لاستفتاء الشعب . فرفضت بريطانيا وفرنسا الاشتراك فيها ، فتألفت اللجنة من أعضاء أمريكيين عرفت باسم لجنة كنغ – كراين King crane .

وإزاء هذه الأحداث ، تنادى الزعماء العرب من أعضاء حزب الاستقلال العربي بعد عودة فيصل وبايعاز منه ، إلى تشكيل مجلس وطني منتخب وعقد مؤتمر عام عرف بالمؤتمر السوري [رغم مناداته باسم العرب] وضم مندوبين عن فلسطين والأردن وسوريا وحالت فرنسا دون وصول ممثلي جبل لبنان . وقد تم الاجتماع بالفعل فى دمشق وحضره معظم الأعضاء وعددهم ٦٩ عضوا ، وكان ذلك فى رمضان من عام ١٣٣٧هـ . واتخذ المؤتمر عدة قرارات هامة من أهمها : استقلال سوريا [بلاد الشام] ووحدتها برئاسة الأمير فيصل والاعتراف باستقلال العراق ، إلغاء اتفاقية سايكس بيكو ، وإلغاء وعد بلفور . وأقر المؤتمر كذلك رفض الوصاية السياسية ، وتنصيب فيصل ملكاً دستوريا على سوريا ، وأن تكون الحكومة فى سوريا والعراق لا مركزية . وقوبلت هذه القرارات بالترحيب والحماس لدى عامة الشعب ، وانطلقت المظاهرات تعبر عن فرحتها ، واجتمعت الوفود لتحيى فيصلاً والمؤتمر السورى العام .

وأثناء انعقاد المؤتمر السوري العام ، حضرت لجنة كنغ – كراين الأمريكية ، وقضت ستة أسابيع فى زيارة فلسطين ولبنان وشرق الأردن ، ومنعتها بريطانيا من الذهاب إلى العراق ، وقامت بتحقيق واسع فى تلك المدة ، وقابلت عدداً كبيرا من الوفود ، ودارت مناقشات بينها وبين الكثير منهم ، وتلقت مايزيد على ١٨٠٠ عريضة ، وقدم لها المؤتمر السورى مذكرة تضمنت المقررات التى أصدرها فى اجتماعه السابق الذى وضع ميثاق الاستقلال ، وبعد ذلك كله أجرت اللجنة استفتاء ورفعت تقريرا إلى الرئيس ولسن الذي أرسل نسخاً منه إلى حكومات الحلفاء .

كان التقرير الى حد كبيرٍ موضوعياً ، متجردا ، وجاءت معظم بنوده فى مصلحة السكان مرحلياً وأبرزها : تكوين اتحاد من لبنان ، وسوريا ، وفلسطين ، وشرق الأردن

تتولى زعامته إحدى هذه الدول ، وأن تكون الوصاية على هذا الاتحاد الى دولة يرغبها السكان ، ويفضلون أمريكا أو بريطانيا . وأشارت اللجنة إلى الأطماع الصهيونية وحذرت من قيام دولةٍ يهودية ، كما اقترحت الحد من الهجرة اليهودية ، ومع ذلك فقد أهمل الحلفاء هذا التقرير ولم يعملوا به ، بل ولم يطلع عليه القادة .

وكانت فرنسا قد خشيت أن يعمل الحلفاء بتقرير اللجنة ويبعدوها عن سوريا ، فشنت صحفها حملة على فيصل وحكومته ، ونشرت فى لبنان دعايةً واسعةً للانفصال عن سوريا وقبول الانتداب الفرنسي عن أعوانها من النصارى ودفعت إدارة لبنان ليرفع قراراً إلى مؤتمر الصلح بذلك . كما قامت فى فرنسا نفسها حملة من الاتهامات ضد بريطانيا يقودها عدد من الكتاب والسياسيين أبناء المدرسة الاستعمارية . وكان موطن الهجوم على بريطانيا أنها حاولت التخلى عن الالتزامات التى يفرضها عليها اتفاق سايكس – بيكو متذرعةً بمختلف الوسائل كتأكيد فيصل ، وتشجيع العرب على مقاومة حقوق فرنسا في سوريا . وحقيقة الأمر أن بريطانيا كانت تهدف إلى إبعاد فرنسا من المنطقة ، وإبقاءها تحت حكم فيصل الذى سيكون تابعا ومؤيداً لبريطانيا حسب التفاهم بين الطرفين .

ولم يكن من سبيل لإرضاء فرنسا إلا حصولها على حصتها من سوريا ، وهى المنطقة التى حددها لها اتفاق سايكس بيكو . فقدم لويد جورج (رئيس الوزارة البريطانية) الى كليمانصو (رئيس الوزارة الفرنسية) اقتراحا بسحب القوات الانكليزية من المنطقة الغربية « الزرقاء » ، لتحل محلها كتائب فرنسية ، أما المناطق الداخلية ، بدءا من العقبة وعمان حتى حلب ، فتبقى فى أيدى القوات العربية ، مع بقاء القوات الانكليزية فى فلسطين وتخلي فرنسا عن الموصل .

وافق كليمانصو مبدئيا على هذا الاقتراح ، شريطة ألا تؤثر هذه الموافقة فى التسوية لشؤون الانتداب وتقرير الحدود ، وكان كليمانصو يعنى بذلك أن الحكومة الفرنسية ترغب فى مد نفوذها على سوريا الداخلية في النهاية ، وأنها لاترضى أن تكون خارجة عن السيطرة الفرنسية ، وقد أقر مجلس الحلفاء الأعلى فى باريس هذا الاتفاق (٢٠ ذي الحجة ١٣٣٧هـ) المعروف باتفاق لويد جورج – كليمانصو .

أبرق لويد جورج إلى فيصل يدعوه إلى أوربا لبحث القضية العربية ، فوصل فيصل إلى لندن ، واتصل برئيس الوزارة واطلع منه على ماجرى في باريس ، فاعترض فيصل

وقدم احتجاجا رسميا بصورة مذكرة ، أبان فيها أنه حين سحب جيوشه بعد الهدنة بقليل إلي داخل سوريا ، فإنه لم يفعل ذلك إلا بناء على تأكيد صريح من الجنرال اللنبى بأنها خطة حربية ، وبأن الحاميات الانكليزية ستظل فى البلاد حتى تتم التسوية النهائية فى مؤتمر الصلح . فاتفاق لويد جورج - كليمانصو إنما هو نتيجة طبيعية لاتفاق سايكس-بيكو الذى لم يكن العرب طرفا فيه .

والتمس فيصل عقد مؤتمر من الدول الثلاث (بريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة) ليبحث فى مستقبل البلاد العربية [بلاد الشام] على أساس العهود التى قطعها الحلفاء والمباىء التى أعلنوها ، ولكن احتجاج فيصل واقتراحه كانا عديمي الجدوى ، على الرغم من اقتناع بريطانيا بأن القضية التى عرضها فيصل فى المذكرة لاتقبل جدلا . وقد أوقع بريطانيا فى الحيرة اعتقادها الراسخ أن غرض الفرنسيين ، فى النهاية احتلال سوريا الداخلية ، لذلك ضغطت على فيصل ليدخل فى مفاوضات مباشرة مع كليمانصو ، أملا فى إنقاذها من التزاماتها المعقدة والمتناقضة ، أمام العرب والفرنسيين على السواء . فذهب فيصل إلى باريس . ووقع مع كليمانصو اتفاقاً تضمن مايلي :

التزام فرنسا بمعونة سوريا وضمان استقلالها ، والتزام فيصل بأن يطلب من فرنسا الخبراء والمستشارين والفنيين لتنظيم الإدارة المدنية والعسكرية ، ولفرنسا حق الأولوية بالمشروعات ، وحق التمثيل السياسي فى الخارج لمصالح سوريا ، كما يمثل سوريا فى باريس مندوب سياسي ، وتحترم سوريا احتلال فرنسا للبنان وسائر المناطق الساحلية شمالا حتى اسكندرونة ، وأخيرا ينشر فيصل دستورا يضمن حقوق السكان وحرياتهم . وهو بهذا الاتفاق قد وافق على اقتطاع الساحل كله لفرنسا ، واقتطاع فلسطين لانكلترا .

والواقع أن فيصلا قد عقد هذا الاتفاق لقناعته بأن فرنسا المنتصرة غير مستعدة لقبول تنازلات أكثر ، وشعوره كذلك بأن انكلترا قد تخلت عنه ، والملاحظ أن هذا الاتفاق يجسد اتفاقية سايكس بيكو فيما يتعلق بسوريا .

وصلت أخبار الاتفاق إلى البلاد العربية وفيصل لا يزال فى باريس ، وكان الدكتور أحمد قدرى سكرتير فيصل ، قد عاد من باريس ، وتخلى عن فيصل لتساهله فى القضية الوطنية أمام الفرنسيين ، فاتصل بالأحزاب الوطنية ، وكان من زعمائها ، وأخبرها بالاتفاق الذى وقعه فيصل مع كليمانصو . كما شكا فيصلا إلى أبيه ، فأرسل أبوه يحذره ويأمره بالعودة وأبرق اليه أخوه زيد (نائبه فى حكومة دمشق) ، يخبره أن النقمة

الشعبية على الاتفاق قد اجتاحت مدن سوريا ، وأنه يخشى أن تتحول تلك النقمة إلى ثورة عامة ، وناشده أن يرفض أى مشروع لايحقق رغبات الشعب .

وكان الفرنسيون قد أنزلوا العلم العربي في لبنان ، ومهدوا لحكمه لمصلحتهم ، وأخذوا يحاربون الحكم العربي فى سوريا ، ويدفعون الأموال للزعماء وللصحفيين للعمل ضد فيصل ، تمهيدا لاسقاط حكمه والقضاء على استقلال سوريا واحتلالها .

وأدرك الشعب فى سوريا نيات الفرنسيين ، وأيقن أن إخراجهم من الساحل لن يتم بالسياسة ، وأنه لابد من استعمال السلاح ، فبدأت قوات من الثوار تهاجم مراكز الفرنسيين فى اللاذقية ، وهى الثورات الأولى على الفرنسيين .

وفى ذلك الجو الثائر المكفهر ، وصل فيصل إلى بيروت فدمشق ، فاستقبل فى دمشق بفتور ظاهر ولمس خيبة أمل الشعب فى اتفاقه مع كليمانصو . وكانت المظاهرات المنادية بالوحدة والاستقلال تمثل الاستنكار الذى عبر عنه الزعماء بصورة مادية مجسمة . وحاول اقناعهم بالموافقة على عودته إلى باريس بصحبة وفد منهم ، فكان جوابهم المتكرر : لا ، لأن محادثات باريس تهدف إلى تجزئة سوريا [بلاد الشام] واحتلال قوات أجنبية لأجزاء منها ، وعليه فانها لاتصلح أساسا للمباحثات . وعبثا حاول إقناعهم بأن اتفاق باريس لم يكن نهائيا ، وأنه عندما وافق عليه فإنما أذعن للأمر المحتوم .

وكانت الأنباء قد وصلت إلى دمشق عن انعقاد المجلس الأعلى للحلفاء ، لبحث مصير البلاد السورية الطبيعية [سورية ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن] ، إلى جانب عدد من المشكلات التى لم يتوصل مندوبو الدول إلى حلٍ لها ، ووصلت إلى فيصل دعوة من الحكومة البريطانية ، ليذهب إلى المؤتمر ، بصفة شخصية ويعرض قضية بلاده . وقصد من « الدعوة الشخصية » إقصاء الحكومة السورية الوطنية عن المؤتمر . فقرر فيصل العودة إلى باريس لعله ينجح فيما عجز عنه من قبل . إلا أن زعماء الحركة الوطنية خافوا أن يتنازل عن مبدأي الوحدة والاستقلال ، فأرادوا إحراجه وتقييده من جهة أخرى فقرروا دعوة المؤتمر السورى العام إلى الانعقاد .

اجتمع المؤتمر فى ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٣٨هـ ، وقرر إعلان استقلال سوريا بحدودها الطبيعية (أى سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) دولة ذات سيادة وملكية دستورية على رأسها الأمير فيصل . كما انعقد فى اليوم نفسه فى دمشق ، مؤتمر عراقي اتصل بالمؤتمر السورى وقرر إعلان استقلال العراق ، واختيار أحد أبناء الحسين الأول

ملكا عليه (المقصود عبد الله) ، وتأييد استقلال سوريا ، والاتحاد معها سياسيا واقتصاديا . وجرت فى اليوم التالى حفلة مبايعة فيصل بالملكية ، فاحتشد الشعب فى ساحة الشهداء ، وتلي عليه قرار المؤتمر السوري من شرفة البلدية المطلة على الساحة . وألفت أول وزارة دستورية برئاسة رضا باشا الركابي ، ومن أعضائها فارس الخورى ، وساطع الحصرى . وتضمن قرار المؤتمر السورى بنداً خاصا بمنح لبنان الحكم الذاتي داخل إطار الوحدة السورية ، وبندا خاصا باستقلال العراق وإقامة اتحاد سياسي واقتصادى بينه وبين سوريا . كما أصدر المؤتمر بياناً تاريخياً يندد فيه بالمؤتمرات الأوروبية والصهيونية ، ويفضح أساليبها ومخططاتها ، واعتبر المؤتمر هذا القرارات دستورا للدولة فأقسم فيصل له يمين الولاء ، وبذلك أصبح مقيدا بدستور خلافا لما كان عليه من قبل .

قوبلت مقررات المؤتمر السورى بحماسة عظيمة في البلاد العربية جميعها وبسخطٍ شديد فى دوائر الحلفاء ، لأنهم عدوها تمردا على القيادة البريطانية العليا واستباقاً لمقررات مؤتمر الصلح وخروجا على صلاحياته . حتى أن اللورد كيرزون وزير الخارجية الانكليزية ، احتج على ذلك ببرقية شديدة اللهجة جاء فيها : « إن بريطانيا لاتسمح لأية هيئة في دمشق بحق التكلم عن فلسطين أو العراق » واشتد النزاع بين المملكة السورية المستقلة وبين الحلفاء الذين لم يعترفوا بفيصل ملكا ، بل استمروا يعدونه أميراً هاشمياً واشتد الخلاف كذلك من جهة أخرى ، بين الحكومة العربية السورية فى سوريا وبين فرنسا حول قضيتين :

أولاهما : تأسيس بنك سوريا ولبنان الفرنسي ، وإصداره أوراقا نقدية إجبارية رفضت الحكومة السورية قبولها .

وثانيتهما : عدم سماح الحكومة السورية للجيوش الفرنسية بالمرور ضمن سوريا الداخلية للوصول إلى تركيا ، ومحاربة الأتراك الذين أخذوا يهاجمون القوات الفرنسية المرابطة على الحدود السورية التركية .

وإزاء ذلك ، أسرع مجلس الحلفاء الأعلى إلى الانعقاد فى « سان ريمو » بايطاليا ، وقرر هذا المؤتمر في رجب من عام ١٣٣٨هـ وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع العراق وشرق الأردن وفلسطين تحت الانتداب الانكليزي مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور فى فلسطين . وتخلى فرنسا عن الموصل وإلحاقها بالعراق لقاء حصةٍ لفرنسا من نفط الموصل ، وكان المفروض أن يكون الانتداب من نوع (أ) بحسب المادة ٢٢ من ميثاق

عصبة الأمم ، إذ تعد بموجبها البلاد التي يقع عليها الانتداب بلاداً مستقلة تتمتع بسيادة داخلية وخارجية ، وأن لاتتعدى صلاحيات الدولة المنتدبة النصح والإرشاد ، غير أن فرنسا وانكلترا ظلتا تعملان لدى عصبة الأمم حتى استطاعتا أخذ موافقة العصبة على صكوك الانتداب التى أصبحت بموجبها فرنسا وانكلترا وصيتين على هذه البلاد لامنتدبتين عليها .

أثارت هذه المقررات في البلاد مشاعر السخط والاستياء لدول الغرب ، لتنكرها لأهداف الشعب المتمثلة فى الاستقلال والوحدة . فعمت البلاد نقمة عامة على الدول الاستعمارية ، وقامت مظاهرات صاخبة نددت بالاستعمار ، وغدرت بأماني السكان وأهدافهم ، واستقالت الوزارة الأولى ، وتألفت وزارة دفاعية عسكرية برئاسة هاشم الأتاسي ، ومن أعضائها عبد الرحمن شهبندر ، ويوسف العظمة وزير الدفاع ، بهدف منع تلك المقررات بالقوة . وسارعت الوزارة إلى اتخاذ التدابير الدفاعية الفعالة ، وأعلنت الجندية الإجبارية ، وشجعت الثوار على الفرنسيين فى المنطقة الساحلية المحتلة .

عزم فيصل على السفر إلى أوربا رداً على التحديات . وكان الجنرال غورو قد أصبح قائداً ومفوضا سامياً لفرنسا فى سوريا ولبنان ، فاستقدم قوات فرنسيةً جديدةً بلغت مائة ألف ، للقضاء على استقلال سوريا قبل أن يشتد عودها . وأبلغ غورو فيصلا ضرورة التريث في السفر قائلا : « لدينا مطالب سنقدمها بعد عدة أيام ، ولايمكننا أن نسمح للأمير بالسفر إلى أوروبا مالم يلب هذه المطالب . وإذا سافر عن طريق آخر ، فان فرنسا ستمتنع بصورةٍ قطعية عن الاعتراف به ، ومفاوضته بأي شكل كان » .

كان فيصل نهبا موزعا بين رسالة الغطرسة التي بعث بها الجنرال غورو وبين مشاعر السخط عند المواطنين ، وعلى الرغم من أن مقررات مؤتمر سان ريمو قد هزت ثقته بالحلفاء ، فانه لم يفقد أمله فيهم عن طريق مؤتمر تعقده بريطانيا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة . ولكن الجنرال غورو أرسل إليه في ٢٨ شوال ١٣٣٨هـ إنذاره المعروف ، وفيه خمسة شروط ، إن لم يستجب إليها خلال أربعة أيام ، فان الحكومة الفرنسية ستكون حرة التصرف فى العمل وفق ماتراه مناسبا ويحقق مصالحها . وهذه هى شروط الإنذار :

١ ــ تسليم سكة حديد رياق ــ حلب إلى السلطة العسكرية الفرنسية .
٢ ــ إلغاء الجندية الإجبارية وتسريح الجيش .
٣ ــ قبول الانتداب الفرنسي قبولا غير مشروط .

٤ ــ قبول العملة التى أصدرتها الإدارة الفرنسية .
٥ ــ معاقبة الثائرين على فرنسا والذين قاموا ضدها بأعمال عدائية .

أثار هذا الإنذار الجماهير الشعبية وعدته ذروة الاستخفاف بكرامة البلاد فرفضه المؤتمر السورى ، وقرر المجابهة والدفاع عسكريا عن البلاد ، وعهد بالمهمة إلى يوسف العظمة وزير الحربية . وكان فيصل قد استشار « اللنبي » فنصحه بالاستسلام ، وأرسل اليه اللورد « كرزون » وزير الخارجية الانكليزي ، برقية تحمل النصيحة نفسها . فاجتمعت الوزارة السورية وقررت قبول الإنذار ، وأبلغت المعتمد الفرنسي بدمشق ذلك القبول ، فأبرق به إلى غورو الذى طلب تأييداً خطيا لقرار الوزارة .

وأصدر المؤتمر السوري قراراً أعلن فيه أنه لايحق لأية حكومة أن تقبل ، باسم الأمة أي شرط من الشروط التى تخالف قرار المؤتمر ، وأي صك توقعه باطل وغير شرعى ، كما أن الحكومة التى توقعه غير شرعية .

ومع ذلك ، فقد بدأت الحكومة بتنفيذ شروط الإنذار مخالفة قرار المؤتمر السوري ، فسرحت الجيش وألغت التجنيد الإجبارى ، وأجلت المؤتمر السورى لمدة شهرين ، وأجابت خطيا بقبول الإنذار فى وقت بلغت فيه المظاهرات الشعبية ذروتها وهى تطالب بحمل السلاح والدفاع عن تراب الوطن .

احتج الجنرال غورو بأن جواب الوزارة الخطي قد تأخر وصوله نصف ساعة على صدور الأوامر بزحف الجيش الفرنسي على دمشق وعلمت دمشق بتقدم جيش فرنسا الى دمشق لاحتلالها دون أن يكون لديها قوات تدافع وتحمى البلاد ، بسبب تسريح الجيش السوري ، فثار الشعب واضطرب الملك وحكومته ، وسارع يوسف العظمة إلى تجهيز قواتٍ للدفاع عن دمشق ، وتوقفت عمليات التسريح التي كانت جارية ، وأذاع الملك فيصل بيانا يدعو فيه الشعب لصد الغزاة . فتقدم قرابة ثلاثة ألاف متطوع لشد أزر يوسف العظمة وتجمعوا فى ميسلون . وعندما جرت المعركة كان فيها ستون جنديا نظامياً فقط ، أما بقية المحاربين فكانوا من المتطوعين الذين قدمتهم الأحزاب الوطنية ، ومن جماهير الشعب المتحمس لصد العدوان دون نظام ، وبأسلحة قد لاتتفق مع الذخيرة الموجودة . وفى صباح السبت ٨ ذي القعدة ١٣٣٨هـ ، التقى الفريقان فى ربى ميسلون ، وفى خلال ساعات ، حصدت مدافع الفرنسيين وطائراتهم الجنود والمجاهدين السوريين ، وسقط يوسف العظمة صريعاً إذ لم تنجح التمثيلية الحكومية التي أسرع

لإحباك آخر فصوله رصاص المقاتلين وقد اختلط الأمر . وفى اليوم التالى دخل الفرنسيون دمشق ، وقلوب المواطنين تمتلىء بالحقد والألم . وهكذا زالت فى ساعات الدولة التى عاشت أقل من سنتين .

أصدر الجنرال غورو أمره إلى الملك فيصل بمغادرة البلاد ، فاحتج فيصل وأبرق بذلك إلى الدولة الحليفة ثم ذهب إلى درعا ، والتف حوله الناس وتأملوا أن يتوجه إلى إقليم عجلون بشرق الأردن ليقود من هناك الحركة الوطنية ضد الفرنسيين ، فأنذره الفرنسيون بمغادرة المنطقة أو قصفها فذهب إلى أوروبا فى ١٠ ذي القعدة ١٣٣٨هـ .

وبعد دخول القوات الفرنسية إلى دمشق ، توجه الجنرال غورو إلى ضريح صلاح الدين الأيوبى وخطب أمامه قائلا « ها نحن عدنا ياصلاح الدين » . وكان بذلك يرد على قول صلاح الدين للصليبيين : « إنكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا إليه » . قد سبق للجنرال اللنبى هو الآخر ، أن قال مثل هذا القول عندما دخل مدينة القدس : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . وهكذا يتبين لنا أن القوى الاستعمارية كانت تقوم بدورها في محاربة العالم الاسلامي وبسط سيطرتها عليه بروح صليبية ، ولكن باسم جديد هو الاستعمار أو الانتداب والوصاية . ومن المؤسف أن بعض القادة انجرفوا فى تيار الاستعمار وساندوه واعتمدوا عليه حتى آخر لحظة بل ربطوا مصيرهم به ليحصلوا على الحكم أو ليبقى لهم .

ومهما يكن من أمر ، فإن الظروف التى رافقت الحكم الوطني كانت ظروفاً صعبة حملت معها كل ألوان الغدر والتآمر الأجنبي على البلاد . لقد حقق الشعب استقلاله بجهوده وتمتع بالاستقلال فى غمرةٍ من حماسةِ الجماهير وأفراحهم الوطنية ، ومارس حق السيادة على أراضيه وعلى الرغم من قصر مدة الحكم الوطني ، وافتقار المسؤولين إلى الخبرة في الإدارة والتنظيم ، إلا أن هذا الحكم حقق بعض المنجزات العامة في ميدان التجربة والتاريخ .

الحكم الفرنسي والثورات الوطنية ١٣٣٧ - ١٣٦٤هـ :

بدخول الجيوش الفرنسية إلى سوريا ، قضى على سيادة الدولة المستقلة وعلى مظاهر الحكم الوطني فيها . فقد أنزل الفرنسيون العلم العربي ، ورفعوا مكانه العلم الفرنسي ، وفرضوا الحكم العسكري على البلاد ، وتم إعداد جماعة من الوطنيين ، وقامت

السلطات الفرنسية بنزع السلاح من بقايا الجيش العربي وتسليم معداته إلى الجيش الفرنسي ، كما طلبوا تسليم المدنيين الثوار ، ونزع سلاح الأهالي ، وفرضوا على كل مدينة أن تقدم كميةً من الأسلحة ، فعلى دمشق وحدها فرضوا عشرة آلاف بندقية ، وفرضوا جزية مقدارها ١٠ ملايين فرنك ،(٢٠٠ ألف ليرة) وألغوا جميع القوانين التي صدرت في العهد الوطني .

نفذت فرنسا وصايتها على سوريا قبل صدور صك الانتداب بسنتين : فألغت صلاحيات الحكومة السورية ، وسيطرت على الجيش ، والأمن العام ، والجمارك ، والشركات ، وخط حديد الحجاز ، وحكمت بالتشريع (غير الديني) واخضعت الأوقاف لسلطتها المباشرة ، وفرضت اللغة والثقافة الفرنسية فى الإدارات والمحاكم وأهملت شأن اللغة العربية ، وعملت على إثارة التفرقة العنصرية بين الطوائف الدينية ، والمجموعات العنصرية ، وتشجيع الخلافات المذهبية بين السكان واستغلالها ، وتجنيد بعضها ضد بعض ، كما عملت على ربط الاقتصاد السوري بالاقتصاد الفرنسي ، وربط العملة السورية بالعملة الفرنسية ، إضافة إلى استخدام جميع وسائل القمع والإرهاب ، والسجن ، والنفي ، والتعذيب ، وتدمير القرى لمنع كل حركة مقاومة تقوم فى البلاد . وأعلنت كذلك تجزئة سوريا ولبنان إلى دولتين منفصلتين ، وقسّمت سوريا إلى أربع محافظات أو دول : دمشق ، حلب ، العلويين ، جبل الدروز ، ووضعت للواء الاسكندرونة نظاماً خاصاً ، وأنشأت دولة لبنان الكبير في مطلع عام ١٣٣٩هـ بعد أن ضمت اليه بيروت ، وصور ، وصيدا ، وطرابلس ثم ألحقوا به بعلبك ، والبقاع ، وراشيا ، وحاصبيا ، وقسما من عكا وقسما من حصن الأكراد بعد فصلهما عن سوريا . وقد جرى ذلك على الرغم من المؤتمرات الكثيرة التى عقدت لهذه الغاية .

وحكم البلاد المفوض السامي حكما مطلقا ففرض الأحكام العرفية التى ظلت سارية إلى عام ١٣٤٤هـ ، واحتل الفرنسيون الإدارات والوظائف ، وأثاروا النعرات الإقليمية ، والطائفية ، وخنقوا الحريات ، وضيقوا على الرجال الأحرار فزجوا بهم فى السجون ، ولاقوا صنوف التعذيب ، وتأخرت الحالة الاقتصادية بسبب التجزئة وماتبعها من حدود وجمارك وضرائب ، وحوربت الصناعات الوطنية ، بينما شجعت فرنسا صناعتها ومنتجاتها .

لم يستسلم السوريون لهذه التدابير ، فقامت هنا وهناك بعض الحركات المسلحة إيذانا بذلك الرفض ، وتعبيرا عن سخط الشعب على السياسة الفرنسية الغاشمة ، وكانت

انكلترا تغذى هذه الحركات نتيجة التنافس بين الدولتين ، والهجوم الذي لقيته انكلترا من فرنسا بسبب المراوغة الانكليزية المعروفة في المفاوضات أو المرونة والظهور بمظهر اللين والتفهم للواقع . فقامت ثورة حوران فى مطلع عام ١٣٣٩هـ والتي قامت بقتل بعض الجنود الفرنسيين مع بعض الوزراء السوريين [الدروبي واليوسف] الذين قدموا لإقناعهم بقبول الانتداب الفرنسي ، وعطلوا السكة الحديد ، وقطعوا المواصلات الهاتفية ، فأرسلت فرنسا حملة عسكرية استطاعت أن تخمد الثورة بالقوة وبعد أن دمرت القرى بالطائرات . وتلا ذلك حادثة القنيطرة ١٣٤٠هـ والتي هاجم الثوار فيها الجنرال غورو وحقي العظم حاكم دمشق وأصابوهما بجراح ، فأرسل الفرنسيون حملةً دمرت عدة قرى . كما قامت ثورة أخرى بقيادة الشيخ صالح العلي (١٣٣٨ - ١٣٤٠هـ) فى جبل العلويين ، وكبدت الفرنسيين خسائر فادحة ولم تستطع فرنسا تصفية الثورة إلا بعد أن حشدت قوات كبيرة ضدها ، وكانت هذه الثورة قد قامت منذ أن احتل الفرنسيون الساحل ، وبرز الشيخ صالح العلي إثرها وارتفع اسمه لغايةٍ أرادها الطرفان . وفى الوقت نفسه قامت ثورة أخرى في جبل الزاوية وأطرافه بزعامة ابراهيم هنانو الذي عرف بالتمرد على السلطة من قبل ، واتصل بالشيخ صالح العلي وشجعه على المثابرة في ثورته ، وأخيرا عززت فرنسا قواتها ، وحاصرته فانسحب إلى حمص ومنها إلى عمان فالقدس حيث السيطرة الانكليزية . وقامت حركات أخرى في الفرات ، وحماة ، ومعرة النعمان ، وغيرها وجرت اضطرابات فى دمشق عندما زارها المستر كراين Crane (رئيس لجنة الاستفتاء الأمريكية) فى رمضان عام ١٣٤٠هـ ، فتظاهر الشعب السوري ، وخطبوا أمامه منددين بالسياسة الفرنسية ، ومنادين بالحرية والاستقلال . فقبضت السلطات الفرنسية على بعض الوطنيين (من بينهم عبد الرحمن الشهبندر) ، وسجنت بعضهم ، ونفت آخرين إلى جزيرة أرواد ، وأضربت دمشق عدة أيام ، وأيدتها المدن السورية الأخرى بالمظاهرات ، فأعلنت الأحكام العرفية ، وسقط عدد من القتلى ، واشتركت نساء دمشق فى هذه المظاهرات ، وهاجمن المصفحات ، وهتفن بالاستقلال والحرية .

ونظرا لمقاومة الشعب السوري لسياسة الانتداب الفرنسي والتجزئة ، صدر فى شوال ١٣٤٠هـ قرار بانشاء اتحاد بين دمشق ، وحلب ، واللاذقية ، ولكن بقيت الحكومات الثلاث منفصلة في شؤونها الداخلية جميعها . فاحتج الوطنيون إلى جمعية الأمم يستنكرون أساليب الحكم الفرنسي الذي لايتقيد حتى بنظام الانتداب ، حينئذ قرر غورو إنشاء

مجلس تمثيلي لكل دولة ، فقاطعت دمشق انتخاب مجلسها ، وأضربت عشرة أيام ، فعين المفوض السامي أعضاءه تعييناً . واستدعت فرنسا غورو ، وبعثت بالجنرال « ويغان » مفوضاً سامياً جديدا ، فأعلن عن تأليف « دولة سوريا » من دمشق ، وحلب وعهد برئاستها إلى صبحي بركات .

وعلى الرغم من هذه الإجراءات ، فإن الشعب السوري لم يستسلم ولم يستكن ، بل واصل ثوراته ضد الفرنسيين وتابع مسيرة كفاحه ونضاله بعد الثورات التى أشرنا اليها والتى مهدت للثورة السورية الكبرى (١٣٤٤ - ١٣٤٦هـ) التى استمرت سنتين ، وشملت مناطق كثيرة من سورية ، وقد حدثت هذه الثورة بعد أن تراجعت فرنسا عن قرارها الذى يقضي بأن يكون حاكم الجبل درزياً ، فعينت حاكما فرنسيا لجبل العرب والذى أساء معاملة سكان الجبل ، الذين رفضوا قبول الأوامر وعدّوها مهينة لهم ، وقرروا مقابلة الجنرال « سراى » خليفة ويغان لتنفيذ الاتفاق السابق أو تبديل الضابط الفرنسي (كاربييه) حاكم الجبل . فلم يحسن سراى استقبالهم وواجههم بعنف ورفض مطالبهم ، فاتصلوا به مرة أخرى فى بيروت فأصر على رفضه وأمر بنفى بعض وجهائهم إلى تدمر والحسكة ، فكانت الشرارة التى اندلعت منها نيران الثورة ، وحرضت انكلترا أنصارها الدروز على هذه الثورة ، وتعهدت بحماية كل من يلتجىء إليها في الأردن ، وبالفعل كانت الأردن وجهة المنهزمين أو الفارين من وجه الحكم الفرنسي في سورية .

انطلقت شرارة الثورة من جبل العرب ، واتجهت شمالا وعمت سوريا غربا حتى حدود لبنان ، وشمالاً حتى حماه ، وشرقاً حتى الجزيرة . واذا كان السبب المباشرة لهذه الثورة خلاف الدروز والفرنسيين حول تعيين حاكم الجبل ، وتحريض الانكليز إلا أن الشيء الذي قاله قادة الثورة أن أهدافها الحقيقية كانت أبعد وأعمق بكثير ، ومن هذه الأهداف : توحيد أجزاء سوريا الطبيعية وقيام دولة واحدة مستقلة ، ووضع دستور للبلاد ، وتأليف جيش وطني قوى يقوم بحماية الوطن والمطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن البلاد .

وقد انضوى تحت لواء هذه الثورة الجمعيات العاملة فى ذلك الوقت كجمعية العهد ، وجمعية العربية الفتاة ، وحزب الاستقلال ، والعاملين فى السياسة جميعهم وأفراد الشعب ، كما أيدها الكثير في العراق ، وفلسطين ، والأردن ، ومصر ، ولبنان .

نشبت معارك ضارية فى أماكن متعددةَ من البلاد كمعركة المزرعة في جبل الدروز ،

والمسيفرة في حوران ، والمعارك التي حدثت في الغوطة ، وانحصر نفوذ الفرنسيين فى بعض أحياء دمشق فقط فى حين تمردت الأحياء الأخرى وشاركت فى الكفاح ، فما كان من الفرنسيين إلا أن أصلوا مدينة دمشق ناراً حامية من مدافعهم وقنابلهم التي أحرقت البيوت بمن فيها دون سابق إنذار ، وشهدت المدينة فظاعةً وقسوة ، وقصفت مرتين ، ولعل اسم حى الحريقة فى دمشق اليوم خير شاهد ودليل على تلك الوحشية ، إذ استخدم الفرنسيون منتهى القسوة والوحشية لمجابهة الثورة ، من إلقاء القنابل على المدن والقرى دون تمييز ، إلى جميع القرويين ، وإبادتهم جماعات دون تحقيق أو محاكمة ، إلى اقتلاع الأشجار ، وقطع المياه عن الناس . وقد شهدت سوريا على يد القوات الفرنسية من الفظائع مالم تشهده من قبل .

أثارت أعمال القمع الفرنسية ضد السوريين استياءً كبيراً فى العالم ، وهزّت الضمير العالمي ، فانهالت على عصبة الأمم ولجنة الانتدابات الاحتجاجات عن فظائع الفرنسيين . فعملت فرنسا على تهدئة الخواطر ، واستدعت المفوض السامي العسكري (سراي) ، وعينت مكانه مفوضاً ساميا مدنيا هو « دوجوفنيل » أوكلت إليه أمر التفاوض مع الوطنيين وإنهاء الثورة . وقد وصل المفوض الجديد إلى سوريا والثورة في ذروتها ، وقابل عدداً من الزعماء السوريين الذين قدّموا إليه مطالب الشعب لإنهاء الثورة وهي إعلان الاستقلال ، والوحدة ، والجلاء . فدعا الشعب إلى انتخاباتٍ نيابيةٍ تنبثق عنها حكومة وطنية تفاوض فرنسا ، ولكن الانتخابات قوطعت لتدخل الفرنسيين ، وقامت المظاهرات والاضطرابات في المدن ، وحاول دوجوفنيل إرضاء السكان ، فألّف حكومةً جديدةً دخل فيها بعض الوطنيين على أساس إنهاء الثورة وتحقيق الأماني الوطنية . ثم سافر إلى باريس ليحصل على موافقة حكومته على تحقيق برنامجه ، فأخفق واستقال .

أدرك الوطنيون سياسة فرنسا فى المماطلة ، لكسب الوقت وقمع الثورة ، فاستقال الوزراء الوطنيون ، فاعتقلتهم السلطات الفرنسية . وشددت ضرباتها على الثوار ، فاحتلت السويداء وهاجمت مرارا حي الميدان أغنى أحياء دمشق فهدّمته ، وقضت على الحياة الاقتصادية ، وضاعفت حملاتها على دمشق حتى قضت على الثورة بقسوة ووحشيةٍ .

بعد استقالة دوجوفنيل ، عينت فرنسا « هنرى بونسو » مفوضا ساميا على سوريا ولبنان ، فأعلن عن إجراء انتخابات من أجل جمعيةٍ تأسيسيةٍ تضع دستورا للبلاد ،

وألغي الأحكام العرفية ، وأصدر عفوا عن بعض الوطنيين المبعدين ، وعين حكومة مؤقتةً برئاسة الشيخ تاج الدين الحسني للإشراف على الانتخابات ، وقبل الوطنيون أن يشتركوا فى تلك الانتخابات ، وفازوا فيها .

وافتتحت الجمعية التأسيسية أولى جلساتها فى ١٩ذي الحجة ١٣٤٦هـ برئاسة هاشم الأتاسي ، وانتخبت لجنة لإعداد الدستور برئاسة ابراهيم هنانو ، فأتمت هذه اللجنة صياغته ، فجاء مؤلفا من (١١٥) مادة ، تنص على أن سوريا وحدة لاتتجزأ ، وأن نظام الحكم فيها جمهوري نيابي ، وتتكون السلطة التشريعية فيها من مجلس واحد ، والسلطة التنفيذية في يد رئيس الجمهورية ، ويساعده مجلس الوزراء والوزارة مسؤولة أمام المجلس النيابي ، ولكن فرنسا لم تقبل بهذه المواد . ووجه المفوض السامي إلى الجمعية التأسيسية كتاباً يطلب فيه إلغاء ست موادٍ من الدستور ، وهى المواد المتعلقة بالوحدة السورية ، والتمثيل الخارجى ، وتنظيم الجيش ، وسلطات رئيس الجمهورية ، فرفضت الجمعية طلب المفوض السامي ، فأصدر قراره بتعطيل الجمعية ثلاثة أشهر ثم تعطيلها إلى أجل غير مسمى . وفى الأيام الأخيرة من عام ١٣٤٨هـ أعلن بونسو عن دستورٍ جديد هو دستور الجمعية التأسيسية نفسه مع إضافة مادةٍ أخيرةٍ إليه ، تنص على وقف تنفيذ المواد التى تمسّ صلاحيات الدولة المنتدبة والتزاماتها .

وقد قوبل نشر هذا الدستور بالاستنكار والاجتجاج ، وأضربت البلاد إضراباً عاما شاملا ، وقامت المظاهرات الصاخبة فى كل مكان ، وعقد الوطنيون اجتماعا عاما فى حلب ، قرروا فيه رفض الدستور الجديد ، وأطلقوا على أنفسهم اسم « الكتلة الوطنية » التى تزعمت حركة المقاومة ضد الفرنسيين .

بقيت الأمور معلقة أربع سنوات مشحونة بالاضرابات والاحتجاجات والمقاومة حتى عام ١٣٥٠هـ وبقى الشيخ تاج في الحكم ، وأخيراً اضطر المفوض السامي إلى إقامة حكومة الشيخ تاج وتألفت حكومة انتقالية برئاسة (سولومياك) مندوب المفوض السامي بدمشق للإشراف على الانتخابات حيث جرت الانتخابات ، واجتمع المجلس النيابى ١٠ صفر ١٣٥١هـ ، وانتخب محمد على العابد رئيسا للجمهورية ، وألّف حقي العظم الوزارة التي دخل فيها عضوان من الكتلة الوطنية لإجراء المفاوضات مع فرنسا ، ثم استقالا بسبب مماطلة بونسو فى حل القضية الوطنية .

عينت الحكومة الفرنسية (الكونت دومارتيل) مفوضاً سامياً جديداً ، فقدّم

مشروع معاهدةٍ لاتحقق آمال الشعب فى الجلاء والوحدة . وعرضت هذه المعاهدة على المجلس النيابى لإقرارها ، فرفضت فى جلسةٍ صاخبةٍ وقد رفضها رئيس المجلس صبحى بركات أيضاً ، كما رفضها أحد الوزراء ، كما أريقت الدماء فى الشوارع بين المتظاهرين والجنود ، وأقيل حقى العظم ، وعين الشيخ تاج مرةً أخرى رئيساً للوزراء .

عادت الاضطرابات الدامية إلى البلاد فى عهد الشيخ تاج الذى عرف بسياسة اللين ففى عام ١٣٥٥هـ انفجر بركان الاضطرابات والمظاهرات حتى شمل المدن جميعها ، فقامت القوات الفرنسية باعتقال عدد من الزعماء الوطنيين (الكتلة الوطنية) وأغلقت مكاتب الكتلة ، فأعلن الشعب الإضراب العام الذى شمل المدن السورية كلها ، واستمر الإضراب مدة شهرين في دمشق ، وعرف باضراب الستين يوماً ، وحوالي شهر ونصف فى معظم المدن .

واضطرت السلطات الفرنسية إلى عزل الشيخ تاج ، وأعلنت عن استعدادها لإطلاق سراح المعتقلين وإصدار عفوٍ عامٍ اذا قبل الوطنيون إنهاء الإضراب والدخول فى مفاوضات لعقد معاهدة على أساس الاعتراف باستقلال سوريا ووحدتها . وبناءً على ذلك انتهى الإضراب ، وتقرر إرسال وفد سوري – برئاسة هاشم الأتاسي وعضوية فارس الخوري ، وجميل مردم ، وسعد الله الجابري ، ومصطفى الشهابي وغيرهم – إلى باريس ليفاوض حكومتها على عقد معاهدةٍ تكون على غرار معاهدة العراق . وأدت تلك المفاوضات التي تعثرت فاستمرت ستة أشهر – بسبب إجراء انتخابات نيابية فى فرنسا وفوز الجبهة الشعبية والاشتراكيين الفرنسيين – إلى عقد المعاهدة بين البلدين والتى تنص على اعتراف فرنسا باستقلال سوريا ، وتشاورهما في الشؤون الخارجية ، ومدة المعاهدة ٢٥ سنة ، ومنح قواعد عسكرية خلال مدة التحالف ، وحددت مدة الانتقال بثلاث سنوات توضع المعاهدة في نهايتها موضع التنفيذ .

استقبل الشعب السوري المعاهدة بالرضا لا باعتبارها تمثل أماني الشعب ، ولكن لأنها أول اعترافٍ رسمي فرنسي باستقلال سوريا وسيادتها ووحدتها . وأعلن المفوض السامي ضم مقاطعتي اللاذقية وجبل الدروز إلى سورية ، ودُعي الشعب لانتخاب مجلس نيابي جديد فاز معظم أعضائه من الكتلة الوطنية ، وقام المجلس الجديد بانتخاب هاشم الأتاسى رئيساً للجمهورية بعد استقالة محمد علي العابد ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة جميل مردم ، وضمت شكرى القوتلي ، وسعد الله الجابري ، وعبد الرحمن الكيالي ، وقدمت هذه الوزارة المعاهدة للمجلس النيابي فصدق عليها . وأخذت الوزارة الوطنية تتابع

مفاوضاتها لتتسلم سلطاتها من الفرنسيين تنفيذا للمعاهدة ، وشرعت فى تعيين المحافظين وموظفي السلك السياسي ، ومارست حقوق السيادة . ولكن المجلس النيابي الفرنسي الذي يضم أكثرية اشتراكيةٍ لم يصدق على المعاهدة ، وأخذت فرنسا تماطل وتسوف كعادتها ، وتثير الصعاب والعقبات فى وجه الحكومة الجديدة ، وذلك عن طريق رفض الموظفين الفرنسيين تسليم سلطاتهم إلى الحكومة الوطنية وكذلك عن طريق إثارة الحركات الإقليمية ، والطائفية في اللاذقية ، وجبل الدروز . وفى غمرة هذه الأحداث قامت فرنسا بضرب الحكم الوطني ضربة قاضية فى لواء اسكندرونة .

استغلت تركيا الأوضاع الدولية ، واحتجت على معاهدة ١٣٥٥هـ بحجة أنها أعلنت توحيد البلاد ، فوجدت فرنسا الفرصة سانحة للاستغلال بهدف زعزعة الحكم الوطني فدخلت مع تركيا فى مفاوضات بشأن لواء الاسكندرونة - الذى وعدت فرنسا تركيا بشأنه عام ١٣٤٠هـ بعدم دمجه مع سوريا - فوافقت فرنسا وكذلك بريطانيا على سلخ الاسكندرونة من سوريا وإعطائها لتركيا مقابل وقوف تركيا إلى جانب الحلفاء في الحرب المتوقعة إذ كانت أوربا مشحونة وسحب الحرب تؤذن بالانفجار لأهميتها الاستراتيجية ، وأرادت الدولتان إخراج الموضوع بشكل شرعي فقررتا إجراء استفتاء شعبي . ولكن فرنسا أعلنت أنه كان لصالح تركيا ودعتها لتتسلم اللواء مخالفة بذلك صك الانتداب نفسه . ودخلت الجيوش التركية إلى الاسكندرونة في ربيع الثاني قبيل ثلاثة أشهر فقط من اندلاع الحرب العالمية الثانية . وكانت الحكومة الفرنسية قد سحبت المقيم الفرنسي دومار تيل وعينت بدلا منه غبريل بيو ، فأعلن أن حكومته عدلت عن سياسة المعاهدة وعادت إلى سياسة الانتداب ، عندئذ استقالت الوزارة الوطنية واستقال رئيس الجمهورية ، وعادت الاضطرابات إلى البلاد ، وسادها جو من الإرهاب وخنق الحريات . وفى هذه المدة اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ، كانت البلاد العربية معظمها خاضع للحلفاء ، وكان الشعب العربي ناقماً على الاستعمار وأعوانه ، ومتعاطفاً مع دول المحور ، ويود أن تنتصر إذ وعدته بالاستقلال ، ليستطيع القضاء على الاستعمار والصهيونية ، مع العلم أن ايطاليا إحدى هذه الدول كانت تستعمر ليبيا واريتريا .

وخلال الحرب العالمية الثانية هاجم الألمان فرنسا هجوما ساحقا حطم قواتها وأجبرها على الاستسلام بعد ثلاثة أسابيع من بدء المعارك ، فدخلت الجيوش الألمانية باريس (ربيع الثانى ١٣٥٩هـ) وألف المارشال بيتان حكومة فيشي الموالية للألمان ، ووقع

الهدنة معهم ومع الطليان غير أن بعض الضباط رفضوا مهادنة الألمان ، وألّفوا حكومة فرنسا الحرة فى لندن برئاسة الجنرال ديغول . وخضعت مستعمرات فرنسا لحكومة فيشي الموالية للألمان والتي طبقت شروط الهدنة على سوريا ولبنان ، وعينت الحكومة الفرنسية الجديدة مقيماً عاماً في سوريا هو (الجنرال دانتز) وطالبه الشعب بالاستقلال فرفض . واستغلت دول المحور (ألمانيا وايطاليا) هزيمة فرنسا لتمد نفوذها إلى الشرق فاستخدمت المطارات السورية ، وأثار ذلك مخاوف بريطانيا وحلفائها سيما بعد قيام ثورة الكيلاني في العراق ، فقررت انتزاع سوريا من أيدي حكومة فيشي الموالية للألمان ، واتفقت بريطانيا مع ديغول زعيم الفرنسيين الأحرار على احتلال سوريا ، وتم ذلك بالفعل فى صيف عام ١٣٦٠هـ عندما احتلت القوات الانكليزية والفرنسية الحرة سوريا دون مقاومة تذكر ، وأذاعت حكومة فرنسا الحرة على لسان الجنرال (كاترو) باسم الجنرال ديغول بياناً وعد فيه السوريين واللبنانيين بالاستقلال وكان هدف الحلفاء من وراء هذا البيان هو جذب السكان ليقفوا إلى جانبهم أثناء زحفهم لاحتلال البلاد .

وقد علق الوطنيون على هذه الأحداث الآمال ، ولكن كاترو أبطأ فى تحقيق وعده ، غير أن الضغط الشعبي اضطره بأن يذيع بياناً أعلن فيه إلغاء الانتداب واستقلال سوريا حرة موحدة . ثم تألفت وزارة جديدة ، وعين الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية واعترف الحلفاء باستقلال سوريا ، وأعلن كاترو من جديد ضمّ محافظتي اللاذقية وجبل الدروز إلى سوريا (مع مطلع عام ١٣٦١هـ) ولكن الشعب طالب بإعادة الحياة الدستورية الصحيحة وتأليف حكومة وطنية تنبثق عن إرادته لتحقيق الأماني الوطنية .

وتوفي رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين فى أواخر عام ١٣٦١هـ ، وطالب الوطنيون بإنشاء حكومة دستورية ، فأجريت الانتخابات الوطنية التى فاز بها الوطنيون بأغلبيةٍ ساحقةٍ ، وانتخب السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهورية فى ٤ شعبان ١٣٦٢هـ ، وألّف الوزارة سعد الله الجابرى . وفي خلال هذه المدة بدأ النفوذ الانكليزى ، إذ توجد في البلاد وحدات من الجيش الانكليزي دخلت في أثناء طرد حكومة فيشي ، كما أن انكلترا كانت تدعم الوطنيين لتوطد نفوذها مكان الفرنسيين المستعمرين الذين يكرههم الشعب ، وفي الوقت نفسه كان الوطنيون يجدون في انكلترا ليونة أكثر من فرنسا ، ويلجأون إلى مناطق نفوذهم إذا دعتهم الحاجة وتستقبلهم وتدعمهم .

أظهرت الحكومة الوطنية إرادةً قويةً ووعياً تاما فى التمسك بحقوقها كحكومة مستقلة ، فعينت الممثلين السياسيين لدى الدول الصديقة ، وساهمت فى تأسيس الجامعة العربية ، كما أعلنت الحرب على دول المحور لتستفيد من معاهدات الصلح ، وأسهم وفدها برئاسة فارس الخوري فى مؤتمر سان فرنسيسكو بتأسيس الأمم المتحدة . ثم طالبت فرنسا بتسليم الجيش والجلاء عن البلاد ، ولكن الفرنسيين رفضوا ذلك محاولين فرض معاهدة مع سوريا تعطيهم حق استخدام القواعد الجوية والبحرية في البلاد ، وعندما رفض الشعب السوري هذه المطالب الفرنسية استخدمت فرنسا القوة ، إذ قامت القوات الفرنسية في ١٥ جمادى الثانية بقصف مدينة دمشق بالمدفعية والطائرات لمدة أربع وعشرين ساعة ونصف ، ومثلت أبشع تمثيل بحامية المجلس النيابي ، ففقأت الأعين وقطعت الأعضاء عضوا عضوا ، ودفنت بعض الجنود أحياء ، فدب الهلع في نفوس السكان ، حتى أن المرضى تركوا مستشفياتهم بحثا عن ملجأٍ لهم ، وأحرقت الأحياء والمتاجر ، فكان لذلك كله صدى عالمي سيىء ، فاحتجت الدولة على هذا التصرف وخاصة بريطانيا حيث أنذر تشرشل رئيس الحكومة البريطانية فرنسا بوقف إطلاق النار فورا ، خشيةً أن تفقد بريطانيا صداقة العرب إلى الأبد ، فاستجابت فرنسا للإنذار البريطاني . وبعد ذلك عرضت المشكلة السورية على مجلس الأمن الذي قرر جلاء القوات الفرنسية عن سوريا ، وتم الجلاء التام بالفعل فى ١٤ جمادى الثانية ، وكان ذلك بداية عهد الاستقلال .

وحقيقة الأمر أن بريطانيا أيدت سوريا فى مطالبها بالجلاء الفرنسي عن أراضيها ، خدمة لمصالحها وتحقيقاً لأهدافها الاستراتيجية في المنطقة ، وذلك لأن بريطانيا كانت تعمل على تعزيز نفوذها فى سوريا ولبنان بعد طرد النفوذ الفرنسي ، وإخضاع المنطقة العربية كاملةً لنفوذها .

عهد الاستقلال

تسلمت الحكومة الوطنية زمام الأمور ، وكان عليها مسؤوليات جسام ، وكان أول ما بدأت به إصلاح نظام التعليم الذي هو بحق عصب الحياة ومنطلقها ، فكان على الحكومة الوطنية أن تعمل على استبعاد الأثر الفرنسي الذي كان مسيطرا على التعليم من حيث الغلو فى تدريس اللغة الفرنسية ، فكان على سوريا أن تحارب الاستعمار الثقافي الفرنسي بعد أن تخلصت من الاستعمار السياسي . واتجهت كذلك الى تعزيز الحياة

الاقتصادية وخاصة الزراعية منها ، كما اهتمت بتقوية الجيش الوطني وتسليحه إضافةً إلى اهتمامها بالنهضة العمرانية والفنية . وفي عام ١٣٦٦ أجريت انتخابات جديدة وأعيد انتخاب شكري القوتلي . رئيساً للجمهورية بعد تعديل الدستور .

وبينما كانت الحكومة السورية جادةً في إصلاح ما أفسده وخربه الاستعمار طيلة عدة قرون واجهت مشكلات خارجية منها : حرب فلسطين عام ١٣٦٧ والتي اشترك الجيش السوري فيها وهزم كغيره من الجيوش العربية ، ونتج عن ذلك كارثة فلسطين وقيام دولة لليهود فيها ، وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية زعيمة الكتلة الغربيةفأرادت أن تحل محل نفوذ أصدقائها فرنسا وانكلترا ، وأن يكون نفوذاً واحداً للغرب بزعامة الولايات المتحدة بدلاً من التنافس الاستعماري القائم ، وكي يقف الغرب كتلة واحدةً أمام الكتلة الشيوعية ، وقد عمدت إلى الانقلابات العسكرية لتحقيق هذا إن عجزت عن النفوذ الاقتصادي .

وأدى ذلك كله إلى قيام سلسلة من الانقلابات العسكرية في سوريا ، وذلك إثر حصول الأزمة الوزارية ١٣٦٨هـ واحتدام النقاش في المجلس النيابي بين السياسيين والعسكريين حول ميزانية الدفاع ، واتهام السياسيين للعسكريين بالتقصير في حرب فلسطين . فقام الانقلاب العسكري الأول بقيادة الزعيم حسني الزعيم في مطلع جمادى الثانية ١٣٦٨هـ .

استولى الجيش على السلطة في البلاد ، واعتقل رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم ، وحل المجلس النيابي ، وأعلن حسني الزعيم نفسه رئيساً للوزراء ثم أعلن نفسه رئيساً للجمهورية ورئيسا للوزراء ، وأجرى استفتاء صوريا مؤيدا له ، وكلف محسن البرازي بعد ذلك بتشكيل الوزارة واعترفت مصر والسعودية بالنظام الجديد ، وتوقف العراق ، وجاء رئيس وزرائه نوري السعيد الى دمشق ليستطلع الأحوال ، ولكن حسني الزعيم فاجأ الناس بزيارة إلى القاهرة ، وحلّ النفوذ الأمريكي محل الانكليزي هذه المدة .

وبعد أربعة أشهر من الانقلاب الأول ، حصل انقلاب آخر بزعامة الفريق سامي الحناوي رئيس أركان الجيش السوري حينذاك ، وكان من نتيجته قتل حسني الزعيم ومحسن البرازي رئيس وزرائه بعد ساعة من نجاح الانقلاب ، وكانت سياسة هذا الانقلاب الخارجية تميل إلى الاتحاد مع العراق الذي يمثل النفوذ الانكليزي ، وقد تعاون

الحناوى مع المدنيين وسلمهم السلطة وسيطر هو وجماعته على الجيش . غير أن انقلابا عسكرياً ثالثاً وقع فى ٢٦ صفر ١٣٦٩هـ بزعامة الزعيم فوزى سلو والعقيد أديب الشيشكلي لإبطال مشروع الاتحاد مع العراق ، ومع هذا فقد تابعت الجمعية التأسيسية التى انتخبت أعمالها وانتخب هاشم الأتاسي رئيسا للجمهورية ، وشكل ناظم القدسي الوزارة ، ثم تطورت الأمور إلى أن استقل الشيشكلي بالأمر وقام بعد عامين بانقلاب آخر ، وأعلن الشيشكلى دستورا جديدا لسوريا ، وأصبح هو بموجبه رئيسا للجمهورية ، كما انتخب مجلس نيابي جديد ، ولكن اضطهاد الشيشكلي لجميع الأحزاب وابتعاده فى الوقت نفسه عن الجيش أوقعه في انقلابٍ عسكري ، وغادر سوريا والتجأ إلى الأرجنتين ولكنه لقى مصرعه بعد خمس سنوات من مغادرته على أيدي أحد الدروز ، الذين حاول الشيشكلي إخضاع جبلهم .

أعيد كل ماكان قبل الشيشكلي إلى سابق عهده فالأتاسي رئيساً للجمهورية ، وقدّم الدواليبي الذي كان مكلفاً بتشكيل الوزارة استقالته ، ثم استؤنفت الحياة الدستورية فى البلاد ثم انتهى الأمر بانتخابات نيابيةً ، واختير شكري القوتلي رئيسا للجمهورية بعد انتهاء هاشم الأتاسي في ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٧٤هـ . وكان الحكم النيابي ضعيفا لأنه يدين للجيش بوجوده ، وعادت الأحزاب التقليدية إلى الحكم ، وظهر بجانبها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي ، ولكنها كانت ضعيفة أيضا أمام الجيش وضباطه الشباب ، وقد زاد فى ضعفها أنها لم تستطع التصرف تجاه العواصف السياسية والمؤامرات الدولية بدءا بحلف بغداد ، ومحاولات العراق لاحتلال سوريا وزيادة النفوذ الشيوعي . وإزاء ذلك اضطرت سوريا الى أن تتقرب من مصر وتعقد معها معاهدة الدفاع المشترك ، ولما كثرت المؤامرات عليها وبلغ التوتر السياسى بين الجيش والحكم حده الأقصى ، رأى ضباط الجيش أن أحسن حل للأزمة فى البلاد هو فى اتحاد سوريا مع مصر . فذهب وفد من الضباط إلى مصر يطلب من رئيسها جمال عبد الناصر وحدة سوريا مع بلاده فقبل عبد الناصر تحت إلحاحهم ، وطلبوا من الحكومة السورية اتخاذ الخطوات الفورية للوحدة ، فتوجت المحادثات بتوقيع اتفاقية الوحدة فى ١٦ رجب عام ١٣٧٧هـ ثم جرى الاستفتاء عليها فى ٨ شعبان ، وأعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، وتنازل شكري القوتلي وأعطي لقب المواطن العربي الأول ، وسميت سوريا بالاقليم الشمالى بينما سميت مصر الاقليم الجنوبي .

كانت الوحدة تحقيقا لأماني الشعب العربي ، وكانت أول تجربة وحدوية في العصر

الحديث ، ولكن التنافس الاستعماری ، إذ ضعف النفوذ الانكليزي في خلال هذه المدة لصالح الأمريكي ونقمة بعض القطاعات الاقتصادية على القرارات الاشتراكية ، ووقوع بعض الأخطاء فى طريقة الحكم في سوريا ، كل ذلك أدى إلى قيام انقلاب عسكري أطاح بالوحدة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ م بعد ٤٤ شهرا من قيامها ، وأعلن عن انفصال سوريا عن مصر ، وأيد حركة الانفصال حزب البعث الذى طالب بالوحدة . بل كانت شعاره ، وقد قوي شأنه أثناء الوحدة إرضاء لقادته العسكريين والشعبيين . وشكل مأمون أكذبرى الذي ألف أول وزارة ثم تلتها وزارة عزت النص التي أشرفت على الانتخابات فقامت حكومة دستورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبى إثر انتخابات نيابية ، وانتخب الدكتور ناظم القدسي رئيسا للجمهورية وظهرت قوة البعثين والإخوان المسلمين في هذه الانتخابات ، وفى شوال ١٣٨١هـ حصل انقلاب عسكري أطاح بالدكتور القدسي رئيس الجمهورية ، وبالدكتور الدواليبى رئيس الوزراء ، وتولى الجيش مهام الأمور وتخلص من بعض العسكريين الذين قاموا بالانفصال وهما عبد الكريم النحلاوي ومهيب الهندي اللذان أخرجا من البلاد . إلى أن تم تشكيل حكومة انتقالية . وبعد خمسة عشر يوماً عاد الدكتور ناظم القدسي إلى رئاسة الجمهورية بدعوة من القائد العام ، ثم عهد الدكتور القدسي الى الدكتور بشير العظمة بتشكيل حكومة انتقالية تضم أعضاء من اليمين ومن اليسار المعتدلين ، وبعض رجال ممن كانوا فى حزب البعث العربي الاشتراكي ، وفي ربيع الأول من عام ١٣٨٢هـ استقالت حكومة العظم بسبب هجوم عصار العطار زعيم الإخوان المسلمين عليها لعدم استقامتها في الطريق السليم ، وطالب رئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي بالاتفاق مع الجيش بتكليف خالد العظم برئاسة الحكومة الجديدة التى استمرت فى الحكم حتى قيام انقلاب جديد في منتصف شهر شوال ١٣٨٢هـ برئاسة لؤي الأتاسي ، ومحمد الصوفي وزياد الحريري قائد الجبهة ، فأسندت رئاسة مجلس الثورة إلى لؤي الأتاسي ورئاسة الوزارة إلى صلاح الدين البيطار الزعيم البعثي الذي ركب الخط الوحدوي مرحلياً وكان هذاالانقلاب هو بداية تسلم حزب البعث للحكم إذ انفرد بالسلطة وطرد أصدقاء الأمس وسار في خط انفصالي بعد أن كان شعاره العودة الى الوحدة .

وبعد أن قام بدور تمثيلي في محاولة إقامة وحدة مع مصر ، والعراق ، وسوريا ولكن فشلت المحادثات ورفض عبد الناصر جميع محاولات حزب البعث وحدثت ثورة في حماه فى شوال عام ١٣٨٤هـ ثم في دمشق بعد عام ، وظهر في تهدئة الأوضاع الحقد على

الإسلام بشكل واضح ثم حصل انشقاقات فى حزب البعث حسب تكوينه الطائفي فتخلص النصيريون من الدروز الذين كان يمثلهم سليم حاطوم ، ثم من الاسماعيلية الذين كان يجمعهم عبد الكريم الجندي ، ورغم أنه من أهل السنة لكنه من بلدة السلمية ، وهو عدو لدود للإسلام ، ثم من أهل السنة الذين كان منهم أمين الحافظ رئيس الدولة ورئيس الوزراء صلاح البيطار ، وبقي النصيريون يحكمون برئاسة صلاح جديدة من وراء واجهة من أهل السنة على رأسها نور الدين الأتاسي ، وواجهت هذه القيادة هزيمة حرب ٢٧ صفر ١٣٨٧هـ وضياع الجولان بعد اعتقالات واسعة بين صفوف المسلمين ، كما يحدث قبل كل حرب خارجية وفي شعبان ١٣٩٠هـ قامت حركة فى سوريا بقيادة الفريق حافظ الأسد وزيرالدفاع ، وقائد السلاح الجوى ونجح فى الاستيلاء على السلطة بانقلاب أبيض تصدر فيها النصيريون الحكم ، وبدأ حقدهم على الإسلام يظهر بشكل سافر ثم مالبث أن أعلن عن سياسته التى كانت أبرز ملامحها الانفتاح على العالم العربي بصورة أوسع تغطية للوضع الداخلي ، ومن مظاهر هذا الانفتاح الانضمام إلى ميثاق طرابلس ، الذى يضم اتحادا رباعيا بين مصر والسودان ، وليبيا ، وسوريا . ثم دخلت فى اتحاد مصر ، وليبيا بعد عام . ولكنه اتحاد شكلى فقط ولم يلبث أن قصمت عراه لأنها كانت واهية من الأساس ، إذ لم يكن صانعوه جادين فيه . وتحسنت علاقة سوريا مع لبنان ، والسعودية . وبعد أقل من سنة اختير حافظ الأسد رئيسا للجمهورية ولازال حتى الآن .

ومن أبرز مظاهر السياسة السورية فى عهده توثيق العلاقات مع الدول العربية ، واشتراكها بحرب رمضان ١٣٩٣هـ وقد استطاعت إرجاع جزء من الجولان بعد مفاوضات أجرتها مع العدو بواسطة كيسنجر ولازالت أراضيها محتلة ، شاركت في قوة حفظ الامن فى لبنان بعد الثورة الأهلية التى قامت فيه ١٣٩٥ - ١٣٩٧هـ ، وقام الضباط السوريون وجنودهم وخاصةً النصيريين منهم بأعمال يندى لها الجبين حتى لقي اللبنانيون منهم الأمرين ورأوا في إسرائيل منقذاً لهم من السوريين وتصرفاتهم ، وهي رؤية الشعب السورى نفسها لما عانى من حكامه ، وهذا كل مايريده اليهود ، ويريدون أن يصلوا إليه .

وتدعو الحكومة السورية بالتوجه نحو الاتحاد السوفيتي في حين ترتبط بالولايات المتحدة .

(ب) لبنان

فتح العرب المسلمون لبنان عندما تقدموا في بلاد الشام ، وبقيت جماعات من النصارى التي تعود في أصولها إلى المردة في المرتفعات ، وأهملها المسلمون لضآلة شأنها ، ورغبةً في إسلامها مع الزمن ، ومع أنها عاشت بأمنٍ ، واستقرارٍ ، وراحة ، وحرية ، إلا أنها كانت على صلةٍ مستمرةٍ بالرومان نتيجة صلة العقيدة معهم ، ومع هذا فقد كان المسلمون يعفون عنهم في كل مرة من باب الرحمة وإعطائهم درساً في الحرية .

ثم انتشر مذهب الدروز في مطلع القرن الخامس في وادي التيم ، ثم توسع وانتشر ، ومع ذلك فقد بقي لبنان جزءاً من بلاد الشام ، وتاريخه جزءاً من تاريخها ، وجاء العثمانيون وخضع لهم لبنان كبقية مناطق الشام . وكان نفوذ الدروز قد زاد وتسلم فخر الدين المعني إمارة لبنان ... أثناء دخول العثمانيين فساعدهم رغبة في زيادة نفوذه ، ولكن عندما ظهرت أطماعه عزل ، وعزل ابنه قرقماس ، ثم قام فخر الدين المعنى الثاني في النصف الأول من القرن الحادي عشر وبدأ يتصل بالإمارات الايطالية ، ويقوّي نفوذه ، ولما اشتد ساعده ثار ضد العثمانيين ، واستطاع ضم أجزاء إلى إمارته فجرد العثمانيون إليه حملة هزمته للمرة الأولى ففر إلى ايطاليا ثم عفت الدولة عنه فعاد إلى سيرته الأولى فهزم ثانيةً ، وقبض عليه وقتل عام١٠٤٥هـ ...... ويُعَد في نظر الأوربيين عظيماً لأنه كان على صلةٍ معهم ضد العثمانيين المسلمين ، وعن الأوربيين نقل التاريخ ثم زاد التركيز على هذا الرجل مع نشوء فكرة القومية ، والتصادم مع الفكرتين القوميتين المتجاورتين ، ومن الصعب التعايش بين القوميات نتيجة التعصب ، وهو درزي ، ضد المسلمين وليس من أمر يرفعه سوى القومية حيث كان درزياً ضد المسلمين ، وعلى صلةٍ مع الطليان وهذا ينافى الوطنية .

وبعد المعنيين برز اسم الشهابيين في لبنان وهم من الدروز أيضاً ، وتسلموا إمارة المنطقة ، وظهر بشير الشهابي فجمع الدروز إليه وجلبهم من مناطق في شمال سوريا ، وقوي أمره ، وحكم لبنان ، وساعد أحمد باشا الجزار ضد بعض خصومه وتسلم مكانهم ومنهم ابن عمه يوسف الشهابي بعد قتله . وتوقف عند قدوم نابليون إلى عكا عن مساعدة الجزار ، وعندما فشل نابليون فى دخول عكا ورجع عنها بدأ الجزار يضايق الشهابي حتى أجبره على الفرار من لبنان ، ثم تدخلت انكلترا ومحمد على لدي الجزار

فأعيد الشهابي إلى إمارته ، ونقول : إن هذا التدخل كان بداية الصلة بين الدروز وانكلترا والتي امتدت إلى الآن .

ثم انضم الشهابي إلى والي عكا الجديد عبد الله الخازندار في نزاعه مع السلطان ، وعندما هزما عام ١٢٣٨هـ فر الشهابي إلى مصر ، فتوسط محمد علي باشا لدى السلطان وعاد الشهابي إلى لبنان .

وانضم الشهابي إلى جيوش ابراهيم باشا عندما دخلت بلاد الشام ... ولما كانت لبنان تضم جماعات من النصارى وأخرى من الدروز فقد انتقل بشير الشهابي إلى النصرانية المارونية ليكسب تأييدهم مادام ضامناً جماعته الدروز ، ومات عام ١٢٥٦هـ بعد صداماته مع النصيرية ، وطردهم إلى الشمال .

وضعفت الدولة العثمانية ، وبدأت الدول الأوربية تتصل بالأقليات ، وخاصة في لبنان وتحرضهم ضد العثمانيين ، وكانت فرنسا قد وطدت علاقاتها مع الموارنة ، ووثقت انكلترا صلاتها مع الدروز ، ومع التنافس الاستعماري بين فرنسا وانكلترا امتد الخلاف إلى أصدقائهم ، ونتيجة هذا الخلاف فقد اضطرت الدولة العثمانية عام ١٢٥٨هـ إلى تقسيم جبل لبنان إلى قسمين شمالي وعينت عليه حاكماً نصرانياً مارونياً ، وجنوبي وعينت عليه حاكماً درزياً ، ومع ذلك فقد وقعت الاضطرابات والحوادث الدموية عام ١٢٦١هـ فأوجدت الدولة مجلساً منتخبا بجانب كل حاكم ، ثم تجددت الاضطرابات عام ١٢٧٧هـ ، وتدخلت الدول الأوربية صاحبة النفوذ وأرسلت فرنسا حملة مؤلفة من ستة آلاف جندي ، إلا أن الدولة العثمانية قد أسرعت وحلت الموضوع بشكل يرضي النصارى ... فعندما وصلت الحملة الفرنسية وجدت الأمر منتهياً فاضطرت إلى الانسحاب بعد أن قدمت الهدايا لأنصارها .

وجاءت لجنة من الدول الأوربية إلى استانبول ، واتفقت مع السلطان العثماني على منح جبل لبنان نظاماً إدارياً خاصاً ، حيث يصبح متصرفية مستقلة استقلالاً إدارياً يديرها نصراني من خارج لبنان ، يقترحه السلطان وتوافق عليه الدول الأوربية ويتصل مباشرة بالسلطان دون الرجوع إلى ولاة دمشق ، ويساعد هذا الحاكم مجلس يمثل الطوائف جميعها ، وكانت هذه المتصرفية لاتشمل سوى الجبل إذ لاتضم السكان . وبقي هذا الوضع قائماً حتى الحرب العالمية الأولى .

وعندما تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على تقسيم المناطق التي كانت خاضعة للدولة

العثمانية (اتفاقية سايكس . بيكو) كانت منطقة لبنان ضمن مناطق النفوذ الفرنسية . وعندما انسحب العثمانيون من بلاد الشام ، ودخلتها القوات العربية والانكليزية ، أنزلت فرنسا قوات لها على الساحل وبقيت مرابطةً هناك باسم الخطة الحربية ، واستمرت بعد وقف الحرب وإعلان الهدنة ، ثم قرر الحلفاء في سان ريمو الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان . وجاء المندوب السامي الجنرال غورو إلى لبنان ومنها تقدّم ودخل دمشق كما رأينا .

وفي ١٦ ذي الحجة ١٣٣٩هـ أصدر غورو قراراً نص على إيجاد دولة لبنان الكبير تتألف من متصرفية جبل لبنان ، ولواء بيروت الذي يضم صيدا ، وصور ، ومرجعيون ، وكذلك من منطقة طرابلس التي تضم قضاء عكار ، ثم أربعة أقضية هي بعلبك ، والبقاع ، وحاصبيا ، وراشيا وقد أخذت من ولاية دمشق ، وعّين على هذه الدولة الجديدة حاكماً فرنسياً ، وجعل اللغة الفرنسية لغة التعليم بدلاً من اللغة العربية ، ولم يبق بين هذه الدولة ودمشق من صلة سوى مصلحة الجمارك ، بعد أن كانت جزءاً من بلاد الشام في العصور التاريخية جميعها .

وفي عام ١٣٤٥هـ أصدر المندوب السامي دستوراً أصبح بموجبه لبنان جمهورية ، وعين شارل دباس أول رئيس جمهورية في لبنان ، ثم علق المندوب السامي الدستور عام ١٣٥١هـ وأصدر للجمهورية نظاماً موقتاً وعين بموجبه حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية عام ١٣٥٣هـ لمدة عام وجدد له عاما آخر .

وفي عام ١٣٥٥هـ عقد مجلس النواب جلسة وانتخب فيها أميل آده رئيساً للجمهورية وبعد عام أصدر المندوب السامي قراراً جعل فيه مدة الرئاسة ست سنوات ولفترةٍ واحدةٍ . ويمكن إعادة انتخاب رئيس الجمهورية ثانية بعد مرور ست سنوات على تركه الرئاسة أول مرة .

وعقدت فرنسا معاهدة مع لبنان عام ١٣٥٥هـ على نمط المعاهدة الفرنسية السورية التي تم عقدها في ذلك العام ، وتضمنت السماح للقوات الفرنسية بالبقاء في لبنان دون تحديد زمنٍ لذلك البقاء .

قامت الحرب العالمية الثانية ، وهزمت فرنسا أمام ألمانيا ، وتشكلت حكومة فيشي الموالية للألمان ، وتبعتها أكثر المستعمرات ومناطق النفوذ ، ومنها سوريا ولبنان ، وأرسلت لها مندوباً سامياً هو الجنرال دانتز ، ثم لم تلبث أن دخلت بلاد الشام قوات

فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديغول مع القوات الانكليزية ، وأصبح الجنرال (كاترو) المندوب السامي الجديد ، وأراد التقرب من الشعب فأعلن أنه قادم لإنهاء الانتداب واستقلال البلاد ، وعندما أراد الإبطاء في وعده بدأت مطالبة الشعب فاضطر إلي إعلان الاستقلال عام ١٣٦٠هـ بعد إعلانه استقلال سورياً بشهرين .

استقال رئيس الدولة أيوب ثابت ورئيس الحكومة سامي الصلح ، وتشكلت حكومة برئاسة الفرد ثابت ، أشرفت على انتخابات نيابية عام ١٣٦٢ ، وانتخبت بشارة الخوري رئيساً للجمهورية فكلف رياض الصلح بتشكيل الوزارة ، وعندما ألقى رئيس الوزارة بيانه الوزاري الذى عرف بوثيقة الاستقلال ، وأصبح العرف هو الذي يحكم به لبنان فيتألف المجلس النيابي من ٩٩ نائباً ينتخبون على أسس طائفية لمدة أربع سنوات ، فيمثل النصارى ٥٤ نائباً والمسلمون بالطوائف المتعددة التي تتدعي الانتساب إلى الاسلام بـ ٤٥ نائباً .

النصارى		المسلمون	
٣٠	موارنة	٢٠	من المسلمين « السنة »
١١	أرثوذكس يونان	١٩	من المسلمين «الشيعة »
٦	كاثوليك يونان	٦	الدروز .
		٤٥	
٤	أرثوذكس أرمن .	١	للطوائف الأخرى
١	كاثوليك أرمن		
١	بروتستانت		
٤٣			

وبمقتضى هذا العرف يكون رئيس الجمهورية من النصارى الموارنة ، وهو رئيس السلطة التنفيذية ، والوزير الأول الذي يطلق عليه رئيس الوزراء من المسلمين السنة ، ورئيس المجلس النيابي من المسلمين الشيعة ، كما يكون قائد الجيش من النصارى أيضاً . ويكون نائب رئيس المجلس النيابي من النصارى الأرثوذكس . ومع أن هذا التقسيم لايعتمد على إحصاءات دقيقة إذ أن نسبة المسلمين في لبنان تزيد على ٥٧٪ إلا أن هذا العرف بقي هو المعمول به ، ويصّر عليه النصارى .

إلا أن المندوب الفرنسي الجديد « هيلو » قام يوم ١٣ ذي القعدة باعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ، وبعض أعضاء الحكومة ، ونائب طرابلس عبد الحميد كرامي ، وزجهم في قلعة راشيا سجناء ، وأصدر مرسوماً بحل المجلس النيابي ، وإلغاء الدستور ، وتعيين أميل آده رئيساً للجمهورية ، فحدثت الاضطرابات وعمت الفوضى ، وجاء الجنرال كاترو إلى بيروت ، واضطرت الحكومة الفرنسية بعد أحد عشر يوماً إلى إعادة الحكومة الشرعية ، ورئيس الجمهورية .

أجليت الجيوش الفرنسية عن لبنان في ٥ ذي القعدة عام ١٣٦٥هـ أي بعد جلائها عن سوريا بخمسة أشهر ونصف .

ومنذ عام ١٣٧٢هـ بدأ نفوذ الولايات المتحدة يزداد في لبنان ، وعندما أراد كميل شمعون تجديد انتخابه لرئاسة الجمهورية للمرة الثانية حدثت اضطرابات ، وبدأت بوادر الحرب الأهلية ، وتقدّم الأسطول الأمريكى نحو سواحل لبنان ، فتنازل شمعون كرهاً عن رأيه ، وانتخب فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية في غرة عام ١٣٧٨هـ ، وغادرت القوات الأمريكية لبنان بعد شهرين .

ثم انتخب شارل الحلو لرئاسة الجمهورية ، وحدثت عام ١٣٨٩هـ مصادمات بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين ، وفي عام ١٣٩٠هـ انتخب سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية وفي عهده حدثت الحرب الأهلية ١٣٩٥ - ١٣٩٧هـ ، وتلاه إلياس سركيس ، ودخلت قوات الردع لبنان ، وحدثت فوضى شديدة ، وحاول الموارنة الاستقلال في جزء من البلاد حتى قسمت العاصمة بيروت إلى قسمين : شرقية بيد الكتائب أكبر أحزاب الموارنة ، وغربية بيد المسلمين .

ولم ينته الأمر حتى حدثت انتخابات رئاسة الجمهورية ، لكن اليهود احتلوا لبنان وحاصروا بيروت الغربية ، ولم يتمكنوا من دخولها حتى خرجت منها المقاومة الفلسطينية برأيها حرصاً على المدينة .

وارتكب اليهود جرائم نكراء بحق الفلسطينيين بعد خروج المقاومة إذ ذبحوا ستة آلاف نفس بين طفل ، وامرأة ، وشيخ ، وأعزل في مخيمي صابرا ، وشاتيلا .

وكان قد انتخب رئيس ميليشيات الكتائب بشير الجميل رئيساً للجمهورية ، ولكنه قتل بحادث ، إذ نسف البناء الذي يلقي فيه خطاباً ، ويبدو أن لليهود يداً في الأمر لإثارة الفتنة بين المسلمين والنصارى ، وبالفعل فقد أعقب ذلك جريمة صبرا وشاتيلا .

واختير أمين الجميل خلفاً لأخيه المقتول ، ولم يخرج اليهود بعد من لبنان ، ووقعت حوادث بين النصارى والدروز بتحريض من اليهود الذين يدعمون تارة الدروز وأخرى النصارى .

ولبنان له وضعه الخاص إذ يتركز المسلمون في طرابلس وعكار ، والساحل ، ويزداد الشيعة في الجنوب ، وبعلبك ، ويكثر الدروز في الشوف والمتن ، ويتركز النصارى في بقية الجبل شمال طريق دمشق – بيروت .

(ج) فلسطين

قضية فلسطين اليوم هي قضية كل مسلم ، والخطر الصهيوني فيها هو الخطر الاستعماري الداهم الذي لايهدد فقط أرض فلسطين وشعبها ، بل ويهددأراضي واسعة من بلاد المسلمين حولها بالغزو والاحتلال ويهدد ثرواتهم بالنهب ، وجهودهم للتنمية بالاستنزاف كما يهدد وجودهم ومستقبل أجيالهم ، وكذلك يؤثر على عقيدتهم باحتلال مقدساتهم وتوجيه أبنائهم توجيهاً ضالا وفاسداً ، ولكن هذه المشكلة أصبحت مشكلة دولية بعد أن تدخلت فيها الدول الكبرى التي تلعب بالقضية وتتدخل بشؤون المسلمين بصور شتى ، ولابد في فهمها من الرجوع إلى الجذور التاريخية الأولى للقضية الفلسطينية .

تقوم أطماع الصهيونية في فلسطين على إدعاء مزيف باطل مؤداه أن هذه البلاد بلادهم منذ أقدم العصور ، وأنهم أخرجوا منها كرها ، فهم يعودون إلى بلادهم لينشئوا لهم فيها دولة هي دولة إسرائيل .

فاليهود دين وليسوا من جنس واحدٍ كما يدعون ، ثم خضعوا للإبادة والترحيل على يد بختنصر والرومان ، ولم يبق في فلسطين منهم إلا أعداد قليلة حماهم المسلمون ، وقد عاشوا في ذمة المسلمين عيشةٍ هنيئة ، ومع ذلك فقد قاموا ــ كعادتهم – بأعمال غير طيبة مما جعل المسلمين لايقبلون منهم أن يتجمعوا في القدس وماحولها . وانتشرت اليهودية بين القبائل الخزرية ، وتنتسب جماعات من اليهود حالياً إلى تلك القبائل .

ولم يكن عدد اليهود عند صدور وعد بلفور يزيد على أحد عشر بالمائة (٨٣ ألف نسمة فقط) على حين كان عدد السكان المسلمين ٦٩٧،٠٠٠ ، علي حين أن عدد النصارى يساوى ٦٠ألفاً وتعادل نسبتهم ٨٪ .

أما في أواخر العهد العثماني فكانت النسب على الشكل التالي :

المسلمون	٩٠٪	من السكان .
النصارى	٨ ٪	من السكان .
اليهود	٢ ٪	من السكان .

الصهيونية والاستعمار :

الحركة الصهيونية حركة عنصرية دينية سياسية استعمارية ، ترمي إلى « جمع شتات اليهود وإعادتهم إلى فلسطين لتأسيس دولة لهم تحمي مشردى اليهود الذين تشردهم مختلف أمم الأرض وشعوبها لأعمالهم الإجرامية وغير الأخلاقية . وقد اشتق أقطاب اليهودية العالمية اسم هذه الحركة من جيل « صهيون » أحد جبال القدس والذى تردد ذكره في التوراة والانجيل ، وكان غرضهم من اختيار ذلك الاسم هو إثارة الشعور الديني فى بلاد العالم واكتساب تأييد العناصر النصرانية الغربية وعطفها ، ولا يخفى أن هذه الحركة الصهيونية توسعية عدوانية ، ليس فقط بالنسبة لفلسطين ، بل وبالنسبة للبلدان العربية المجاورة لفلسطين وينهض دليلا على ذلك « الوطن الصهيونى » في نظر غلاة الصهيونيين هو تلك المنطقة من الشرق العربي التي تمتد من وادى النيل إلى الفرات . كوحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة الأرض ، ووحدة الحياة الاقتصادية المشتركة ووحدة التكوين النفسي المشترك ، فاليهود في القرن الثالث عشر كانوا موزعين في أقطار مختلفة من العالم ولايجمع بينهم سوى أمل القدوم إلى فلسطين التي فيها بعض الأماكن المقدسة بالنسبة لهم ، واليهود جميعاً يؤيدون ذلك باطناً ، وإن أخفى بعضهم ظاهراً ، ذلك لأسباب سياسية يستفيد من ورائها اليهود ، واتخذها بعض المصلحين أو الساسة خطة سياسية أو قالوا بها جهلاً بواقع ملموس .

ولقد نشأت الحركة الصهيونية في أواخر القرن الثالث عشر في أعقاب الاضطهادات التي نزلت باليهود في أجزاء متفرقة من العالم ولاسيما في روسيا ، وبولونيا ، ورومانيا ووقعت الاضطهادات ضد اليهود بسبب عدم ولائهم للبلاد التي يعيشون فيها كمواطنين

وبسبب سيطرتهم على الرأسمالية الكبيرة وتفوقهم في مجالات المال والاقتصادوالأعمال اللاأخلاقية التي يلجأون إليها لتحقيق أغراضهم والجرائم التي يرتكبها بعض عناصرهم لأخذ الدماء غير اليهودية لعمل فطير صهيون أيام أعيادهم ، لذا فقد نظرت الشعوب الأوروبية إلى اليهود نظرة ضيق وتبرم ، كما أشارت اليهم أصابع الاتهام ، كلما أصيبت الدولة بهزيمةٍ عسكريةٍ أو نكسةٍ ماليةٍ ، وأدت تلك الاضطهادات إلى أن يقوم اليهود بتكوين منظمة « محبي صهيون » في روسيا وتأسيس أول مستعمرات صهيونية في فلسطين عام ١٣٠٠هـ ، كما حفزت هذه الاضطهادات أحد الزعماء الصهيونيين (ليون بنسكر) إلى تأليف كتاب أسماه التحرير الذاتي قال فيه : إن العلاج الناجع لحل المشكلة اليهودية هو انتقالهم إلى بقعة واحدةٍ من الأرض يكون لهم فيها وطن ودولة ، فكان المكان الأول الذى اختاره أعضاء منظمة « محبي صهيون » هو فلسطين لما تأصل في اعتقادهم الديني من فكرة العودة إلى أرض الميعاد بزعامة زعمائهم .

ولقد كانت العزلة العنصرية التى فرضها اليهود على أنفسهم طوال عصور التاريخ وبتأثير بعض ماتضمنته تعاليم التوراة والتلمود من تكريس للعنصرية ، ومن تمجيد لليهود على أنهم شعب الله المختار السبب الرئيسي في محاولة السيطرة عن طريق المال ، لأن هذه الطريق هي الوسيلة الوحيدة التي تلجأ إليها الأقليات التي تريد لنفسها هذا الوضع الاجتماعى في محاولة إثبات وجودها ، والدفاع عن مصالحها ، وتحاول عن طريق السيطرة الاقتصادية التعويض عن أوضاعها كأقليات منعزلة في سائر المجتمعات العالمية للوصول إلى السيطرة السياسية الخفية على مقدرات الأمور في البلاد التي تحقق سلطانها الاقتصادي ، ولعل الوسيلة غير الأخلاقية كانت تلعب دوراً كبيراً لدى اليهود للتمكن من الحصول على المال والسيطرة الاقتصادية ، هذا بالإضافة إلى الأعمال الربوية والاستغلال .

وعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٣١٥هـ بدعوة من تيودور هرتزل زعيم الصهيونية الأول وقد حضر المؤتمر ٢٠٤ من مفكري اليهود من مختلف أنحاء العالم .

وكان هرتزل قد كتب كتاب « الدولة اليهودية » حاول فيه أن يقيم الدليل على أن اليهود يمثلون أمةً متميزة ، وفى السنة نفسها أسس هرتزل مجلة أسبوعية أسماها « العالم » التى أصبحت ناطقة بلسان الحركة الصهيونية ، واتخذ هذا المؤتمر قراره المشهور بإنشاء الوطن القومى اليهودي في فلسطين ، كمرحلة لبناء دولة إسرائيل الكبرى ، التى تمتد من

الفرات إلى النيل ، مع تأكيد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف كإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية التى تتولى تمويل الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ولقد انتخبت المنظمة الصهيونية هرتزل كرئيس لها ، ومنذ ذلك الوقت أخذت المنظمة الصهيونية العالمية تسعى للحصول على ترخيص من الدولة العثمانية بتأسيس شركة تكون مهمتها تهجير اليهود إلى فلسطين ، وقد عرضت أوغندة لتكون مكان اليهود ، كما اقترحت ليبيا لكنهم رفضوا ذلك .

وأدى نشوب الحرب العالمية الأولى إلى تحول مركز ثقل الحركة الصهيونية من أوروبا إلى بريطانيا حيث كان يقيم الدكتور حاييم وايزمان الذى أصبح من زعماء المنظمة الصهيونية البارزين ، وكان يعمل أستاذاً للكيمياء في جامعة مانشستر ، وقد أتاحت فرصة اشتغال وايزمان بالتدريس في جامعة مانشستر مجالاً طيبا له للقيام بنشاط سياسي كبير هناك ، وللتعرف على عدد من رجالات الانكليز السياسيين ، وكان من بينهم آرثر جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا آنذاك . وقد بذل وايزمان جهودا كبيرة لدى المسؤولين فى انكلترا لحملهم على إصدار تصريح بإنشاء وطن قومى لليهود في فلسطين ، وكلف رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج سير مارك سايكس بالدخول في مفاوضات مع الصهيونية ، وفي شوال ١٣٣٥هـ قدم الدكتور حاييم وايزمان إلى سير مارك سايكس مذكرة بعنوان « خلاصة برنامج لإعادة الاستعمار اليهودى لفلسطين يتفق وأمانى الحركة الصهيونية » .

وقد تناولت المادة الأولى من هذا البرنامج الصهيونى أهمية الاعتراف بالكيان اليهودى في فلسطين نظريا ، واستهدفت المادة الثانية الحصول على اعتراف بالكيان اليهودى في فلسطين من الناحية العملية ، وتناولت المادة الثالثة والوسائل التي يمكن بها إقامة الدولة اليهودية في فلسطين ، في حين تناولت المادتان الرابعة والخامسة البحث في تطور الحكم الذاتي في فلسطين وفي تقدم المؤسسات التى أوجدها اليهود في فلسطين .

وعقد أول مؤتمر بين الجانبين البريطاني والصهيوني في لندن فى ذي القعدة ١٣٣٥هـ وقدم الصهيونيون لسايكس تأكيدا رسمياً بأنهم يعترضون بشدة على إقامة إدارة دولية في البلاد المقدسة ، مهما كان نوعها حتى ولو كانت إدارة مشتركة بين بريطانيا وفرنسا وحدهما ، وأنهم سيعملون من الآن فصاعدا على وضع فلسطين تحت الحماية البريطانية إذا أيدتهم بريطانيا في تحقيق أمانيهم القومية ، وهذا هو أساس الصفقة التي أدت إلى

إصدار وعد بلفور بعد تسعة شهور حين ذاع بين الناس أن لويد جورج وزملاءه قدموا للعالم دليلاً جديداً على المثل العليا الإنسانية التي يعتنقوها بتبنيهم قضية اليهود المضطهدين بجرأة .

والواقع أنه بحلول عام ١٣٣٧هـ عندما كان جيش اللنبي يقف أمام مدينة القدس كانت الوزارة البريطانية مستعدة للوصول إلى قرار بشأن أحلام الصهيونية ومطامعها في فلسطين العربية ، فبدلاً من جعل فلسطين « دولة يهودية » كانت الفكرة تتخذ شكل وطن قومي يهودى فى فلسطين » ويقول هربرت صمويل : إن مشروع نص الوعد البريطاني وضع بخط يد لورد ملنر Milner وأرسل إلى عدد من كبار زعماء الصهيونية فأدخلت عدة تعديلات على المشروع . ومما يجدر ذكره أن بعض الصهيونيين كانوا يطالبون بريطانيا « بالاعتراف بفلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي » ولكن حكومة لندن لم تشأ أن تلزم نفسها بتعهد متطرف إلى هذا الحد ، ورفضت أن تعد بشيء أكثر من النظر بعين الارتياح « إلى إنشاء وطن قومي في فلسطين » ووطن قومي غير محدود ، والفارق بين الفكرتين هو الفارق بين وطن قومي يهودي محدود في فلسطين ووطن قومي غير محدود وأخيراً قبل الصهيونيون الأمر الواقع ووافقوا على صيغة التصريح النهائية ، وكانت قد عرضت على الرئيس الأمريكي ويلسون ، وحظيت بموافقته .

تلك كانت الظروف التي صدر فيها وعد أو تصريح بلفور في ١٥ محرم ١٣٣٦هـ .

تصريح بلفور (١٥ محرم ١٣٣٦هـ) :

وكان تصريح بلفور عبارة عن خطاب موجه من وزير خارجية بريطانيا لورد آرثر جيمس بلفور إلى اللورد روتشيلد (أحد أركان الصهيونية في بريطانيا) ونصه : « إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا بالحقوق أو الوضع السياسي الذى يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » .

والذى يجدر ذكره أن هذا التصريح يطابق تماما نص المذكرة التي قدمتها المنظمة الصهيونية العالمية إلى الحكومة البريطانية ، والتي سبق الإشارة إليها بتاريخ ٢٨ رمضان ١٣٣٥هـ كذلك مما يجدر ذكره أنه قد ثبت أن تصريح بلفور هذا كان قد عرض قبل إعلانه على الرئيس الأمريكي ويلسون ، وحظى بموافقته في آخر يوم من أيام عام

١٣٣٥هـ ، كما أيدته الحكومة الفرنسية في ربيع الثاني ١٣٣٦هـ تأييداً علنياً ثم تلتها الحكومه الإيطالية فأيدته ولكن ما هي العوامل التي دفعت بريطانيا إلى إصدار هذا الوعد ؟

لقد ذكر المعاصرون والمؤرخون أسباباً متعددةً لصدور وعد بلفور ، فعزاه بعضهم إلى رغبة الحلفاء في كسب الحركة الصهيونية إلى جانبهم حتى تقوم بدور المخرب في ألمانيا والدول المتحالفة معها . وعزاه بعضهم الآخر إلى رغبه انكلترا في دفع الولايات المتحدة الأمريكية الى الدخول فى الحرب إلى جانبها سيما وأن اليهود يسيطرون على الرأى العام الأمريكي ، وقيل أيضاً إن الحكومة البريطانية أعطت وعد بلفور رغبة منها في مكافأة وايزمان على استنباطه مادة الأستون التي تدخل في صناعة الذخائر والمتفجرات الأمر الذى ساعد بريطانيا على كسب الحرب العالمية الأولى .

وواقع الأمر أن العوامل التي دفعت بريطانيا إلى احتضان الحركة الصهيونية وإصدار وعد بلفور يمكن ردها إلى ثلاثة أصول :

أولا : – محاولة إبقاء روسيا في الحرب بعد قيام الثورة الشيوعية فيها وسقوط القيصر ، لأن اليهود كانوا يسيطرون على الصناعة في روسيا ولاسيما الصناعات الحربية ، ولهم دور قيادي واضح في الثورة الشيوعية .

ثانيا : – الرغبة في سيطرة بريطانيا على فلسطين لحماية مركز بريطانيا في مصر ولتأمين طرق مواصلاتها البرية في الشرق ، سيما وأن فلسطين غدت ذات قيمة استراتيجية لبريطانيا خلال الحرب .

ثالثا : – إفادة بريطانيا من وجود اليهود في فلسطين حيث يقول ونستون تشرشل في مذكراته « وإذا أتيح لنا في حياتنا وهو ما سيقع حتماً أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها بل على ضفتي الأردن معا تقوم تحت حماية التاج البريطاني ، وتضم نحواً من ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للامبراطورية البريطانية » .

ولقد تأكد هذا المعنى الذى صدر عن تشرشل في حديث لوايزمان مع لورد بلفور وقال فيه وايزمان : « وقد بينت للورد أن إقامة مجتمع يضم أربعة أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين سيكون قاعدة اقتصادية كافية يستطيع اليهود منها أن ينتقلوا بطريق الإشعاع إلى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى .... لكن هذا العمل يتطلب تنمية الوطن

القومي اليهودي في فلسطين تنميةً حرة وغير مقيدة بحيث نتمكن من إسكان أربعة ملايين أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد ، ويجعل من فلسطين بلاداً يهودية في ظل التاج البريطاني ، وقد اقنعت اللورد بأن ما يسمى بالاستعمار ليس إلا الصهيونية بعينها ، وقال أحد الصهاينة أيضا : لقد أيدنا الثورة التركية على ١٣٢٦ بالمال والتنظيم ، ولكننا من الآن فصاعداً قد نفضنا أيدينا من الأتراك فلم يضمن لنا الجو الذى نستطيع فيه أن نجلب رؤوس أموال أمريكية ويهودية إلى فلسطين إلا حكومة أوربية ، ويبدو واضحا أن مثلهم الأعلى هو فلسطين انكليزية أو فلسطين أمريكية ، وهم يفضلون فلسطين انكليزية نظرا لعلاقات بريطانيا التجارية مع مصر ومركز بريطانيا لدى العرب .

٤ – الحقد الصليبى على المسلمين والذى أثار الأوربيين قروناً طويلة لسيطرة النصارى على القدس .

ويتضح إذن أن الصهيونية كانت تعد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بأن تحول فلسطين من أرض مسلمة إلى قطعة من الغرب بما يضمن للدول الاستعمارية بوجه عام وبريطانيا بوجه خاص وجوداً مستديماً في العالم الإسلامي ومما يؤكد هذه الحقيقة أن الحركة الصهيونية قد تحالفت بادىء ذى بدء مع الاستعمار البريطاني ، وعن طريق هذا التحالف كانت بريطانيا تتطلع للوصول إلى فلسطين ، وقد قال أحد الانكليز « إن الصهيونية كانت منذ البداية حركة انكليزية وليست حركة يهودية فحسب » .

وهنا ملاحظات عامة حول وعد بلفور :ـــ

أولا :ـــ ليس من حق بريطانيا أن تصدر وعداً تمنح بموجبه بلاداً لاتملكها ولاتسيطر عليها ولم يكن لها سلطان للتصرف في أراضيها .

ثانيا :ـــ جاء في تصريح بلفور « ينشأ في فلسطين » أي أن انكلترا لم تتعهد بأن تكون فلسطين كاملة وطناً قومياً لليهود ، فإن عبارة وطن قومي تعنى الملجأ أو المأوى الذى يستطيع اليهود أن يفروا إليه من الاضطهادات التي تعرضوا اليها فى أوربا .

ثالثا :ـــ وجاء في تصريح بلفور عبارة أن « لايسمح بإجراء شيء » يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين الآن « وهذه العبارة مضللة وغريبة فقد عدت بريطانيا مسلمي فلسطين – ويمثلون ٩٠٪ من السكان بينما لايمثل اليهود سوى ٢٪ وحتى لو كانوا ٧٪ بعد مجيء دفعات من اليهود –

طوائف غير يهودية ، وبذلك جعلت فلسطين كأنها بلاد يهودية وسائر السكان من غير اليهود دخلاء أو أقليات ضئيلة ، والحقيقة أن المسلمين في فلسطين هم الذين يشكلون غالبية السكان ٩٠٪ ويملكون ٩٥٪ من الأراضي ، ويعيشون فى فلسطين بلا انقطاع منذ أكثر من ١٣٩٠ سنة .

رابعاً :ــ ونص التصريح على المحافظة على الحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها ، ويلاحظ أن اليهود أنفسهم هم الذين طلبوا ذلك لأن عدداً كبيراً في أمريكا وفي غيرها من دول أوروبا ، ممن تجنسوا بجنسية البلاد التي يقيمون بها يخشون من أن إنشاء الدولة اليهودية قد يحرمهم من جنسيتهم التي يحملونها ونشاطهم الاقتصادى الذي يزاولونه .

أما موقف المسلمين من تصريح بلفور فقد أثار هذا التصريح حيرةً وفزعاً في العالم الإسلامي ، إذ رأى فيه المسلمون اعتداء على جزء من أراضيهم هو فلسطين ، وسلب حقوق أهله وتسليمه لليهود ، وبذلت بريطانيا جهودا طائلةً لتبديد مخاوف المسلمين حتى لاتتوقف مساعدتهم للحلفاء والحرب لاتزال دائرة ، فأرسلت بريطانيا مبعوثاً خاصا هو « غارث » لمقابلة الشريف حسين بن علي وطمأنته على حسن نوايا الحكومة البريطانية وأقنعته بأن التعاون بين المسلمين واليهود يحقق الخير لهم جميعا .

وكان تصريح بلفور هو بداية مشكلة فلسطين ، إذ سعى اليهود في مؤتمر الصلح وفى مؤتمر سان ريمو ١٣٣٨هـ لوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وتضمين صك الانتداب بنودا تهدف إلى تحقيق وعد بلفور .

الانتداب البريطاني في فلسطين :

حتى عام ١٣٣٦هـ كانت فلسطين جزءا من الدولة العثمانية ، وتتألف من ثلاث متصرفيات منها : متصرفيتا عكا ونابلس وهما تابعتان لولاية بيروت ، ثم متصرفية القدس الشريف وهي متصرفية مستقلة تتبع مباشرة استانبول ، وتضم أربعة أقضية هي يافا ، وغزة ، وبئر السبع ، والخليل .

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استولت الحملة البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي على فلسطين في ١٣٣٦هـ وخضعت فلسطين للإدارة العسكرية البريطانية ١٣٣٦ ــ ١٣٣٩هـ على اعتبار أنها جزء من أراضي العدو المحتلة ، وتقرر انتداب

بريطانيا عليها في مؤتمر سان ريمو ، وتضمنت بنود صك الانتداب شروط إنشاء وطن قومي لليهود ، وإقامة وكالةٍ يهودية مهمتها تقديم النصح والمعونة للإدارة الفلسطينية في النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تتصل باقامة الوطن القومي لليهود ، « كما نص صك الانتداب على تسهيل هجرة اليهود وإقامتهم ، دون إضرار بحقوق ووضع العناصر الأخرى من السكان » .

وهكذا جاء صك الانتداب من الأصل منافياً للهدف الذى توخته العصبة من وراء نظام الانتداب ، وهو مساعدة الشعوب غير المتطورة على الحكم الذاتي بواسطة دولةٍ كبيرةٍ متقدمةٍ ، بل إن صك الانتداب على هذا النحو قد وضع أساس إبادة سكان فلسطين الذين لم يشر إليهم في صك الانتداب بكلمةٍ واحدة مع أنهم الأغلبية الساحقة هناك حينذاك .

شرعت بريطانيا في تهويد فلسطين فعينت السير هربرت صموئيل مندوباً سامياً لفلسطين ، وهو يهودي متحمس للصهيونية ، وقد رشحته الحركة الصهيونية وأقام صموئيل إدارة استعمارية صهيونية كاملة فاختار (بنتويس) نائباً له ، وهو صهيوني ، ورفع عدد الموظفين اليهود في إدارته إلى أربعة أضعاف عدد الموظفين المسلمين ، وعين مديرى الهجرة والجنسية والتجارية من الصهيونيين ، وأخذت تلك الإدارة تصدر القرارات والقوانين التي تهدف إلى صبغ فلسطين بالصبغة اليهودية الصهيونية ، فعدت اللغة العبرية لغة رسميةً إلى جانب اللغة العربية وظهرت طوابع البريد ، وقطع النقود تحمل كلمة « أرض اسرائيل بالعبرية » ترجمة لكلمة فلسطين بالعربية ، وعملت الإدارة البريطانية على السماح لأكبر عدد من اليهود بالهجرة إلى فلسطين وتمليكهم أكبر مساحةٍ من الأرض ، كما سمحت للوكالة اليهودية بتمثيل اليهود في فلسطين وجعلتها دولةً في داخل دولة ، ولاتقرّ بريطانيا أمراً في فلسطين إلا بالاتفاق معها ، وتركت لها حرية إقامة المدارس ، والمستعمرات ، والتشكيلات العسكرية ، وتحديد أعداد المهاجرين ومنح الجنسية ، والتصرف الاقتصادي ، وبينما كانت عملية تهريب السلاح مقبولة لليهود كان المسلم الذى يضبط معه مسدس يحكم عليه بالسجن مدة خمس عشرة سنة وأحيانا بالإعدام .

وهكذا تكون بريطانيا قد أوفت بالتزامها وتعهدها نحو اليهود بوضع وعد بلفور موضعاً عملياً وتطبيقه فعلا ، ونجحت السياسة الانكليزية خلال الانتداب في زيادة عدد اليهود في فلسطين ، وزيادة تملكهم الأراضى في فلسطين ، وإقامة قوتهم العسكرية .

أدرك سكان فلسطين مايدبر لهم ، وانفجر الشعور الوطني منذ الانتداب وحتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٣٣٩ ــ ١٣٥٧ في مظاهرات ، واضطرابات ، وثورات دامية عبروا فيها عن سخطهم على السياسة البريطانية وحليفتها الصهيونية ، وتحملوا عبء الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار ، فقاموا بتوحيد القوى الوطنية في فلسطين إثر إعلان وعد بلفور في ١٥ محرم ١٣٣٦ ، فقد عقدوا مؤتمراً في القدس سنة ١٣٣٨هـ أعلن فيه المؤتمرون عن رغبتهم في الاستقلال الكامل ، والوحدة مع سوريا ، ورفض وعد بلفور ، وأجمعوا على قراراتهم هذه أمام لجنة (كنغ ــ كرين) التي جاءت للتحقيق في السنة نفسها كما اشتركوا مع المؤتمر السورى بدمشق سنة ١٣٣٩هـ ، وأجمعوا قراراتهم مع قراراته ، وأعلنوا استقلال سوريا بما فيها فلسطين ، وتتويج فيصل ملكاً عليها .

وتبلور البرنامج الفلسطيني في الأهداف الرئيسية التالية وهي :- إلغاء وعد بلفور - رفض الانتداب البريطاني ، استقلال فلسطين - تشكيل حكومة فلسطينية نيابية - حق سوريا ولبنان وفلسطين في قيام وحدة بينهم والاستقلال .

وفي عام ١٣٣٩ نشبت الاضطرابات في فلسطين ، وهاجم السكان اليهود ، فقد رفض الزعماء في فلسطين أن يعترفوا بشرعية الانتداب ، أو بحق البريطانيين في تنفيذ وعد بلفور ، وطالبوا بالاستقلال ، وكانوا في البداية يوجهون عداءهم نحو اليهود وحدهم ، ولكن مع مرور الزمن تغير هذا الاتجاه ، وتبلور استياء السكان من الإدارة البريطانية في فلسطين ، واتخذ شكل العمل ضد الحكومة وحاولت الحكومة البريطانية تهدئة العرب ، وتحويل الحركة الوطنية عن غاياتها الرئيسية ، فكانت تشكل لجاناً للتحقيق تارة ، وتدعو زعماء العرب الى المؤتمر تارةً أخرى ، ثم تصدر كتباً بيضاء تبين فيها سياستها ، ولكن دون جدوى ، بل بالعكس فقد زاد سخط السكان على السياسة البريطانية المتحالفة مع الصهيونية طالما بقي وعد بلفور قائماً تحميه الحراب البريطانية ، وقد انفجرت تلك الاضطرابات نتيجة لخيبة الأمل في عدم تحقيق وعود الاستقلال التي بذلت لهم في أثناء الحرب ، والاعتقاد بأن تصريح بلفور قد انطوى على إنكار لحق تقرير المصير ، ولخوفهم من أن تفضي الهجرة اليهودية إلى إخضاع المسلمين اقتصاديا وسياسيا لليهود .

وعلى العموم فقد كان التعارض بين أغراض الانتداب وبين مطالب العرب المشروعة منشأ كل الاضطرابات التي وصمت عهد الانتداب البريطاني في البلاد ، وباءت المحاولات البريطانية جميعها لتسوية المشكلة بالفشل .

ففي عام ١٣٤٠هـ قامت اضطرابات خطيرة في فلسطين ، وشكلت لجنة للتحقيق ، ثم دعي زعماء العرب الفلسطينيين إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في موضوع تأسيس حكومة فلسطينية ، وأصر العرب على ضرورة البدء بالغاء تصريح بلفور ووقف الهجرة اليهودية ، ولكن الحكومة البريطانية أصدرت الكتاب الأبيض الأول ١٣٤١هـ والذى ينص على استمرار الهجرة اليهودية في حدود الطاقة الاستيعابية ، كما وعد بانشاء مجلس تشريعي ينتخب أكثر أعضائه ، وقد رفضه السكان وقبله اليهود .

وتدفق المهاجرون اليهود على فلسطين حتى دخلها في السنوات العشر (١٣٣٩ - ١٣٤٩هـ) ٧٦٫٦٠٠ مهاجر ، كما زادت مساحة الأراضي التي كانوا يمتلكونها بتشجيع من السلطات البريطانية ، وسبّب ذلك أزمةً ، وضاقت سبل المعيشة أمام السكان بينما كان اليهود يتلقون المساعدات المالية من الهيئات الصهيونية بالخارج ، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وبحدوث الاضطرابات في فلسطين في عام ١٣٤٨هـ بسبب حادث البراق وحائط المبكى ، وذلك لأن اليهود أقاموا ستارا على الحائط ورفضوا إزالته فثارت ثائرة المسلمين ، وقام اليهود بمظاهرات صاخبة واصطدموا بالمسلمين ، وسقط مئات من القتلى والجرحى ، فشكلت بريطانيا لجنة للتحقيق (لجنة شو) فأوصت بتحديد الهجرة اليهودية ، وفرض قيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود ، كما أوصت باستئناف المباحثات لوضع دستور للحكم الذاتي ، وعلى الرغم من ذلك فقد أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض الثاني في عام ١٣٤٩هـ تمسكت فيه بتصريح بلفور ، والانتداب ، وأعلنت عن تشكيل مجلس تشريعي ، وتحديد الهجرة اليهودية ، ووقف انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود ، وعلى الرغم من أن تلك القرارات لاتحقق الأهداف الرئيسية للسكان إلا أن اليهود شنّوا عليها حملةً شعواء حتى اضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع فأصدرت كتابا آخر (١٣٥٠هـ) — دعاه العرب بالكتاب الأسود — تعهدت فيه الحكومة البريطانية بتسهيل الهجرة اليهودية ، وشرائهم أراضي العرب ، وعلى إثر ذلك عمت فلسطين المظاهرات للاحتجاج ضد الحكومة ، وعقد مؤتمر شعبي في نابلس دعا إلى عدم التفاهم مع الانكليز إلا على أساس المطالبة بالاستقلال ضمن وحدة بلاد الشام .

وكان السبب الرئيسي في ازدياد هجرة اليهود في الفترة مابين ١٣٥٢ - ١٣٦٥هـ هو اضطهاد النازية الألمانية لليهود بعد أن تولى هتلر الحكم فأخذ اليهود يهاجرون من

ألمانيا فراراً من الاضطهاد النازي ، وشهدت فلسطين – ابتداءً من عام ١٣٥٢هـ سيلا من المهاجرين اليهود فوق ماتحتمله طاقة البلاد على نحو مايوضحه الإحصاء الآتي الذي يبين تعداد اليهود في فلسطين في سنوات مختلفة :ـــ

سنة ١٣٤١	٨٣,٧٠٠	من مجموع سكان فلسطين	٦٤٩,٠٤٨
سنة ١٣٥٠	١٧٤,٦٠٦	من مجموع سكان فلسطين	٩٦٦,٧٦١
سنة ١٣٥٤	٣٥٥,١٥٧	من مجموع سكان فلسطين	١,٢٤١,٥٥٩
سنة ١٣٥٩	٤٦٣,٥٣٥	من مجموع سكان فلسطين	١,٤٧٧,٩٧٧
سنة ١٣٦٥	٦٠٨,٢٣٠	من مجموع سكان فلسطين	١,٨٤٥,٥٦٠

وباطراد هجرة اليهود ازدادت المقاومة وفي رجب ١٣٥٢هـ قام العرب بإضراب عام بعد أن عقدوا مؤتمراً في القدس في ذي القعدة ١٣٥١هـ وقرروا فيه منع الهجرة ، ومنع بيع الأراضي لليهود ، ورفض التعاون مع بريطانيا ، ونشبت الاضطرابات وعمت المظاهرات في أنحاء البلاد احتجاجا على السياسة الانكليزية ، وتلا ذلك ثورة الشيخ عز الدين القسام ١٣٥٤هـ كما قدمت الأحزاب الفلسطينية مذكرة إلى الحكومة البريطانية ضمنتها مطالب الحركة الوطنية الفلسطينية الخاصة بتشكيل حكومة نيابية ، ووقف الهجرة ، وعدم بيع الأراضي ، فأجابت انكلترا بتكوين مجلس تشريعي ، ورفضت موضوع وقف الهجرة ، ووقف بيع الأراضي ، ولم يجد المسلمون مناصاً من إعلان الثورة على بريطانيا .

وفي أواخر عام ١٣٥٤هـ قامت ثورة عنيفة لم تخمد حتى قامت الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨هـ وبدأت الثورة بإعلان الإضراب العام في البلاد الذي استمر ستة شهور حتى شلّت حياة البلاد الاقتصادية ، واتحدت الأحزاب العربية المختلفة في هيئة واحدة باسم « الهيئة العربية العليا » وقطعت خطوط المواصلات والبرق ، وهوجمت المعسكرات البريطانية ، واشتدت السلطات البريطانية في أعمالِ القمع من سفك الدماء ، وحرق القرى ، والسجن ، والنفي ، والتعذيب .

وكان للثورة الفلسطينية صداها القوي في سائر العالم الإسلامي رغم ضعف وسائل الإعلام يومذاك إذ اعتقد السكان جميعا أن قضية فلسطين لم تعد قضية أهلها وحدهم ، وإنما غدت قضية المسلمين جميعا فقامت في العواصم العربية مظاهرات الاحتجاج على السياسة البريطانية وتوافد المتطوعون من جهات متعددة لنصرة إخوانهم الفلسطينيين .

ولم يقف الإضراب ، وتهدأ الثورة إلا بعد أن تدخل رؤساء الدول العربية وتوسطوا بين حكومة بريطانيا والثوار الفلسطينيين فتوقف الإضراب في رجب ١٣٥٥هـ ، وأفقد ذلك التدخل الحركة العربية في فلسطين جانباً كبيراً من قوتها واندفاعها فجاء وقف الثورة في صالح الأطماع الاستعمارية .

وعادت بريطانيا إلى سياسة اللجان فشكلت لجنةً بيل لدراسة أسباب الاضطراب الأخير في فلسطين ، واقترحت اللجنة إنهاء الانتداب ، وتقسيم فلسطين إلى دولة عربية ، ودولة يهوديةٍ وبقاء الأماكن المقدسة تحت سيطرة الدولة المنتدبة ، ورفض كل من المسلمين واليهود تقرير (بيل) واستؤنفت الثورة في عام ١٣٥٦هـ واشتدت في عام ١٣٥٧هـ بل لم تنقطع الاضطرابات ، والثورة حتى قيام الحرب العالمية الثانية ١٣٥٨هـ أي أن الثورة الفلسطينية قد استمرت ثلاث سنوات وخمسة أشهر ، من ذي الحجة ١٣٥٤ إلى رجب ١٣٥٨هـ . وقد كتب المجاهدون الفلسطينيون خاصة والشعب الفلسطيني عامة في ثورتهم هذه أروع آيات البسالة والفداء .

لقد كان مسلمو فلسطين الذين لايتجاوز عددهم مليوناً ونصف مليون نسمة يقارعون في ثورتهم هذه الامبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية معا ، بكل ماتملك هاتان القوتان من جنود وحشود وأموال ووسائل عسكرية وسياسية واقتصادية وكانوا يقارعون تلك القوى العالمية وهم قلة لاتكاد تذكر في العدد والسلاح والمال ، وفي كل وسائل الحروب والقتال ، وكان إيمانهم ويقينهم هو الذي يدفعهم للاستماتة في سبيل غايتهم المثلى وهدفهم الأسمى .

وشهد العالم بأسره على بطولة الشعب الفلسطيني في تلك الثورة ، وأخذت صحف العالم وإذاعاته تردد صدى هذه الثورة الفريدة ووقائعها البارزة بما لم يسبق له مثيل من العناية والاهتمام ، كما اضطرت الصحف البريطانية نفسها للاعتراف ببطولة الثوار الفلسطينيين الذين قاموا بمقاومة تبهر العالم بما فيها من بأس واستماتة ، وتثير الحماسة بين المسلمين من سكان الأمصار العربية بحكم الجوار والقرب ، واعترف وزير المستعمرات البريطانية كذلك بخطورة الثورة وقوتها وشجاعة الثوار الذين تدفعهم عقيدتهم لركوب الأخطار ، وأشاد هتلر بالشعب الفلسطيني ، وببطولته الخارقة في تلك الثورة التي قارعت الاستعمار والصهيونية معا .

وأدركت بريطانيا استحالة تقسيم فلسطين وأن أضمن قاعدة للسلام والتقدم في

فلسطين هي التفاهم بين المسلمين واليهود ، ودعت إلى مؤتمر مائدة مستديرة في لندن في الوقت الذى كانت فيه الثورة الفلسطينية لاتزال محتدمة ، وقد وجهت الدعوات لحضور هذا المؤتمر في لندن إلى كل من مصر ، والعراق ، والسعودية ، واليمن ، وشرق الأردن ، بالإضافة إلى عرب فلسطين ، والوكالة اليهودية ، واجتمع المؤتمر في الأيام الأخيرة من عام ١٣٥٧هـ ولكن ماإن بدأت اجتماعاته حتى انقسم إلى قسمين ، لأن عرب فلسطين رفضوا أن يجلسوا على المائدة التي جلس عليها المندوبون اليهود ، وقد انفض المؤتمر في مطلع ١٣٥٨هـ دون أن يصل إلى أي اتفاق .

في ٢٧ صفر ١٣٥٨هـ أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثالث الذي يشتمل على المقترحات الجديدة ، التي تهدف إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة ، خلال عشر سنوات على أن تحدد علاقاتها مع بريطانيا بمعاهدة تكفل لكل من الدولتين احتياجاتها التجارية والاستراتيجية في المستقبل ، ولم توضح بالضبط صيغة الدستور الجديد ، ولكن ذكر بشكل مهم أن « إنشاء دولة مستقلة والتخلي تماما عن إشراف الانتداب على فلسطين يستلزمان قيام علاقات بين العرب[1] واليهود تجعل في حيز الإمكان قيام حكومة صالحة » وكان البريطانيون بعد مرور ثلاث سنوات على الثورة الفلسطينية الكبرى لايزالون يأملون في التوفيق بين الطرفين . أما فيما يتعلق بالهجرة فقد ذكر الكتاب الأبيض ضرورة تحديدها بإضافة ٧٥,٠٠٠ خلال السنوات الخمس التالية ، وقد قوبل الكتاب الأبيض بالرفض من قبل الجانبين العربي الفلسطيني واليهودي ، كما رفض توصيات الكتاب الأبيض الثالث مندوبو الدول العربية عدا مندوب حكومة شرق الأردن .

ووجدت الحكومة البريطانية نفسها في موقف صعب مليء بالتناقضات والأخطار حقيقة أن المصالح الامبراطورية قد أملت عليها ضرورة مواصلة إقامة علاقات حسنة مع العرب ، إلا أن ضغط الساسة العرب على بريطانيا لم يكن فعالا ، وكان من الطبيعي أن تكون الحكومة البريطانية أكثر عطفا على المطالب العربية ، وبخاصة مالم يهدد منها السيطرة البريطانية على فلسطين . ومما يجدر ذكره أن سيطرة بريطانيا على الأراضي

---

(١) كان المستعمرون يستعملون كلمة « عرب » بدلاً من « مسلمين » رغم أن كلمة « عرب» تدل على جنس ، وكلمة يهود تدل على دين ، وذلك خوفاً من إثارة الجانب الديني وإعلان الجهاد والحرب المقدسة هذا من جانب ، ومن جانب آخر حتى يدخلوا بين المسلمين بعض النصارى فكانوا عيوناً لهم على المسلمين ، ويرتكزون عليهم في مصالحهم .

المتاخمة لقناة السويس من جهة الشمال كانت تحتل مكاناً هاماً في خطتها الخاصة بوجود وطن قومي لليهود في فلسطين ، وبدا هذا واضحاً حين ازدادت الملاحة والمواصلات الجوية ، وفي الوقت نفسه ازداد النقد العلني في بريطانيا لمنح تنازلات على حساب اليهود في الوقت الذي نظم فيه اليهود الهجرة غير المشروعة على مدى أوسع من ذى قبل إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية .

وبنشوب الحرب العالمية الثانية دخلت قضية فلسطين في دور جديد وأجل الزعماء اليهود والعرب نزاعهم مع بريطانيا ، وظلت فلسطين هادئة نسبيا حتى عام ١٣٦١هـ وحين انحسرت الحرب عن البلدان العربية شددّ اليهود نضالهم ضد تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض ، وركّز الصهاينة الجانب الأكبر من دعايتهم في الولايات المتحدة مستغلين ما يتمتع به اليهود من نفوذ كبيرٍ في عالم المال والاقتصاد والصحافة والاعلام ، فعقدوا في (بلتيمور) في خلال عام ١٣٦١هـ مؤتمراً كبيراً للبحث في مستقبل الخطط الصهيونية وقرر المؤتمر فتح باب الهجرة غير المحدودة على أن تشرف عليها الوكالة اليهودية ، وأن ينشأ في فلسطين اتحاد يهودي ، وأن يشكل جيش يهودي ، ونظم اليهود في فلسطين حملة منظمة ضَد الحكومة البريطانية ، وكثرت حوادث الإرهاب ، ورغم أن الوكالة اليهودية قد وعدت بالتعاون ضد الإرهابيين إلا أنها لم تفعل شيئا يذكر .

حينئذ انتقل مركز ثقل الحركة الصهيونية من انكلترا إلى الولايات المتحدة ، وبدا أن الرأي العام الأمريكي يميل إلى العطف على الحركة الصهيونية بتأثير العدد الكبير من اليهود الذين يتمتعون بنفوذٍ كبير وبخاصة في نيويورك ، واتخذ الكونغرس الأمريكي قرارا يعضد إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، فأصدر في محرم ١٣٦٣هـ قراراً بتشجيع الهجرة اليهودية غير المحددة ، وتأسيس دولةٍ يهوديةٍ ، وكان هذا الاتجاه يجد تعضيداً من جانب المستر ترومان رئيس الولايات المتحدة الذي يعطف على أماني الصهيونية ، ومن جانب الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة وهما الحزب الجمهوري ، والحزب الديمقراطي وبتأثير اليهود طالب ترومان ١٣٦٤هـ بفتح أبواب فلسطين لقبول مائة ألف مهاجر يهودي دفعةً واحدةً كحل لمسألة اليهود المشردين في أوروبا وألحّ في ذلك كثيراً وإزاء ذلك قررت الحكومة البريطانية أن تدعو الحكومة الأمريكية للتعاون معها لتشكيل لجنة تحقيق مشتركة .

بدأت اللجنة عملها فطافت ببلاد كثيرة في أوروبا ، وفي فلسطين ، والبلاد العربية ثم أصدرت تقريرها في عام ١٣٦٥هـ وقد جاء وثيقة متناهية في ظلم المسلمين والإجحاف

بحقوقهم ، وقد سلمت اللجنة بأن فلسطين وحدها لاتستطيع أن تحل مشكلة هجرة اليهود من ضحايا الاضطهاد النازى والفاشي ، ومع ذلك فقد أوصت اللجنة بالسماح لمائة ألف يهودي بالدخول إلى فلسطين دون إبطاء خلال عام ١٣٦٥ . أما بخصوص فلسطين فقد رأت اللجنة ألا تتحول سواء إلى دولة يهوديةٍ أو إلى دولةٍ عربية بل أن تبقى تحت الوصاية لمدة غير محدودة . وأما التوصيات الأخرى فقد شملت فتح باب الهجرة أمام اليهود دون قيد أو شرط ، وإلغاء قوانين عام ١٣٥٩هـ الخاصة بالأراضى ، وزيادة ، التسهيلات المقدمة لنشر التعليم والتقدم الاقتصادي ، واستمر الرئيس ترومان يزاول ضغطه بقصد السماح بادخال ١٠٠ر٠٠٠ يهودي إلى فلسطين في الحال ، وقامت بريطانيا بمجهود آخر لحل القضية الفلسطينية فدعت العرب واليهود الى مؤتمر بلندن عقد فى ذي القعدة ١٣٦٥هـ ومحرم ١٣٦٦هـ ولكن رفضه الجانبان ، وباءت محاولات بريطانيا بالفشل .

وفي خلال عامي ١٣٦٤ و١٣٦٥هـ ازدادت هجمات الارهابيين اليهود اتساعا فنسفت الجسور ، ودمّرت السكك الحديدية ، وبثت الألغام في مراكز الشرطة والمصارف المالية ، ومحطات السكك الحديدية ، وهوجمت معسكرات الاعتقال ، وأطلق سراح المهاجرين اليهود غير الشرعيين الذين اشتدت الحملة بسببهم لإدخالهم إلى فلسطين ، ولجأوا الى الاغتيال السياسي ، فنسفوا فندق الملك داود بالقدس ، وكانت تشغله أمانة سر حكومة فلسطين ، واغتالوا لورد موين وزير الدولة البريطانية في القاهرة ، وحاولوا اغتيال المندوب السامي البريطاني في فلسطين .

ولما تبينت بريطانيا استحالة الوصول إلى حل يوافق عليه العرب واليهود قررت رفع المشكلة إلى الأمم المتحدة للفصل فيها فقد كان العرب يرغبون فى إقامة دولة عربية مستقلة على حين كانت الوكالة اليهودية تطالب بهجرة غير محدودة حتى تصبح لليهود أغلبية عددية تمكنهم من إنشاء دولة يهودية مستقلة .

الأمم المتحدة وتقسيم فلسطين سنة ١٣٦٦هـ :

وبذلك انتقلت مشكلة فلسطين إلى المنظمة الدولية التي خصصت بضع جلسات (رجب عام ١٣٦٦هـ وذي الحجة ١٣٦٦هـ) فقررت تعيين لجنة فرعية خاصة للتحقيق ، وانتهت اللجنة الخاصة من وضع تقريرها في شوال ١٣٦٦هـ وعرضته على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتضمن التقرير اثنتي عشرة توصية تقضي بإنهاء الانتداب

ومنح فلسطين الاستقلال ، وإقامة نظام دستورى ديمقراطي يتمشى مع حقوق الانسان ، وحقوق الأقليات مع إلغاء الامتيازات ، والمحافظة على الوحدة الاقتصادية لفلسطين ، على أن تتوقف أعمال العنف فوراً وأن تحل هيئة الأمم المتحدة على الفور مشكلة المشردين اليهود في أوروبا .

ولكن اختلفت اللجنة حول الخطة التي يجب أن تنفذ بها هذه التوصيات ، وظهر مشروعان أحدهما للاكثرية والثاني للأقلية ، ودعا مشروع الأكثرية إلى تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين :ـــ

١ ـــ دولة يهودية تبلغ مساحتها ٥٦٪ من مجموع مساحة فلسطين بينما كانت مساحة الأراضي التي كان يملكها اليهود ضمن فلسطين كلها لاتزيد على ٧٪ فقط هذا ويلاحظ ايضا أن عدد اليهود في هذه الدولة اليهودية كان لايكاد يصل إلى نصف مليون نسمة بينما كان عدد المسلمين فيها نحو ٨٠٠ ألف نسمة .

٢ ـــ دولة عربية تمثل ٤٣٪ من مجموع المساحة ، وقدر عدد العرب فيها بـ ٧٢٥ ألفا ، أما تعداد اليهود فلا يزيد على عشرة آلاف .

٣ ـــ قطاع دولي يشمل مدينة القدس وما يحيط بها .

واشترط التقرير على أن تستقل كل من الدولتين العربية واليهودية بعد سنتين وأن تدير انكلترا شؤون فلسطين خلال مدة الانتقال هذا ، على حين أن مشروع الأقلية اقترح إنشاء دولة مستقلة اتحادية وقد رفض العرب مشروعي الأكثرية والأقلية بينما رحبت الدوائر اليهودية بمشروع الأكثريةآملة أن تسعى بعد ذلك توسيع الرقعة التي خصها المشروع للدولة اليهودية .

وفي ١٤ ذى الحجة ١٣٦٦هـ عرض المشروع على الجمعية العامة للأمم المتحدة ففاز قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً وأعلن وزير خارجية بريطانيا بأن بلاده ستنسحب من فلسطين ، وستنهي انتدابها يوم أوائل جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ ومما يجدر ذكره أن مشروع التقسيم دار جدل عنيف حوله ، وطالت المناقشات بشأنه ، وكافح ممثلو الدول العربية كفاحا مريرا للاحتفاظ بوحدة فلسطين ، ولكن الضغط الأمريكي والصهيوني استخدم شتى الوسائل حتى يجيء التصويت إلى جانب مشروع التقسيم وتعرض مندوبو بعض الدول إلى صنوف الإرهاب والابتزاز حتى يوافقوا على المشروع مثلما حدث لمندوبي ليبريا وهايتى والفليبين ، وذلك لتوافر أغلبية ثلثي أعضاء الجمعية العامة للحصول على الموافقة على المشروع .

حرب عام ١٣٦٧هـ :

رفض الفلسطينيون والعرب جميعا قرار التقسيم واحتدمت الاضطرابات المسلحة بين العرب واليهود وانفجرت ثورة الشعب الفلسطيني فوقعت الاصطدامات بين العرب واليهود ، قتل فيها عدد كبير من الجانبين ، وأخذت السلطات اليهودية تستورد السلاح بكميات كبيرة ، وتفتح الاعتمادات لانشاء جيش كبير ، وحينئذ اقترحت الولايات المتحدة وقف تنفيذ قرار التقسيم ، وفرض الوصاية على فلسطين تأجيلا للحل النهائي دون أن تبدى استعدادها لقبول هذه الوصاية لأنها لم تكن ترغب في إرسال قوات مسلحة إلى فلسطين بعد أن استنزفت قواتها خلال الحرب العالمية الثانية ، ورفض اليهود ذلك ، كما رفضت انكلترا والاتحاد السوفيتي الاقتراح الأمريكي .

وكون العرب « جيش الإنقاذ » وأخذ المتطوعون المسلمون من البلاد العربية المجاورة يجتازون الحدود لنصرة إخوانهم في فلسطين ، وارتكب اليهود فظائع تقشعر لها الأبدان ، ومنها مذبحة ديرياسين ، وذلك لبث الإرهاب كي يترك الناس أوطانهم وينسحبوا منها كما أسرع اليهود في احتلال بعض المدن العربية تساعدهم حكومة بريطانيا المنتدبة بالأسلحة ، بينما تحرم على العرب حمل السلاح ، ونتج عن العنف والمذابح هجرة عدد من سكان فلسطين إلى الخارج .

وما إن أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب البريطاني حتى أسرع اليهود بإعلان قيام دولتهم « اسرائيل » وكانت حكومة الولايات المتحدة أول من اعترف بها وتلاها الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الأخرى .

وإزاء ذلك الوضع المتردى قررت الدول العربية التدخل العسكرى في فلسطين ، لإنقاذ أهلها ومساعدتهم على إقامة حكومةٍ وطنيةٍ موحدة في فلسطين ، كما أدخل رجالات الحركة الإسلامية السجون ، لأنه من المحتمل أن يقوموا بحركات لاتتفق مع ماهو مرسوم ، وقد تكرر هذا قبل كل حرب جرت بين العرب واليهود . وعلى الرغم من أن الجيوش العربية قد تدخلت عسكريا دون سابق استعداد مما أظهر نقصا فاحشا في التسليح والتدريب والتنظيم إلا أنها أحرزت بعض الانتصارات على أرض فلسطين في الأسبوع الأول من الحرب ، وفى الوقت نفسه كان لهذا الدخول أثر سلبي إذ طلبت من السكان الخروج من مدنهم كي لايتأثروا بدخول الجيوش العربية ، ولم يتجاوز بعضها حدود فلسطين ضعفا أو حسب خطة مرسومة ـــ الله أعلم ـــ لأن قادة العرب يعرفون

النتيجة . وقدم المندوب الأمريكي بإيعاز من إسرائيل اقتراحا إلى مجلس الأمن لوقف القتال لمدة شهر فوافق العرب شريطة أن تتوقف شحنات الأسلحة إلى اسرائيل ويتوقف أيضا سيل المهاجرين الجدد ، ولكن مجلس الأمن أوقف القتال وحرم على الطرفين جلب الأسلحة مع السماح للمهاجرين اليهود بالقدوم على ألا يشتركوا في القتال خلال الهدنة وهكذا فرضت الهدنة الأولى في فلسطين ابتداء من شعبان ١٣٦٧ ، ولاشك أن هذه الهدنة ، قد أعطت لليهود فسحة من الوقت لتنظيم قواتهم وجلب السلاح الذي كان يعوزهم ، وخاصة سلاح الطيران ، والمدفعية والمدرعات الثقيلة على الرغم من مخالفة ذلك لشروط الهدنة هذا في الوقت الذى بقي فيه العرب على حالهم من فقر في السلاح والمعدات ، وانقسام في الخطط العسكرية ، إلى جانب الخلافات السياسية ، حتى اذا تجدد القتال في رمضان بدأ رجحان كفة اليهود في فلسطين في مختلف الجبهات ، وعاد مجلس الأمن فأوقف القتال بعد عشرة أيام وفرض الهدنة الثانية ، وقد كسب اليهود في خلال هذه الأيام العشرة مزيدا من أرض فلسطين بلغ ثلاثة أضعاف ماكسبوه في الجولة الأولى ، واستطاعت اسرائيل أن تحقق مزيدا من الانتصارات وكسب الأراضي بسبب خلافات الدول العربية ، وفشلت الدول العربية في تحرير فلسطين ، وفي عام ١٣٦٨هـ عقدت معظم الدول العربية اتفاقيات هدنة دائمة مع اسرائيل .

ونتج عن حرب فلسطين لعام ١٣٦٧ قيام دولة إسرائيل ، وبقي في يد العرب منطقتان : الضفة الغربية ، وقد ضمت للأردن ، وقطاع غزة وقد بقي تحت الإدارة المصرية ، وتشريد ثلاثة أرباع مليون لاجىء فلسطينى لجأوا الى البلاد العربية المجاورة .

القضية الفلسطينية بعد عام ١٣٦٧هـ :

وبعد ثمانية أعوام من الحرب الأولى (١٣٦٧هـ) بين العرب واليهود ، حدث العدوان الثلاثي (انكلترا — فرنسا — إسرائيل) على مصر ، وأخذ قطاع غزة من أيدي القوات المصرية ، وقد سبق هذا ضرب للحركة الإسلامية في مصر ، فعند العدوان كانت مهيضة الجناح لاتستطيع أن تفعل شيئاً ، وهي التي فعلت الكثير ضد اليهود عام ١٣٦٧هـ ، وضد الانكليز فى القناة عام ١٣٧٠هـ . وبعد ثلاثة أيام من العدوان تدخلت الولايات المتحدة فتوقف .

إن مشكلة اللاجئين العرب تشكل مأساة من مآسي الانسانية الكبرى ، وقد تفاقمت نتيجة لحرب ٢٥ صفر ١٣٨٧هـ واستيلاء اسرائيل على سائر الأراضي الفلسطينية إضافة

إلى سيناء في مصر ، والجولان في سورية ، إذ أن اسرائيل ضربت دولة دولة ، فبدأت بمصر فالأردن وسورية ، بحيث كانت كل دولة تنتظر دورها حتى يتم نقل الجنود اليهود من جبهة وأخرى ، كأن الخطة مرسومة أو تمثيلية هادفة ، وسبق هذه الحرب ماسبق غيرها من زج أصحاب الحركات الاسلامية في السجون ، وخاصة في مصر وسورية . ورفضت إسرائيل عودة اللاجئين إلى ديارهم ، وقد تحولت قضية فلسطين منذ قيام اسرائيل عام ١٣٦٧هـ إلى مشكلة دولية عالمية ، فأصبحت الولايات المتحدة تقدم الدعم المادى والعسكرى لاسرائيل ، بينما تحولت الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي عن تأييد اسرائيل بعد أن تبين لها أن هذه الدول ليست إلا امتدادا للقوى الاستعمارية في المنطقة وأنها تستعمل أداة بيد الدول الغربية ، فتوقف الدعم العسكرى ، وإن كانت تزودها بالعقول البشرية التي تهاجر باستمرار من الاتحاد السوفيتي إلى اسرائيل ، إضافة إلى أن الدول الاشتراكية لم تكن لتحرك ساكناً وقت الأزمات ، ويعتريها الصمت .

وأمعنت الدول الغربية الكبرى في تأييدها لاسرائيل ، فأصدرت دول الغرب الكبرى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا في رجب ١٣٦٩هـ تصريحا مشتركا أعلنت فيه عزمها على المحافظة على السلام والاستقرار في هذه المنطقة ، ومعارضتها الأكيدة لاستخدام أية دولة في هذه المنطقة القوة أو التهديد بالقوة ، كما أعلنت أنها ستعمل بكل مافي وسعها لمنع أية دولة من نقض الهدنة أو تعديل خطوطها ، وكذلك عبرت الدول الثلاث في هذا التصريح عن معارضتها لأى سباق للتسلح بين الدول العربية واسرائيل وهكذا حرص العرب على سلامة اسرائيل وضمان حدودها حتى لقد امتنع عن تزويد الدول العربية بالسلاح ، بينما مضت اسرائيل تتزود بالسلاح من الولايات المتحدة الأمريكية .

وبفضل مساندة الدول الغربية الكبرى لاسرائيل فقد أمعنت اسرائيل في نقض الهدنة كلما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وخاصة عام ١٣٧٤هـ حين قامت بعدوان غادر على قطاع غزة ، وقامت اسرائيل بعدوانها على مصر عام ١٣٧٦هـ بالاشتراك مع انكلترا وفرنسا ، وقد استخدم الاستعمار اسرائيل كمخلب قط واتخذ منها قاعدة للعدوان في العالم الإسلامي يزودها باستمرار بالمساعدات السياسية والعسكرية والمالية والفنية ، وقامت اسرائيل أيضا بعدوان فى صفر ١٣٨٧هـ واحتلت بقية فلسطين والجولان وسيناء ، ورفضت الانصياع لقرارات مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالانسحاب

وعودة اللاجئين إلى ديارهم ، ونتج عن حرب ١٣٨٧هـ قيام الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية التي اعترف بها العالم بأسره ممثلا للشعب الفلسطيني .

فقام العرب بشن حرب ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ وأحرزوا انتصارات عسكرية وسياسية محدودة من جهة ، وأحرز اليهود انتصارات أيضاً بعد الأيام الأولى التى انتصر فيها العرب وجاءت صفارة الحكم لوقف القتال والعمل للحل السلمي .

وبدأ عمل الفدائيين الفلسطينيين الذين تجمعوا فى لبنان ، وسدت في وجههم بقية الحدود ، وظهر أثرهم على لبنان ، كما ظهر في فلسطين على اليهود .

وقامت الحرب الأهلية في لبنان ١٣٩٥ ــ ١٣٩٧هـ ......

وتدخلت بعض الدول العربية ونال الفلسطينيون قسطا من الضرب والقتال وخاصة في تل الزعتر .

واشتركت بعض الدول العربية في إرسال قوات من جيوشها كقوة للردع للمعتدي في لبنان ، وبعد مدة بقيت القوة السورية وحدها ، ثم دخل اليهود لبنان من الجنوب ، وحاصروا بيروت الغربية ، ولم يتمكنوا من دخولها مادامت فيها مقاومة فلسطينية ، ثم انسحبت هذه المقاومة حمايةً للمدينة وبعثر الفدائيون الفلسطينيون في سوريا ، والعراق ، والأردن ، واليمن ، ومصر ، والسودان ، وتونس ، و.....

ثم إن اليهود قد أقدموا على ارتكاب جريمة بشعة ونكراء ، إذ دخلوا على مخيمي صابرا وشاتيلا ، وذبحوا عدة آلاف من الفلسطينيين ... ولم يخرج اليهود بعد من لبنان .

(ح) المملكة الأردنية الهاشمية

كانت المناطق فى شرق الأردن قطعةً من بادية الشام تتبع فى أيام الحكم العثمانى ولاية دمشق ، ولم يكن حتى فى المشروعات الاستعمارية مشروع لجعلها دولةً خاصةً لفقر المنطقة وقلة سكانها ، ومعظمهم من البدو .

وقد فتحتها القوى العربية أثناء الحرب العالمية الأولى ، وهى فى الطريق الى دمشق ، وكانت قطعة من مملكة فيصل التى أقيمت فى سوريا عام ١٣٣٩ ولم يبد الانكليز الذين كانوا يحتلون فلسطين أى اهتمام بشأنها ، فلما كان تقسيم الانتداب بينهم وبين فرنسا فى

مؤتمر سان ريمو ، وكان جنوب الشام من حصتهم ، لم يسرعوا لاحتلالها بل وعدوها بالاستقلال إثر دخول الفرنسيين دمشق ، وتركوها تخضع لأربع حكومات محلية منفصلة بعضها عن بعض فى اربد ، وعجلون ، وعمان ، والكرك تحت إدارة المندوب السامى فى القدس .

وحين رأوا الأمير عبد الله الحسين يجمع في جنوب هذه المنطقة قوى بدوية يريد بها الثأر للملك أخيه فيصل الذى أخرجه الفرنسيون من دمشق ، رأوا أن يجعلوا من شرق الأردن منطقة فاصلة ويستفيدوا من موقعها الاستراتيجى بمراقبة الشرق العربى كله منها ، سواء سوريا وفلسطين من جهة أو العراق والسعودية من جهة أخرى . كما رأى الانكليز أيضا أن هذه البقعة الموات تهيء لهم مع العراق فرصة التعويض عن عهودهم المنكوثة مع الحسين بن على الهاشمي ، وتكفيهم مؤونة التفكير بدفع أي هجمة قد يقوم بها الهاشميون فى الحجاز لإقلاق انتدابهم فى الشام .

وهكذا أرضى الانجليز الملك فيصل بعرش العراق ، واقتنعوا معه بارضاء أخيه الأمير عبد الله الذي كان ثائرا يحمل علم الثورة العربية في منطقة معان بجعل شرق الأردن إمارة له .

وقد قصد تشرشل وزير المستعمرات القاهرة ، ثم القدس فى عام ١٣٣٩هـ وبعث فاجتمع بالأمير عبد الله ، واتفق معه اتفاقا لم يغب عنه الفرنسيون على أن تقوم فى شرق الأردن حكومة تتمتع بالاستقلال الاداري ، وتسترشد برأي المفوض السامي في القدس وعلى رأسها الأمير عبد الله الذى يتعهد بالمحافظة على فلسطين وسوريا من كل اعتداء . وكان المقصود بهذا الشرط قطع الطريق على أي مطالبة هاشمية بأرض الشام ، وفي مقابل ذلك تدفع انجلترا معونة مالية سنوية لتأمين مصاريف الدولة . وحين أُقرَّ صك الانتداب فى صفر عام ١٣٤١هـ عينت حدود الإمارة ، وبعثت إليها بمعتمد بريطاني على رأس كتلة من المستشارين وأهمهم (غلوب) باشا الذى تسلم قوى البدو . ومع كل ذلك فان بريطانيا لم تعترف رسميا بقيام هذه الإمارة إلا فى تصريح عام ١٣٤١هـ خلال زيارة المندوب السامى لعمان .

وكان التصريح واضح الإشارة إلى التبعية الاستعمارية ، فقاومه الشعب بشدة ، وثاروا ضده ، فوجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأمير بتسليم الثوار ، وكذلك تسليم مالية الدولة للانجليز ، وتأليف حكومة يتولى ثلاثة من الانجليز وزاراتها الأساسية . وعملت

بريطانيا على تمكين سيطرتها وسلطتها فى الأردن وإخماد كل حركة مقاومة مناوئة للإستعمار والحكم ، وضمت قوة الشرطة إليها . فأثار ذلك سخط الشعب ، مما اضطر الأمير لتحقيق رغبات الشعب ، واشترك ممثلوه فى وضع أسس التشريع والإدارة . وألفت لجنة من ممثلي الشعب برئاسة ناظر العدلية ، ووضعت قانون الانتخاب لمجلس نيابي سليم ، وأقرته الحكومة وذلك عام ١٣٤٢هـ . وحاولت بريطانيا نسف ذلك المشروع بوضع قانون جديد للانتخاب ، وألغت القانون السابق . كان هذا دافعاً لانفجار الشعب وإجماعه على المعارضة فاجتمع أحرار الشعب الأردنى ، وبعثوا بمذكرة إلى عصبة الأمم جاء فيها : باسم الحضارة والإنسانية نلفت نظر عصبة الأمم إلى جميع الحقائق المؤلمة التى يوقعها ممثلو بريطانيا العظمى ، ونرجو إيفاد لجنة حيادية نزيهة للنظر فى تحقيق المطالب الوطنية فى الأردن .

وقد وسع الأمير عبد الله إمارته على حساب مملكة أبيه إذا أقنعه بالتنازل له شخصياعن منطقتى معان والعقبة سنة ١٣٤٣هـ وكانتا تتبعان مملكة الحجاز فلما انهارت هذه المملكة فى السنة التالية ألحقها عبد الله رسميا ببلاده فى مطلع عام ١٣٤٤هـ واعترفت الدولة السعودية بذلك فى عام ١٣٤٦هـ إثر توقيع معاهدة جدة بين بريطانيا والسعودية .

كان أحرار العرب يلقبون الأمير عبد الله بمنقذ سوريا . فلما قام بهذه الإمارة خاصموه وانفضوا من حوله فأصدر ضدهم عدداً من القوانين التى تقمع كل حركة فى شرق الأردن ، ثم نسج على منوال أخيه فيصل فعقد فى أواخر عام ١٣٤٦هـ معاهدة مع انكلترا احتفظت فيها بريطانيا بالشؤون الخارجية والرقابة الاقتصادية والقضائية وبقوات عسكرية للدفاع عن البلاد . فعارض الشعب هذه المعاهدة واشتعلت الثورة فى البلاد ضد المعاهدة فأخمدها الانكليز بقوة السلاح ، ولكن الشعب لم ييأس ولم يستسلم بل استمر فى نضاله ضد الاستعمار .

وكان من نتيجة المعاهدة نشر الدستور الأردنى فى شوال ١٣٢٦هـ وهو من وضع الانكليز فلم يكن للأمير ولا للشعب فيه من حقوق تذكر . ولكنه ينظم السلطات التشريعية فى مجلس تشريعي ، ويعطى للأمير حق تعيين مجلس المدن أو القبائل . وعقد زعماء الشعب مؤتمراً في عمان رفض الدستور ، وقاوم الانتخابات التى تبعته ، ولكن السلطات البريطانية مضت فى طريقها الاستعماري دون أن تأبه للمعارضة .

استمر الشعب الأردني في كفاحه فحمل ذلك الحكومة على المطالبة بإلحاح لتعديل المعاهدة ، مما اضطر انكلترا في مطلع ربيع الأول ١٣٥٣هـ لتلبية مطالب الأردنيين ، فأبرمت اتفاقاً آخر مكملاً لمعاهدة ١٣٤٧هـ يجعل للأمير حق تعيين ممثلين قنصليين لإمارته لدى الدول العربية ، ولكن هذا الاتفاق أبقى الجيش تحت سيطرة انكلترا ، كما قضى بتقديم انكلترا المعونة المالية للأردن والتي بلغت في الأربعينات (٢ مليون جنيه) مما أفسح المجال لتدخل بريطانيا بشؤون الأردن الحساسة . وقد أحدث هذا الاتفاق هزة وطنيةً في الأردن وسائر الأقطار العربية ، يعود الفضل فيها إلى الشباب الواعي .

وكان من أهم مظاهر التطور في إمارة شرق الأردن ، تأسيس الفيلق العربي الذي أنشيء عام ١٣٤٠هـ من فرقة صغيرة تبلغ ألف رجل ، ثم أخذ ينمو تدريجيا من ناحية العدد والأهمية ، وقد أشرف على تنظيمه قواد انكلترا من أشهرهم غلوب باشا ، وكان الالتحاق مسموحا لكل القادرين من العرب ، ولذا ضم الفيلق إلى جانب الأردنيين جنوداً عراقيين ، وحجازيين ، وفلسطينيين ، وسوريين وغيرهم ومعظمهم من البدو . ولقد كان من الممكن أن يصبح الفيلق نواة حقيقية للجيش العربي الخالص في شرق الأردن ، لولا أن خضوعه للقادة البريطانيين جعله أداة لتحقيق اتجاهات السياسة البريطانية في الشرق الأوسط .

وإلى جانب الفيلق العربي ، وجدت بإمارة شرق الأردن قوة عسكرية عرفت بفرقة الحدود الأردنية التي تألفت بعد إبرام المعاهدة البريطانية الأردنية عام ١٣٤٧هـ وكانت مهمة هذه الفرقة تنحصر في الدفاع عن الحدود ، كما كانت قوة عسكرية بريطانية تحت قيادة المندوب السامي البريطاني في فلسطين .

وفي أواسط عام ١٣٥٨هـ وافقت الحكومة البريطانية على أن يحل محل المجلس التنفيذي مجلس للوزراء يكون مسؤولاً أمام الأمير . وتشكل مجلس الوزراء برئاسة توفيق أبو الهدى الذي شغل منصب كبير الوزراءمنذ ١٣٤٧هـ ، وقد شهدت إمارة شرق الأردن تطوراً آخر هو إنشاء طريق حيفا ـــ بغداد بين سنتي ١٣٥٧ ـــ ١٣٦٠هـ الذي بلغ طوله ١٠٨٠ كيلو مترا ، امتد بأراضي شرق الأردن منها ٣٤٠ كيلو متراً . ولما كان هذا الطريق يمثل معبراً بريطانياً ، بالإضافة إلى استخدامه أثناء الحرب في نقل مواد حربية ضخمة ، فقد ضاعف من أهمية شرق الأردن الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية وقف الأردن إلى جانب الحلفاء ، كما شاركت القوات الحربية الأردنية القوات البريطانية فى المجهود الحربى . واستخدمت بريطانيا إمارة شرق الأردن كموقع استراتيجي هام لمواصلاتها الشرقية ، وضربت بريطانيا بواسطة الفيلق العربي الأردنى وقوة الحدود الأردنية المسلحتين بالأسلحة الحديثة حركة رشيد عالى الكيلانى فى العراق عام ١٣٦٠هـ وأخمدتها ، كما اشترك الفيلق العربي وقوة الحدودالأردنية تحت القيادة الانكليزية فى الغزو البريطانى لسوريا بعد ذلك مباشرة والواقع أن الدور الذى لعبه الفيلق العربي فى الشرق الأوسط فى خدمة المصالح البريطانية ، هو الذي أقنع بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية وبعدها بزيادة مساعداتها لشرق الأردن . ومن ناحية أخرى ، كان الفيلق العربي الذي يشكل قوة عسكرية لاتتناسب على الإطلاق مع مساحة شرق الأردن وفقرها هو العامل الرئيسي الذي مكن الأمير عبد الله من أن يلعب دورا رئيسيا فى تطور الموقف بعد الحرب العالمية الثانية فى فلسطين بوجه خاص ، وفى العالم العربي بوجه عام .

كما اتجه الأمير عبد الله خلال الحرب العالمية الثانية نحو طلب الاستقلال والتعاون مع بريطانيا وأراد تحقيق أحلامه السياسية ، خاصةً وأنه كان يأمل فى إقامة مملكة تشمل سوريا الطبيعية (بلاد الشام) وقدم مذكرة إلى بريطانيا بهذا الخصوص إلا أن بريطانيا لم تأبه بهذا الطلب وأهملته ، واستبدلت به مشروع جامعة الدول العربية . غير أن الأمير عبد الله استمر فى محاولاته لتحقيق مشروعه دون جدوى .

وتبودلت المذكرات فى عامى ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ بين بريطانيا والأردن حول منح الأردن استقلاله وقد كللت هذه المساعى بالنجاح ، فوقعت بريطانيا معاهدة مع الأردن بتاريخ عام ١٣٦٥هـ وهى قريبة الشبه بالمعاهدة العراقية البريطانية عام ١٣٤٩هـ وبموجب هذه المعاهدة اعترفت بريطانيا رسميا بشرق الأردن دولة مستقلة ، ووافقت على تبادل التمثيل الدبلوماسى معها ، وعلى الاستمرار فى تقديم المساعدات المالية للفيلق العربي . كما تعهدت بريطانيا بالدفاع عن الإمارة ضد أى عدوان خارجى . وفى مقابل ذلك ، حصلت بريطانيا على حق السماح لقواتها بالمرابطة فى شرق الأردن ، وتعهدت الحكومة الأردنية بتقديم كل التسهيلات الضرورية لها .

وكان بعد إبرام المعاهدة أن أعلن الأمير عبد الله ملكا على شرق الأردن وقامت الحكومة البريطانية بتعيين وزير مفوض لها فى المملكة الجديدة . بيد أن الدوائر الوطنية فى شرق الأردن لم تكن راضية عن المعاهدة ، ولما كانت بريطانيا قد أقدمت فى أعقاب

الحرب العالمية الثانية على الدخول فى مفاوضات مع مصر ، والعراق لإعادة النظر فى معاهدتى ١٣٥٥هـ (مع مصر) و١٣٤٩هـ (مع العراق) فقد وافقت بريطانيا على الدخول فى مفاوضات مع شرق الأردن من جديد فى عام ١٣٦٦هـ ، وهى المفاوضات التى انتهت بعقد معاهدة بريطانية أردنية جديدة فى عمان ١٣٦٧ . وقد نصت المعاهدة الجديدة على الدفاع المشترك بين البلدين فى حالة الحرب وعلى الاحتفاظ بوحدات من سلاح الطيران الملكى فى عمان ، والمفرق ، وإنشاء مجلس للدفاع المشترك الانكليزي الأردنى .

ومع أن المعاهدة البريطانية الأردنية الجديدة قد خففت بعض الشىء من قبضة بريطانيا على شرق الأردن ، إلا أن النفوذ البريطانى قد ظل قوياً فى البلاد ، بفضل القيود التى احتفظت بها فى تلك المعاهدة ، والتى ربطت شرق الأردن بعجلة الاستعمار البريطانى ، الأمر الذى أقلق الدوائر الأردنية الوطنية والتى لم تستطع القيام بكفاح مسلح ضد الانكليز بسبب شدة ضغطهم عليه ، وتمكن قبضتهم منه من جهة واندماج عاهل الأردن فى سياستهم • جنوحة إلى سياسة التهدئة من جهة أخرى .

على أن دراسة التطور السياسى فى شرق الأردن تتطلب ولاشك الإلمام بدور الملك عبد الله بن الحسين فى فلسطين . والواقع أن دور عبد الله كصديق لبريطانيا ظلّ وتوثّق خلال الزمن التالي ، إذ تسلّم القائد العام للقوات العربية ، وذلك بجهود أصدقائه أو رغبتهم في ذلك ، وكان يرغب في ضم أجزاء من فلسطين إلى مملكته وخاصةً للقدس لوضعها الديني المعروف ، وكان حسب رأي أصدقائه رجلا متزن التفكير واقعي الاتجاه ، إذ أنه الزعيم العربى الوحيد الذى ينظر نظرة واقعية إلى الصهيونية ، وكان يدرك استحالة إزالة الوطن القومي اليهودي . ولذا أراد أن يوفق سياساته مع واقعه ، ودخل الجيش الأردنى إلى فلسطين فى الحرب الفلسطينية ليحتل القسم المخصص للعرب بموجب مشروع التقسيم ، ولم يتمكن من مهاجمة المناطق المخصصة لليهود حسب الأوامر التي أعطيت له .

وأسفرت اللقاءات السرية عن حلقات متوالية من المؤامرات ضد فلسطين تمثلت فى ضياع مدينتى اللد والرملة وتسليمهما إلى اليهود ، وضياع المثلث العربى الذى يمثل أخصب بقعة فى فلسطين فى معاهدة رودى بين اليهود وبعض الدول العربية ، وضياع صحراء النقب ، كما أن المناورات السياسية والعسكرية قد سمحت لليهود بمهاجمة الجيش

المصرى بعد كشف ميمنته وتسليم مناطق البوتاس فى البحر الميت مقابل مبالغ معينة بالإضافة إلى جبل المملكة وغير ذلك .

وفى أواخر عام ١٣٦٧ أعلن الملك عبد الله ضم الأراضى الفلسطينية إلى الأردن ووافق المجلس النيابى الأردنى على هذا الضم ، وأطلق على الدولة اسم المملكة الأردنية الهاشمية .

وفى عام ١٣٧٠ قتل الملك عبد الله أثناء تأديته صلاة الجمعة فخلفه ابنه طلال وهو من المناوئين لسياسته ، وكذلك من المعارضين للاستعمار البريطانى .

فقد مكث طلال فى الحكم حوالى ثلاثة شهور قام خلالها بأعمال جليلة للشعب ، فقد أطلق حرية الشعب واعتبر الشعب مصدر السلطة والقوة ، فقيد بذلك حرية الملك فى الوقت الذى أقرفيه للشعب بحريته ، ممثلة فى مجلس الأعيان الجديد . كما نص الدستور الجديد الذى وضعه الملك طلال على هذه القضايا وغيرها والتي أحدثت شبه انقلاب فى النظم والتقاليد الأردنية آنذاك ، كما كانت هذه الخطوط العريضة أيضا لسياسة الملك طلال تتجلى فى رغبته وإيمانه بالتعاون العربى فى سبيل قضاياهم ، إلى جانب اهتمامه بالقضية الفلسطينية وحقوق اللاجئين . غير أن هذه المساعي وتلك الأمانى التى كان قد قام بها الملك خلال حكمه القصير لم يتيسر لها أن تبلغ نهايتها وتمامها ، ذلك أنه استبعد عن العرش بزعم أنه مصاب بمرض نفسى ، ونفى إلى استانبول ، وبقى هناك حتى وافته المنية عام ١٣٩٧ . وكانت بريطانيا وراء عزله والاتيان بابنه الحسين مكانه .

وقد عهد إلى مجلس وصاية لتولى شؤون البلاد ، وتم تنصيب الحسين بن طلال ملكا قبل أن يبلغ العشرين من عمره ، وتسلم سلطاته الدستورية فى ١٣٧٣ .

ومن أبرز ملامح عهد الملك حسين قبول الأردن عضوا فى الأمم المتحدة عام ١٣٧٦ واتباعه سياسة وطنية فى مطلع عهده ، كان من ملامحها طرد غلوب باشا القائد الانكليزي ، وإلغاء المعاهدة مع انجلترا (١٣٧٦) ، وجلاء الجيوش الانكليزية عن المملكة ، والاشتراك مع سوريا ومصر والسعودية فى القيادة العربية المشتركة ، والوقوف مع مصر ضد العدوان الثلاثى ، كما قام حكم وطنى فى الأردن . وفى عام ١٣٧٨ أعلن اتحاد العراق والأردن ، ولم يدم سوى خمسة شهور تقريبا ثم انهار بقيام الثورة العراقية .

وشارك الأردن فى مؤتمرات القمة العربية ، كما اشترك فى حرب حزيران ١٣٨٧ ولكنه خسر الضفة الغربية شأنه شأن الدول العربية الأخرى التى خسرت كل منها جزءاً من بلادها .

العراق

ـ ٣ ـ

العراق هو أحد الأقطار العربية الكبرى ، يرجع تاريخه إلى أقدم العصور ، ويسمى بلاد الرافدين (دجلة والفرات) . وتبلغ مساحته حوالى ٤٤٨ر٧٤٢ كم٢ وعدد سكانه حوالى ثلاثة عشر مليون نسمة ونيف . ويشكل العراق النصف الشرقى من الهلال الخصيب ، أما النصف الغربى فهو بلاد الشام .

نشأت فى العراق حضارات ومدنيات قديمة ترجع إلى الألف الثالث ق.م وتعاقبت على أرضه عدة امبراطوريات ، لعبت دورا هاما فى عصور التاريخ ، نظرا لموقعه الجغرافى المتوسط بين الشرق والغرب ، ولوفرة الأراضي الخصبة وغزارة المياه ، وكذلك لوجود معادن هامة فى أراضيه . ومن أهم هذه الامبراطوريات الآكادية ، والبابلية ، والأشورية ، والكلدانية . وبضعف الكلدانيين احتل الفرس العراق عام ٥٣٩ ق.م وظل الفرس يحكمون العراق مدة ألف سنة إلى أن هزمهم المسلمون عام ١٤هـ . وخضعت العراق بذلك للحكم الإسلامى ، وظلت العراق تتلألأ وتزدهر تحت الحكم العربى الإسلامى إلى زمن آخر خليفة عباسي وهو المستعصم بالله ، الذي سقطت بغداد فى زمنه على يد المغول سنة ٦٥٦هـ ، والتى دك هولاكو عرشها وأنزل بها الخراب والتدمير .

منذ سقوط الدولة الإسلامية العباسية . عاش العراق عدة قرون في ظل عدة حكومات ، المغولية ، والإيلخانية ، والجلائرية ، والقره قونيلو ، والأق قونيلو الصفوية ـــ وجه العراق صوب الشرق حتى استولى عليه العثمانيون على دفعات (٩٢٠/٩٥٢هـ) ، وتنازعت الدولتان العثمانية والفارسية فيما بينهما على العراق ، فكانت الجيوش الإيرانية تجتاح العراق من وقت إلى آخر ، ولا تلبث أن تطردها الجيوش العثمانية . ولكن مدة الوجود الفارسي في العراق كانت قليلة جدا إذا قيست بالحكم العثماني الذى امتد من ٩٤٠/ ١٣٣٧هـ ، حيث وقع العراق فى قبضة الانكليز والذين ظلوا يسيطرون عليه بطرق شتى إلى أن تحرر في عام ١٣٧٨ . ولقد كان فى العراق نظام حكم مملوكي بدأ عهده منذ منتصف القرن الثاني عشر . ولم يستطع مماليك العراق أن يفرضوا أنفسهم بقوة على البلاد كلها ، وإنما تحكموا فقط فى المدن العراقية ، مع أن الغالبية العظمى من التشكيل البشرى كانت قبلية ، متصارعة فيما بينها ، أو ثائرة ضد

حكومة المماليك ، حتى أن تاريخ المماليك كان عبارة عن سلسلة متواصلة من قتال بينهم وبين القبائل العربية ، أو الكردية أوصراعات بين الأكراد بعضهم مع بعض أو بين العشائر نفسها ، أو بين العشائر العربية والعشائر الكردية . فكان أن أصيب العراق بتدهور اقتصادى متواصل ، في الوقت الذي كان فيه نشاط شركة الهند الشرقية البريطانية فى الخليج العربي وفى العراق يتصاعد سنة بعد أخرى ، على حساب اقتصاديات وتجارة المنطقة .

ويرجع اهتمام بريطانيا بالعراق والخليج العربى وتطلعها إلى السيطرة عليهما منذ القرن الحادي عشر ، وذلك لموقعهما الجغرافى وأهميته الاستراتيجية ، لوقوعه على طريق مواصلاتها على طريق الهند (درة التاج البريطاني) هذا فضلا عن أهميته الاقتصادية ، ووجود النفط فى أرضه ، وقربه من حقول النفط البريطانية فى إيران ، وأهميته كمجال حيوى لاستيطان عدد كبير من السكان الذين يزيدون على قابلية الهند .

بدأ تسرب النفوذ الانكليزى إلى العراق عن طريق دخول التجار والرحالة الانكليز إلى ربوعه منذ أواخر القرن العاشر ، ثم عن طريق شركة الهند الشرقية البريطانية التى أنشأت أول وكالة لها فى البصرة سنة ١٠٥٣هـ ، ثم أصبح لوكيل الشركة مهمة سياسية ، إضافة لعمله فيها ، عندما أصبح قنصلا لدولته ، وقد عينت قنصلا فى بغداد ونائب قنصل لها فى الموصل سنة ١١٦٩هـ ، وإثر قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر عززت انكلترا نفوذها فى العراق . ومنذ أوائل القرن الثالث عشر أصبح العراق طريقا للبريد البريطاني إلى الهند عبر الشواطىء السورية ومدينة حلب .

غير أن النفوذ الانكليزي لم يلبث أن واجه منافسة خطيرة من قبل روسيا التى احتلت شمالي إيران ، فى محاولةٍ منها للوصول إلى الخليج العربي فالمحيط الهندي ، وتحويل تجارة إيران والهند وآسيا الوسطى لمصلحة روسيا . فلجأت بريطانيا إلى تشكيل شركة ملاحية وهي شركة « لنش Lunch » للملاحة والتجارة فى دجلة والفرات ، وكانت لها سفن وبواخر كثيرة ، كما اتسعت أعمالها وازدادت مالا ونفوذا . وكانت الحكومة البريطانية تدعمها ، لأن الشركة المذكورة كانت تعمل على تقوية النفوذ البريطاني فى العراق حتى تفاقم وأصبح خطرا على كيانه ، ولاسيما بعد أن أصبح الانكليز يشرفون على الملاحة فى شط العرب وعلى عملية إرشاد السفن فيه ، الأمر الذي حدا بنواب العراق فى مجلس المبعوثين (النيابي) العثماني سنة ١٩٠٩م لإثارة البحث حول وضع الشركة . وقد أدى عدم اهتمام المسؤولين فى دولة الاتحاديين آنذاك بهذا الخطر إلى استياء العرب .

ومازالت انكلترا تعزز نفوذها السياسي فى العراق سواء عن طريق التجارة أم خطوط البريد والبرق وإرسال البعثات للكشف عن آثار العراق ، أو إقامة مشروعات وتحرص على جعل هذه الأمور محصورة فيها دون غيرها من الدول ، حتى واجهت المشروع الألمانى الخاص بسكة حديد بغداد ، فأوقفت المشروع ببسط نفوذها على الكويت عام ١٣١٧هـ ، وظلت تقاوم كل المحاولات الدولية الرامية للسيطرة على الخليج والعراق حتى قيام الحرب العالمية الأولى.

اغتنمت بريطانيا فرصة الحرب العالمية الأولى ، ودخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ، فقامت بإرسال حملة بحرية لتحتل العراق بالقوة وتحقيق ما كان التجار والبحارة والسياسيون والسياح والخبراء قد مهدوا له ووضعوا أسسه خلال ثلاثة قرون . فتحركت الحملة من بومباى فى أواخر عام ١٣٣٢ بقيادة ديلامين **W.S. Delamain** واتجهت نحو البحرين ورابطت فيها ، وفى ١٣ ذي الحجة من العام نفسه (١٣٣٢) أطلقت الباخرة البريطانية قنابلها على حصن الفاو الواقع على ضفاف شط العرب ، وكانت بريطانيا قد أصدرت منشورا تحرض فيه القبائل على تركيا وتحاول استمالتهم .

نزلت القوات البريطانية إلى البر على شط العرب فى البصرة . وقد صاحب الحملة السير بيرسي كوكس أول رئيس للحكام السياسيين فى الخليج والذي أصدر منشورا لام فيه الأتراك على دخولهم الحرب ، كما حاول استمالة العرب المقيمين على الشط ، وطمأنهم على أموالهم وأنفسهم إن أيدوا بريطانيا .

دافع الأتراك عن مراكزهم وخطوطهم ببسالة إلا أن البريطانيين أخذوا يتقدمون إلى أن دخلوا البصرة وهى ميناء العراق الوحيد ، ثم واصلوا الزحف واحتلوا القرنة والعمارة ، فضمنوا مصالحهم النفطية فى عبدان بعد أن طردوا الأتراك واستمالوا معظم الشيوخ . وكانت هذه المرحلة الأولى من الاحتلال . وتبدأ المرحلة الثانية بفكرة الزحف إلى بغداد ، إذ هاجم الانكليز الأتراك بالقرب من سلمان باك ، فردهم الأتراك وانسحب الانكليز إلى الكوت ، وتعقبهم الأتراك وحاصروهم فيها ـــ بمساعدة أحد القواد الألمان ـــ حصاراً محكما لمدة خمسة أشهر تقريباً ، مما أجبر الانكليز على الاستسلام فى منتصف عام ١٣٣٤ فكان لهذه الهزيمة أثر بالغ فى نفوس الانكليز ، غير أنهم لم يتنازلوا عن فتح بغداد لأنهم رأوا من الضرورى أن يتمسكوا بالعراق ويسيطروا عليها نظرا لأن الخطر الروسي بدأ يلوح من الشمال عن طريق الموصل ، وقد عمل بعض ساسة الانكليز على إبعاد الأتراك عن مناطق النفوذ بتعاون الشريف حسين مع الحلفاء

مقابل وعود بريطانية له وللعرب بالحرية والاستقلال ، فكان بعد ذلك للاتفاقات والمعاهدات المعقودة بين الدول أثر فى تحقيق تلك الفكرة ، خاصة اتفاقية سايكس–بيكو السرية التى نصت على توزيع مناطق النفوذ بين انكلترا وفرنسا .

وإزاء ذلك ، قامت بريطانيا بتجهيز حملة قوية بقيادة الجنرال مود ، فهاجمت القوات التركية فى ربيع الأول ١٣٣٥ ثم تعقبتهم إلى سلمان باك (المدائن) فاضطر الأتراك إلى الانسحاب من بغداد ، فدخلها الانكليز فى جمادى الأول ١٣٣٥ . وأصدر الجنرال مود منشورا تاريخيا محاولا التقرب من أهل العراق قائلا : « إننا لم ندخل بلادكم أعداء فاتحين وإنما دخلناها محررين » ، وذكّرهم بما حاق بهم من ظلم واستبداد منذ أيام هولاكو إلى أيام الحكم التركي . ومما قاله أيضا إنها ليست أمنية جلالة ملكي بمفرده بل إنها أمنيات الحكومات المتحالفة مع جلالته أيضا أن تفلحوا كالسابق ، حينما كانت أراضيكم خصبة وكان العالم يتغذى من ألبان آداب أجدادكم وعلومهم وحرفهم يوم كانت بغداد « إحدى عجائب الدنيا» . ثم تابع الجيش البريطاني زحفه على الجهات الأخرى بقيادة الجنرال مارشال الذى خلف مود ، فاحتل سامراء ، ثم الرمادى وقرى أخرى ، كما توجهت الجيوش الغازية إلى الموصل فوقفت عند النقطة التى تبعد ١٢ ميلا عن الموصل إلى أن أعلنت الهدنة فى ٥ صفر ١٣٣٧هـ ، لأن الموصل كانت قد وضعت ضمن النفوذ الفرنسى فى معاهدة سايكس بيكو السرية ، بينما وضعت بغداد والبصرة ضمن النفوذ البريطاني ، غير أن بريطانيا ظلت مصممة على نقل الموصل إلى نفوذها فاحتلتها مع المنطقة التابعة لها على أن تأخذ فرنسا مقابل ذلك حصة من النفط ، وهكذا أصبح العراق كله تابعا لبريطانيا .

كان الاحتلال تحقيقا لجزء من الاتفاقية السرية (اتفاقية سايكس بيكو) ، التى اقتسم بها الانكليز مع الفرنسيين مناطق النفوذ والسيطرة الاستعمارية فى الشام والعراق . ولكن العراقيين كانوا تسامعوا من جهة أخرى نجاح الثورة العربية فى الحجاز واشترك قسم منهم فيها ، وسمعوا بوعود الحلفاء للعرب فلم يقدموا أي مساعدة للأتراك فى انتظار مايأتى به النصر . وكان الانكليز قد أعطوا أنفسهم ثوب المحررين فأعلنوا حين احتلالهم بغداد رغبة الحلفاء فى النهوض بالعنصر العربى ليأخذ مكانه بين الأمم ، وفى التدرج نحو الاتحاد لتحقيق تلك الغاية .

ولهذا فوجىء العراقيون غداة النصر بإنشاء إدارة استعمارية فى العراق على نمط الإدارة فى الهند وشعر الانكليز بضرورة تنظيم الإدارة فى العراق على شكل يحقق مطالب

الجيش الفاتح من جهة ، ويؤمن السلام العام للأهلين ، ويوفر نوعا من الرخاء الاقتصادى والنشاط التجارى يحبب العهد الجديد إلى أكبر عددٍ من السكان ، ويصرفهم عن المقاومة الجدية ، والحنين إلى العهد التركى السالف أو الرغبة فى الاستقلال التام من جهة أخرى .

ولكن بريطانيا لم تحاول شيئا من ذلك بل عمدت إلى تأمين مقتضيات الاحتلال ومتطلباته قبل كل شيء ، والعمل على « تهنيد » العراق وخاصة القسم الجنوبى منه ، وذلك باشاعة النظم والقوانين والمبادىء الإدارية الهندية تمهيدا لضم جنوب العراق الى الهند ، كما عملت على الاهتمام بالعشائر لخدمة المصالح البريطانية فاتفقت مع شيوخ العشائر وزودتهم بالمال والسلاح ومنحتهم إقطاعات كبيرة من الأرض . وكان الانكليز يعاملون الأهلين معاملة العدو المغلوب ، واستولوا على جميع الوظائف فى الدولة ، وجندوا الفلاحين للعمل الإجبارى ، وحظروا تجارة المواد الغذائية إلا بعد تأمين حاجة الجيش ، ونفوا زعماء العشائر والضباط العرب الذين اشتركوا فى الثورة العربية إلى الهند وسيلان ومصر .

وتحول الشعور بالدهشة والاستغراب والمفاجأة من هذه الأعمال إلى نقمة ثورية حين سمع العراقيون بإقامة حكومة عربية فى دمشق ، وبمبادىء ويلسون الأربعة عشر وخاصة مبدأ حق تقرير المصير للشعوب ، لهذا بادروا إلى تكوين جمعيات تطالب بالاستقلال مثل (حرس الاستقلال) ، وجمعية « العهد » ، وتشجع بعض الضباط العراقيين ، فأرسلوا مذكرة إلى الحكومة البريطانية تطالب بإقامة حكومة وطنية فى العراق . ولكن الرد البريطاني كان مخيبا للأمل لأنه قال : إن أي محاولة لإجراء تجارب دستورية فى العراق تعد سابقة لأوانها مالم يصدر مؤتمر الصلح قراراته . والحقيقة أن الرأى البريطاني فيما يتعلق بتقرير المصير للعراق لم يكن متفقا على خطة معينة . فبينما كان بعض البريطانيين يرون أن لاتعطى البلاد أكثر من الحكم المحلي ، كان بعضهم الآخر يرى تقسيما إلى دولتين فى الشمال والجنوب ، وجماعة ثالثة ترى تنصيب ملكٍ عليها من بعض الأمراء العثمانيين أو من الأشراف وإقامة نظام جمهورى ولكن تحت النفوذ البريطاني دوما .

وأراد حزب العهد فى العراق إحراج الاحتلال الانكليزى ، فأعلن اختيار الأمير عبد الله بن الحسين ملكا على العراق يوم تتويج أخيه فيصل فى دمشق في رجب ١٣٣٨هـ . لكن الحلفاء من جهتهم كانوا يدبرون مصيرا آخر أعلنوه بعد شهر ونصف الشهر فى مقررات سان ريمو التى اتفقوا فيها على وضع اتفاقية سايكس بيكو موضع التنفيذ وفرض

الانتداب على العراق ، فلم يبق شك عند أحد فى نوايا الحلفاء الاستعمارية وفى ضرورة الكفاح المرير للخلاص من الاحتلال الجديد .

تجمعت عدة عوامل لثورة العراقيين ضد الانكليز منها انتشار الروح الوطنية واصطدام الأماني العراقية بمقررات سان ريمو ، وسقوط حكومة فيصل بدمشق ، وسوء معاملة الانكليز للشعب العراقي ، والتأثر بثورة مصر ١٣٣٧ التي عمل لها سعد زغلول . وكان السبب المباشر لثورة العراق (١٣٣٨) هو قيام الحاكم الانكليزى فى الرميثة (على الفرات الأوسط) بالقبض على أحد شيوخ العشائر ، فدخل رجاله عنوة إلى سراى الحكومة ، وأطلقوا سراح شيخهم وقتلوا الحراس ، وقلعوا السكة الحديدية شمال الرميثة وجنوبها .

وهكذا اندلعت الثورة وامتدت الى النجف ، وكربلاء ، والديوانية ، والسماوة ، ودياب ، وقامت الاضطرابات فى البصرة ، والموصل ، واربيل ، وأصبحت بغداد مهددة ، فاضطر الانكليز لجلب إمدادات كبيرة من الهند لتعزيز قواتهم فى العراق بحيث تستطيع إخماد الثورة ، كما أن أسلحة الثورة قد قلت ، فتمكنت بريطانيا بعد أن حشدت قواتها الضخمة ، وبعد أن استعانت بطائراتها من القضاء على الثورة والتى استمرت حوالي ستة شهور .

وكانت خسائر البريطانيين ٤٢٦ قتيلا و١٢٢٨ جريحا و٦١٥ مفقودا فى حين بلغت الخسائر المادية ٢٠ مليون جنيه استرلينى . أما خسائر العراقيين فتشير المصادر البريطانية إلى أنها كثيرة وقد بلغت (٨٠٠٠) قتيل . ولا شك أن خسائر العراقيين كانت أكثر لتفوق البريطانيين بالسلاح ، ومع ذلك فقد استطاع الثوار أن يعبّروا عن سخطهم بصورة فعلية جذبت انتباه حكومة لندن والعالم إلى قضيتهم ، كما أظهروا من الشجاعة والبطولة ما هو جدير بالإعجاب والتقدير العظيمين .

ومما يجدر ذكره أن الثورة كشفت عن عدة أمور مهمة منها : وحدة الشعور والتضامن بين العراقيين على اختلاف فئاتهم ، والنضج السياسي ، والقابلية العسكرية . غير أن نقطة الضعف التى كشفت عنها الثورة هي عدم استطاعة العراقيين فى مختلف أنحاء العراق القيام بالثورة فى آن واحد . بل وعدم مشاركة بعض أنحاء العراق ، وبعض عشائره فى القيام بواجبها فى هذه الثورة الوطنية ، هذا فضلا عن وقوع أخطاء فردية ، وعدم وجود قيادة عامة ، وعدم وجود دولة تساند الثورة .

وقد أظهرت هذه الثورة صعوبة استمرار الحكم البريطاني المباشر للعراق ، مما اضطر الانكليز إلى إعادة النظر فى سياستهم تجاه العراق ، وأن الخسائر البشرية والمادية التى منيت بها بريطانيا أثارت جدلا عنيفا فى المجلس النيابي والصحافة الانكليزية ، حتى طالب بعض السياسيين بانسحاب الحكومة من العراق والاحتفاظ بولاية البصرة فقط ، وطالب بعضهم بالجلاء عن العراق بأجمعه لأن احتلاله يكلف دافع الضريبة البريطاني كثيرا . فرأت الحكومة البريطانية أن تحكم العراق بصورة غير مباشرة وذلك بإقامة حكومةٍ وطنيةٍ فيه .

وأسرعت الحكومة البريطانية إلى تأليف أول حكومة وطنية مؤقتة برئاسة نقيب الأشراف عبد الرحمن الكيلانى ، وروعى فى توزيع كراسي الوزارة التمثيل الدينى والطائفى والعشائرى للبلاد ، ووضع بجانب كل وزير مستشار انكليزى ، كما كانت الحال في سوريا . وأعلنت بريطانيا رغبتها باقامة ملكية عراقية رشح لها عدد من العراقيين أمثال طالب النقيب ، والملك فيصل بعد خروجه من سوريا على أثر موقعة ميسلون وذهابه إلى لندن .

قدم فيصل إلى العراق بعد إعلان ترشيحه ، ونظمت السلطات الانكليزية والحكومة المؤقتة الدعاية له فزار فيصل مدن العراق وتعرف إلى رجالاتها ، ووصل بغداد فى شوال ١٣٤٠ هـ وبعد إجراء استفتاء شعبي ، كانت نتيجته ٩٦ ٪ تأييداً لفيصل ، وتوج فيصل فى ١٨ ذي الحجة ١٣٤٠ هـ ملكا على العراق .

بعد تتويج فيصل ، ألف عبد الرحمن الكيلانى وزارة وطنية ، إلا أن فيصلًا واجه مشكلات داخلية وخارجية معا ، أما المشكلات الداخلية فكانت كثيرة ، وأهمها المشكلات المتعلقة بالقبائل والأقليات – كالأكراد والآشوريين – والانقسام الطائفى بين السنة والشيعة . إذ أن العراق لم يكن مجتمعا واحدا منصهرا فى القرن الرابع عشر ، وظل يعاني من فقدان التجانس الاجتماعي هذا أمدا طويلًا ، ولعل أعظم مشكلاته تكمن في هذا الوضع الغريب .

وقد عمل فيصل على تأسيس الجيش العراق الحديث ، وإنشاء الكلية العسكرية ١٣٤٣هـ وتقدم التعليم ، وإرسال البعثات العلمية إلى الخارج ، واستقدام المدرسين والمهندسين والفنيين من مصر ، وإنشاء عدة كليات كانت نواة لجامعة بغداد ، كما عمل على توسيع الزراعة عن طريق مشروعات الري الحديثة ، وقيام الصناعات النسيجية

الآلية ، واستغلال آبار النفط . وعقد كذلك معاهدات صداقة وحسن جوار مع كل من المملكة العربية السعودية ، والأردن ، وتركيا فى عام ١٣٥٠ وإيران فى عام ١٣٥١ وأنهى الخلافات القديمة بينه وبين هذه الدول وحل مشكلات الحدود .

كما سمح بإنشاء الأحزاب السياسية على النمط الأوربي الغربي لكى تساعد على نمو تطور الديموقراطية فى البلاد ، فبعد اعتلاء فيصل عرش البلاد وفى عهد وزارة عبد الرحمن الكيلانى تشكلت ثلاثة أحزاب ، كان اثنان منها يمثلان المعارضة هما الحزب الوطني العراقي وحزب النهضة ، بينما يؤيد الحزب الثالث وهو الحزب الحر العراقي الحكومة وقد أغلق المندوب السامى البريطانى حزبى المعارضة ، وتشكلت كذلك أحزاب أخرى هى : حزب الأمة ١٣٤٣ هـ ويهدف إلى تأييد الاستقلال التام ، ونشأت فى الموصل أحزاب ثلاثة أهمها حزب الاستقلال وجمعية الدفاع الوطنى ، العراقي ، وكانت تدافع عن قضية الموصل ، وتطالب بأن تكون هذه الولاية ضمن حدود العراق ، كما تشكل حزبان آخران فى بغداد هما حزب التقدم ، وحزب الشعب ، وفى عام ١٣٤٩ شكل نورى السعيد حزب العهد الموالي لبريطانيا . وفى الخمسينات ظهرت أحزاب وطنية هى الحزب الوطنى ، وحزب الإخاء ، واندمجا معا فى حزب واحد هو حزب الإخاء الوطنى ، وكذلك جماعة الأهالى ، والحزب الشيوعى العراقى ، وأخذت هذه الأحزاب على عاتقها قيادة الحركة الوطنية فى البلاد بما يحقق للعراق استقلاله التام وسيادته الوطنية ومعارضة النفوذ البريطاني والمطالبة بتعديل المعاهدة البريطانية فى عام ١٣٤٩هـ .

أما فى مجال السياسة الخارجية فكانت أهم مشكلات العراق الخارجية تتمثل فى علاقاته مع بريطانيا ، إذ أن العلاقات بين العراق وبريطانيا فى عهد فيصل دارت حول الوضع الذى أراده العراقيون لبلادهم وهو الاستقلال . هذا بينما كانت بريطانيا التى تقدر قيمة المراق الاستراتيجية والاقتصادية ، تحرص على استمرار سيطرتها هناك بطريقة أو بأخرى ولكن بريطانيا تعلمت من ثورة ١٣٣٨ أن تعالج المسألة العراقية بحذر تام ، ومن هنا فقد رفضت بريطانيا أن تطلب من عصبة الأمم المتحدة إقرار انتدابها على العراق رسميا ، ورأت أن تستبدل بالانتداب تنظيم علاقاتها مع العراق على أساس معاهدة تحالف أبرمت بالفعل فى منتصف صفر ١٣٤١هـ ـــ ١٩٢٢/١٠/١٠م ، وكانت صورة مستورة لصك الانتداب الذى يمقته الشعب العراق .

وهكذا فإن مجىء فيصل إلى العراق لم يحمل إليه الاستقلال الكامل العاجل كما كان

يتوقع هو والعراقيون ، فمعاهدة ١٣٤١ التى وعد تشرشل فيصلا بأن تحل محل الانتداب ، تضمنت كل شروط الانتداب دون شكله ، وقد أعرب فيصل فى ساعة من ساعات اليأس عن عدم رضاه على المعاهدة قائلا : « ليست هذه هي المعاهدة التى وعدنى تشرشل بها فى لندن» .

غير أن تجربة فيصل المريرة فى سوريا قد لقنته درسا فى عدم الاصطدام بدولة عظمى فى العراق ، وكذلك عدم الاستجابة لنصائح الوطنيين المتطرفين ، ومن ثم ، فقد اتبع سياسة « خذ وطالب » التى كانت تعنى السير بالبلاد فى طريق الاستقلال خطوة بعد أخرى ، تلك السياسة التى كانت تلائم نمط السياسة البريطانية الاستعمارية ، التى سمحت للمستعمرات بالتطور نحو الحكم الذاتى بطريقة بطيئة وسلمية .

ومن الجدير بالذكر أن فيصلا كان يعتقد أن المصالح البريطانية والمصالح العراقية غير متعارضة ، وكان هذا الاعتقاد وارتباطاته مع بريطانيا من أهم نقط ضعف مركزه فى العراق . ومع ذلك ، فان فيصلا كان متأكدا من أن مساعدة بريطانيا وعطفها أمران ضروريان لحماية العراق من جيرانه المعادين من جهة ، ولإنهاء نظام الانتداب من جهة أخرى . وهذا يفسر إرغامه وزراءه على التوقيع على معاهدة ١٣٤١ رغم عدم رضاه عليها .

وعلى كل حال ، فان معاهدة ١٣٤١ قد علمت كلا من فيصل وبريطانيا أنها لا يمكن أن تكون الأساس لصداقة انكليزية عراقية دائمة ، والواقع أن الوطنيين العراقيين لم يكونوا مستعدين لقبول أى مشروع يخلو من الاستقلال التام وإنهاء الانتداب . ولذا عدلت معاهدة ١٣٤١ باتفاق ربيع الثانى ١٣٤٢ الذى أنقص مدة المعاهدة من عشرين سنة إلى أربع سنوات فقط ، ثم استبدل بها عام ١٣٤٥ (معاهدة أخرى من أجل قضية الموصل ، كما عقدت معاهدة عام ١٣٤٦ أدت إلى تقليل الرقابة والإشراف البريطانى فى العراق على الشؤون العسكرية والمالية ، كما تضمنت ضم المعاهدة وعداً من جانب بريطانيا بتأييد ترشيح العراق لعضوية عصبة الأمم فى عام ١٣٥١ ، وعلى العموم فرغم أن معاهدتى ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ لم تحققا للعراق استقلاله التام إلا أنهما كشفتا بوضوح أن بريطانيا على استعداد لمنح العراق استقلاله شيئا فشيئا .

وفى عام ١٣٤٩ أمكن التوصل إلى تسوية نهائية بين بريطانيا والعراق ، فقد قررت معاهدة غرة صفر ١٣٤٩ التى وقعها المعتمد البريطاني فرنسيس همفريز ، ونورى السعيد بوصفه وزيرا للخارجية ، إنشاء محالفة عراقية بريطانية لمدة خمس وعشرين سنة ،

وأكدت بريطانيا فيها عزمها على تأييد ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم فى عام ١٣٥١ ، ثم إعلان استقلال العراق وانتهاء الالتزامات التى كانت على بريطانيا بحكم الانتداب الذى كان لها ، وذلك يوم دخول العراق عصبة الأمم .

وقد نصت المعاهدة على التعاون فى السياسة الخارجية والحرب ، إذ تعهدت بريطانيا بالدفاع عن العراق فى مقابل تقديم التسهيلات كافة لبريطانيا ، كما نصت على إنشاء قواعد حربية جوية فى البصرة ، والحبانية مع منح القوات البريطانية حق المرور ، من الأراضي العراقية ، وتعهدت بريطانيا بتدريب الجيش العراق ، وتزويده بالأسلحة .

وقد قوبلت المعاهدة بآراء مختلفة ، فقد وجد فيها فيصل ونورى السعيد خطوة أولية موفقة نحو الاستقلال التام مع حفظ بعض المصالح البريطانية ، هذا بينما عدّها المتطرفون العراقيون صكا انتدابيا مغلفا ، ووسيلة لتدعيم النفوذ البريطاني فى بلاد الرافدين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن معاهدة ١٣٤٩ العراقية البريطانية قد غدت نموذجا لمعاهدات أخرى مع الدول العربية الأخرى مثل معاهدة مصر مع بريطانيا ١٣٥٥ ، ومعاهدة فرنسا مع سوريا ولبنان في العام نفسه .

وقد أدت هذه المعاهدة إلى انقسام السياسيين العراقيين إلى فئتين : فئه تؤيد التحالف البريطاني ، وفئه أخرى تعارض هذا التحالف ، وترأس المجموعة الأولى نورى السعيد وأعوانه ، على حين ضمت المجموعة الثانية ياسين الهاشمى ، وحكمت سليمان ، ورشيد عالى الكيلانى ، وكامل الجادرجى ، وكانت هذه المجموعة تعارض معاهدة ١٣٤٩ على أنها لم تحقق أماني العراق . وظلت هذه المعاهدة محور الصراع بين القوى الوطنية فى العراق من جهة ، وبريطانيا وأعوانها من العراق من جهة أخرى . واستمر هذا الصراع حتى نجحت هذه القوى فى الإطاحة بالحكم فى ثورة [٢٦ ذي الحجة ١٣٧٧] قبل انتهاء العام بأربعة أيام وإلغاء المعاهدة .

ومع ذلك فإن هذه المعاهدة قد حققت للعراق استقلاله الذاتي ، ودخل عصبة الأمم عام ١٣٥١ ، وكان أول بلد عربي مستقل دخل عصبة الأمم ، وباستقلال العراق نظر العرب إليه نظرة أمل فى أن يسهم بنصيب كبير فى مساعدة البلدان العربية الأخرى لنيل استقلالها وتحررها . وكان مما زاد فى الأمال وأنعشها أن تدفق النفط فى الأربعينات من أرضه ، ورأى العرب فيه غداً مشرقا يحول النفط الأسود ذهم إلى ازدهار . وأصبح العراق فى مطلع الخمسينات يملك أضخم ثروة معدنية فى المنطقة العربية

وساعدت هذه الظروف على أن يكون العراق ملجأ للعرب الذين فروا من التنكيل والملاحقة من سلطات الانتداب ، أو السلطات المحلية فى كل بلاد الشام وتجمع العشرات منهم ليشكلوا تيارا وطنيا ينادى بتحرير البلدان العربية ومقارعة الانتداب ، ويدعو فيصلاً إلى الخروج عن عزلته وقيادة حرب التحرير العامة ، لإقامة دولة واحدة من العراق وبلاد الشام تحت العرش الفيصلي .

وتصوّر بعضهم أن العراق يمكن أن يلعب دوراً أساسياً فى الاتحاد العربى ، ونظر هؤلاء إلى بريطانيا فوجدوها تكيد للبلاد ، ولاتعمل شيئا يدعم التعاون الذى نصت عليه معاهدة ١٣٤٩ العراقية البريطانية ، ورأوا أن النظام القائم فى العراق ، ماهو الإبناء اصطناعي ، أوجدته بريطانيا ليلائم مصالحها وأغراضها الامبراطورية ، وهو لذلك لايستحق الحياة والبقاء ، وإنما الجدير بالبقاء والحياة هو النظام الذى يشكل فيه العراق جزءا من الدولة العربية الموحدة ، ولم يكن منح بريطانيا الاستقلال للعراق ليرضى النزعة الوطنية لأن معظمهم كان يتطلع إلى تحرير البلدان العربية واندماجها فى وحدة شاملة ، وذلك بسبب ارتفاع مد الحركة العربية فى العراق ، ونفوذها إلى أذهان الجيل الجديد فيه .

ولقد أصبح العراق مركز الثقل فى الحركة العربية فى المدة مابين الحربين العالميتين ، كنتيجة للمرارة التى تركزت فى نفوس العرب ، لغدر الانكليز بأمانيهم فى التحرر والوحدة إبان الحرب العالمية الأولى ، تلك المرارة التى زادتها اشتعالا فى الخمسينات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وعدم منح سوريا استقلالها ، مما ساعد على ظهور الحركة العربية فى العراق . وكانت هذه الحركة تصب فيها روافد القضايا العربية الأخرى أكثر مما كانت تتحكم فيها ظروف العراق الخاصة .

وتأسيسا على ماتقدم أنشئت منظمات وطنية من أهمها نادى المثني ، ومنظمة الفتوة ، كما أن أعمال الحكومة كانت تنسجم مع هذا الاتجاه الوطني إلى حد كبير ، فالعلم كان عربيا منذ البداية ، وكذلك نظم الادارة وأناشيد الطلبة وبرامج التعليم . وأراد فيصل أن يجعل من بغداد مركزاً عربياً قوياً ، فأقام حكومة العراق العربية ، وكان يميل دائما إلى اتحاد بين سوريا والعراق ، وليجعل لبلاده واجهة بحرية تساعد على تقوية البلدين وتنمية مرافقها الاقتصادية ، وسعى إلى توثيق علاقاته مع الدول العربية الأخرى . وسار على نهجه ابنه غازى الذى خلفه ، وقطعت الحركة العربية مراحل أبعد

بكثير مما كان متصورا . وأسهمت الصحافة العراقية فى تنوير الرأى العام عن القضايا العربية ، وآزرت الحركة الوطنية في العراق ، ودافعت عن قضية فلسطين ، وهاجمت فرنسا ، وأشادت بوطنية سوريا وجدارتها بالاستقلال . وشارك عدد من العراقيين فى ثورات فلسطين ١٣٥٥ ، وشجب الملك غازى الاستعمار بأشكاله كافة في سوريا وفلسطين ، وكان الوطنيون العرب يذيعون بيانات تندد بالاستعمار من إذاعة خاصة أعدها غازى لهم فى قصر الزهور ببغداد حيث يقيم الملك نفسه .

وعلى العموم ، فان العراق قد تقدم وتطور خلال حكم الملك فيصل ١٣٤٠ ــ ١٣٥٢ ونتيجة لمواقف الملك فيصل الرائدة فى المجالات الداخلية والعربية والدولية ، فانه قد حظى بحب الجماهير وتأييدها ، إلا أن الأجل لم يمهله لمتابعة مسيرة الكفاح والنضال فتوفي عام ١٣٥٢ ، وخلفه ابنه غازى الذى حكم فى المدة (١٣٥٢ ــ ١٣٥٨)

وفى عهده شهدت البلاد كثرة تغير الوزارات ، وفساد الحياة النيابية ، وعجز التنظيمات السياسية الحزبية عن المعارضة الكلامية السلمية داخل المجلس النيابى أو على صفحات صحفها ، أدى ذلك كله إلى إلتجاء المعارضة للعشائر العراقية ، وخاصة فى منطقة الفرات الأوسط ــ لممارستها العمل السياسى واستغلال قواها فى إسقاط الوزارات ، وتسلم زمام السلطة ، كما حدث بالنسبة لوزارة على جودت الأيوبى ١٣٥٣هـ ووزارة جميل المدفعى الثالثة ١٣٥٤هـ حيث تسلم ياسين الهاشمى الحكم بتأييد الجيش الذى كان أخوه طه الهاشمى يتولى رئاسة أركانه . وبذا فتحت صفحة جديدة فى السيطرة على الحكم كوسيلة للتغيير وتسلم السلطة بدلاً من العشائر .

ولقد أصبح الجيش العراقى قوة وطنية ضاربة خاصة وأن الحكومة العراقية بعد الاستقلال اهتمت بتكوين نواة جيش يتفق مع الوضع الجديد واحتياجات الدولة . وبدأ بعد عام ١٣٤٩ التوسع فى الجيش فأدخل نظام التجنيد الإجبارى فى عام ١٣٥٣ . وأخذ الكثيرون من أبناء الشعب يلتحقون بالكلية الحربية ، ويصلون إلى صفوف الضباط الصغار ، وبذلك أصبح الجيش العراقى يشمل قطاعا وطنياً عريضاً . ولاننسى أن طبيعة القوة العسكرية فى البلاد المستعمرة تختلف اختلافا بينا عن طبيعة ووظيفة الجيش فى البلاد صاحبة الامبراطوريات ، فبينما فى الثانية كانت وظيفتها أولا بناء الامبراطورية الاستعمارية ثم الدفاع عن هذه الامبراطورية الاستعمارية ، كانت القوة العسكرية فى المستعمرات ــ رغم استخدامها أحيانا فى قمع الحركات الوطنية ــ تنتمي فى حقيقة

الأمر إلى هذه القوة الوطنية ، فهى لم تبن امبراطورية ولم تدافع عن امبراطورية ، بل كان ينتابها دائما الإحساس بضرورة مساندة الحركة الوطنية .

ولقد حدث فى تاريخ الجيش العراقى ما ساعد على بلورة هذه الحقيقة أى تحول الجيش إلى قوة وطنية تحمي مصالح العراق ، ويتمثل ذلك فى إخماد الجيش العراقى لفتنة الأشوريين عام ١٣٥٢هـ ، وكذلك إخماد ثورات الفرات الأوسط (الرميثة وسوق الشيوخ والمنتفق) عام ١٣٥٤هـ ، ثم قمعه لحركة بارزان والزيدية فى الشمال خلال عامى ١٣٥٤هـ و ١٣٥٥هـ . وقد اندلعت هذه الثورات والانتفاضات بإيعاز من رجال السياسة فى بغداد أو بسبب معارضة القبائل لقانون التجنيد الإجبارى .

وعلى العموم فقد قام الجيش بأول انقلاب عسكرى فى العراق بقيادة بكر صدقى للإطاحة بوزارة ياسين الهاشمي ، غير أن ضباط الجيش أطاحوا به بعد عشرة أشهر فقط وذلك لأنهم كانوا يريدون إنهاء مظاهر التدخل الأجنبي ، ووضع نظام سياسي سليم مستقر ، وتحرير الدول العربية الشقيقة التي كانت تسعى للحرية والوحدة . وظل الجيش ــ بعد مقتل بكر صدقى فى أول جمادى الأولى ١٣٥٦ ــ القوة المحركة للسياسة العراقية من وراء ستار ، وصار هو الذى يقر تشكيل وإسقاط معظم الوزارات بين عامي ١٣٥٦ ــ ١٣٦٠ عن طريق الانقلابات العسكرية .

وشهدت هذه الفترة توقيع العراق على اتفاق ميثاق سعد أباد ١٣٥٦ بين كل من العراق وتركيا وأفغانستان وإيران ، وكذلك توقيع معاهدة تقسيم شط العرب بين إيران والعراق ، وتوقيع معاهدة الإخاء والتحالف بين العراق والسعودية وبين العراق واليمن ١٣٥٥هـ .

ونظرا لأن الملك غازى كان يولي القضايا الوطنية جل اهتمامه ، حيث تبنى مهاجمة الاستعمار وخصص إذاعة خاصة من قصره لتذيع البيانات الوطنية ضد الاستعمار الانكليزي والفرنسي ، فقد عمد الاستعمار إلى التخلص منه ، وقد قتل فى حادث سيارة غامض ١٣٥٨ . وهاج الشعب العراقي وماج وندد بالاستعمار البريطاني وهجم المتظاهرون على مبنى القنصلية البريطانية فى الموصل ، وقتلوا القنصل البريطاني هناك . ونودى بابنه فيصل الثانى ملكا على البلاد ، وكان عمره أربعة أعوام ، وعيّن خاله الأمير عبد الإله وصياً على العرش ، والذى ظل يحكم البلاد بالتعاون مع نورى السعيد منفذاً مصالح بريطانيا فى العراق .

بعد قيام الحرب العالمية الثانية (١٣٥٨) قطعت الحكومة العراقية علاقاتها السياسية مع ألمانيا ، وحجزت الرعايا الألمان وأملاكهم فى العراق . وفى ربيع عام ١٣٥٩ استقالت وزارة نورى السعيد ، وتألفت وزارة جديدة برئاسة رشيد عالى الكيلاني ، والتي مالت في البداية إلى التفاهم مع بريطانيا شريطة أن تتعهد بريطانيا بمنح فلسطين استقلالها ، وتعديل الكتاب الأبيض الخاص بفلسطين ، وتساعد على استقلال سوريا مقابل أن يقوم العراق من جانبه باعلان الحرب على المحور ، والانضمام إلى الحلفاء ، وإرسال فرقتين عسكريتين من العراق إلى الجبهة الليبية . ولكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك . فتأزمت العلاقات بين الحكومة العراقية الوطنية ، وبين الحكومة البريطانية .

فوجىء الزعماء العرب بموقف بريطانيا ، وكان العراق يعج فى هذا الوقت بالزعماء السوريين والفلسطينيين والمصريين الهاربين من اضطهاد الانكليز والفرنسيين ، وكان لوجودهم أثر على إذكاء الشعور الوطني في البلاد ، فتأثر نتيجة لذلك معظم العراقيين ، بينهم سياسيون ووزراء ، ولعبت الدعاية النازية دورا فى تحريك مشاعر الشعب ضد الانكليز ، وحقيقة الأمر أن قضية فلسطين كانت أهم عامل يثير حفيظة العرب ضد بريطانيا .

ونتيجة لموقف بريطانيا السلبى بشأن قضية فلسطين ، حدث انقسام فى الوزارة العراقية ، واتسعت الهوة بين أنصار بريطانيا بزعامة نورى السعيد ، وبين الوطنيين المتطرفين بزعامة رشيد عالى الكيلانى والذى ازداد نفوذه حينذاك . وفى هذه الأثناء جرت اتصالات سرية بين الوطنيين وألمانيا لمعرفة موقف الأخيرة فيما لو قامت ثورة ضد بريطانيا وفرنسا ، وطلب الوطنيون أن تصدر ألمانيا وإيطاليا بيانا يبين نواياهما نحو البلدان العربية .

وبالفعل أصدرت الحكومة الألمانية بياناً رسمياً ، أعلنت فيه عطفها وتأييدها للقضايا العربية فى المستقبل ، وذكر البيان أن ألمانيا بإعطائها هذا التصريح على اتفاق تام مع حليفتها إيطاليا أيضاً ، وكررت محطة برلين إذاعة هذا التصريح عدة مرات . ولكن البيان الألمانى كان عاما غامضاً ، ولم يتضمن إجابة صريحة ودقيقة على المطالب العربية .

وشعر العرب أن ألمانيا تريدهم أن يبدأوا الثورة على بريطانيا فى فلسطين ، وأن تقوم العراق بعمل ما ضدها قبل مد العراق بالمعونة العسكرية ، كأن يمنع استخدام القوات

البريطانية لأراضيه وهذا يعنى نقض المعاهدة العراقية الانكليزية ، دون أن يكون العراق مستعدا لمواجهة مايترتب على توريط العراق فى صدام مسلح مع الانكليز .

وقد عرف الانكليز وأنصارهم كل هذه الأمور ، فعملوا على إسقاط وزارة الكيلانى وإقامة وزارة موالية لهم ، وبالفعل أطيح بوزارة الكيلانى وتشكلت وزارة أخرى برئاسة طه الهاشمي التي قررت إقصاء الضباط الأحرار والذين سماهم الاستعمار بـ (المربع الذهبى) وهم صلاح الدين الصباغ ، ومحمود سلمان ، وفهمى سعيد ، وكامل شبيب . فرفض الضباط أوامر الوزارة وقرروا العمل ، وتحركت قواتهم فى ١٣٦٠/٣/١ فأرغمت رئيس الوزراء (الهاشمى) على الاستقالة وإعادة الكيلانى الذي يتمتع بثقة الشعب إلى رئاسة الوزارة ، وفر الوصي عبد الإله إلى قاعدة الحبانية ومنها إلى البصرة حيث حاول أن يثير البصرة ضد بغداد ولكنه فشل ، ومنها سافر على متن طائرة بريطانيةٍ إلى عمان ، وانتخب المجلس النيابي (الشريف شرف) وصيا على العرش بدلاً من الأمير عبد الإله .

صعقت بريطانيا لهذا الانقلاب ورأت فيه تهديدا لأمنها ومصالحها ، فلم تعترف بالحكومة الجديدة وعدتها مواليةً لألمانيا . وفى ١٧ ربيع الأول ١٣٦٠هـ أحاط السفير البريطانى الحكومة العراقية علماً بقدوم فرقةٍ بريطانيةٍ من الهند إلى البصرة ، فوافقت الحكومة العراقية على نزولها على ألا تنزل قوات جديدة قبل مغادرة القوة الأولى . وكان نص المعاهدة يقضى بأن تستخدم بريطانيا أراضي العراق لمرور قواتها أثناء الحرب وأن تقوم الحكومة العراقية بتقديم كافة التسهيلات لذلك . فالمعاهدة تنص على مرور القوات دون إقامتها أما الإقامة فتعني الاحتلال العسكرى وهذا مارفضته الحكومة العراقية .

وفى ٢٨ ربيع الأول ١٣٦٠هـ طلب السفير البريطانى من الحكومة العراقية الموافقة على نزول قوة جديدة تصل فى اليوم التالي ، فقررت الحكومة العراقية عدم السماح للقوة الجديدة بالنزول قبل رحيل القوة الأولى ، ولكن السفارة البريطانية تجاهلت ذلك ، ونزلت القوات فى البصرة ، وحينئذ طلب قائد القوة العراقية الآلية المحيطة بقاعدة الحبانية منع الطائرات البريطانية من التحليق فى الجو ، فرد القائد البريطاني طالباً سحب القوات العراقية المرابطة قرب الحبانية قبل أن يضطر الى قصفها من الجو .

وفى ٢ربيع الثانى فتح الانكليز النار على العراقين من قاعدة الحبانية ، ونشب القتال بين الطرفين . وأبرقت وزارة الخارجية العراقية إلى سفيرها فى تركيا أن يبلغ السفير

الألماني فى أنقرة قرار العراق بإعادة العلاقات السياسية مع ألمانيا ، ورغبته الشديدة في معونتها . وأعلن العراق قطع علاقاته مع بريطانيا واشترك متطوعون عرب إلى جانب الجيش العراقي في حربه مع بريطانيا ، لأن هذه الحرب كانت حرب مصير . وتأمل العراقيون أن تصلهم نجدات وأسلحة وطائرات من ألمانيا ، إلا أن مساعدات ألمانيا لم تصل بسرعة بسبب ظروف الحرب ولمنع تركيا مرور الأسلحة من أراضيها إلى العراق . ولكن وصول النجدات الانكليزية قد توالت إلى العراق ، عن طريق البصرة وفلسطين والأردن ، والمساعدة الألمانية لم تصل بعد ، فانتصر الجيش الانكليزي بعد حرب دامت شهراً كاملاً ، وساعده فى ذلك فرقة من الجيش الأردني بقيادة الجنرال جون كلوب باشا وفصيل يهودي أيضاً . وعاد الوصى السابق عبد الإله من عمان ، وهرب الكيلانى وأنصاره إلى المانيا . وتشكلت حكومة جديدة بزعامة نوري السعيد . الذى عمل على تصفية العناصر الوطنية ، فأعدم الكثيرين من الشباب والضباط دون محاكمة . وخضع العراق لوطأة احتلال شديد ، وأصبحت أراضيه كلها مفتوحة للجيوش الانكليزية . وكانت سنوات الحرب كلها سنوات إرهاب وظلم على الشعب العراقي فزج بالأحرار إلى السجون ، وكان كل من أيد الثورة أو تعاطف معها يلقى فى السجن دون محاكمة ، وقد بقوا في السجن مدة الحرب . وأصبحت البلاد كلها خاضعة للنفوذ الانكليزي . وقضى على الضباط الأحرار . وبرز أنصار بريطانيا وعملاؤها فى العراق وتحكموا فى مقدرات البلاد التى أخضعوها للنفوذ الانكليزي .

والحقيقة أن ثورة رشيد عالي الكيلاني كانت حركة وطنية تهدف إلى تخليص العراق من براثن الاستعمار البريطاني وتعمل على استقلاله .

شهد العراق بعد الحرب العالمية الثانية توالي عددٍ من الوزارات على الحكم ، وكانت هذه الوزارات تتألف فى الغالب من جماعة من الساسة المحترفين ، ومن أصحاب الأراضي الواسعة وكبار التجار . ولم تكن الحكومة فى معظم الأحيان خاضعة لسيطرة مجلس النواب ، بل كانت الحكومة على العكس من ذلك هى التى « تصنع » مجلس النواب ، إذ تعمل الترشيحات لعضوية المجلس بحيث تشمل أسماء رؤساء الوزارات السابقين جميعهم ، الوزراء الذين تولوا الوزارة أكثر من مرتين جميعاً ، وأصحاب الحرف الحرة ورؤساء القبائل ، وتبلغ نسبة هؤلاء فى المجالس النيابية ٦٠٪ من أعضائها . أما باقى الأعضاء فيتوقف أمرهم فى الغالب على إرادة الوزارة الموجودة في الحكم . ولكن هذا

الوضع لم يمنع الراغبين فى شق طريقهم إلى المجلس من ترشيح أنفسهم ، كما أنه ليس من عائقٍ فى وجه تكوين الأحزاب السياسية واشتراك بعض ممثليها فى الانتخابات .

وعلى العموم فمنذ انتهاء الحرب العالميةالثانية وانتصار الحلفاء ، رأت بريطانيا والوصي عبد الإله بأن يخفف من القسوة على الشعب ، ويمنحه نوعا من الحرية بعد مدة قاسية من الكبت ، فأعلن الوصي عبد الإله عن عزم الحكومة العراقية على إطلاق الحريات العامة والسماح بتأليف الأحزاب ، والجمعيات السياسية ، والسير بسياسة البلاد على أسس ديمقراطيةٍ صحيحةٍ وعلى الأثر ظهرت بعض الأحزاب الجديدة من أهمها : حزب الاستقلال ، وحزب الأحرار ، والحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب الشعب ، حزب الاتحاد الوطني ، ودعا معظمها إلى الوحدة فى شكل اتحاد عربي ، واتفقت معظمها فى التأكيد على ضرورة الاصلاح الزراعي والعمالي والاجتماعي . وكان بعضها ضد الشيوعية (الاستقلال والأحرار) . وكانت هناك أحزاب أخرى ممنوعة (حزب التحرير الوطنى) وهو حزب شيوعى ، وحزب البعث الاشتراكي . ولكن هذه الأحزاب جميعها ذابت أمام طريقة الحكم العراقى الذى يسيطر عليه الوصي عبد الإله ، ونورى السعيد فى معظم الأحيان .

وشارك العراق فى تأسيس الجامعة العربية ، وأصبح عضوا فيها ، كما عقد معاهدةً مع الأردن ١٣٦٥ رغم اعتراض الشعب عليها ممثلا فى الأحزاب ، وأصبحت هذه المعاهدة نواة الاتحاد الهاشمي الذى أسس فيما بعد ، كما عقد معاهدة صداقة مع تركيا في العام نفسه انتقدتها القوى الوطنية . وأخيرا ونظرا لاستقلال سوريا ولبنان وتحررهما من التبعية الأجنبية رغب العراق فى تعديل المعاهدة بينه وبين بريطانيا فجرت مفاوضات بينهما منذ عام ١٣٦٥ ، واستمرت فى العام الذي تلا ذلك وانتهت بتوقيع معاهدة بورتسموث ٢ فى ذى الحجة ١٣٦٧ ، والتى تنص على التحالف الدفاعي إذا تعرضت إحداهما إلى الخطر ، وتلغي المعاهدات السابقة جميعا ، ويوافق العراق فيها على تقديم التسهيلات للجيوش البريطانية على أرضه ، وعلى إقامة قواعد جوية تساعد على الدفاع وعلى حفظ الأمن الدولي ، وتكون نفقة القوات التى تحمي قاعدتي الحبانية والشعيبة الجويتين على عاتق الحكومة العراقية . ومدة المعاهدة عشرون سنة . وتسمى أحيانا معاهدة صالح جبر — بيفن .

وقد هب الشعب العراقي كافةً عندما تلقى الخبر بتوقيع المعاهدة ، فقامت المظاهرات ، واصطدم الشعب بالشرطة ، ووقع الكثير من القتلى والجرحى ، مما اضطر

الوصي أن يصدر بياناً بإلغاء المعاهدة ، وأنه لن يبرم أي اتفاق إلا بعد عرضه على ممثلى الشعب ، واضطر رئيس الوزارة صالح جبر الذى وقع على المعاهدة إلى الاستقالة . وشكل محمد الصدر وزارة جديدة ألغت المعاهدة ١٣٦٧ ، وظلت معاهدة ١٣٤٩ سارية المفعول .

وازدادت نقمة الشعب وغليانه بشأن حرب فلسطين والتى اشترك فيها الجيش العراقي ، وكثرت المعارضة لدور الجيش العراقي ومؤازرته للجيش الأردني فعمدت الحكومة إلى حل الأحزاب وإغلاق مكاتبها ، وكانت الطريقة فى الحكم قاسية تسحق الحريات والمعارضة ، ومع ذلك استمر الشعب فى القيام بدوره فى معارضة الحكومة ، واغتنام كل فرصة سانحة للتعبير عن شعوره ، فهب الشعب العراقى فى انتفاضته العارمة ١٣٥١هـ متأثرا بالأحداث الدولية (حركة مصدق وتأميم النفط فى إيران) ، وكانت مطالبة الشعب بهدف تعديل قانون الانتخاب ، وإصلاح أحوال الشعب ، والسير على أسس ديمقراطية صحية فى الحكم . ولكن الحكومة استخدمت الجيش لأول مرة للقضاء على هذه الانتفاضة وزجت بالأحرار فى السجون .

وفى عام ١٣٧٣ توج فيصل الثاني ملكاً على البلاد ، فلم تستفد البلاد شيئا من التغيير السياسي لأن خاله الوصى عبد الإله ونورى السعيد ظلا يحركان الأحداث ويوجهانها كما كانا من قبل ، فلم يكن للملك فيصل أى دور للتأثير أو لاحداث تغيير سياسي وفق أهداف ومتطلبات الشعب .

ولجأ رئيس الوزراء نورى السعيد فى عام ١٣٧٣ إلى التضييق على الحريات مرة أخرى ، فأغلق الأحزاب والجمعيات والنوادى السياسية وكمم الأفواه ، وزاد من قبضته على الشعب تمهيدا لعقد حلف بغداد ، ونجح بالفعل فى توقيع حلف بغداد عام ١٣٧٤هـ والذى وقعته كل من تركيا ، والعراق ، وإيران ، وبريطانيا ، وكانت الولايات المتحدة عضواً مراقباً ، وهي التي عملت على تكوينه فى سلسلة الأحلاف التى يطوق بها الغرب دولة الاتحاد السوفيتى . ورفضت بقية الدول العربية الدخول فى الحلف . وكان الحلف يهدف فى الواقع إلى حماية المصالح الغربية فى منطقة الخليج العربي . واستغل نورى السعيد هذا الحلف فى القضاء على خصومه السياسيين وقمع الحركة الوطنية فى العراق تحت ستار مكافحة الشيوعية .

وإزاء موقف نورى السعيد المتخاذل والمعادى لمصر إبان العدوان الثلاثى فى عام ١٣٧٦ ، اتحدت الأحزاب العراقية جميعها في جبهة وطنية (حزب الاستقلال ، الحزب الوطنى الديمقراطي ، الجبهة الشعبية ، الحزب الشيوعي ، حزب البعث العربي الاشتراكي) وقررت اتباع نظام العمل السري . كما أخذت النقمة تزداد فى الجيش وفى صفوف الضباط الوطنيين ، ولاسيما بعد نكبة فلسطين ، فبدأت نواة اللجان الثورية تتكون فى الجيش منذ عام ١٣٧٦هـ . وقد كان لهذه اللجان صلة بالجبهة الوطنية . وكان تطور الأحداث فى الشرق العربي يقيم الكثير من التناقض بين سياسة الحكام فى العراق وبين حكام باقى دول المنطقة .

وقد بلغت نقمة الشعب أوجها فى عام ١٣٧٨ إثر قيام الوحدة بين مصر وسوريا وتكوين دولة الجمهورية العربية المتحدة ، فحاولت حكومة نورى السعيد امتصاص نقمة الشعب العراقي وتطويق ذلك الحدث ، وتخفيف أثره بايجاد اتحاد بين العراق والأردن ، إلا أن هذه المناورة في امتصاص النقمة المتزايدة أخذت تتزايد يوما بعد يوم حتى انفجرت فى ثورة ٤ محرم ١٣٧٨هـ عندما تحرك الجيش العراقي لنجدة الأردن بسبب أحداث لبنان في ذلك العام ، فاتجهت قوات الجيش إلى بغداد واستولت على دار الإذاعة وهب الشعب كافة للقضاء على أعوان نورى السعيد ، فانهت هذه الثورة الحكم الملكي فى العراق ، وقتل الملك والوصى ونورى السعيد وعدد آخر من الوزراء وقادة الجيش . وأعلن عن قيام النظام الجمهورى . وأصبح عبد الكريم قاسم رئيسا للحكومة وقائدا عاما للجيش وعين نائبه عبد السلام عارف وزيرا للداخلية .

وتحرر العراق من آخر روابطه مع انكلترا ومع الغرب والقواعد العسكرية وحلف بغداد . وعمل قادة العهد الجمهوري على الاتصال بالجمهورية العربية المتحدة لاقامة حلف دفاعى معها ، والاشتراك فى دولة الوحدة . ولكن عبد الكريم قاسم كان يعمل على الانفراد بالسلطة ، وقد استطاع إبعاد زميله عن الحكم ، وبقى يحكم البلاد خمس سنوات حكماً فردياً مطلقا تميزت أيام حكمه بالأعمال العمرانية ، وتطبيق الإصطلاح الزراعي وضرب كبار الملاك ، وبعدم الاعتماد على جماعة معينةٍ فبعد أن اعتمد على الشيوعيين عاد فتنكر لهم ثم نكل بالذين ينادون ، وسمح للأحزاب بالنشاط ، ثم منعها حسب أهوائه ، كما كان مترددا فى سياسته مع الأكراد فبعد أن أعطاهم الامتيازات عاد فاصطدم بهم مما أدى إلى قيام الثورة الكردية منذ عام ١٣٨١هـ .

وتميزت سياسته الخارجية بعدة أزمات مع الدولة العربية خاصة ، كان من بينها الأزمة التى أثارها مع الكويت عند استقلاله ، فقد اعترف بهذا الاستقلال فى ٤ محرم ١٣٨١ ، ثم عاد بعد خمسة أيام فطالب بضم الكويت للعراق فورا ، وإلحاقه بلواء البصرة وهدد باحتلاله . وقد أثار ذلك أزمة دوليةً رفعت إلى مجلس الأمن واستدعت نزول القوات البريطانية فى الكويت ، ولكن مجلس الجامعة العربية قرر بعد أسبوعين (٢٥ محرم ١٣٨١) بالمطالبة بسحب القوات البريطانية وإحلال دعم عسكرى عربي محلها ومطالبة العراق باتباع الطرق السلمية فى علاقته مع الكويت ، وتأييد عضويته للجامعة العربية وللأمم المتحدة . وقد عزلت هذه الأزمة العراق عن باق الدول العربية ، خاصة بعد انسحاب عبد الكريم قاسم من الجامعة العربية .

أدت هذه العزلة الخارجية مع اتباع الدكتاتورية فى الداخل إلى قيام انقلاب أطاح بعبد الكريم قاسم في ١٤ رمضان ١٣٨٣ . وتسلم الحكم من بعده زميله عبد السلام عارف بالتعاون مع حزب البعث العربي الاشتراكي ، ولكنه مالبث أن تخلص من هذا الحزب بعد ثمانية أشهر من الحكم واستمر فى الرئاسة حتي سقطت به الطائرة فى البصرة فى ذى الحجة من عام ١٣٨٥ ، فتسلم رئاسة الجمهورية أخوه عبد الرحمن عارف الذي استمر فى الحكم حتى قام ضده عبد الرزاق النايف لمدة أحد عشر يوماً فقط ، ثم استطاع حزب البعث العربى الاشتراكى أن يقوم بانقلاب عسكرى عليه منتصف عام ١٣٨٨ ، وتسلم الحزب حكم البلاد وصارت رئاسة الجمهورية للفريق أحمد حسن البكر ، وفى عام ١٣٩٩هـ تنازل عن رئاسة الجمهورية وخلفه الرئيس صدام حسين . ويسير العراق فى خطة تنميةٍ متكاملة للسير بالبلاد نحو طريق أفضل حسب رأي الحزب الحاكم .

وأهم المشكلات التى واجهت العراق في هذه الآونة هى المشكلة الكردية . وهذه المشكلة قديمة ثارت أكثر من مرة فى العهد الملكي ، وأخمدت حركاتها . وأصحابها هم أكراد مسلمون سنيون يبلغون ١٦٪ من سكان العراق ، وعددهم أكثر من مليونين بقليل ، ويسكنون المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية ، ويرغبون فى تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي . وكان الانكليز هم الذين استقدموا أعدادا منهم من تركيا بعد ضربهم هناك فزاد عددهم ، وبرز بينهم الملا مصطفى البرزانى . وقد ثار الأكراد فى عهد عبد الكريم قاسم بقيادة الملا مصطفى البرزانى ، واستنزفت الأعمال العسكرية بين الأكراد والجيش العراقى الكثير من الضحايا والنفقات ، وقد انتهت الثورة باتفاق فى اليوم الثانى

من مطلع عام ١٣٩٠ ، وقد أعطى هذا الاتفاق الأكراد عدداً من المناصب الوزارية ونائبا لرئيس الجمهورية ، وإدارة ذاتية فى مناطقهم ، إلا أن الأكراد عادوا إلى الثورة مع زيادة الدعوة إلى العربية إذ يرون فيها تهديداً لهم وإذابة لشخصيتهم الأمر الذى دعاهم إلى إظهار شخصيتهم ومحاولة التأكيد عليها ، وقد استغلت الدول الأجنبية هذا الجانب فكانت تحركهم ضد إيران من العراق ومن العراق ضد ايران وهكذا . وعندما التقى الرئيس صدام حسين مع الشاه رضا بهلوى في الجزائر عام ١٣٩٥ اتفقا على حل مشكلة شط العرب ، وتنازل العراق عن بعض مطالبه مقابل كف إيران عن مساعدتها للأكراد لإضعاف شأن حركتهم . وبالفعل فقد توقفت الثورة نهائيا وخرج الملا مصطفى البرزانى وذهب إلى أمريكا وظل هناك حتى توفى فى عام ١٣٩٩ .

تركية

— ٤ —

لمحة جغرافية :

تمتد في شمال بلاد الشام شبه جزيرة الأناضول التي تقع بين البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه والبحر الأسود من جهات الجنوب الغربي والغرب والشمال ، وتتصل بالعراق من الجنوب الشرقي ، وبإيران وأرمينيا وجورجيا من جهة الشرق . وهي منطقة تزيد مساحتها على ٧٥٦٫٩٥٣ كيلو متراً مربعاً كما يرتبط بها جزء من البر الأوربي يعرف باسم « تراقيا » تبلغ مساحته ٢٣٫٦٢٣ كليو متراً مربعاً بذا تكون مساحة تركيا ٧٨٠٫٥٧٦ كيلو متراً مربعاً . ويفصل بين الجزءين مضائق تعد ذات أهمية بالغة ، وهي البوسفور الذي تقع عليه مدينة « استانبول » ويبلغ عرضه في أضيق نقطة منه (١٠٠٠م) ، وبحر مرمرة ، ومضيق الدردنيل ، وهو أكثر امتداداً من البوسفور وأكثر عرضاً .

تتألف شبه جزيرة الأناضول من هضبة يصل معدل ارتفاعها إلى ١٠٠٠م تحيط بها سلاسل جبلية مرتفعة ، ففي الشمال جبال « البونت » التي ترتفع كلما اتجهنا شرقاً ، ويصل ارتفاعها إلى ٣٩١٠م ، وتميل بشدة نحو البحر الأسود ، وفي الغرب المرتفعات الإيجية التي تصل إلى ارتفاع ٢٣١٢م ، وفي الجنوب جبال طوروس التي ترتفع كجدارٍ

عالٍ يمتد وراء ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ويصل ارتفاعها إلى ٣٩١٦م ، وتأخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً ، وتشكل في الشرق عقدة جبلية هي هضبة أرمينيا وترتفع جبال أرارات إلى ٥٦٥م ، وتوجد في الهضبة بحيرات كثيرة تختلف في اتساعها وارتفاعها ، بعضها عذب وبعضها الآخر مالح .

تكون المنطقة الجنوبية الغربية من البلاد متوسطية المناخ فصيفها حار جاف ، وشتاؤها دافىء مطير ، وتقوم فيها زراعة الحبوب والعنب والزيتون والحمضيات والقطن . أما المنطقة الشمالية فهي معتدلة المناخ وتهطل فيها الأمطار شتاء ، ولكن صيفها لايخلو من مطر بسبب وجود البحر الأسود ، وتعّد من أشهر مناطق إنتاج التبغ . أما داخل البلاد فقاري جاف قليل الأمطار ، ويشتد البرد في المناطق الشرقية وتكسو الثلوج المرتفعات التي تغذى الأنهار عند ذوبانها في مطلع الصيف . وتنحدر الأنهار من الجبال نحو البحار ، ومن المنطقة الشرقية تجرى مياه دجلة والفرات .

ونتيجة لطبيعة البلاد فإن مدنها المهمة هي التي تشرف على البحار ، مثل : استانبول أكبر المدن وأشهرها وأعرقها ، كانت العاصمة عشرات القرون . وأزمير ، وصامسون وغيرها ، أما مدن الداخل فهي قلاع حصينة تحف بها المرتفعات ، أو تقع على ذراها مثل أرضروم ودياربكر وأنقرة ، وما كان منها مفتوحاً ، ويقع في منطقة منبسطة فهي محصنة بأسوار وقلاع مثل قونية .

لمحة تاريخية :

لقد قامت مدنيات على أرض تركية من القديم ، ومنها ماأشاده الحيثيون ٢٢٢٢ ـــ ١٨٢٢ قبل الهجرة ، وكانت عاصمتهم مدينة « كركميش » على نهر الفرات قرب الحدود السورية اليوم ، قريباً من مدينة « طرابلس » السورية ، وانتقلوا إليها من حاضرتهم الأولى بالقرب من موقع « أنقرة » لأن خصومهم كانوا في الجنوب ، وهم المصريون الذين وقعوا في صراع معهم على الأرض السورية ، ثم ضعف أمرهم ، وانقسمت دولتهم ، وغزا اليونانيون البلاد ، ثم تقدم الإيرانيون عام ١١٦٨قبل الهجرة ، ثم جاء الأغريق بقيادة الاسكندر الكبير المقدوني عام ٩٥٦ قبل الهجرة ، وبعد ذلك قامت الدولة الرومانية فجرت الحروب الكثيرة بين الرومان والفرس . وفي عام ٢٩٢ قبل الهجرة اتخذ قسطنطين عاصمة على البوسفور ، وحملت هذه المدينة الجديدة اسم « قسطنطينية » وغدت حاضرة الروم البيزنطيين بعد أن انقسمت الدولة الرومانية إلى

غربية وشرقية ، وتجزأت الديانة النصرانية ، وأصبحت القسطنطينية مركز النصارى الأرثوذكس . واستمر الصراع بين البيزنطيين والفرس ، وكانت الحروب بين مدٍ وجزر تارة ينتصر البيزنطيون ويتقدمون نحو الشرق ، ثم لاتلبث أن تعود القوة للفرس ويدحرون البيزنطيين نحو الغرب . وكانت النصرانية قد أخذت الطريق نحو الرومان فاعتنقها الامبراطور ، وفرضها على الشعب بالقوة فأخذها اسماً ، وبقيت كل العادات وثنية ، فحملت العقيدة الجديدة اسم النصرانية ولكنها ظلت في الواقع وثنية . وعندما انتشر الإسلام في جزيرة العرب كان الفرس في حالة انتصار ، ثم لم يلبث أن عاد النصر إلى جانب البيزنطيين ، وهزم الفرس .

وتحركت جيوش الإسلام نحو الشمال ، وفتحت بلاد الشام بإمرة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وكانت من قبل تتبع البيزنطيين ، وكان الصراع بين الطرفين في البر والبحر ففي البر استولى المسلمون على القسم الشرقي من الأناصول ، وغدت جبال طوروس حداً فاصلا بين الجانبين ، وفي البحر غزا المسلمون القسطنطينية أيام الأمويين عدة مرات ، وفتحوا قبرص وكريت ورودوس ، وبقي الوضع في هذه الجبهة على هذا الشكل مدة طويلة من الزمن .

وفي العصر العباسي وطّن الخلفاء أقساماً من جيش خراسان في المناطق الأناضولية الخاضعة لهم ، وكان الخليفة المهدي يستقدم الأتراك من فرغانة(١) وبلخ(٢) ويسكنهم في الثغور الواقعة على جبال طوروس أو عند أقدامها مثل : طرسوس ، وأضنة ، ومرعش ، وملاطية وآمد ، وخلاط وقاليقاد ، والمصيصة ، وعين زربة ، وزاد عدد الترك في هذه المناطق في عهد المأمون والمعتصم ، وأصبح الترك في عهد المتوكل يتولون إمرة هذه الثغور وحمايتها .

وفي عهد الدويلات التي انفصلت عن الدولة العباسية غدت هذه الثغور تحت حمايتها مثل الطولونيين والحمدانيين ، وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين ، وإن بدا الضعف يظهر على الحمدانيين أيام سيف الدولة فكان الروم يصلون إلى حلب ، ويحاصرون الحمدانيين في قلعتها على غير ماترويه الكتب التاريخية التي تعطي هؤلاء الحمدانيين الشيعة

---

(١) فرغانة : من بلاد ماوراء النهر ، وهي اليوم في جمهورية قيرغيزيا التي تخضع للسيطرة الروسيه .

(٢) بلخ : مدينة من بلاد خراسان وتقع اليوم في دولة أفغانستان .

صورة أكبر من واقعهم بكثير . ومع ضعف الدولة العباسية التي عادت حماية الثغور على كاهلها بعد زوال دولة الحمدانيين الشيعة ضعفت جيوش الثغور ، واندحر المسلمون قليلاً ، إلا أنه في هذا الوقت كانت جموع من الترك « الطوغوز أوغوز » تصل إلى الأناضول بعد أن تعتنق الإسلام وتجابه البيزنطيين وهم في عنفوان انتصاراتهم فتهزمهم ، وقد استطاعت الانتصار عليهم عام ٤٦٤هـ في معركة « ملازكرت » الشهيرة ، ثم دحرتهم من آسيا الصغرى كلها ، وأصبحت سادة جنوب غربي آسيا ، ثم سيطرت على الدولة العباسية ، وقد عرف هؤلاء الترك باسم السلاجقة ، وإذا استطاع الروم أن يسترجعوا المناطق الساحلية إلا أن أقدام السلاجقة قد توطدت في الداخل ، وكانت مدينة (قونية) حاضرتهم ، وعرف هذا القسم من السلاجقة باسم سلاجقة الروم ، وكانت تفدهم قبائل تركية بين مدة وأخرى .

كانت أوربا توجه عنايتها الكبرى لضرب المسلمين في الأندلس ، وتعتقد أن البيزنطيين يكفونها الجبهة الشرقية إلا أن أوربا قد خاب أملها إذ هزم النصارى الأسبان في الأندلس أمام يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي انتقل من البر الأفريقي إلى الأندلس لمساعدة المسلمين هناك ، وذلك عام ٤٦٩هـ وذلك في معركة (الزلّاقة) الشهيرة ، وفى الوقت نفسه هزم الروم أمام السلاجقة المسلمين عام ٤٦٤هـ .

ادعى نصارى أوربا أن السلاجقة يسيئون معاملة النصارى الذين يفدون إلى المشرق لزيارة بيت المقدس ، واتجه الصليبيون إلى المشرق ، وفي طريقهم احتلوا أجزاء من سواحل الأناضول ، كما قامت دولة في كيليكيا يحكمها النصارى الأرمن ، إلا أن غزو الصليبيين لمدينة القسطنطينية جعل النصارى ينقسمون إلى لاتين واغريق ، ويقع الخلاف بين الطرفين ، وأخيراً طرد الصليبيون من المشرق .

كان عدد الأتراك يزداد باستمرار في الأناضول على حين يتناقص عدد النصارى وخاصة فى الريف ، وأجلى السلاجقة النصارى من المناطق الداخلية إلى السواحل إذ لاحظوا تعاوناً كبيراً بين الروم النصارى والصليبيين أثناء هجومهم . وانقسم السلاجقة إلى عدة إمارات تجاهد البيزنطيين ، كما توجد إمارات غير سلجوقية ولكنها تحت حمايتهم تقوم بالمهمة نفسها .

وفرت قبائل تركية وثنية أمام التقدم المغولي ، واستوطنت بلاد الأناضول ، واعتنقت الإسلام ، وشكلت دولة بني عثمان التي تعود إلى أميرها عثمان بن أرطغرل الذي اتخذ

مدينة (قرة حصار) قاعدة له ، واستقل بعد مداهمة المغول للسلاجقة ، وأصبح ملاذاً للكثير من المسلمين الذين يفرون من وجه التتار ، وخاصة أنه أول من اعتنق الاسلام من أمراء قومه ، ولهذا انتسب إليه الخلفاء من بعده دلالة على ارتباطهم بالإسلام وليس بالعصبية ، وتوفي عام ٧٢٧ ، وكان خلفاؤه من بعده قد أخذوا على عاتقهم جهاد البيزنطيين ، وانتقلوا إلى أوربا عن طريق مضيق الدردنيل وغيّروا بذلك الغزوات السابقة التي كانت تتخذ طريق البوسفور والقسطنطينية فتتوقف لحصانة المدينة ومتانة أسوارها .

وتقدم العثمانيون في أوربا وفتحوا مناطق واسعة ثم هزموا أمام تيمورلنك ، وأُسر سلطانهم (بايزيد) ، وكادت الريح تعصف بدولتهم إلا أن محمد الأول بن بايزيد قد تمكّن من إعادة توحيد البلاد ، وأخيراً تمكّن حفيده محمد الثاني من فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧هـ ، وغدا اسمها (إسلام بول) ويطلق عليها (استانبول) ، وكان لهذا الفتح أثر عظيم حتى عدّ نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة ، ومن هذه المرحلة تدخل دراستنا لتركيا بشكل مفصل إلا أن دراسة الدولة العثمانية قد جاءت مفصّلة وفيها الكثير من الإطناب لذا نفضل إعطاء لمحة فقط عنها حتى زوال دولة بنى عثمان .

وتمكّن حفيد محمد الفاتح السلطان سليم من دخول البلاد العربية ، والوقوف في وجه البرتغاليين الذي أرادوا حرباً صليبية واضحة ، وتقدموا من جهة الجنوب ، فدخلوا عدن ، واحتلوا مناطق الخليج العربي ، كما استطاعوا بمساعدة الأحباش دخول البحر الأحمر ، كما استطاع العثمانيون من دحر الفرس الشيعة الذي اتخذهم البرتغاليون مطيةً لهم ، وتعاونوا معهم مستغلين الخلاف بين العثمانيين السنة والفرس الشعية ، وماقام به السلطان سليم الأول أكمله ابنه السلطان سليمان الذي وقف بعنف أمام البرتغاليين ، ودعم سلطان المسلمين في الهند الذين غزاهم البرتغاليون أيضاً ، وأتم ضم البلاد العربية إلى دولته وذلك بغية توحيد المسلمين في دولةٍ واحدةٍ قويةٍ ، تقف في وجه الاستعمار الصليبى الجديد ، إلا أن الصليبيين الأسبان والبرتغال قد تمكنوا من طرد المسلمين في الأندلس وقاموا يلاحقونهم في مختلف الجهات ، وظهر الاستعمار الصليبي ، ولم يشتد ساعد بني عثمان بعد ، إذ خرج المسلمون من الأندلس قبل تولي السلطان سليم الحكم بعشرين عاما تقريباً ، وإذا كان الهجوم الصليبي قد حمل اسم الاستعمار بسبب المنافسة الاقتصادية إلا أن الوجه الصليبي لم يختف أبداً .

كانت أوربا النصرانية بدولها المختلفة تقف في وجه الدولة العثمانية المسلمة ، وتحرص على إخراجها من أوربا الشرقية واقتطاع أجزائها ، وإذا كانت دول أوربا تختلف فيما بينها ويتنافس بعضها مع بعض في سبيل امتداد نفوذها ، واقتطاع أجزاء من الدولة العثمانية ، وأخذها الخيرات والأسلاب ، إلا أنها كانت تتفق فى وقوفها في وجه العثمانيين ، ولو أنها تبدو في منافساتها أن بعضها يدعم العثمانيين ، وتلتقي أيضاً دول أوربا الغربية بعضها مع بعض ضد مصالح روسيا التي تنافس أوربا ، وتحرص أن تصل إلى المياه الحرة لتنازع الدول الغربية في الحصول على المستعمرات ، ومدّ النفوذ واستغلال الأراضي والسكان ، ولكن روسيا لايمكن أن ينتهي صراعها مع العثمانيين أبداً ماداموا يحملون العقيدة الإسلامية ، وإن كانت ترى مرحلياً أنها تريد العودة إلى القسطنطينية ، وإعادة مقر الكنيسة الأرثوذكسية إليها ، والذي انتقل إلى موسكو بعد فتح القسطنطينية على يد محمد الفاتح ، والسيطرة على المضائق للوصول إلى المياه الحرة ، ومن ناحية ثالثة ترى تحطيم القوة العثمانية العسكرية التي تدعم الشراكسة في قفقاسيا والتتار في القرم وحوض الفولغا ، إذ كان التتار يحكمون روسيا وهم من المسلمين ، وهم والعثمانيون أبناء عمومة فكلاهما أخوة سواء من حيث العقيدة أو الجنس ، وكان أحدهما يحكم روسيا فالثاني يتحمل الوزر ويجب النيل منه . ولم تتغير سياسة روسيا على مدة التاريخ سواء أكان حكامها من القياصرة أم من الشيوعيين . وإن الخلاف الذي كان بين روسيا ودول أوربا الغربية هو الذي مدّ بعمر الدولة العثمانية بعض الزمن .

ويضطر سلاطين بني عثمان إلى أن يوقعوا بعض المعاهدات مع أعدائهم ويتنازلوا فيها عن بعض أجزاء من بلادهم ، ويوافقوا على أن يكون للنصارى وضع خاص يختلف عن المسلمين ، ويسمح لهم بالتقاضي أمام محاكم خاصة غالباً ماتكون قاعاتها داخل سفارات الدولة الأجنبية ، ويسمح لهم أيضاً بفتح مدارس خاصة تدرس مناهج خاصة وكثيراً ماتكون موجهةً ضد الدولة العثمانية ، وإظهار الدول الأجنبية بمظهر القوة والعدالة والحضارة والانسانية ، وكانت هذه المدارس تعد مراكز للتخريب ومعاهد لتخريج المتفرنجين وأصحاب الأفكار المعادية .

وفي الوقت نفسه استطاعت الدول الأجنبية الاتصال برجالات من الشعب ، وحرضتهم على الثورة ضد العثمانيين والعمل ضد المسلمين ، وخاصة الأقليات الدينية مثل النصيرية والنصارى والدروز ، وكذلك أصحاب الزعامات وقطاع الطرق وذوو المصالح والأهواء ، وأمدتهم بكل عوامل القوة ، وحركتهم للقيام بأعمال التخريب والثورات

ووصفتهم بأنهم قاموا على الفساد والتأخر والرجعية ، ونعتتهم برجال الوطن ومخلصيه لأنهم اتصلوا بالغرب وعملوا على إنهاض بلادهم وتحريرها ، ولايزال هذا النعت قائماً إلى اليوم على الرغم من تغيّر الظروف وتبدّل الأوضاع وانتشار الوعي ، ففخر الدين المعني لاتزال الكتب المدرسية تأخذ مما كتب عنه الغرب ، وتعطيه صفات الوطنية والرجولة لابصفته الدرزية واتصاله بايطالية وعمالته لها فقط ، ولكن لهذه الصفات دون ذكرها ولأنه وقف ضد الدولة العثمانية ، واستطاع السيطرة على لبنان مدة من الزمن ليست بالقصيرة ، وكذلك بشير الشهابي الذي لايختلف عن الأول من ناحية العقيدة والارتباط والعمل ضد المسلمين ، وضاهر العمر الذي حكم شمال فلسطين بماله من قوة وأنصار من قطاع الطرق وعمل ضد العثمانيين ، وهؤلاء وأمثالهم يفخر بهم دعاة القومية ويعدونهم من رجالات الحركة الوطنية .

وفي أواخر عهد الدولة العثمانية زاد ضعفها ، إذ بدأت الدول الأوربية تدعم الحركات التي تقوم ضد العثمانيين علناً ، وبدأت الفكرة القومية تبرز في كل مكان تحت تأثير النصارى الذين لادعوة لهم سواها وسط المجتمع الإسلامي ، وليكون لهم دور في البيئة التي يعيشون فيها حسب المخطط الذي رسم لهم ، واستفاد النصارى من دعوتهم هذه فضمنوا إليهم الأقليات التي كانت تتحرك باشارات الدول الأجنبية ، ولعل ذلك اتضح منذ حرب الأماكن المقدسة عام ١٢٧٤ وماتلاها من أحداث عام ١٢٧٨ التي جرت في لبنان وسورية ، واستغلت هذه الأقليات كل الوسائل لكسب الشباب من أبنائها ، وحتى من المسلمين فاتخذت الجنس والمال والمركز وسيلة في سبيل تحقيق أهدافها .

وجاء دور اليهود في التهديم ، واتفق هذا مع دور النصارى ، فاليهود أرادوا أن يجمعوا أشتاتهم من مختلف أماكن الأرض لتكون لهم دولة ذات شأن ، ويتخلصوا من احتقار الأمم لهم لما عرف عنهم من مؤامرات واتخاذ كافة السبل فى سبيل ابتزاز أموال الناس ، وأنه ليس عليهم في الأميين من سبيل ، كما كانوا يذبحون غير اليهود ليكون دمهم مادة يعجن بها طعامهم في أعيادهم ، وكانت وجهتهم فلسطين ويحلمون بذلك ، وكانت فلسطين تتبع الدولة العثمانية ، ولم يرضوا بغيرها سواء ليبيا أم أوغندا اللتين عرضتا عليهم ، وبذلوا إمكاناتهم الضخمة في سبيل تحقيق مآربهم ، إلا أن السلطان العثمانى قد رفض مطالبهم وردّ إغراءاتهم ، فوجهوا سهامهم عليه فادعوا أنه كان سفاكاً للدماء حتى أطلقوا عليه إسم السلطان الأحمر ، كما ادعوا أن الشركسيات السبايا كانت تملأ قصوره ، وأن رجالات مخابراته قد ملأت كل مكان ، وأن أبناءه كانوا يترنمون برنين

الذهب الذي يلقونه في مياه البوسفور ، فراجت هذه الشائعات ، وعملت الدوائر الأجنبية على نشرها ، ولاتزال تردد ، مع العلم أن الدولة العثمانية هي التي قبلت اليهود في أراضيها عندما طردوا من الأندلس مع المسلمين ، وانتقل قسم منهم إلى البلقان وأظهر عدد منهم الإسلام ، وبقوا حقيقة على دينهم ، يعملون ضد الدولة في الخفاء ، وأطلق على هؤلاء اليهود إسم الدونمة أي المرتدون ، وكان لهم دور في الحركات القومية ، ومع العسكريين الذين حكموا تركيا بعد السلطان عبد الحميد .

وتمكنت القوى القومية من الانتصار على السلطان نتيجة الدعايات ضده ، والعمل اليهودي بما يملك من إمكانات ضخمة ووسائل غير شريفة ، والدعم الصليبي الأوربي ، والحركات التي قامت في أرجاء الدولة ، وكان مركز هذه القوى مدينة سالونيك في اليونان ، وتحركت قوة من الجيش ، واستولت على الحكم ، واضطر السلطان للرضوخ لمطالبهم ، وأظهر الرضا ريثما يجد الوقت المناسب ، واستدار العام ، وظهر للعسكريين أن السلطان ينتظر الفرصة المناسبة فاستبدلوه ، وأصبح الخلفاء من بعده أداة طيعة بأيدي العسكريين ودعاة القومية ويهود الدونمة ، ومن هذه المدة نستطيع أن نقول : إن الدولة أصبحت قومية تركية بعد أن كانت عثمانية إسلامية ، إذ أصبح الحكم قومياً وإن بقي على رأس السلطة رجل ينتمي إلى بني عثمان يحمل إسم خليفة ، ولم يكن في الواقع سوى صورة تُسيّر الأمور من ورائه ويضطر للتوقيع عليها .

تركيا الحديثة

اندلعت نار الحرب العالمية الأولى ، ووقف الأتراك بجانب الألمان ، وكان عليهم أن يُجنّبوا بلادهم الحرب بسبب الأوضاع التي كانت تعيشها ، إلا أن تأثير الضباط الألمان الذين يعملون في الجيش التركي ، وكذا المستشارون في الحكم . حال دون ذلك ومع دخول تركيا الحرب تحركت العناصر المتعددة التي منها الأقليات ، وقد كانت حركتها باسم القومية ولاشك فإن مقرها بلاد الشام التي تتجمع فيها الأقليات بشكل مكثف ، ومنها الفئات المعتدلة التي تريد التغيير ، وكان قيامها باسم الإصلاح ، وتعاونت هذه العناصر بعضها مع بعض وشكلت جبهةً واحدةً ، وكان اتصالها بالحلفاء وخاصة انكلترا وفرنسا صاحبتي النفوذ في بلاد الشام لما لهما من عناصر من الأقليات ، سواءً أكانت النصرانية منها التي ترغب في فرنسا أم الدرزية التي كانت على صلة بانكلترا ، وذلك منذ

أحداث ١٢٧٨ وما سبقها من اتصالات أثناء حرب الأماكن المقدسة وماتلاها فيما بعد . ولما تكن بلاد الرافدين بعيدة التأثر والتأثير في بلاد الشام .

أما في جزيرة العرب فقد كثّفت انكلترا اتصالاتها ، واقنعت الشريف حسين حاكم بلاد الحجاز بالحركة ضد الأتراك ، ومنّته بما كان يطمع من زيادة في النفوذ ، وبخاصة أنه كان في صراعات مع ماحوله في المنطقة من زعماء ، فأرسل ابنه فيصلً ليتدخل فى أمر الذين انكشف أمرهم في بلاد الشام وقدموا للمحاكمة ، وهو يعلم نتيجة أمرهم ، كما يعلم ماستؤدي إليه الوساطة ، وذلك ليتخذ من هذا الأمر ذريعة لقيام حركته ، وحدث ماكان متوقعاً ، وانطلقت الشرارة الأولى لحركته في صيف ١٣٣٥ ، وسكت عنه خصومه في الجزيرة وتوقفت العداءات إذ أن أكثرهم واقع في الأمر نفسه ، أو أن الجياد المتسابق عليها قد توقفت كلها بأمر صاحبها ليتولى أمر واحد منها مرحلياً .

أما بقية البلدان الإسلامية فكانت تخضع بأغلبيتها للنفوذ الانكليزى أو الفرنسي أو الروسي أو الايطالي أو الهولندي ، أي أنها كانت تحت سيطرة الحلفاء ، وما كان متحرراً نسبياً من ذلك النفوذ فكان ذا دور ضئيل مثل افغانستان أو إيران التي تغلغل فيها آنذاك النفوذ الروسي من الشمال والانكليزي من الجنوب ، ومثل اليمن التي احتل الانكليز سواحلها ، وعندما وقف نجاشي الحبشة (اياسو) بجانب الأتراك ، وأعلن إسلامه ، قامت الكنيسة ضده ، وأخيراً عزل وألقي في السجن ثم لقي مصرعه .

أعلن الشريف الحسين بن على الجهاد ضد الأتراك الذين كانوا قد أعلنوا الجهاد ضد الحلفاء باسم الخليفة فضاع معنى الجهاد ، وانقسم المسلمون بين (أي الجهادين) يتبعون ، وهذا ماأراده الحلفاء ، وتحركت الفصائل العربية نحو الشمال ، وتقدمت في بلاد الشام الداخلية على حين تقدم الانكليز على المناطق الساحلية ، ونزل الفرنسيون على سواحل لبنان ، وتراجع الأتراك وانسحبوا من بلاد الشام ، وتوقف تقدم الحلفاء عند ذلك حسب خطة موضوعة وحسب اتفاقية سايكس ــ بيكو .

كان الحلفاء يخشون نقطتين أولاهما بقاء دولة تركية قوية والإبقاء على الخلافة التي هي عنوان تجمع المسلمين ، لذا لابدّ من تحطيم ذلك بالسيطرة على أقسام من البلاد ، لهذا تقدم الفرنسيون في منطقة (أضنة) ، والطليان في منطقة (انطاليا) وكلاهما في الجنوب ، واحتل اليونان منطقة (أزمير) فى الغرب ، وأصبحت مدينة (استانبول) وماحولها والمضايق بيد قوة من الحلفاء ، وهذا الاحتلال سيبقى حتى يؤمن الحلفاء

حكماً عسكرياً يستطيع أن ينفذ رغباتهم ويسير حسب مخططاتهم ، وهذا ماتمّ على يد مصطفى كمال أتاتورك الذي أعلن العلمانية ، وألغى الخلافة ، وبدل الأبجدية ، اذ استعمل اللاتينية عوضا عن العربية لينقطع حاضر الأمة عن ماضيها ، وجعل العطلة الأسبوعية يوم الأحد عوضا عن يوم الجمعة وأمر بلباس القبعة ، وحذف المادة التي تنص على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام ، وأخذ بالقانون السويسري بديلاً عن مجلة الأحكام الشرعية ، ومنع الأذان باللغة العربية ، ونفى آل عثمان من البلاد . وعندما خرج الحلفاء من المناطق التى كانوا يسيطرون عليها ، أُظهر مصطفى كمال أتاتورك بالمظهر الوطني والمنقذ للبلاد ، وعقدت معاهدة جديدة معه هي معاهدة لوزان عام ١٣٤٢ بدلًا من المعاهدة السابقة التى هي معاهدة سيفر ، التي أجبرت تركيا على توقيعها بعد هزيمتها عام ١٣٣٧ ومعاهدة أنقرة ١٣٣٩ . أما المنطقة الثانية التى كان الحلفاء يخشونها فهى ضعف تركيا الذى يؤدى بروسيا إلى الضغط عليها وانتهاز الفرصة للسيطرة على المضائق والوصول إلى المياه الحرة ، ومنافسة الدول الغربية في هذا المجال ، ولكن قيام الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٣٣٦هـ ، وتفكك روسيا نتيجة ذلك ، وقيام الثورات في وجهها فى كثير من المناطق واستقلال كثير من الأجزاء ، كل هذا جعل الفرصة سانحة أمام الغرب ليدبر وضعه في تركيا بالشكل الذى يراه ولا يخشى القوة الروسية أبداً ، وما استعاد الجيش الأحمر قوته ، واستعاد الأجزاء المستقلة إلا وكان الغرب قد حلّ مشكلاته في تركيا ، ومكن الوضع لمصطفىْ كمال ، وهو الذي سحب جيشه من فلسطين وسمح للانكليز بالتقدم هناك ، وسحب قواته إلى شمال حلب حسب مخطط متفق عليه .

على الرغم من هوية هذه الحركة القومية التركية الجديدة التى قادها مصطفى كمال والتى كانت معروفة باتجاهها الغربي وتأثرها بالحضارة المادية الغربية ، وسيرها بالخط العلماني الواضح أو المحارب للإسلام أشد الحرب ، ودعم الدول الصليبية الغربية ذلك أشد الدعم ، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تخشى عودته إلى الدول الإسلامية متأثراً بالحركات التي قامت في كثير من أجزاء العالم الإسلامى والتى تؤيد عودة الخلافة ، وتؤهله لزعامة العالم الإسلامى لما أصبح له من دعاية وهالة كبيرة هيئتها له دول غربي أوربا ، ومع هذا كله كانت تخشاه فأبقت نقاط خلاف بينه وبين الدول الإسلامية المجاورة ، فبقيت الموصل نقطة خلاف مع العراق ثم حلت لمصلحة العراق عام ١٣٤٨ ، وبقيت اسكندرونة نقطة خلاف مع سورية ، ثم حلت لمصلحة تركيا عام ١٣٥٨ على الرغم من أن سكانها أكثريتهم من العرب ، ويعدّ السوريون أصلًا منطقة كيليكيا

ومرعش وماردية وديار بكر مناطق عربية ، ويقولون : إن ذرا جبال طوروس هي الحد الفاصل بين العرب والترك ، وهي منطقة الثغور القديمة .

الحياة السياسية

صرح الحلفاء ساعة إعلان الهدنة بينهم وبين تركيا أنهم غير مستعدين للتفاوض مع أنور وطلعت اللذين كانت السلطة بأيديهما ، نظراً لأنهما مسؤولان عن دخول الحرب ، ولكنهم يقبلون المفاوضة مع عزت باشا إذا ما عين رئيساً للوزارة ، وقد ألح مصطفى كمال على تعيين عزت باشا بهذا المنصب ، وتمّ الأمر وفاوض الانكليز نيابة عن الحلفاء ، ثم عاد الانكليز وطلبوا من السلطان عزل عزت باشا من رئاسة الوزارة إذ انتهى الغرض منه ، ومضى دوره ، وأتى دور غيره فتم ذلك ، وعين توفيق باشا رئيسا للوزارة وهو ذو صلة وثيقة مع الانكليز . وحلّ بعد ذلك المجلس النيابي بصفته عثمانيا وليس تركياً وأنه مسؤول عن الحرب .

ثم عزل توفيق باشا من رئاسة الوزارة ، وحلّ محله (الداماد) فريد باشا ، وكان الخليفة كل هذه المدة سجيناً في قصره ، والانكليز هم أصحاب النفوذ حيث كان المندوب السامي والقائد العام لقوات الحلفاء الجنرال (هارنغتون) هما كل شيء في تركيا . وانتقل مصطفى كمال إلى الأناضول ، وكان يتظاهر بولائه للخليفة ، وطلب منه الانتقال إلى قلب الأناضول ، ونقل القيادة إلى هناك ، وتغيير حكومة فريد باشا . ولقد مكنّت بريطانيا اليونان في هذه الآونة من احتلال أزمير ومنطقتها .

ووضعت هالة حول مصطفى كمال ، إذ نجح في إثارة مظاهرات تأييدية ، وحروب وهمية سواء في (سامسون) ضد الانكليز ، أم في ازمير ضد اليونان ، وأخيراً سقطت حكومة فريد باشا ، وتسلم رئاسة الوزارة الجديدة علي رضا باشا وزير الحرب السابق .

وجرت انتخابات نيابية ، ونجح مصطفى كمال عن أنقرة ، وعقد اجتماع المجلس النيابي في استانبول ، ولكن تخلف عن نواب انقرة الذين حضروا وحدهم هناك ، وجرت اضطرابات ، وأجبر علي رضا على الاستقالة ، وجاء لرئاسة الوزارة صالح باشا .

اعتقل الحلفاء بعض أنصار مصطفى كمال في استانبول لمدة يوم واحد ، وفرضوا سيطرتهم على الخليفة والمدينة معاً ، وأجبر السلطان على إظهار الطاعة ، وفي الوقت نفسه انسحب الحلفاء من مناطق الأناضول تحت اسم معارك وهمية دون أن يحدث أدنى

اشتباكات ، وهكذا خلا قلب الأناضول من أية قوة أجنبية ، وكان هناك مصطفى كمال الذي بدا للناس عدواً لدوداً للحلفاء عامة وللانكليز خاصة ، في حين بدا السلطان مؤيداً لهم ، وقد حلّ المجلس النيابي ، واستقال صالح باشا ، وألف الداماد (فريد باشا) وزارة جديدة .

أجرى مصطفى كمال انتخابات جديدة في الأناضول ، وأضحت أنقرة مقراً للمجلس ، ونقل الموظفين والضباط وأجهزة الدولة إليها ، وبدأ بإنشاء جيش جديد ودولة تقوم على أسس جمهورية ، فسيّر الخليفة حملة إلى الأناضول وأخرى إلى كردستان ، وكاد يسقط مصطفى كمال إلا أن إذاعة شروط الصلح (معاهدة سيفر) واضطرار السلطان على توقيعها ورئيس الوزراء فريد باشا قد قلب رأي الناس ، وأصبحوا ضد الخليفة ورئيس الوزراء ، إذ كانت تجبر حكومة استانبول على التوقيع وتتحمل وزر كل شيء ، وتلصق بها كل مسؤولية ، وتقطف الثمرة حكومة أنقرة بادعائها المعارضة والرفض ، فهزم جيش الخليفة ، وانتصرت أنقرة .

دعت انكلترا لعقد مؤتمر في لندن للنظر في معاهدة سيفر ، ومثل تركيا وفدان أحدهما يمثل الخليفة والثاني يمثل مصطفى كمال ، وعلى الرغم من أن مصطفى كمال يبدومعارضاً لكل شيء ، ولم يكن قد هزم في حرب ولكن أصرت انكلترا على حضوره ، وتكلم وفده باسم الوفدين ، ولكن قرارات المؤتمر قد رفضها مصطفى كمال ، وبدت الدول تريد إرضاءه فعقد مفاوضات مع فرنسا ، واتفق معها على تعيين الحدود بين تركيا وسورية ، وانسحبت فرنسا نتيجة ذلك من كيليكيا ، وتنازلت ايطاليا عن (أضاليا) ، كما تنازل لروسيا عن باطوم . وجرت حرب مع اليونان انتصر فيها اليونان في البداية ثم انسحبوا فجأة فارتفعت أسهم مصطفى كمال في البلاد ، وبدا أنه المنقذ الوحيد ، وكان يتلقى الدعم من روسيا عبر خطوط الانكليز .

أما حكومة استانبول فلم تكن لتستطيع فعل شيء فالمدينة بيد الحلفاء ، وهم يظهرون حيادهم ، وتابع مصطفى كمال تقدمه في تراقيا عبر خطوط الانكليز ، ثم انسحب اليونان فجأة ، وهكذا ذاع صيت مصطفى كمال ، وغدا رجل البلاد الوحيد ، وعقد هدنة مع اليونان في صيف ١٣٤٠هـ . ولم يبق فى البلاد سوى الانكليز .

دعيت حكومة استانبول وحكومة أنقرة لعقد مؤتمر في لوزان (سويسرا) في خريف عام ١٣٤٠ من أجل عقد معاهدة صلح ، ورأى مصطفى كمال الوقت مناسباً فأعلن

فصل السلطة عن الخلافة ، ولما لم يوافقه المجلس ، أذاع الموافقة على ذلك بالإجماع من نفسه ، وهدد بقتل من يعلن رفضه . وبعد خمسة أيام جرى انقلاب في استانبول بموافقة قائد قوات الحلفاء هناك ، وأبعد السلطان وحيد الدين ، ونودي بابن عمه عبد المجيد خليفة للمسلمين ، وبعد ثلاثة أيام عقد مؤتمر لوزان ، وحضره وفد أنقرة فقط ، ووضع (كرزون) رئيس الوفد الانكليزي أربعة شروط للاعتراف باستقلال تركيا وهي :

١ ــ إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تاماً .

٢ ــ طرد الخليفة خارج الحدود .

٣ ــ مصادرة أمواله .

٤ ــ إعلان علمانية الدولة[١] .

وعُلق نجاح المؤتمر على تحقيق هذه الشروط ، ولكن الوفد التركي برئاسة عصمت اينونو قد رفض ذلك وعاد ، وأيده المجلس الوطني في تركيا بهذا الرفض ، ولكن مصطفى كمال قرر تنفيذ ذلك ، فحلّ المجلس ، فاستقالت الوزارة وحدثت أزمة وزارية ، وفي اليوم التالي أعلن مصطفى كمال الجمهورية التركية ، وشكّل بنفسه الوزارة بناءً على تكليف الجمعية له . وبإعلان الجمهورية انتخب مصطفى كمال رئيساً لها .

وفي ربيع ١٣٤١ دعا المجلس الوطني للاجتماع ، وعرض عليه مرسوماً بطرد الخليفة ، وإلغاء الخلافة ، وفصل الدين عن الدولة ، فاستمر النقاش عدة أيام ، وفي اليوم الثالث أذيع نبأ إلغاء الخلافة والسلطنة وفصل الدين عن الدولة ، وفي الوقت نفسه صدر أمر إلى السلطان عبد المجيد بمغادرة البلاد ، وتلا ذلك إلغاء الوظائف الدينية ، وأصبحت الأوقاف ملكاً للدولة ، وكان هذا كله مفاجأة للناس والنواب إذ تَمّ برأي مصطفى كَمال وحده ، وهكذا حقق ماطلبه الانكليز لنجاح مؤتمر لوزان ، ولم يمض سوى شهر ونصف على ذلك حتى دعي إلى مؤتمر لوزان ، وبعد ثلاثة أشهر وقعت المعاهدة ، ونسخت معاهدة سيفر ، واعترفت الدول باستقلال تركيا ، وغادر الانكليز مدينة استانبول .

تفرّد مصطفى كمال بحكم البلاد بعد إلغاء الخلافة الإسلامية ، إذ لم يعد هناك مايقيّده من شرع أو مُثُل ، فألغى القانون الإسلامي ، والأحرف العربية ، وتبنّى التقويم النصراني إلى جانب التقويم الهجري الإسلامي ، ثم ألغى الأخير منهما وأكتفى بالأول ،

---

(١) الدولة العثمانية : د. علي حسون ــ المكتب الإسلامي ــ دمشق ــ ١٤٠٠هـ .

وترجم القرآن للتركية ، وعدّه قرآناً وليس ترجمة ، ومنع الحجاب ، وفرض السفور ، واللباس الأجنبي ، وقضى على كل ماكان قديماً أو تقليدياً أو له صفة دينية ، وجعل لباس العلماء خاصاً بالمساجد أما خارجها فلباسهم اللباس الأجنبي ، وتبنى يوم الأحد عيداً وعطلة أسبوعية تشبهاً بالنصارى ، وفرض على خطباء المساجد كيل المدح له ، وتخصص الخطب للثناء على أعماله ومشروعاته ، ثم أخلى جامع (أيا صوفيا) ومسجد (الفاتح) ، وجعلهما متحفين ، وكانت مبادىء حزبه (حزب الشعب الجمهورى) ستة هي : (القومية ـــ الجمهورية ـــ الشعبية ـــ العلمانية ـــ الثورية ـــ سلطة الدولة) ، وكان كل من يخالفه يختفي بصورة أو بأخرى ، وحرص على أن يتخلص من الجماعات ذات الاتجاه الإسلامي ، سواء أكان سليماً أم غير ذلك من الصوفيين ، فقادت الحركة النقشبندية المعارضة ضد الكماليين ، وقامت بثورة عام ١٣٤٤ في المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد ، ثم انطلقت ثورتها الثانية عام ١٣٤٩ ، كما ظهرت الحركة التيجانية والنورية ، ولكنهما لم تحملا السلاح ، وإنما تبنت المعارضة بالدعوة ، وتنتمي الحركة النورية إلى بديع الزمان سعيد النورسى الذي أصدر عدداً من الكتب تحت عنوان (رسائل النور) ، واستقطب حوله الكثير من الشباب ، وألف (الاتحاد المحمدي) ، ونصح المسؤولين والحكام ومنهم مصطفى كمال نفسه ، وقد حاول مصطفى كمال استمالة النورسى والتأثير عليه فلم يفلح ، فأمر بنفيه ، ثم اتهمه بمؤامرة لقلب نظام الحكم فأودع السجن ثم نفي ثانية ، إلا أن كتبه كانت منتشرة في الأماكن جميعها ، وتعدّ بالنسخ باليد ، ولما عظم أمره ، استدعي للمحاكمة ولكنها برأت ساحته ، وفي عام ١٣٦٧ تراخت الدولة قليلاً في هجومها على الحركات الإسلامية ، وسمحت بطباعة رسائل النور فانتشرت بسرعة فألقي القبض عليه وأحيل للمحكمة عام ١٣٦٨ ، وحكم عليه بالسجن مدة عشرين شهراً ، وفرضت عليه الإقامة الجبرية حتى توفي عام ١٣٧٩ .

أما من ناحية السياسة الدولية فقد رسمت حدود تركيا مع اليونان على محاذاة نهر (مارتيزا) ، وأعيدت بعض جزر بحر إيجه إلى اليونان ، وجرى تبادل في السكان ، فغادر تركيا ١٫٣٠٠٫٠٠٠ نصراني اتجهوا إلى اليونان ، وعاد بالمقابل ٤٠٠٫٠٠٠ مسلم .

أما مع العراق فقد ضمت الموصل إلى العراق عام ١٣٤٣ ، وكانت من قبل موضع خلاف بين الدولتين ، إذ انسحب منها الترك بعد وقف إطلاق النار في الحرب العالمية الأولى بين الأتراك والانكليز الذين دخلوا العراق .

ومع سورية ضم لواء اسكندرونة إلى تركيا عام ١٣٥٦ بعد سلخه من سورية ، ودخلته القوات التركية في العام التالي ١٣٥٧ ، وذلك حسب اتفاق مع فرنسا التي كانت دولة منتدبة على سورية .

وبحثت الحكومات المتعاقبة عن حلفاء لها مع الدول الصغرى ، فوقعت معاهدة البلقان ، ثم عقدت ميثاق سعد أباد مع أفغانستان وإيران والعراق .

ومات مصطفى كمال عام ١٣٥٦هـ ، وانتخب مكانه مساعده عصمت اينونو[١] وكانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب .

بدأت الحرب العالمية الثانية ، ووقفت تركيا على الحياد رغم وجود عناصر رغبت في الاشتراك فيها إلى جانب الألمان ، وخاصة بعد الانتصارات الألمانية التي وقعت في بداية الحرب ، وعندما بدت هزيمة دول المحور وقفت تركيا بجانب الحلفاء لتحصل على بعض المنافع ، إلا أن مطالب روسيا الشديدة في ضم أجزاء لها من تركيا الشرقية قد دفع تركيا إلى الاتجاه نحو الغرب ، فتلقت مساعدات من الولايات المتحدة عام ١٣٦٧ ، وجهزت أراضيها بالقواعد الأمريكية ، ودعم الجيش التركي .

أعطت الحكومة شيئاً من الحرية في أعقاب الحرب العالمية الثانيةفتشكل الحزب الديمقراطي عام ١٣٦٦ نتيجة انشقاق حدث داخل صفوف الحزب الوحيد الحاكم (حزب الشعب الجمهوري) ، وحصل الديمقراطيون على بعض النجاح في الانتخابات على الرغم من تدخل الحكومة لمصلحة مرشحيها ، ونال على إثرها الديمقراطيون اضطهاداً من قبل الحكومة ، فتدخل في الأمر رئيس الجمهورية عصمت اينونو ، الأمر الذي أدى إلى استقالة وزارة (رجب بكر) ، وشكل (حسن سقا) وزارة جديدة ، وكان أميل إلى إعطاء الحرية ، وكذا الذي خلفه في الوزارة وهو (شمس الدين غونالتايا) حيث أعطى مزيداً من الحرية ، فتشكل حزب آخر عام ١٣٦٨ وهو الحزب القومي المحافظ ، ولكن الحركات الشيوعية والاشتراكية قد أخمدت .

---

(١) عصمت ايونو : ولد في أزمير عام ١٣٠٢هـ ، وعمل ضابطاً في الجيش ، وخدم في اليمن ، وقاد الجيش الرابع في سورية أثناء الحرب العالمية الأولى ، وانضم إلى مصطفى كمال بعد الحرب ، وانتخب نائباً عام ١٣٣٩هـ ، ثم عين رئيساً لأركان مصطفى كمال ، ثم وزيراً للخارجية عام ١٣٤٠ ، ثم تسلم رئاسة الوزارة ، وكان زعيم المعارضة مدة حكم الحزب الديمقراطي ١٣٧٠ ـــ ١٣٨٠ ، وشكل حكومات إئتلافية ، بعد ذلك ١٣٨١ ـــ ١٣٨٥ ، وخلفه بولاند احاويد في زعامة الحزب عام ١٣٩٢ ، وتوفي عصمت اينونو عام ١٣٩٣هـ .

نجح الحزب الديمقراطي في الانتخابات عام ١٣٧٠هـ بسبب السياسة العلمانية والاقتصادية التي انتهجها حزب الشعب الجمهوري ، وبعد الانتخابات نجح في تسلم رئاسة الجمهورية السيد (جلال بايار[١]) ، وتسلم عدنان مندريس رئاسة الوزارة التي غدت في عهد الحزب الديمقراطي ذات صلاحيات واسعة ، تبنّى الديمقراطيون السياسة الأمريكية ، وحصلوا على الدعم من الولايات المتحدة ، ولكن التدهور الاقتصادي أصبح واضحاً ، فقويت المعارضة ، وقامت الحكومة بإلغاء حزب الشعب الجمهوري ، واعتقال أعضائه ، ومصادرة أملاكه ومؤسساته ، وفي الوقت نفسه حرصت على التقرب من المسلمين الناقمين على السياسة الكمالية سياسة حزب الشعب الجمهوري ، وانحازت تركيا في هذه الآونة إلى حلف شمالي الأطلسي عام ١٣٧١هـ ، وعقدت اتفاقيات صداقة مع كل من اليونان ويوغوسلافيا عام ١٣٧٣ ثم تحولت هذه الاتفاقيات إلى حلف البلقان عام ١٣٧٤ ، كما انضمت إلى حلف بغداد عام ١٣٧٥ .

تأسس حزب الحرية عام ١٣٧٥ ، والحزب القومي الجمهوري وهو حزب الشعب الجمهوري الملغى ، واندمج الحزبان عام ١٣٧٨ مع حزب الفلاحين الجمهوري . وأدت حوادث القمع إلى خسارة الديمقراطيين في انتخابات ١٣٧٧ ، فادعت الحكومة أن هناك مؤامرة من تسعة ضباط وذلك عام ١٣٧٩ وزجت عدداً من الأبرياء في السجون ، واضطر الحزب كما اضطر سابقه إلى التراجع عن عدائه للإسلام ، إذ سمح بتلاوة القرآن الكريم في الاذاعة ، وافتتاح بعض المدارس الشرعية ، وأنشأ كلية الدين الإسلامي في أنقرة .

وفي ربيع عام ١٣٨٠ منع عصمت اينونو زعيم المعارضة من دعايته الانتخابية ، ولم يمض عدة أسابيع على ذلك إلا وتدخل الجيش في الأمر ، ثم قلب الوضع برئاسة الجنرال

---

(١) جلال بايار : ولد عام ١٣٠٤هـ في ضاحية من ضواحي مدينة (بورصة) ، ودرس المالية والاقتصاد في مدرسة يهودية فرنسية ، وعمل في مصرف الشرق الألماني ، وخدم جمعية الاتحاد والترقي ، وأصبح أمين عام فرع أزمير لتلك الجمعية ، وبعد الحرب العالمية الأولى انضم إلى حركة مصطفى كمال ، وانتخب عضواً في المجلس النيابي التركي عام ١٣٣٩هـ عن مدينة أزمير ، وتسلم وزارة الأعمال عام ١٣٤٠هـ ثم استقال من منصبه عام ١٣٤٣ ، ثم تسلم وزارة الاقتصاد ، ثم رئاسة الوزارة عام ١٣٥٦ ، وبعد موت مصطفى كمال انشق عن الحزب الجمهوري ، وشكل الحزب الديمقراطي عام ١٣٦٦ ، وفاز برئاسة الجمهورية عام ١٣٧٠هـ .

(جمال غورسيل[1]) ، وأعدم عدنان مندريس رئيس الوزراء مع وزيرين آخرين من وزرائه ، وخفف حكم الإعدام عن جلال بايار لكبر سنه إلى السجن مدى الحياة ، ولقد كان الجيش الأداة المنفذة لضرب النشاط الإسلامى قبل أن ينمو بسبب الخوف من العودة إلى الإسلام .

لقد وضع خمسة أشخاص مسودة دستور لتركيا ، وقدمت إلى الجمعية التأسيسية فصدقت عليها في صيف ١٣٨١ باستفتاء ،ونص الدستور على تشكيل مجلسين أحدهما للشيوخ والثانى للنواب ، وإجراء انتخابات بالتمثيل النسبي ، وينتخب رئيس الجمهورية من قبل المجلسين . وجرت الانتخابات عام ١٣٨١ ، وانسحب الجيش من الحلبة السياسية . ونتيجة الانتخابات حصل حزب العدالة الجديد على ٣٥٪ من الأصوات ونال ١٥٨ مقعداً ، وكان بزعامة الجنرال المتقاعد (راغب جومو سبالا) ، وقد تأسس إثر الانقلاب العسكرى عام ١٣٨٠ . كما نال حزب الشعب الجمهوري ١٧٣ مقعداً وافتتح المجلس النيابي ، وانتقلت السلطة إلى المدنيين ، وانتخب جمال غورسيل رئيسا للجمهورية ، وكان المرشح الوحيد ، وكلف عصمت اينونو زعيم حزب الشعب الجمهوري بتشكيل وزارة ائتلافية .

جرت انتخابات تكميلية عام ١٣٨٣ فاز فيها حزب العدالة بعدد إضافي من المقاعد فانفض الائتلاف الحكومي ، وشكل عصمت اينونو حكومة أقلية من حزبه ، ولكنها استقالت عام ١٣٨٥ هـ ، وألف بعده (سعاد خيري أورغو بللو) المستقل حكومة ائتلافية من كافة الأحزاب ، ولكنها لم تحكم سوى مدة قصيرة .

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٨٥ ففاز فيها حزب العدالة ، وشكل زعيم الحزب الجديد (سليمان ديميريل) حكومة حزبية ، ونظراً لسوء حالة رئيس الجمهورية الصحية لذا فقد انتخب (جودت صوناي) رئيساً للجمهورية عام ١٣٨٦ . وحاولت تركيا في هذه المدة حل مشكلاتها مع روسيا ، ووسعت علاقاتها مع بقية الدول الشيوعية ، وفي الوقت نفسه وقفت بجانب الدول العربية وبدأت العلاقات بين الجانبين تسير نحو الأحسن إذ أغلق المكتب السياحي الاسرائيلي في تركيا عام ١٣٨٨ ، كما ألغيت الاتفاقية التجارية التى كانت قد وقعت بين الطرفين عام ١٣٨٠ هـ .

---

(١) جمال عورسيل : من ضباط مصطفى كمال القدماء ، وقاتل معه في غاليبولي ، تم تسلم رئاسة الأركان أيام الحزب الديمقراطي ، قام بحركته ، وتسلم رئاسة الجمهورية عام ١٣٨١ ، وتوفي عام ١٣٩١هـ .

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٨٩ وفاز حزب العدالة فيها مرة أخرى ، وعاد سليمان ديميريل إلى الوزارة من جديد إلا أن الجيش تدخل من جديد ، وأقال رئيس الوزارة من منصبه مدعياً مخالفة تعليمات العسكريين ، ولعل هذا التدخل كان بسبب تصرفات رئيس الوزارة مع اسرائيل والدول الشيوعية والبلدان العربية وما سبق أن ذكرنا ، ومحاولته أيضاً الإفادة من القوة الإسلامية التى تعد ضربة كبيرة إلى الكماليين والأجانب الذين لايرضون عن هذه الإفادة خشية ازدياد النفوذ الإسلامي ، وقد هدد الجيش حزب العدالة بحصر حق التصويت بالمتعلمين فقط ، وهذا مايؤدى إلى فشل الحزب الذي يلقى التأييد من المناطق الشرقية ذات النسبة المتعلمة الضئيلة وذات العاطفة الإسلامية ، وقد كان هذا التهديد عام ١٣٩١ .

تشكلت حكومة مستقلة برئاسة (نهاد ايريم) اشترك فيها عدد من الأحزاب منها العدالة ، والجمهوي ، والديمقراطي الذي أعيد تشكيله بعد انشقاق عدد من أعضاء حزب العدالة عنه إذ نقموا على زعيمه (سليمان ديميريل) بسبب إبعاد عدد من الوزراء من حكومته السابقة ، وكان من هؤلاء المنشقين (فروح بوزبايلي) رئيس المجلس النيابي ، ونجل عدنان مندريس ، وابنة جلال بايار . ولم يلبث أن سحب حزب العدالة وزراءه فسقطت الحكومة .

انتهت مدة جودت صوناي من رئاسة الجمهورية ، وحدثت أزمة في انتخاب رئيس جديد إذ رشح الجيش (فخري كورتورك)[١] ، ورشح حزب العدالة (تاكين اريبوك)[٢]وجرى الانتخاب ، ونجح فخري كورتورك .

جرت الانتخابات العامة عام ١٣٩٢هـ ، ودخلها حزب جديد هو حزب السلام الوطني وهو ذوميول إسلامية ، وقد حصل على تسعة وأربعين مقعداً ، بزعامة (نجم

---

(١) فخري كورتورك : رئيس الأركان التركي ، روح شقيقة عقيلة الرئيس السابق جودت صوناي ، قدم استقالته من رئاسة الأركان بعد ترشيح الجيش له لرئاسة الجمهورية ، وفي الوقت نفسه قدم وزير الدفاع استقالته من منصبه ومن عضويته في مجلس الشيوخ ليفسح المجال أمام الرئيس التركي لتعيين كورتورك في مجلس الشيوخ لإمكانية ترشيحه للرئاسة لأن الدستور التركي ينص على انتخاب الرئيس من مجلس الشيوخ فقط .

(٢) تاكين اريبورك : قائد سلاح الطيران عام ١٣٨٠هـ ، لم يشترك في الانقلاب الذي وقع يومذاك فجرد من منصبه العسكرى ، وقدم للمحاكمة فسجن ستة أشهر ، كما سجنت عقيلته مدة سنتين ونصف إذ كانت عضواً في المجلس النيابي آنذاك ، وكان رئيس مجلس الشيوخ ، وسيتولى رئاسة الجمهورية بحكم القانون إذا لم يتوصل المجلس إلى انتخاب رئيس جديد .

الدين أربكان)[1] على حين حصل حزب الشعب الجمهوري على ١٨٩ مقعداً وحصل حزب العدالة على ١٤١ مقعدا ، ونال حزب الثقة الجمهوري ١٢ مقعدا . ولم يتمكن حزب وحده من تشكيل حكومة فحدثت أزمة وزارية استمرت مائة يوم ، ثم تشكلت وزارة إسلامية برئاسة بولاند أجاويد زعيم حزب الشعب الجمهوري ، واشترك فيها حزب السلام الوطنى وكان زعيمه نجم الدين أربكان نائب رئيس الحكومة ، ويبدو أن الاتفاق قد تم بينهما بعد لقاءات أعلن الأول فيها تنازله عن الوقوف فى وجه الإسلام .

وأنزلت تركيا قواتها عام ١٣٩٤ في جزيرة قبرص ، واحتلت ثلث الجزيزة ، نتيجة العداء المستحكم فيها بين المسلمين الأتراك والنصارى اليونان ، وحصلت الحكومة نتيجة ذلك الإنزال على تأييد شعبى كبير ، ورغب كل من الحزبين الإفادة من هذا التأييد ، والإعلان أن الإنزال كان برأيه ، وهذا مادعا إلى فرط عقد الائتلاف إذ ظهر أن نجم الدين أربكان كان هو وراء الإنزال وهذا ما دعا إلى إبعاده عن الحكم إذ أناب رئيس الوزراء مكانه أحد وزراء الدولة عندما ذهب إلى مهمة والأصل أن يتولى الأمر من يتولى منصب نائب الرئيس ، وهذا ما جعل نجم الدين أربكان يقدم استقالته الأمر الذي دعاإلى استقالة الحكومة كلها .

شكل (سعدي إيرماك) الوزارة ولكنه لم يلبث غير مدة قصيرة حتى استقالت حكومته ، ورفض بولاند أجاويد تشكيل وزارة بغية إيجاد أزمة حكومية يضطر معها رئيس الجمهورية إلى حلّ المجلس النيابى ، وإجراء انتخابات جديدة يتوقع أجاويد فوز حزبه فيها بعد ما كسب من تأييد إثر الإنزال التركي في قبرص ، إلا أن رئيس الجمهورية قد كلف سليمان ديميريل زعيم الحزب الثاني في المجلس بتشكيل حكومة إئتلافية من حزب العدالة[2] والسلام الوطني[3] ، والعمل الوطني[4] الذي يرأسه (ألب اسلان توركيش) ، والثقة الجمهوري الذي يرأسه (تورهان فايز أوغلو) ، وقامت المعارضة من حزب الشعب الجمهورى[5]

---

(١) نجم الدين أربكان : مهندس ميكانيكي ، حصل على الدكتوراه من جامعات ألمانيا وعمل فى جامعة استانبول ، انتخب رئيساً للغرف التجارية والصناعية في تركيا عام ١٣٨٨ ، فقطع العلاقات التجارية مع اسرائيل ، فأقالته الحكومة من منصبه لذلك التصرف .

(٢) حزب العدالة : شعاره : الحصان الأبيض .

(٣) حزب السلام الوطنى : وشعاره : سبابة متجهة إلى أعلى وترمز إلى (الله واحد) .

(٤) حزب العمل الوطني : وشعاره : ثلاثة أهلة .

(٥) حزب الشعب الجمهوري : وشعاره : ستة أسهم وتعني (الوطنية ــ الجمهورية ــ العلمانية ــ الثورية ــ التقدمية ــ الشعبية) .

برئاسة (بولاند أجاويد) ، والحزب الديمقراطى[1] بزعامة (فروح بوز بايلي) ، وتمكنت هذه الحكومة من إقامة عدد من المصانع أربكت أصحاب رؤوس الأموال ، كما يوجد عدد من الأحزاب الأخرى[2] .

حصلت الانتخابات العامة عام ١٣٩٧هـ ، ولم يفز أحد الأحزاب الرئيسية بأكثرية مطلقة ، وضعفت مقاعد حزب السلام الوطني إذ تضاءلت إلى ٢٤ مقعداً ، وألف سليمان ديميريل الحكومة ، وبدأت أعمال عنف في البلاد بين المتطرفين من القوميين والشيوعيين ، وكان عدد القتلى يزداد يوماً بعد يوم ، ويبدو أن حزب العمل الوطني كان وراء بعض الحوادث والشيوعيون وراء بعضها الآخر ، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن حزب السلام الوطني قد زاد من نشاطه ولقى نجاحاً ، الأمر الذى أخاف العسكريين، وأخافهم عودة الإسلام ونجاحه دون علمهم ، كما خشوا أن يقوى ساعد الشيوعيين . وبينما كانت الأحداث تقع يقوم العسكريون بانقلابهم بإمرة الجنرال (كنعان افرين) ، ويبدو أنه لقي تأييداً كبيراً من الولايات المتحدة ، وقد وضع قادة الأحزاب في السجن ثم أفرج عنهم باستثناء نجم الدين أربكان الذي اعتقل معه عدد من قادة حزبه ، كما اضطهد مؤيدوه ، وتوقف المد الإسلامي ولعل هذه غاية الانقلاب العسكرى ومهمته الأولى .

الحياة الاجتماعية

اختلفت الحياة الاجتماعية في تركيا اختلافاً بيناً بين أيام الدولة العثمانية وأيام الدولة التركية الحديثة العلمانية . لقد كانت الحياة إسلامية بخطها العريض ، وإن كانت تبتعد عن هذا الخط تدريجيا مع مرور الزمن ، كما تختلف من سلطان لآخر فربما جاء متأخر بأفضل من

---

(١) الحزب الديمقراطي : شعاره : كف ممدودة وتعني أن كل الكلام للشعب .

(٢) من الأحزاب الأخرى الموجودة : حزب الوحدة التركي : وشعاره الأسد محاط بنجوم ويرأسه مصطفي تميسي . والحزب الاشتراكي العمالي : وقد تأسس حديثاً ويرأسه الدكتور (أويا بيلر) .

وهناك أحزاب غير مرخص لها بالعمل مثل :

١ ـــ حزب العمل التركي : وهو ذو ميول شيوعية وترأسه السيدة بهيجة بوران ، ويرى إعطاء الأكراد والأرمن حقوقهم القومية حسب رأيهم ، والانسحاب من الأحلاف العسكرية .

٢ ـــ حزب الشباب الاصلاحي .

٣ ـــ الحزب الشيوعي : ويرأسه (ي . دمير) ومركز الحزب شرقي تركيا .

سلفه ، إذ شغل السلاطين الأوائل بالجهاد والفتوحات فبقوا على فطرتهم السليمة وطبيعتهم الأولية أصحاب عاطفة إسلامية بل زادهم الجهاد قوةً معنويةً فلم تستذلهم الدنيا ونعيمها ، ولم يركنوا إلى الأرض وزخرفها ، ورغم ضعف الدولة فيما بعد وتوقف الجيوش عن التقدم ، ومتابعة القتال ، وفتور الهمة ، وضعف السلاطين إلا أن العاطفة الإسلامية قد بقيت هي السائدة فلم يكن لينخرط في الجيش غير المسلمين ، إذ لم يسمح لغيرهم أبداً ما دام القتال جهاداً ، وكان لكل قطعة موجهها وإمامها ، ومن أعفى لحيته أعفى من الجندية . ولم تكن هناك مخالفات شرعية فالخمر محرم ، والدعارة محرمة وممنوعة ، والمجلة الشرعية هي القانون الذى يعمل به ، والدعوة قائمة ، والأقليات غير المسلمة تحارب فيما إذا رغبت في إظهار عقائدها المنحرفة أو ظهر منها فساد في الأرض ، أو اتصال مع الأجانب ، وهذا لم يكن ليمنع وجود مخالفات بل إن هذه العاطفة المشوبة بالجهل كثيراً ما كانت حرباً على الإسلام ، فقد اعتصمت الأقليات في الجبال الحصينة نتيجة حربها أو اضطهادها وعاشت حياة بئيسة الأمر الذي جعلها تزداد حقداً وحنقاً على المسلمين وتنتهز الفرصة للإيقاع بهم ، وهذا ما كان له الأثر البالغ فيما بعد ، وكان على العثمانيين أن يوزعوا هذه الأقليات في أرجاء العالم الإسلامى الواسع لتذوب فيه وينتهى أمرها إلى الأبد . والحياة البسيطة والفقر حملا بعض المسلمين الجهلة ليسلكوا طريق الزهد ، وهذا ما ساعد على انتشار الطرق الصوفية حتى إن الدولة قد حمت هذه الطرق ، بل إن بعض السلاطين كانوا من أتباعها ، وهذا ما كان له أثره السيىء فى إماتة الجهاد ، وإفقار البلاد ، والبقاء في حالة من الجهل وإدخال إلى الإسلام ماليس منه . وإن الفقر الذي كان يسود البلاد أدي في الوقت نفسه إلى الاكتفاء بالقليل والقناعة بالموجود فكانت الحياة بسيطة لاتعقيد فيها . وإن ضعف السلطة فى نهاية الدولة أدى إلى اختلال نظام الأمن فساد الخوف ، وقلت الزراعة ، وزاد الفقر ، وسطا اللصوص على الناس ، وانتشر قطاع الطرق ، وسيطر رجال القبائل ، ووجهاء القرى والأحياء ، فكان النفوذ للقوة ، وبسط الزعماء نفوذهم ووضعوا أيديهم على أراضي جوارهم فانتشرت الملكية الواسعة ، واستغل هذا كله الصليبيون ونشروا الدعاية ضد العثمانيين ولا تزال هذه الدعايات قائمة على الرغم مما بذلوه من توحيد البلاد الإسلامية والوقوف في وجه الصليبيين منذ أيام البرتغاليين حتى الحرب العالمية الأولى وقاتلوا أعوانهم من الأقليات ، وفتحوا البلاد ، وتقدموا في أوربا ، ونشروا الإسلام في قفقاسيا بين الشراكس حتى اعتنقوه بأغلبيتهم ، وكذا في أوروبا وإفريقيا ، ولا تزال القلاع العثمانية ماثلة في تشاد وغيرها وكانت مراكز للدعوة ومنطلقا لها .

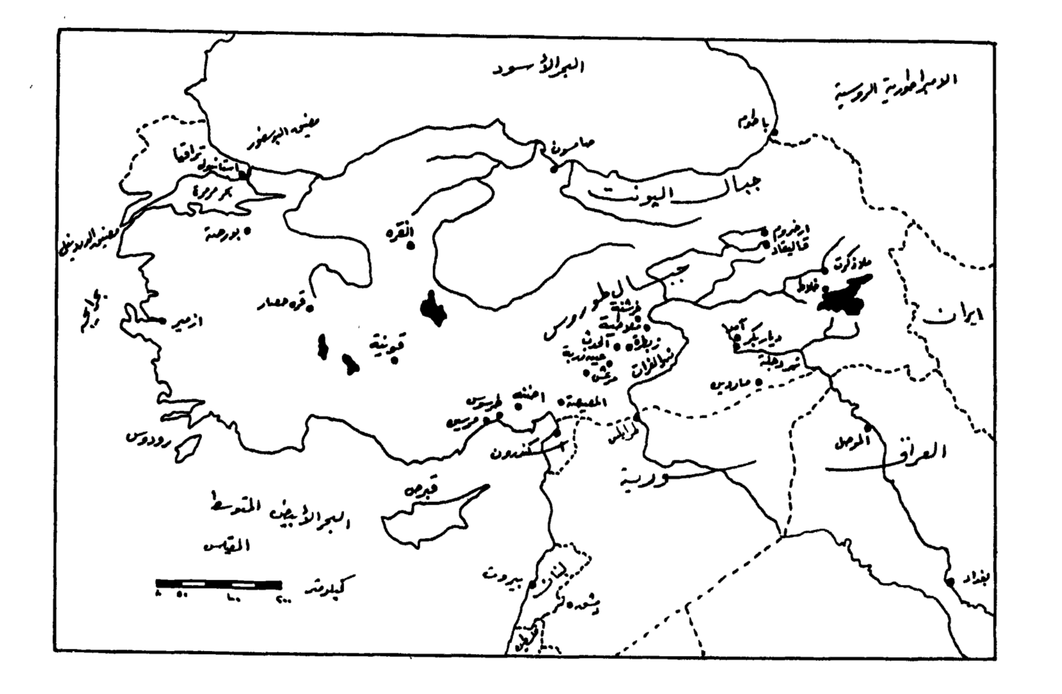
أما في عهد تركيا الحديثة فقد زالت معالم الحياة الإسلامية تقريباً إذ أصبحت القبعة هي الشائعة ، وسفرت النساء بعد أن أجبرت علي رفع الحجاب وترك لباس الحشمة وانتشر الاختلاط ، وغدا النداء للصلاة بالتركية ، وانتشر الخمر ، وكان أتاتورك أكبر المدمنين عليه ، وعمت الدعارة وكان رئيس الجمهورية أكثر الرجال وقوعاً في حمأة الرذيلة وأكثرهم تهتكاً ، وفقدت الأسرة الإسلامية كثيراً من مقوماتها ، وابتعد عدد من الناس عن الحياة الاجتماعية واعتزلوا في مناطقهم ، الأمر الذي زاد البلاد فقراً وخاصة في المناطق الشرقية ، وبدا الفرق كبيراً بين الأغنياء والفقراء بسبب تعقيد الحياة وانتشار الصناعات الحديثة والتي غدت حاجات أساسية عندما تتأمن الأموال اللازمة لثمنها ، وبذا أصبح المجتمع طبقات ، وانصرف الناس إلى الحياة المادية ، وغدت الوسائل كلها مسموح بها في سبيل الحصول على المال ، وهكذا تبدلت الحياة الاجتماعية كلياً ، وأصبحت أقرب مايكون إلى الحياة في أوربا ، وأضحت فكرة القومية التركية هي السائدة وكان للأقليات وللعناصر المتطرفة أثرها الكبير ، فانتشرت كتب وقصائد نامق كمال وضياء كوك ألب ، وبقيت العاطفة الإسلامية تملأ كثيراً من القلوب ، وهي تنتظر الدعوة للإسلام لتنخرط فيها لتنقذ المجتمع مما علق فيه ، ولكن ما إن تسنح لها الفرصة ، وتعطى حرية العمل ، وتبدأ بالنشاط حتى يقوم انقلاب عسكري أو تحدث حركة في الجيش تقف في وجه هذا الاتجاه وتحد من امتداده وتوسع رقعته .

إيران (فارس)

– ٥ –

لإيران تاريخ قديم ، وبعد أن انتشر فيها الإسلام ، أصبحت قوة حضارية كبيرة ساعدت على انتشاره .

وكلمة إيران مشتقة من اسم الشعوب الآرية التى هاجرت إليها في التاريخ القديم ، ومعناها (موطن الآريين) ، ولم يستخدم هذا الإسم فى العهد الإسلامي وإنما استخدمت كلمة (فارس) للدلالة على إيران القديمة . ويجب أن نفرق بين فارس ككل ، وإقليم فارس الواقع إلى الشمال الشرقى من الخليج العربي . وهذا الإقليم هو الذى فرض اسمه على كل الهضبة الإيرانية . وظل مستخدما فى الدوائر المحلية والعالمية حتى عام ١٣٥٤هـ عندما عمم الشاه رضا بهلوى اسم إيران تأكيدا للفكر الإيراني الذى تزعمه هذا الشاه .


البحر الأسود
الامبراطورية الروسية
باطوم
سامسون
جبال البونت
مضيق البوسفور
استانبول
تراقيا
بحر مرمرة
بورصة
مضيق الدردنيل
القره
ارضروم
قاليقلا
ملازكرت
خلاط
جبال طوروس
قره حصار
ازمير
قونية
ديار بكر
آمد
نهر دجلة
ايران
ماردين
نهر الفرات
المصيصة
طرسوس
اسكندرون
رودوس
قبرص
سورية
الموصل
العراق
البحر الأبيض المتوسط
المقياس
كيلومتر
بيروت
لبنان
بغداد

وإيران بصفة عامة ، عبارة عن هضبة مرتفعة ، تتعدد فيها سلاسل الجبال ، أهمها سلاسل جبال الزاغروس والبرز ، وجبال الزاغروس هي التى توازى الحدود العراقية وتمتد إلى ساحل الخليج العربي ، وكأنها حائط هائل تتخلله بعض الممرات على مسافات متباينة ، وتميل الهضبة فى جهة الشرق انحداراً وئيداً حتى تصبح مجرد صحراء ممتدة إلى أفغانستان وباكستان . كما توجد منطقة سهلية نهرية خصبة فى قمة الخليج العربي ، هي خوزستان (عربستان) وهي فى الحقيقة امتداد طبيعي للسهل العراقى سواء من ناحية السطح أم من ناحية التشكيل البشرى حيث يعيش العرب ــ من آل كعب وغيرها من القبائل العربية ــ منذ أزمنة بعيدة في هذه المنطقة (خوزستان) التي يجرى فيها نهر قارون الذى يصب فى شط العرب ، ويعد من أهم منافذ فارس إلى أعالى البحار .

وتطل إيران على بحرين أحدهما مغلق هو بحر قزوين والثاني مفتوح على المحيط الهندى ، وهو الخليج العربي الذى كانت حكومة طهران تصر على تسميته خليج فارس لاعتبارات توسعية فى المنطقة ، بدأت تخف حدتها منذ اعتراف إيران بحق البحرين فى الاستقلال خلال عام ١٣٩٠هـ . هذا مع أن السواحل الشرقية للخليج العربي ، وهى سواحل إيرانية ، كانت تسكنها ولاتزال عشائر عربية ، لها تاريخ طويل يكاد يكون مستقلا عن الحكومة الفارسية المركزية فى طهران .

أما بحر قزوين ، فهو أكبر البحار المغلقة ، وينكمش تدريجيا منذ عدة قرون مضت ، وكانت البلاد القوقازية الواقعة بين هذا البحر والبحر الأسود محل صراع بين القوى الأخرى المطلة على المنطقة روسيا وتركيا .

ويقدر تعداد إيران بما يزيد على الأربعين مليوناً ، ثلثاهم على المذهب الشيعى الاثنى عشرى والباقي على مذهب السنة والجماعة . وفى السكان حوالى أربعة ملايين نسمة من القبائل ، والباقى مستقرون فى المدن والقرى والوديان الزراعية . أما فى القرون السابقة فقد كان التشكيل القبلي هو السائد فى معظم أنحاء فارس ، ولعل ذلك يرجع أساسا إلى النقص الشديد فى مساحات الأرض الصالحة للزراعة ، ولوجود الصحراوات الواسعة فيها مثل صحراء دشت لوط (الصحراء الخالية) ودشت كوير (الصحراء المالحة) .

فقد توالت على إيران فى القرون القديمة هجرات عديدة إلا أن أهمها هجرة آرية (أندو ــ أوروبية) استوطنت إيران وعمرت فيها القرى والمدن ومن بين هذه العشائر الآرية من لعب دورا كبيرا فى التاريخ ، بل وأسس امبراطوريات ذائعة الصيت (مثل الميديين ، والفرس ، والبارتيين ، والباكثيريين ، والسيديين والعيلاميين) .

ولمعت فى تاريخ فارس القديم أسماء : كروش مؤسس أكبر امبراطورية فى الشرق فى القرن السادس قبل الميلاد ، وابنه قمبيز ثم دارا الذى بعث بجيوشه حتى قلب اليونان ، وزرادشت الذى وضع القواعد الفلسفية على أساس أن هناك صراعا أزليا بين الخير والشر ، والتي أصبحت عقيدةً يدين بها سكان تلك الجهات قبل ظهور الإسلام .

وتعرضت إيران ــ مثل بقية أجزاء الشرق الأدني ــ لغزو الإسكندر الأكبر ، وماتبع ذلك من ظهور دولة يونانية فى فارس والعراق وبلاد الشام (الدولة السلوقية) وأخرى فى مصر (الدولة البطلمية) . وعلى أنقاض الدولة السلوقية ظهرت الدولة البارتية فى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد . وكان هناك البارتيون يتكلمون لغة فارسية ويدينون بالمزدكية (المجوسية) ، ومن بعد هذه الدولة المجوسية جاءت آخر الدول الإيرانية قبل الإسلام ، وهى الدولة الساسانية التى تغلب عليها المسلمون وانتشر الإسلام بسرعة في فارس ، وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية إلى مرتبات عالية من التفوق .

وبضعف الخلفاء العباسيين أصيبت الدولة بعدة انقسامات سياسية وظهرت عدة أسر شبه مستقلة فى مختلف أرجاء العالم الإسلامي : كالأسرة الطاهرية ، والصفارية ، والسامانية ، والبويهية ، والسلجوقية ، وأخيرا دهم فارس غزو خطير شنه المغول . فاستولوا عليها ثم لم يلبثوا أن استولوا على بغداد نفسها ٦٥٦هـ لتنتقل الخلافة العباسية بعد ذلك إلى القاهرة(١) .

وإذا كان المغول قد فتحوا فارس بالسيف ، فقد أخضعت الحضارة الإسلامية هؤلاء الغزاة لها حتى أسلم الملك المغولي أحمد تكودار بن هولاكو الذي قتله ابن أخيه أرغون ، وتولى مكانه ، واضطهد المسلمين ، وتحالف مع الصليبيين والأرمن ضد المسلمين ، ثم خلفه كيخاتو ، ثم غازان بن أرغون الذي اعتنق الإسلام ولكنه بقى يقاتل المسلمين ، وهو الذي دخل دمشق وكان ابن تيمية من الذين وقفوا فى وجهه في معركة (شقحب) جنوب دمشق عام ٧٠١هـ ، ثم قابله وحذّره ووعظه . وقام بعد غازان عام ٧٠٤ أخوه أولجايتو الذي عرف باسم محمد خدابنده ، وهو الذي اتخذ المذهب الشيعي ، وكانت إيران من قبل من أهل السنة .

(١) ستستمر بها حتى عام ٩٢٣هـ ثم تخفت أصواتها ليدعى من بعد العثمانيون أنهم ورثة الخلافة العباسية الشرعيون .

وظهر أيام المغول من العلماء نصير الدين الطوسي الذى أقام له هولاكو مرصدا مشهورا بمراغه ، كما كان من بين مشاهير المؤرخين عطا ملك الجوينى صاحب تاريخ جلها نكشاى ، وهو أهم وأوفى مرجع فى تاريخ المغول وتاريخ سلاطين خوارزم وتاريخ فرقة الاسماعيلية . ثم رشيد الدين فضل الله صاحب كتاب جامع التواريخ ، وشهاب الدين عبد الله بن فضل الله الشيرازى صاحب تاريخ وصاف وغيرهم ، وجميع هذه الكتب التاريخية تعد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي وقد كتبت بالفارسية . وعلى العموم فقد شهدت إيران نهضة ثقافية كبيرة فى عهد الإيلخانيين فى مختلف فنون المعرفة حتى سارعت أوروبا فى عصر النهضة إلى نقل قدر من هذه المؤلفات إلى اللاتينية لغة العلم والثقافة عندهم إذ ذاك . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى النهضة العمرانية فى بلاد فارس ، وازدهرت كذلك صناعة النسيج والبسط وفنون الزخارف عندهم حتى تهافت الأوروبيون وغيرهم على اقتنائها .

ومما هو جدير بالملاحظة أن المغول الهمج وغيرهم من بدو آسيا الوسطى ومعهم الترك كذلك ، برغم حبهم للقتال والنهب والتخريب ، فانهم بعد أن زاد اتصالهم بالمسلمين ، واطلعوا على ماعندهم من أسباب الحضارة والمدنية ، انقلبوا من بعد ذلك يساهمون فى بناء الحضارة والثقافة ويرعون أصحابها رعاية كريمة . وقوى من ذلك كله بداهة دخول فريق منهم فى دين الله . وهكذا نرى الغالبين ــ بفضل الإسلام عقيدة ومدنية وحضارة ــ يدخلون فى دين المغلوبين ، وهى ظاهرة لم يعرف لها التاريخ نظيرا أو مثيلا من قبل .

تعرضت إيران لموجة مغولية جديدة على يد تيمورلنك الذى استولى على فارس في أواخر القرن الثامن الهجرى ، وأسس دولته بالسيف والنار .

ولم تلبث امبراطورية تيمورلنك أن تفككت بسرعة بعد موته (٨٠٧هـ) ، فأفادت قبائل (القره قوينلو) الخروف الأسود من هذه الفرصة ، واستولت على أذربيجان وانحدروا إلى أصفهان والعراق وظلوا يحكمون فارس والعراق حتى قضت عليهم قوة قبلية أخرى هي « الآق قوينلو » الخروف الأبيض فى ٨٧٤هـ/١٤٦٩م ، بينما كان القسم الشرقي من إيران تحت حكم شاه رخ بن تيمورلنك ، وكانت عاصمته فى هراة وأخيرا استطاع اسماعيل الصفوى أن يصفي الموقف كله في فارس لمصلحته مؤسسا الأسرة الصفوية (٩٠٦) التى تعد بدايتها بداية لتاريخ فارس الحديث .

ظهور الأسرة الصفوية :

ففي الوقت الذى أصبحت فيه فارس ، خلال حكم أسرة الآق قوينلو ، مرتعا للحروب بين المطالبين بالعرش بالولايات ، كانت تنمو فى الشمال ، فى منطقة (أردبيل) أسرة تركية تخصصت فى الوعظ على أساس الفكر الشيعي ، وعرفت باسم الأسرة الصفوية التى يقال أن نسبها يرتفع إلى الإمام الشيعي موسى الكاظم . وتنتسب الأسرة الصفوية إلى رجل شيعي وهو صفي الدين المتوفى عام ٧٢٩هـ . وكان ابنه ــ صدر الدين ــ لايقل عنه نشاطا من أجل نشر المذهب الشيعي وتعاليمه . ولقد حظى خوجا على (حفيد صفي الدين) بمقابلة تيمور لنك ، واستطاع الشيخ أن يحصل منه على عفو عن الأسرى الأتراك الذين كانوا لديه[١] . فلم يلبث هؤلاء الأسرى بعد إطلاق سراحهم أن أعلنوا انتماءهم إلى صدر الدين . ومن نسل هؤلاء الأسرى من لعب أدوارا فى تأسيس الدولة الصفوية وتثبيت أركانها .

وتوالى بعد ظهورهما عدد من رجال الدين من الأسرة الصفوية اتصفوا بالقدرة على المشاركة فى الأحداث السياسية فى المناطق التى يقيمون فيها ، وبالقيام بأعمال تخلد ذكراهم ، ولكن كان نشاط جنيد هو الممهد لتأسيس أسرة صفوية حاكمة .

كان جنيد يسعى إلى تكوين عصبية مذهبية مرتبطة به ، فاجتذب عدداً من الأتباع ، وأصبح يشكل قوة محلية قادرة على العمل ــ عندما تسنح لها الفرصة ــ ضد الحكومة القائمة حينذاك الأمر الذى أقلق أمير القره قوينلو حتى أمر بنفيه خارج البلاد .

وحينذاك كانت هناك منافسة محتدمة بين قوة القره قوينلو ــ التى كانت تعانى آخر أيامها ــ والقوة الصاعدة على حسابها (الآق قوينلو) . فذهب حيدر إلى أوزون حسن (حسن الطويل) زعيم الآق قوينلو فى دياربكر ، فرحب به الرجل على اعتبار أنه معول هدم للقره قوينلو . وأقام لديه حوالي ثلاث سنوات (٨٦١هـ ــ ٨٦٤هـ) وزوجه من أخته ، واتصل جنيد كذلك بالسلطان العثماني ، ولكنه لم يلبث أن توفى .

---

(١) انتصر تيمورلنك خلال عملياته الاجتياحية على السلطان العثمانى بايزيد الأول فى موقعة انقرة وحبسه فى قفص عام ٨٠٥هـ

وتابع حيدر نشاط أبيه جنيد وتزوج من ابنة حسن الطويل فى منفاه ، بل شارك فى أحداث المنطقة وجمع حوله أعوانا من التركمان ، ولم يلبث أن لقى مصرعه فى بعض الصدامات التى وقعت فى منطقة شيروان عام(٨٩٤هـ) .

وبدأت سلسلة من الاضطهادات للأسرة خرج منها اسماعيل بن حيدر ، وقد صقلته التجارب وجعلته قادرا على الانتقال من مجال الحركات المحلية إلى مجال الحركات العامة . وبذلك اعتلى الشاه اسماعيل عرش البلاد ، وكان يدبر أموره على أساس أن القوة السياسية يجب أن تعتمد على قوة عسكرية مخلصة تربطها به وشائج عقيدية متينة تجعلها مستعدة للاستماتة فى الدفاع عن قائدها وعن معتقداتها .

وكانت هناك قوى محيطة بفارس عند مطلع حكم الشاه اسماعيل ، فمن الغرب كان يوجد العراق الذى لاذبه مراد بن يعقوب آخر أمراء الآق قوينلو ، والى الشمال كانت توجد إمارة تابعة أيضا للآق قوينلو يطمع فيها الشاه اسماعيل وهي إمارة البستان وكان عليها علاء الدولة . ومن جهة الشمال والغرب كان الأناضول بلاداً عثمانية سنية مجاهدة فى البلقان ضد الدول الأوربية ، وفى مياه الخليج العربي ظهر البرتغاليون ، ومن الشمال الشرقى كانت توجد قبائل الأوزبك بزعامة محمد الشيبانى الشديد البأس . وكان يسيطر على أجزاء من شمال شرق فارس . وإلى الشرق توجد القبائل الأفغانية/.

تمكن الشاه إسماعيل الصفوى من إخضاع بلاد الفرس كلها لحكمه ، ولم يبق أمامه من عدو غير العثمانيين فى الغرب والأوزبك فى الشرق . وقد أعلن عزمه على إعلاء شأن مذهب الشيعة حتى راح يحمل الناس قسرا على الدخول فى هذا المذهب ولايتردد فى إفناء مدن بأسرها والقضاء على العلماء والأعلام زرافات ووحدانا حين يرفضون الاستجابة لدعوته مستمسكين بمذاهبهم السنية .

وأدى بشاه فارس تعصبه الشديد لإرغام الناس على التشيع قسرا — حتى لامه مؤرخو الفرس أنفسهم فى ذلك — أن دخل فى حروب متواصلة مع العثمانيين عند الحدود الغربية من بلاده ، ومع الأوزبك عند الحدود الشمالية الشرقية لإيران . وكان هؤلاء الأوزبك يحكمون فى بلاد ماوراء النهر التى تضم فيما تضم التركستان .

أما العثمانيون والمماليك فقد هالهم ميل الشاه اسماعيل الصفوى إلى ملوك الفرنجة ومراسلاته معهم بهدف اقتسام دولة المماليك فتكون مصر من نصيب الفرنجة والشام من نصيبه هو ، فى الوقت الذى كان البرتغاليون يهددون دولة المماليك والشرق ، ولم

تستطع تلك الدولة صد الخطر الأجنبى ، فلم يكن أمام المسلمين السنة إلا الاستنجاد بالأتراك العثمانيين لإنقاذهم من اضطهادات الشاه اسماعيل ، ومن سيف البرتغاليين .

لقد أصبحت مهمة العثمانيين عالمية وليست محلية ، وكان عليهم أن يقوموا بدورهم فى إنقاذ العالم الإسلامي من البرتغاليين وإنقاذ أنفسهم من الضغط الصفوى الشيعي المتواصل فى الأناضول قلب الدولة العثمانية ، فبدأ السلطان سليم الأول بإبادة الشيعة فى الأناضول ثم شن حربا شاملة ضد الشاه فى فارس نفسها ، وانتصر عليه انتصارا كبيرا فى موقعة جالديران فى عام ٩٢٠هـ وأجبره على عقد صلح مع العثمانيين . وأدى هذا الانتصار إلى زعزعة مكانة الحكم الفارسي فى العراق . فقد أعلن حاكم بغداد ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول ، وأصدر السلطان العثماني مرسوما بذلك . ولم يستطع الشاه اسماعيل الصفوى أن يقوم بعمل جدى إزاء العراق حتى توفى ٩٣١هـ .

أما حروب الشاه اسماعيل مع الأوزبك (حكام ماوراء النهر) فلم تكن على الأرض فقط وإنما كانت صراعا عقائديا ، كل منهما يعتقد أنه الذى يسير على الحق . وأخذ محمد شيباني زعيم الأوزبك يدعو الشاه اسماعيل إلى العودة إلى إجماع أهل السنة مهددا إياه بحرب ضروس فى قلب إيران ذاتها . ودارت الحرب بين الطرفين فانتصر الشاه اسماعيل فى بادىء الأمر غير أن الأوزبك استطاعوا استعادة نفوذهم ومناطقهم وتعاونوا مع الأتراك ضد الشاه اسماعيل الذى تعاون مع البرتغاليين ضدهم . وظل النزاع بين الفرس والعثمانيين والأوزبك فى عهد خلفائه من بعده .

خلف طهماسب أباه اسماعيل ، وحفلت مدة حكمه بالحروب المتصلة ضد أعدائه الأوزبك فى الشرق والعثمانيين فى الغرب . وقد رفض طهماسب الاعتراف بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين متأسيا فى ذلك بوالده من قبله . وحدث أن عامل بغداد الفارسي ، (من قبل طهماسب) انحاز إلى سليمان فجهز الشاه حملة ضده وأخضعه ، فاتخذ سليمان هذه الحملة ذريعة لإعلان الحرب على فارس . فلما كان صيف عام ٩٤١هـ دخل العراق بجيش قوى ، واضطر الشاه إلى التراجع فى وجه القوات العثمانية وصار فى ميسور سليمان أن يتقدم إلى عاصمة الفرس ، تبريز ، وأن يستولي على بغداد ، من غير ما عناء ، وأقر سليمان العثمانى الأمن والنظام فى هذه الولايات الواقعة على الحدود والتى كان يعتزم الاحتفاظ بها .

ومن أبرز حكام الأسرة الصفوية الذين خلفوا طهماسب الشاه عباس الكبير ، الذي

عقد صلحاً مع العثمانيين فى مطلع حكمه ، وتنازل للعثمانيين عن أذربيجان وجورجيا ولورستان ، وبعث بابن عمه حيدر ميرزا رهينة إلى استانبول . وفرغ بعد ذلك لإقرار الأمن فى داخل مملكته ووقايتها من عدوان الأوزبك . وعقد معاهدة مع الانكليز وتمكن بموجبها وبمساعدة الأسطول الانكليزي من الاستيلاء على هرمز وبغداد واسترداد تبريز ، ومكن للسلطة الفارسية من تعزيز الحدود فى الشرق ، وأنشأ قاعدة تجارية خلع عليها اسم بندر عباس .

ونقل عاصمته إلى أصفهان ، وازدهرت البلاد فى حكمه ، وجاءت البعثات السياسة إلى مركز حكمه فى أصفهان ، كما تأسست مراكز تجارية أوربية على سواحل الخليج العربي . وقد اجتهد فى تحويل الحج من مكة الى مشهد . وقد عنى بالفلسفة والعلوم والفقه ، وازدهر فى عصره الشعر والموسيقى كما شهدت بلاد فارس نهضة عظيمة فى صناعة السجاد والقيشاني ، وضعفت الأسرة الصفوية بعد الشاه عباس لضعف حكامها وأدى ذلك لزوالها .

ومهما يكن من أمر ، فان الحروب التى دارت سجالا بين شاهات الفرس من جانب والأوزبك والعثمانيين من جانب آخر قد أنهكت قوى هذه الدول الإسلامية القوية التى كان يحسب الأوربيون حسابها . فمهد ذلك لظهور روسيا قوية على مسرح الحوادث ثم تدخلها هى والدول الأوربية من بعد ذلك فى شؤون أمصار العالم الإسلامي والاستيلاء على كثير من أراضيه .

وكان من أخطاء الصفويين كذلك استجابتهم للأوربيين الذين عملوا على دفعهم لحرب العثمانيين الذين كان فى حوزتهم مساحات كبيرة من الأراضى الأوربية .

نادر شاه الأفشارى :

وحين هان شأن الصفويين رقى العرش عام ١١٤٩هـ قائد من قوادهم يدعى نادر شاه ، وكان على مقدرة حربية فائقة . واستطاع سلطان فارس الجديد هذا أن ينتصر على العثمانيين فى عدة مواقع ، كما حمل الروس على الجلاء عن إقليمى جيلان ومازندران ، وكانوا قد استولوا عليهما أيام الصفويين .

واجتاح نادر شاه من بعد ذلك إقليمي بخارى وخيوة ، وغزا أفغانستان وتوغل الى الهند ، وهاجم الدولة المغولية فيها ، وخرب عاصمة الدولة دهلي واستولى على أموال

طائلة بها ، كما استحوذ على عرش الطاووس بها وانتزعه من أصحابه سلاطين الدولة المغولية هناك ، وكانوا من سلالة تيمورلنك . وكانت الكنوز الهندية التى استولى عليها نادر شاه هناك من الضخامة ما جعله يتغاضى عن جمع الضرائب من سكان بلاده لعدة سنوات . وعمل نادر شاه على الحد من الخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة ، ودعا فى هذا السبيل إلى عقد مؤتمر للتقريب بينهم فى بغداد ولكنه لم يوفق فى ذلك إذ كان يرغب في إعادة السنة إلى إيران .

ولم يدم حكمه طويلا إذ قتله بعض أتباعه من القاجاريين فى جيشه عام ١١٦٣هـ ، فتجزأت الدولة التى أسسها إذ استقلت بلاد الأفغان ، بعد أن عادت الفرق الأفغانية التى كانت ضمن قوات فارس إلى بلادها ، ونادت بقائدها أميرا على بلاده . وظلت أفغانستان منذ ذلك الوقت قلعة الإسلام الشامخة وحصنه الحصين وسط آسيا ترد عنها كل مستعمر ، وفيهم البريطانيون والروس ، فى تصميم وضراوة وعنف . كما أعلنت جورجيا استقلالها أيضا ، وأخذت الدولة العثمانية جزءاً من أذربيجان ، وسيطرت روسيا على تركستان .

وبعد مقتل نادرشاه جاءت فترة من الاضطرابات والفوضى ، وتنازع العرش رجال من القبائل المختلفة ثم استقر الحكم فى القبيلة القاجارية .

القاجاريون (١١٩٣ ــ ١٣٤٤هـ)

كان القاجاريون أعظم القبائل الإيرانية التركية التى ساندت الدولة الصفوية طوال حكمها الذى استمر أكثر من قرنين . وما إن قضوا على نادر شاه غيلة حتى دخل زعيمهم أقا محمد خان العاصمة طهران عام ١١٩٣هـ ، ثم انطلق بقواته فأخضع القبائل الإيرانية الأخرى لسلطانه ، ومنهم الزنديون فى الجنوب والأفشاريون فى الشمال .

وفى أيام خلفه فتح على شاه صارت بلاد الفرس مسرحا للصراع بين كل من فرنسا ، وروسيا ، وبريطانيا . ففرنسا أيام نابليون بونابرت كانت تريد أن تتخذ من إيران جسرا تنفذ منه إلى الهند لتقضي على كل نفوذ للبريطانيين هناك ، أما بريطانيا فكانت ترى أنها بسيطرتها على شواطىء إيران التى تطل على بحر العرب تصل إلى تأمين طرق مواصلاتها إلى الهند الغنية بثرواتها وخيراتها ، فيما إذا تعطل طريق مصر لسبب من الأسباب ، فى حين كانت روسيا تطمع فى شق طريق لها إلى إيران .

وتم للروس بالفعل الاستيلاء على قدر من الأراضى الإيرانية فى الشمال . وإزاء ذلك حاول فتح على شاه أن يخلص البلاد من النفوذ الأجنبى فعقد معاهدة تلست مع نابليون عام (١٢٢٢هـ) لاستيراد الأسلحة من فرنسا والحصول على التدريب العسكرى منها فى سبيل استرداد جورجيا . ولكن نابليون خدعه واتفق مع الروس ، ونتيجة لذلك هزم الإيرانيون هزيمة ساحقة أثناء هجومهم على روسيا واضطرت إيران لتوقيع معاهدة عام ١٢٢٨هـ تنازلت فيها إيران عن عدة مناطق لروسيا وأقرت لهم بامتيازات سياسية ، ومنها حق محاكمة رعايا القيصر أمام محاكم روسيا فقط . وقبل شاه فارس قدوم بعثة بريطانية إلى بلاده لتنظيم جيشه . وظلت بريطانيا تمارس ضغطها على إيران إيمانا منها بأنها الطريق المؤدية إلى استعمار الهند ، وبالفعل نجحت هذه الضغوط بتوقيع معاهدة طهران عام ١٢٢٩هـ تعهدت انكلترا بموجبها بتقديم الحبوب والمعونات المالية فى حالة وقوع اعتداء أو تحريض بالاعتداء على إيران . ولكن عندما نشبت الحرب الروسية الإيرانية عام١٢٤٠هـ لم تفعل بريطانيا شيئا سوى تظاهرها بالسعى بين الطرفين للصلح والسلام . وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة (تركمان خاى عام ١٢٤٣هـ) تنازلت فيها إيران عن منطقة أرمينية ودفعت فيها غرامة حربية وتعويضات ، وأعطت روسيا حق الأولوية فى المعاملات التجارية معها .

وفى عهد ناصر الدين شاه (١٢٦٠ ــ ١٣٠٨هـ) حصل البريطانيون على مزيد من الامتيازات التجارية ومنها احتكار الدخان . غير أن العلماء عارضوا هذا الاتفاق الأخير ، وساندوا الشعب فى ثورته عليه حتى عدلت الدولة عنه . هذا كما تخطف الانكليز كذلك بعض الأراضى التى تجاور مستعمرتهم مثل بلوخستان شرقى إيران التي ضموها إلى الهند ، فى حين سقط الروس على مساحات أخرى جديدة ، وكان هؤلاء قد انطلقوا فى زحفهم إلى آسيا يتوغلون فى تركستان .

وفى عهد هذا الشاه اشتد نشاط حركة البابية . وزعيم هذا المذهب وهو ميرزا على محمد رضا الشيرازي كان يتلقب بالباب ، إشارة إلى أنه الباب إلى الحياة الروحية الخالصة بزعمه . وهي دعوة لاتعترف بدين من الأديان بل تزعم أنهاترمي إلى توحيد أصحاب العقائد جميعا تحت رايتها . وقضى على هذه الدعوى وصاحبها عام ١٢٦٧هـ وقتل عدد من أتباعها هناك من بينهم الباب ميرزا علي محمد رضا الشيرازي وقرة العين ، فاطمة علي القزويني .

وادعى بعده حسين علي المازندراني أنه الموعود الحقيقي والمسيح المنتظر ، وأن الباب لم يكن إلا مبشراً به ، فسجن وتدخلت سفارات روسيا وبريطانيا لإخراجه فخرج ونفي إلى بغداد ، ثم إلى تركيا ثم إلى عكا ، وادعي أنه بهاء الله وعرفت دعوته بالبهائية ، ولها بعض الأتباع في طهران وبعضهم خارج إيران .

وكان ناصر الدين هذا هو أول حاكم فارسي يزور الدول الأوربية ، وقد أغرته مظاهر الحضارة الأوربية المادية ومال إلى اقتباس بلاده بقدرٍ منها ، لكنه تردد فى إرسال البعوث من طلاب فارس إلى هناك ، كما عارض الحركة التحررية التى قام يدعو إليها ببلاده ، وبلاد الشرق كله فيما بعد ، الزعيم المشهور جمال الدين الأفغاني حتى أرغم ذلك الزعيم على مغادرة فارس ، كما حصل نزاع فى عهده بين إيران وأفغانستان بشأن منطقة هراة ، واضطرت إيران إلى أن تتنازل عن هراة للأفغان بضغط من انكلترا . كما احتلت انكلترا نفسها بعض المناطق على الخليج العربي مثل بوشهر والمحمرة .

الحركة الوطنية في إيران :

وإزاء تطور الأحداث فى إيران ، اغتيل ناصر الدين شاه عام ١٣١٤هـ . وخلفه الشاه مظهر الدين الذى سار على نهج سلفه فى رحلاته الى أوربا وأنفق فى ذلك أموالا كثيرة حتى اضطر إلى عقد قروض خارجية مع روسيا لتغطية نفقاته هذه ، مما أشاع الاضطراب فى مالية الدولة . وفى عهده اتفقت روسيا وبريطانيا على أن يكون للأولى نفوذها فى الشمال ، وللثانية استغلالها فى الجنوب .

وقويت فى عهد مظفر الدين كذلك حركة المطالبين بالحياة الديمقراطية ، حتى اضطر على كره منه إلى إعلان الدستور وقيام الحكم النيابي في ١٣٢٤هـ على أن خلفه محمد على شاه سرعان ما ألغى هذا الدستور ، وحل المجلس النيابي بمساعدة الروس ، مما أدى إلى قيام الثورة بالبلاد ومهاجمة الثوار لمقر الشاه نفسه . وقد لجأ محمد على شاه الى السفارة الروسية أولا هربا من غضبة الشعب ، ثم غادر البلاد نهائيا الى روسيا وحاول استرداد عرشه من بعد ذلك ولكنه فشل .

ولم يكن إقرار الدستور إلا وليد حركة التذمر بين أبناء الشعب ضد الاستبداد والبذخ والترف ، وعدم الرضا على التدخل الأجنبى . ولما كان الدستور مطلبا شعبيا ، لذا كان

إلغاؤه مرةً ثانية ، من أسباب ثورة الشعب وإسقاط الشاه ، وكره الشعب للتدخل الأجنبى بصفة عامة والروس بخاصة .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى ، كانت إيران ميدانا للصدام بين ألمانيا وتركيا من جهة وبين روسيا وانكلترا من جهة ثانية . وعندما انتهت الحرب كانت البلاد فى حالة انهيار عسكرى وسياسي . وما إن خرجت بريطانيا منتصرة فى الحرب ، وكانت روسيا قد قامت فيها الثورة الشيوعية فشغلت بها عما عداها، وتنازلت عن كل امتيازاتها وديونها لدى إيران ، بينما ضغطت بريطانيا على إيران فأجبرتها على توقيع معاهدة معها اعترفت بموجبها باستقلال إيران إلا أنها وضعت قيودا شديدة على إيران فقد خولت المعاهدة لهم السيطرة على الجيش الإيراني ، وصارت بها مالية البلاد تخضع لرقابتهم .

فعلت بريطانيا ذلك فى الوقت الذى كانت تعمل فيه على تشديد قبضتها على وادى النيل ، والعراق ، والهند وتمزيق أراضي الدولة العثمانية مقر الخلافة . فاذا بشعوب هذه البلاد جميعا تهب فى وجهها وتطالب بخروج قوات الاحتلال البريطاني من أراضيها وترفض كل ماكان يعرض عليها من معاهدات ظاهرها الاعتراف بالاستقلال وحقيقتها وواقعها الإقرار بحماية بريطانية مقنعة .

رضا شاه بهلوى :

رضى الشاه أحمد آخر حكام الأسرة القاجارية بالمعاهدة التى فرضتها انجلترا ، وبقيت موافقة المجلس النيابي حتى يتم التصديق عليها ، وفى هذه الأثناء رفض الحزب الوطني المعاهدة واتصل بفرقة القازاق الإيرانية وطلب من رضا بهلوى الذى كان ضابطا فيها حسم الموقف .

تحرك رضا بهلوى عام ١٣٤٠هـ بفرقته العسكرية واستطاع تحرير بلاده من كل من النفوذ الروسي والبريطانى واعترف الطرفان باستقلال بلاده ، ونقل الانكليز قاعدتهم العسكرية من إيران إلى البحرين . كما تخلى الروس عن كل الأراضى الإيرانية التى فى حوزتهم ، كما أشرنا — ورابطوا على الحدود الشمالية . وفى عام ١٣٤٤هـ قرر المجلس النيابي إقصاء أحمد شاه آخر حكام ، القاجار عن الحكم وتقرر انتخاب رضا شاه بهلوى وتتويجه على عرش إيران بدلا منه .

سار رضا شاه على نهج كمال أتاتورك ، وقد أقر فى السنوات الأولى من حكمه النظام والأمن وألغى الامتيازات الأجنبية والاتفاق مع شركة النفط الانكليزية ، وعقد اتفاقا جديدا معها حصل بموجبه على شروط أفضل من السابق ، واستولى على أموال الوقف ، وأخضع القبائل ، وعمل على توطين البدو ، وافتتح المدارس ، وأنشئت في عهده جامعة طهران عام ١٣٥٤هـ ، وألغى الحجاب ، ودعا إلى خروج النساء إلى الشوارع سافرات . كل هذه الأعمال فرضها ، ودعا إليها بقوة ، وانقلب الحكم إلى نظام استبدادى رغم أنه احتفظ بالمجلس النيابي كواجهة ، وهو يرسم وينفذ والمجلس يوافق ويوقع ، كما أنه أصبح يملك مساحات شاسعة من الأرض ، وغدا من أكبر أثرياء العالم .

وعمل رضا شاه على توثيق علاقاته مع جيرانه وتخطيط حدوده معهم ، ففى عام ١٣٥٦هـ عقد الشاه فى سعد أباد معاهدة مع تركيا ، والعراق ، وأفغانستان ، لمدة خمس سنوات ، ضمنت بموجبها كل من الدول الأربع حدود الدول الأخرى ، وتعهدت بالامتناع عن كل تدخل فى شؤون الدولة المجاورة الداخلية ، كما تعهدت هذه الدول جميعا بأن تحل أيما خلاف قد ينشأ فيما بينها بالطرق السلمية ، وكذلك عدم عقد مخالفات عدوانية مع الدول الأخرى ، وسميت المعاهدة بميثاق سعد آباد .

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية أعلن رضا شاه أنه يلتزم موقف الحياد بين الجبهات المشتركة فى القتال ، وإن كانت حكومته موالية للألمان ويوجد بها عدد من الخبراء الألمان . فطلب الانكليز والروس إقصاء هؤلاء الألمان باعتبارهم مصدر خطر كبير للحلفاء ، وأيدت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الطلب ولكن الشاه رفض ذلك ، فهاجمته القوات الروسية من الشمال والانكليزية من الجنوب ، وأيدت الولايات المتحدة هذا التدخل ، ودافع الإيرانيون عن بلادهم واضطر الشاه للتنازل عن العرش فنفاه الحلفاء إلى جنوب إفريقية ، وبقى هناك حتى مات عام ١٣٦٣هـ وخلفه ابنه محمد رضا والذى أعلن قطع علاقات الحكومة الإيرانية مع دول المحور .

وفى عام ١٣٦١هـ عقدت روسيا وانكلترا معاهدة مع إيران تعهدتا فيها باحترام وحدة البلاد واستقلالها وحمايتها من كل اعتداء ، وفى الوقت نفسه تعهدت إيران بتقديم التسهيلات غير العسكرية للحلفاء ، وسحبت القوات الروسية والانكليزية من البلاد الإيرانية .

وفى عام ١٣٦٢هـ أعلنت إيران الحرب على دول المحور ، وتعهدت كل من الولايات

المتحدة وروسيا وانكلترا بتقديم المساعدة الاقتصادية ، وبالمحافظة على استقلال أراضيها وذلك فى تصريح طهران على لسان كل من روزفلت وستالين وتشرشل ، والواقع أن إيران لم تكن مستقلة أثناء الحرب العالمية الثانية بل كانت مجزأة إلى منطقتى احتلال انكليزية وأمريكية فى الجنوب وروسية فى الشمال ، ويفصل بينهما خط عرض طهران .

ساءت العلاقات بين إيران وروسيا بعد الحرب لأن الإيرانيين قد رفضوا طلب الروس بالتنقيب عن النفط فى شمالي إيران ، وهذا ماحدا بالروس إلى دعم حزب تودة الشيوعي ومطالبته بالاستقلال فى أذربيجان . كما أنهم منعوا قوات الأمن الإيرانية من دخول أذربيجان الفارسية حيث ترابط القوات الروسية .

وفى عام ١٣٦٥هـ تحسنت العلاقات بين إيران وروسيا ، فأعلن عن توقيع اتفاق نفطي بين الدولتين وانسحبت روسيا من شمالي إيران ، ولكن يظهر أن هذا الاتفاق كان مؤقتا للقضاء على الحركات الانفصالية التى يدعو إليها حزب تودة بدعم من روسيا . وأمام هذه الحركات أقال رئيس الوزراء من وزارته أعضاء حزب تودة ، وأرسل قطاعات من الجيش إلى أذربيجان قضت على التمرد .

رفضت الحكومة الاتفاقية النفطية كما رفضها المجلس النيابي عندما عرضت عليه ، وهذا ماأثار الروس إذ عدوا هذا الرفض عملا عدائيا .

وفى عام ١٣٦٧هـ جرت مفاوضات بين الحكومة الإيرانية برئاسة رئيس الحكومة الجنرال ــ رازمارا وشركة الزيت الانكليزية الإيرانية بقصد تعديل شروط الاستثمار ، ولكن المعارضة بزعامة محمد مصدق عارضت هذه المفاوضات فاضطر رئيس الحكومة إلى تأجيل المفاوضات . وسرعان مااغتيل فى عام ١٣٧٠هـ/١٩٥١م رئيس الحكومة رازمارا ، ثم أعقبه اغتيال وزير المعارف مما جعل المجلس النيابي يقرر تأميم صناعة النفط . ويعهد إلى السيد محمد مصدق زعيم المعارضة برئاسة الوزارة والذى يلقى تأييدا من الوطنيين والمتطرفين والمتدينين . فألغى مصدق الامتيازات النفطية الانكليزية .

سحبت انكلترا موظفيها وخبراءها من إيران وحاصرت الموانىء ، ورفعت القضية إلى محكمة العدل الدولية ، فكان الحكم لصالح إيران ، وحاول تشرشل وترومان التوسط ولكن مصدق لم يستمع إلى أى وسيط ، ثم قطع علاقاته مع بريطانيا .

اختلف الشاه محمد رضا مع مصدق ، وحل رئيس الحكومة مجلسي النواب والشيوخ

وهذا ماسهل للشاه أن يعين رئيس وزراء جديدا هو الجنرال زاهدى ، فلم يعد بإمكان مصدق سحب الثقة لأن المجلس النيابي غير موجود .

سافر الشاه برحلة إلى أوربا وترك الصراع بين الطرفين ، فاستطاع الجنرال زاهدى أن ينتصر على مصدق بعد معركة جرت بالدبابات ، بعد أن رفض ايزنهاور مده بالدعم الاقتصادى لإصلاح الأوضاع الاقتصادية المتدهورة فى البلاد ، ونتيجة لذلك فقد قبض على مصدق ، وقدم إلى المحاكمة ، وعاد الشاه بعد ذلك إلى البلاد .

تسلم الجنرال زاهدى رئاسة الوزراء ، وأعاد العلاقات مع بريطانيا ، وسوى علاقاته مع الاحتكارات النفطية بحيث يستثمر النفط اتحاد مؤلف من ثماني شركات عالمية ، ووافق المجلس النيابي على هذا المشروع ، الذى عرضه الجنرال زاهدى عام ١٣٧٣هـ . لم يستقر الوضع بانتهاء حكم مصدق ، فقد كان حزب تودة يعمل في السر ، وقبض على خمسين من أعضائه وأودعوا السجن بتهمة محاولة اغتيال الشاه . كما أن الحكومة أرادت التخلص من جماعة « فدائيا إسلام » التى يقودها « نواب صفوى » والتى كانت تدعو إلى الإسلام وعدم وجود التفرقة المذهبية ، فاتهم أحد أعضائها بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء حسين علاء الذى خلف الجنرال زاهدى فقبض على عدد من أعضائها وأعدموا ، ومن بينهم زعيم الجماعة نواب صفوى . وهكذا نرى أن الحقد ينصب على المسلمين بشكل أقوى بكثير مما ينصب على الفئات الأخرى مهما كان الاختلاف قويا بينهما .

وفي عام ١٣٧٥هـ انضمت إيران إلى حلف بغداد الذى يضم تركيا ، والعراق ، وإيران ، وباكستان ليكون هذا الحلف قوة فى وجه روسيا والشيوعية . وعندما انسحبت منه العراق عام ١٣٧٨هـ عرف بعدها باسم الحلف المركزى أو حلف السنتو .

ولهذا كله كانت العلاقات بين إيران والاتحاد السوفيتى سيئة ، ولم تخف حدتها إلا بعد زيارة الشاه للاتحاد السوفيتى عام ١٣٧٦هـ .

أعلن الشاه عن ثورة بيضاء ضمنت إنهاء عهد الإقطاع وبيع أسهم الحكومة فى المصانع والاستفادة من ثمنها فى الإصلاح الزراعي ، ومشاركة العمال بالأرباح وإصلاح قانون الانتخابات ، وتعميم الثقافة ، وتأميم الغابات فى البلاد جميعها ، وأجرى استفتاء عاما جاء لمصلحة المشروع إذ أن أصحاب المال والأملاك الكبيرة قد وقفوا فى وجهه مما اضطره إلى القيام بهذا الاستفتاء .

ومع ذلك فان المعارضة لحكم الشاه لازالت تشتد يوما بعد يوم ، وكان آخر هذه الاضطرابات ١٣٩٨هـ والتى نتج عنها تزعم الخمينى للثورة الإسلامية التى أطاحت بحكم الشاه فى ١٣٩٩ ، وخرج الشاه إلى الخارج ، وقامت باعتقال وإعدام أعضاء النظام السابق وأعلنت عن قيام جمهورية إسلامية فى إيران .

أما علاقتها بالدول الاسلامية عامة والعربية خاصة فقد كانت حسنة في بداية الأمر وتدعو إلى التفاؤل ، وقد كان للحكومة الإيرانية الجديدة مواقف خاصة من قضية فلسطين بعكس النظام السابق ، وبدأت الحكومة الجديدة تعيد النظر فى أطماع إيران السابقة فى الخليج ونأمل أن تتوطد علاقتها مع الجميع على نحو يكفل للعالم الاسلامي التقدم والازدهار .

لم يلبث الخلاف أن وقع بين الفرق المشتركة في الحكم ، وفّر رئيس الجمهورية أبو الحسن بني صدر متخفياً في فرنسا ، ووقعت صدامات كثيرة تؤذن بضعف الحكم وخاصة بعد توقع موت الخميني الذي جاوز الثمانين .

وتغيرت العلاقات بعد مدة مع البلدان العربية ، وقامت الحرب العراقية ــ الإيرانية ووقفت بعض الدول العربية بجانب إيران والأكثرية الباقية بجانب العراق ، ولم تجد المحاولات لوقف الحرب الدائرة بين الطرفين رغم تدخل مؤتمر العالم الإسلامي . وظهرت دعايات باستيراد إيران الأسلحة من إسرائيل ، والله يعلم ماتؤول إليه الأوضاع في إيران .

أفغانستان

ــ ٦ ــ

١ ــ تقع أفغانستان فى وسط آسيا ، وتقدر مساحتها بـ ٦٥٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٨ مليوناً ، منهم ٩٩٪ مسلمون ، وعاصمتها كابول ، وتحيط بها باكستان شرقا وجنوبا وإيران غربا وتركستان التي يسيطر عليها الروس شمالا .

ولم تعرف هذه البلاد بهذا الاسم الذى تشتهر به اليوم إلا منذ القرن الثاني عشر الهجري ، وإن ذكرت القبائل الأفغانية فى التاريخ من قديم ، واشتهرت مواطنها التى تتألف منها هذه الدولة اليوم ، واشتهرت كابول وغزنة بدورهما فى التاريخ الإسلامي ، كما اشتهرت هراة بمكانتها المرموقة فى ميادين الثقافة الرفيعة فضلا عما لأراضيها وأراضى بادخشان ، وسجستان من خصب عميم ، وعرفت قُندهار بشهرتها التجارية وموقعها الاستراتيجي الهام .

وتتمثل فى الشعب الأفغانى الشعوب الإسلامية كلها خير تمثيل ففيهم من ينتسب إلى العرب ، والترك ، والفرس ، والمغول . كما تتمثل لغاتهم فى بلاد الأفغان فهناك لغة البشتو الأفغانية ، والفارسية ، وتوجد فيها ألفاظ ومصطلحات عربية ، وفارسية ، وتركية . وهكذا يتمثل المسلمون شعوباً وألسنةً في قلعة الإسلام الشامخة . وقد ساهمت أفغانستان قبل الإسلام فى حضارة العالم القديم ، فقد عرفت قدرا كبيرا من حضارتى الهند وإيران بحكم الجوار ، وعرفوا حضارة اليونان حين كانت بلادهم جزءا من دولة الاسكندر المقدونى التي أقامها هناك .

بدأ المسلمون بدخول بلاد الأفغان فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم جددوا دخول هذا الجزء في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه وعلى الرغم من محاولات أهل البلاد فى نقض العهود للمسلمين إلا أن الآخرين استطاعوا تثبيت أقدامهم فى هذه البلاد . وأصبحت المنطقة إسلامية منذ القرن الأول الهجرى حينما اشتدت غزوات المسلمين أيام الأمويين حتى بلغت أسيا الوسطى والهند .

وقد أحدث دخول الاسلام إلى أفغانستان انقلابا كبيرا فى حياة الشعب الأفغاني إذ أنه دخلها كعقيدة دينية تتمثل فيها جوانب الحياة جميعها ، وذلك حين حلت الثقافة الإسلامية محل الثقافة الأفغانية القديمة بعاداتها وتقاليدها ونظمها ، وقد تمسك الشعب منذ أن دخل الإسلام إلى أرضه بالعقيدة والنظم الإسلامية ، وليجعل من بلاده معقلا حصينا للإسلام والمسلمين .

وقد ظهر فى مختلف مراحل التاريخ الإسلامي عدد من المفكرين والعلماء فى الفقه والشريعة والآداب والفلسفة واللغة العربية أسهموا بقسط وافر فى نهضة المسلمين والارتفاع بمكانة الحضارة الإسلامية .

وهنا نشير الى حقيقتين هامتين : الأولى ، هى أن العقائد التى كانت تسود هذه

المناطق من هندوسية وبوذية وزرادشتية وغيرها ، كانت تقوم على نظام الطبقات حتى كاد الأمر يصل ببعضها إلى أن تحرم على أتباعها مجالسة غيرهم أو مطاعمتهم ، فضلا عن استبداد كهنة هذه العقائد الشديد بأتباعهم فحين أقبل الإسلام وجد فيه الأهلون المساواة التامة ، لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، أقبلوا على الدخول فيه دون إكراه . والحقيقة الثانية ، هى أنه مامن بلد دخله الإسلام إلا وتحول أهله فى الغالب عن لغاتهم وعقائدهم فأسلموا وتعلموا اللغة العربية لغة كتاب الله ، وحديث رسول الله ﷺ .

وعلى العموم ، فان الحكم الاسلامى الجامع لم يطل إذ بزغ عصر الدويلات الإسلامية المستقلة فى القسم الشرق من الدولة (العصر العباسي) . وتستند هذه الدويلات إلى العصبية ، فأسس طاهر بن حسين الدولة الطاهرية فى مرو ونيسابور مستفيدا من العصبية الفارسية واستمر حكم هذه الدولة حتى عام ٢٥٩هـ ثم تلتها الدولة الصفارية ، التي بسطت سلطانها على كابول ، وهراة ، وطبرستان ، واستمرت حتى عام ٢٩٦هـ ، وخلف السامانيون الصفاريين وضموا إلى ملكهم أراضي كثيرة فى بلاد ماوراء النهر . وكان من بين عمال الدولة السامانية أمير يدعى سبكتكين كان يحكم ولاية غزنة الأفغانية فى القرن الرابع الهجرى . وقد أحيت الدولة السامانية العلوم الإسلامية والمعارف ، واستمر حكمها حتى عام ٣٨٤هـ وعلى يد سبكتكين هذا قامت أول دولة إسلامية على أرض أفغانية هي الدولة الغزنوية والتى استمرت حتى عام ٤٢٧هـ . وقد اضطلعت هذه الدولة بدور من أعظم أدوار التاريخ الإسلامي .

فقد استطاعت هذه الدولة أن تمد نفوذ المسلمين على رقعة واسعة من الأرض شملت أفغانستان وفارس وقسما كبيرا من الهند . وظهرت آيات لنهضة المسلمين وتقدمهم الفكرى والحضارى ، ومنها التأليف والترجمة ، حتى غدت حاضرتها غزنة مركزا من أهم مراكز الثقافة الإسلامية . وقد أخرج الكاتب الكبير الفردوسي في هذه الأسرة ملحمته المعروفة بالشاهنامة تخليدا لأعمال السلطان الأمير محمود الغزنوى . وكذلك العالم الكبير البيروني الذي وضع من التصانيف الكثير أيام السلطان مسعود الغزنوي .

وتعرضت الدولة الغزنوية لهزات عنيفة فى عهد خلفاء محمود بسبب حروبهم مع السلاجقة والغز ، حتى ورثهم الغوريون الأفغان فى القرن السادس الهجرى . وانتشر الاسلام فى الهند على نطاق واسع ، ثم جاء السلاجقة فالخوارزميون ، وفي أوائل القرن

العاشر الهجرى حين انتقلت مقاليد الأمور إلى أيدى الدولة المغولية التى أقامها هناك الأمير التيمورى ظهير الدين محمد بابر .

تعرضت بلاد الأفغان بدورها لمحنة الغزو المغولي التي نزلت بالعالم الإسلامى على أيدى جنكيز خان وأولاده ، وأصاب الخراب أغلب مدنه ، وظلت بلاد الأفغان تخضع لأحفاد جنكيز خان الذين كانوا يحكمون فى فارس باسم الايلخانيين وتنتعش من جديد . ومن الحقائق المقررة أن جموع الترك والمغول المخربة ، بعد أن دخلوا فى الاسلام ، انقلبوا بفضل الحضارة الإسلامية إلى بناة للمدنية ، حتى ازدهرت على أيديهم الثقافة والمدنية الإسلامية ازدهارا ملحوظا .

واستطاع تيمورلنك أن يقيم له دولة امتدت من قلب الروسيا حتى ضفاف نهر الفانج في الهند ، ويشهدها القسم الشرقي من الدولة الإسلامية من قبل .

وفى عهد الأمراء التيموريين عمّرت هراة الأفغانية بالمنشآت الفخمة من مساجد ومدارس ودور الشفاء وغيرها . وصارت هذه المدينة من أهم مراكز الثقافة الإسلامية ، فقصدها مشاهير الفقهاء ، والحكماء ، والشعراء ، والكتاب ، والمؤرخون وغيرهم ، أولئك الذين أفادت الانسانية جمعاء مما خلفوه من تراث فوائد جليلة . وكانت هذه المدينة هى كذلك أعظم مراكز التجارة والسياسة بآسيا الوسطى فى هاتيك الأوقات حتى قال الأمير التيمورى ظهير الدين بابر عنها فى سيرته القيمة المعروفة ببابرنامه ، بأنها كانت أعظم مدن العالم المسكون إذ ذاك .

وفيما كان حسين بيقرا آخر الأمراء التيموريين بخراسان يحكم فى هراة التى بلغ نشاطها الحضارى والثقافي ذروته فى عهده ، كان ابن عمه ظهير الدين بابر يحكم فى كابول وغزنه . وظل بابر فى بلاد الأفغان ماينوف على العشرين عاما ، حتى تم له فى ختام الربع الأول من القرن العاشر الهجرى الاستيلاء على شمال شبه القارة الهندية ثم شملها كلها ، حيث أقام دولته المعروفة بالدولة المغولية ، والتى ظلت تحكم الهند أكثر من ثلاثة قرون حتى دخلها المستعمرون البريطانيون . وفى عهد الدولة التيمورية هذه شهدت الهند أعظم أدوار الحضارة بها .

ولم ينس بابر ، حين تم له الجلوس على عرش الهند ، أن يبعث بقطعة من النقود الفضية تذكارا منه إلى كل قاطن بكابول ، ولا يفتأ ، وهو بالهند يتغنى بمحاسن كابول ،

فلا يقيم جملة من الرياض على نمط مغانيها باسم البساتين الكابولية فحسب ، بل نراه كذلك يوصى بأن يدفن بهذه المدينة ، فكان له ماأراد .

ظلت بلاد الأفغان اليوم تعد فى أغلبيتها جزءا من الدولة التيمورية أى المغولية بالهند يرى فيها أصحابها موطن أبيهم الأكبر وحصنهم الذى يلوذون به حين تهددهم الأخطار . حتى إذا ما أخذ الضعف يتسرب إلى الدولة المغولية بالهند ، انطلق حكام الفرس يهاجمون بعض الأراضي الأفغانية ويستولون عليها فى حين أخذت بعض القبائل الأفغانية بدورها تتطلع إلى الاستقلال ببلادها وتطمح اليه .

واستولى على مقاليد الحكم بفارس ، فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الهجرى نادر شاه الأفشارى مكان الصفويين ليجتاح من بعد ذلك بلاد الأفغان وينحدر إلى الهند فيدخل دلهى وينزل بها من الدمار والخراب أكثر مما أنزل بها تيمورلنك من قبل ، ويستولى على مافيها من ثروات وأموال طمع من ورائها إلى إعداد جيش قوى يكفّ به خطر العثمانيين عن بلاده .

وكان نادر شاه قد عمد بعد دخوله بلاد الأفغان إلى ضم فريق منهم إلى جنده ، وكان من بينهم فتى فى الرابعة عشرة من عمره يدعى أحمد ، قُتل أبوه وجده فى حروبه معهم ، وكان من زعماء الأبداليين الأقوياء . وسرعان ما وصل هذا الفتى بطموحه وجدّه ، إلى قيادة فرقة الأبداليين الأفغان بالجيش الفارسي ، وكانت تضم بضعة آلاف من المحاربين الأشدّاء .

وحين قتل نادر شاه بتدبير من القاجاريين فى جيشه إذ أراد أن يعيد مذهب أهل السنة إلى فارس ، ويقضي على مذهب الشيعة الذى زرعه آخر حكام المغول محمد خدابنده (٧٠٤ ــ ٧١٣) ، سارعت الفرقة الأفغانية تشق طريقها عائدة إلى بلادها . هنالك نودى بقائدها أحمد خان فى قندهار أميراً على بلاده باسم أحمد شاه الأبدالى الدورانى فى عام ١١٥٣هـ ، وكان إذ ذاك فى الثالثة والعشرين من عمره ، فكانت دولته هذه هى أول دولة فى التاريخ تعرف باسم الدولة الأفغانية . وجعل أحمد شاه قُندهار عاصمةً لمملكته وسماها أحمد شاهى ، وهو الاسم الذى ضربه هو وخلفاؤه على نقودهم ، واتخذ لنفسه لقب « درّدرّان » وأصبحت قبيلته الأبدالية تعرف باسم درانى . واستطاع بفضل كياسته وحنكته وعلو همته أن يوطد سلطانه ، فقد عامل القبائل برفق ، واعتمد في موارده على الحروب الخارجية أكثر من اعتماده على الضرائب . وكان

الدرانية يفخرون به ويتبعونه عن رضا ، ولكنهم لم يكونوا بالقوم الذين يسهل قيادهم ، ولذلك فان ابنه تيمور شاه نقل عاصمته إلى كابول التى كان معظم سكانها من الطاجيك . ولم ينافس أحمد شاه فى فتوحاته الهندية نادر شاه فحسب بل بزّه فيها أيضا ، ومد أملاكه إلى ما وراء نهر السند بكثير ، وضم إليها ولايات كشمير ، ولاهور ، وملتان ، أى أنه ضم الجزء الأكبر من البنجاب ، وخاض غمار حروب كثيرة متكررة عند دلهى وما وراءها هدف من ورائها إلى دفع خطر الجماعات التى كانت تكيد للدولة الاسلامية هناك من المهاراتا والسيخ وغيرهم . كانت هزيمته لجموع المهاراتا فى معركة بأنى بت نقطة تحول فى تاريخ الهند ، إذ أن جموع الهنادكة كانوا قد زحفوا من وسط الهند وجنوبها بغية القضاء على الدولة الإسلامية هناك . وكانت حروبه مع السيخ متصلة لاتنقطع ولولا ماتعرض له أحمد شاه من متاعب ، بسبب تفشى المرض فى جنده وضعف موارده المالية حتى اضطر إلى الرجوع إلى بلاده ، لاستطاع فى أغلب الظن أن يعيد للحكومة الإسلامية هناك سابق هيبتها ، ويعوق بلا شك استعمار الانكليز لشمالى الهند بعد أن كانوا قد تغلغلوا فى الشرق والجنوب ، وتوفى أحمد عام ١١٨٧هـ تاركا لخلفه تيمور شاه دولةً مترامية الأطراف غير مأمونة .

وكان تيمور شاه قد تولى فى حياة أبيه مناصب كبيرة هامة مثل « حاكم لاهور وملتان » وهو منصب تدل عليه شواهد من مجموعة متمايزة من الصلات . ولما توفى أحمد شاه كان تيمور شاه فى هراة ، ولم يستطع أن يستولى على قُندهار إلا بعد أن قبض على أخيه سليمان الذي كان قد أقيم لمنافسته وقتله . ولم يلبث أن نقل عاصمته إلى كابول ، وحكم عشرين عاما خالية من الأحداث اضمحلت فيها قوة المملكة وتزعزع استقرارها ، وإن كانت أطرافها لم تنتقص . وكان سلطان الحكومة المركزية على الولايات القائمة فى الأطراف واهياً . وازدادت قوة السيخ واستولوا على ملتان سنه ١١٩٦هـ ولكن تيمور استردها فى السنة نفسها . وفى السند شن الأمراء التالبريون الحرب على جيوش تيمور شاه من سنة ١١٩٧هـ الى سنة ١٢٠١هـ وظلوا مستقلين على الرغم من خضوعهم له بالاسم ، وهاجم تيمور أيضا أمير بخارى معصوم المنغيتى الذى كان يعتدى على ولاية التركستان وخاصة مرو ، فخضع لتيمور بالاسم هو الآخر . وكانت قد شبت أيضا فتنة فى كشمير ثم أخمدت . وفى الداخل كان سلطان عشيرة باركزائي من الدرانية يتعاظم شيئا فشيئا ، وتوفى تيمور شاه سنة ١٢٠٧هـ وخلفه ابنه زمان شاه الذى ظل فى الملك حتى خلفه أخوه محمود شاه عام ١٢١٥هـ .

وعلى الرغم من قصر عهد زمان شاه فانه استطاع أن يجمع فيه من الجرائم والحماقات ماهو كفيل باغراق المملكة الدرانية ، وكانت المنافسة بينه وبين أخويه محمود وشجاع الملك تُضعف مركزه فى الداخل ، وكان القاجار حكام الفرس يهددون ملكه فى خراسان ويتهدده الشاه مراد المنغيتى فى الشمال ، ويتحداه فى الجنوب خان كلات وأمراء السند ، ومع ذلك لم يحجم عن استنفاد جهده فى محاولات حمقاء لمنافسة جده أحمد شاه فى فتوحاته بالهند والظهور بمظهر المدافع عن الإسلام ضد السيخ والمهاراتا ، وأدى فعله هذا الى الاصطدام بالانكليز الذين كان سلطانهم ينمو بسرعة حتى أصبحوا القوة الغالبة فى شمالي الهند . ولجأ الانكليز إلى الحيلة والخديعة فأوعزوا للفرس بالهجوم على بلاد الأفغان ، فاضطروه أن يوقف حملاته ضد السيخ ، وضد المتمردين والثائرين عليه وخاصة أخاه محمودا ، وأدى ذلك كله إلى سقوط حكم زمان شاه عام ١٢١٥هـ واعتقله أخوه محمود وسمل عينيه . وهكذا فقدت الدولة فى عهد زمان شاه الولايات الخارجية فى الهند .

وبينما كان محمود يرقى عرش كابول كان شجاع الملك ينادى بنفسه ملكا فى بشاور . وفى عام ١٢١٨هـ استولى شجاع الملك على كابول وسجن محمودا ، وأطلق سراح أخيه الشقيق زمان شاه الضرير . وظلت قندهار مدة من الزمن فى يد ابن محمود : قمران يؤيده فتح خان ، ولكن فتح خان اصطلح مع شجاع على شروط مراعيا مصلحته هو وخضع له ، غير أنه لم يرض بنصيبه ، ولم يلبث أن أقام ملكا منافسا لشجاع فى شخص قيصر شاه بن زمان شاه . وانقضت السنوات القليلة التالية فى مؤامرات لاتنقطع ، تقلب فيها فتح خان بسرعة فى نصرته للطامعين فى الملك ، فتارة يؤيدْ محمودا وقمران وتارة يؤيد قيصر ، على حين استنفد شجاع الملك قوته فى إيفاد الحملة تلو الحملة على السند وكشمير . وأخيرا هزم فتح خان ـــ الذى كان يؤيد آنئذ محمودا ـــ شجاع الملك عام ١٢٢٤هـ ففر شجاع الملك إلى الهند ، وبذلك بدأ العهد الثاني لمحمود فى الحكم .

على أن محموداً كان يعتمد اعتمادا مطلقا على فتح خان فاستفحل سلطانه ، وتولى أخوه دوست محمد منصبا رفيعا ، وساعده بعض أخوانه فى حكم الولايات المختلفة ، واختلف الأخوة بعضهم مع بعض ، وأدى ذلك إلى أن يحارب دوست محمد أخاه محموداً ويهزمه عام ١٢٣٥هـ ، وفقد محمود كابول ولم يستردها خاصة وأن محمودا قد قتل أخاه فتح خان ، والذى أخذ بثأره شقيقه دوست محمد ، ونظرا لاختلاف أفراد الأسرة وتعارض أطماعهم ، تعرضت أفغانستان إلى صراع دموى حتى ثبت دوست

محمد حكمه . واتخذ لنفسه لقب « أمير كابول » ولكن لم يلقب بالشاه أو الملك لا هو ولأحد من خلفائه حتى جاء حبيب الله . وكانت بداية حكم فرع أسرة المحمد زائي من عشيرة الباركزائى .

وفى السنوات الأولى من حكمه فقدت الدولة سريعا الولايات في الأطراف فاستولى السيخ على الإمارات الهندية وبقي دوست محمد حاكما لمملكة أفغانية ، وساعده على دعم سلطانه فقدان الولايات الخارجية التى كانت دائما مصدر ضعف للملوك . وكان دوست محمد لاتأخذه فى الحق لومة لائم ، ومع شدته وقسوته فقد كان محبوبا بين الأفغان لعدله ، وقد عاقت نجاحه المنافسات المحمومة بينه وبين إخوته . وجعل دوست كابول عاصمة لمملكته ، فى حين احتفظ كوهندل خان بقندهار وأحبط محاولة بذلها شجاع الملك الدورانى لاستعادتها سنة ١٢٥٠هـ . واستولى الفرس على هراة بعد قتل قمران بيد وزيره يار محمد خان سنة ١٢٥٨هـ ولم يستردها دوست محمد إلا سنة ١٢٨٠هـ قبيل وفاته .

التنافس الأجنبي :

عزم الانكليز على غزو بلاد الأفغان التى تعد أقوى قلاع المسلمين بآسيا الوسطى إذ ذاك . وكان قد تم لهم تثبيت أقدامهم بالهند وتنظيم نهب خيراتها وثرواتها . فاغتنموا فرصة الخلاف والصراع الدائر بين الأخوة والأشقاء الحكام فى بلاد الأفغان من جانب ، وبين أفراد الأسرة الحاكمة السابقة من جانب آخر ، وعلى رأسها شجاع الملك . وما إن طلب شجاع الملك النجدة من الانكليز لمساعدته على الاستيلاء على الحكم فى أفغانستان حتى لبت بريطانيا المطلب تحقيقا لمطامعها الاستعمارية بعد أن رأت أن النفوذ الروسي أخذ فى الازدياد هناك من جهة الشمال ، وكذلك هجمات الفرس والاضطرابات الداخلية مستمرة .

بعثت بريطانيا بجيش بريطاني هندى دخل أفغانستان واحتلتها ، وهرب دوست محمد إلى بخارى ، وأقيم شجاع الملك على عرش كابول فى عام ١٢٥٥هـ وقام دوست محمد ببعض العمليات الحربية الفاشلة فى الشمال ، ثم سلم نفسه للبريطانيين فى السنة التالية وحمل إلى كلكتا .

وكان عهد شجاع الملك عهد اضطراب وقلاقل . وانسحب الجيش البريطاني الهندى من كابول سنة ١٢٥٧هـ ، وكاد يباد عن آخره فى انسحابه على يد الأمير أكبر خان ابن دوست محمد ، ومنيت بريطانيا بخسارة كبيرة ، ووجدت مقاومة عنيفة فى حربها مع الأفغان ، كما قتل حليفها شجاع الملك . وعاد دوست محمد إلى حكم البلاد لأنه كان الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يقيم فيها حكومة وطيدة الأركان ، فكما نجح فى طرد الانكليز ، رفع عن بلاده خطر الفرس كذلك ، وأعيد أبناؤه وإخوته إلى إمارتهم . ولكن الشقاقات والخلافات ظلت تمزق صفوفهم حتى أن ابنه الأمير أكبر خان كان على علاقات سيئة مع أبيه .

اضطر الانكليز إلى الاعتراف بسلطته (دوست محمد) فعقدوا معه معاهدة صداقة ، وحافظ دوست محمد على علاقاته الطيبة مع البريطانيين إلا فى أوقات شابها التوتر ، كما صالح دوست محمد روسيا كذلك بعد أن تساقطت ولايات آسيا الوسطى الإسلامية بأيديهم الواحدة بعد الأخرى فضلا عن ازدياد نفوذهم ببلاد فارس .

ولم يعترف البريطانيون بموقف الحياد الذى التزمه أمير الأفغان إزاء المنافسة الشديدة التى قامت بين روسيا وبريطانيا فى هذه المنطقة ، حتى زعموا أن المندوب الروسي فينكوفيتش لم يكن ليمارس نشاطه بالعاصمة الأفغانية لولا تأييد دوست محمد له ، كما أن دوست محمد لم يؤيد البريطانيين أثناء عصيان الجيش الهندى والثورة العامة فى الهند سنة ١٢٧٤هـ ومع ذلك فقد تذرعوا بهذه الحجج الواهية ، فزحفوا على بلاد الأفغان ولكن الأفغانيين وقفوا وقفة رجل واحد وصمدوا أمامهم وأوقعوا فى صفوفهم خسائر كبيرة ، وفشلت كل محاولات الانكليز فى السيطرة على بلاد الأفغان . ولم تجد بريطانيا مفرا من الاعتراف بالحكم الأفغاني .

وفى عام ١٢٨٠هـ توفى الأمير دوست محمد وتولى الحكم من بعده ابنه شير على ، وحاول البريطانيون التدخل فى شؤون هذه البلاد بحجة حماية حدود الهند من هجمات قبائل الأفغان عليها . ثم يهاجمون روسيا في آسيا الوسطى خاصة بعد أن امتد نفوذها وتوسعت سيطرتها فاحتلت الولايات الإسلامية في تركستان ، واستولت على جزء من خراسان ١٢٩٠ هـ . ومهدت لذلك بعقد اتفاقية بين انكلترا وروسيا لجعل نهر جيحون حدا للتوسع الروسي ، وهذا ما جعل النفوذ الانكليزي يتوسع ، ويزداد التدخل فى الشؤون الأفغانية مما حدا بالسيد شير على إلى طلب المساعدة الروسية وترحيبه فى الوقت

نفسه بقبول البعثة السياسية الروسية ورفضه الوفد البريطاني ، الأمر الذى أدى الى الحرب الأفغانية الثانية ١٢٩٥ هـ التى دحرت شير على ، وجعلت البلاد تحت الاحتلال البريطاني على الرغم من الخسارة الكبيرة التى منيت بها بريطانيا . ولم يلبث شير على أن توفى بعد عام من الاحتلال .

ولم يقبل الشعب الأفغاني أن يولى عليه يعقوب خان بن شير علي ، الموالى للانكليز ، فقاوم المحتلين فى كل مكان ، وأنزل بقوات الاحتلال خسائر كبيرة ، واضطرت القوات الانكليزية الى الانسحاب من البلاد ، وتسلم الحكم الأمير عبد الرحمن حفيد دوست محمد ، وبموجب معاهدة ١٢٩٦هـ تركت البلاد حرة داخليا ولكنها قيدت باتباع المشورة البريطانية فى العلاقات الخارجية .

وفى عام ١٣٠٢ هـ اقتحم الروس بلاد الأفغان ، واتجهوا نحو هراة وأسرع الانكليز لحماية هراة فعقدت بريطانيا معاهدة مع روسيا ١٣٠٥هـ في سان بطرسبورغ وأوقف الروس كل تقدم فى الجنوب ، ومرة أخرى فى عام ١٣٠٧ هـ ، قامت عمليات عسكرية روسية قرب الحدود وأصبحت بادخشان فى الشمال الشرقى مثار النزاع ، ولكن بقيت جزءاً من الأفغان بعد عقد المعاهدة بين انكلترا وروسيا سنة ١٣١٣ هـ ، ورسم الحد الشمالي للبلاد بدقة ، وانتهى الأمر بين كل من روسيا وانكلترا بعقد اتفاق فى بطرسبورغ عام ١٣٢٥ هـ يعترف الطرفان بموجبه باستقلال أفغانستان واحترام سيادتها وسلامتها .

الاستقلال والعهد الجديد :

كان الأمير عبد الرحمن قد وطد حكمه وأشاع الأمن فى البلاد وأصلح نظم الحكومة ، ونظم الجيش ووفر له الأسلحة والمعدات ، ولم يلبث أن قضى نحبه عام ١٣١٩هـ وخلفه ابنه الأكبر حبيب الله خان فسار سيرته ، وآثر أن يهادن الجوار فأقام علاقات ودية للغاية مع حكومة بريطانيا فى الهند . وقد ازداد النفوذ البريطاني فى أفغانستان وقوى الى درجة أن سياسة هذه البلاد الخارجية كانت تسير فى إطار السياسة الإنكليزية ورفض أن يستجيب لنداء العثمانيين والألمان مع مابذل من جهد لحمل الأفغان على حرب البريطانيين بدعوى الجهاد . ولم تقدر له بريطانيا صنيعه هذا فأصرت على الاحتفاظ ببعض مناطق الحدود الأفغانية بدعوى تأمين الهند . ولم تُعجب أبناء الأفغان تصرفات أميرهم فاغتالوه فى عام ١٣٣٨هـ .

وتولى من بعده ابنه الثالث أمان الله خان الذى اتخذ لنفسه لقب ملك ونظم الحكومة والجيش ونشر التعليم ، واهتم بتعمير بلاده ووضع دستوراً لها ، كما عزم على القضاء على النفوذ البريطاني من بلاده ، فبعث برسالة إلى نائب ملك بريطانيا فى الهند يعلمه فيها بتوليه الحكم وانتهاجه سياسة استقلالية فى بلاده . غير أن الحكومة البريطانية تجاهلت هذه الرسالة فى بادىء الأمر فساءت العلاقات بين البلدين لإصرار بريطانيا على مواصلة سيطرتها على السياسة الخارجية للبلاد ، فاشتعلت الحرب الأفغانية الثالثة ضد الانكليز فى صيف عام ١٣٣٨هـ ، وتمكنت القوات الأفغانية بقيادة محمد نادر شاه من هزيمة القوات البريطانية هزائم متلاحقة ، واستردت المناطق التى احتلها الانكليز ، واعترفت بريطانيا له بالاستقلال التام ، وضمنت له مرور مايحتاج إليه من سلاح وعتاد عن طريق الهند ، ووافقت على إنشاء منطقة حرام عازلة بين حدوده وحدود الهند . وكان اعتراف بريطانيا باستقلال أفغانستان هو أول اعتراف رسمي باستقلالها التام .

وتبادلت أفغانستان السفراء مع الدول الأخرى التى اعترفت بها ، ووثقت علاقتها بصفة خاصة مع روسيا ، وتركيا ، وإيران .

أصاب الغرور الملك أمان الله الذى أعجب بشخصية مصطفى كمال أتاتورك ، وحاول تقليدها ، فانحرف فى أسلوب حكمه واختلت موازينه اختلالا كاملا ، فأخذ يقصي العناصر الوطنية الى الخارج ومنهم القائد محمد نادر شاه ، كما لجأ إلى اتباع سياسة العنف وابتزاز الأموال بدعوى الإصلاح مما أدى إلى إفلاس الخزانة ، وفى الوقت نفسه عاش حياة الاستهتار والفوضى فشهدت أفغانستان عهدا من الظلم وفساد الأخلاق وزيادة الضرائب لم تشهد له مثيلا ، وهزأ الملك بالعلماء والفقهاء وسخر منهم علنا وأمام الناس . وبالإضافة الى ماسبق قام الملك برحلة البذخ والإسراف عام ١٣٤٧هـ والتى زار فيها عددا من بلدان العالم ، كلفت ميزانية الدولة أموالا باهظة .

وبمجرد عودته إلى البلاد ، اندلعت فى البلاد ثورة عامة ضده شملت معظم أنحاء أفغانستان ، وفر الملك أمان الله الى قندهار ، وتنازل عن العرش لأخيه عناية الله عام ١٣٤٨هـ غير أنه لم يصمد وترك الحكم . فاستغل الأمر أحد قطاع الطرق وهو باحي السقا (ابن السقا) واستولى على العاصمة كابول أثر فرار الملك منها واستطاع القضاء على عناية الله فأعلن ابن السقا نفسه ملكا على افغانستان باسم « حبيب الله غازى »

وتسلطت عصابته على البلاد وعاث أفرادها فى الأرض فساداً . وبذلك شهدت أفغانستان مهزلة بل مأساة لاتتكرر فى تاريخ الشعوب كثيرا .

عاد القائد محمد نادر شاه ابن عم الملك المخلوع إلي البلاد ، واستطاع القضاء على حكم ابن السقا الذى لم يستمر سوى تسعة أشهر فقط واعدام ابن السقا ، وتسلم الحكم ، ونودى به ملكا على أفغانستان ، ونهض بالبلاد وقدم خدمات واسعة وسار سيرة حميدة وقضى على الرشوة والفساد . وفى عهده تأسس الحزب الديمقراطي عام ١٣٥١هـ ، وكان معظم أعضائه من الشيوعيين كخطوة أولى نحو مد النفوذ الروسي إلى البلاد . ومع أن حكمه كان مستقرا إلا أنه اغتيل عام ١٣٥٢هـ ويعد محمد نادر شاه بطل استقلال الأفغان فهو الذى قاد جيوش الأفغان فى حربها مع البريطانيين عامى ١٣٣٨ — ١٣٣٩هـ وألحق بها هزائم فادحة اضطرت على أثرها بريطانيا للاعتراف باستقلال أفغانستان التام — كما مّر معنا .

وخلفه فى الحكم ابنه محمد ظاهر شاه فسار سيرته فى تدعيم الحياة الدستورية والنهوض بالجيش ، ونشر التعليم ، وتقوية اقتصاديات البلاد وتعميرها ، واستثمار مابأرضها من ثروات ، فضلا عن توثيق علاقاتها بجيرانها بعامة وبالبلاد الإسلامية بخاصة ، وتمثل ذلك فى عقد ميثاق سعد آباد ١٣٥٦هـ بين العراق ، وإيران ، وأفغانستان ، وتركيا .

وفي مجال السياسة الخارجية اتبعت سياسة الحياد وعدم الانحياز ، فلم تتعرض بلاده لأخطار التنافس الاستعمارى إبان الحرب العالمية الثانية وخاصة بين روسيا وانكلترا . ولم تلق الدعاية الروسية فى بادىء الأمر مجالا خصبا فى أفغانستان بسبب ماجرى للمسلمين فى المقاطعات التي احتلها الروس . غير أن التعاون بين روسيا وأفغانستان قد ظهر حديثا فى الربع الأخير من القرن الرابع عشر ، فأمدت روسيا والصين أفغانستان بالمساعدات ، فكانت مساعدات روسيا تشكل ٦٥٪ من المساعدات بينما شكلت المعونة الأمريكية ٢٣٪ فقط من تلك المساعدات ، واستمرت المساعدات الروسية تتدفق على أفغانستان ، إذ سلح الروس القوات الأفغانية ، وقدموا المساعدات الفنية والمادية لمشروعات الرى . وبدأت بلاد الأفغان تتألق فى نظر الروس ، وبدأ النفوذ الروسي يتوسع فعلا فى أفغانستان ونتيجة لذلك ، نشط الشيوعيون فى أفغانستان واصطدم المسلمون مع الشيوعيين فى عام ١٣٩٠هـ ونجح المسلمون فى القضاء عليهم وعلى كل أعداء الإسلام . وكان الحكم

بصفة عامة يؤيد الشيوعيين خاصة وأن رئيس الوزراء محمد داود كان من مؤيدى التعاون الواسع مع روسيا . ومع ذلك فقد أراد الشيوعيون قلب نظام الحكم لأن قوة الجماعة الاسلامية كانت حائلاً أمام وصولهم إلى السلطة . فقام السردار محمد داود ابن عم الملك بالقيام بانقلاب في جمادى الأولى ١٣٩٣هـ أعلن على أثره إلغاء النظام الملكي فى البلاد وقيام الجمهورية . فاعترفت روسيا فورا بالحكومة الجديدة وكذلك الهند . وسمح للشيوعيين بمزاولة نشاطهم فى حرية تامة ، فهو من المتعاطفين مع روسيا ومن المناوئين للجماعة الإسلامية .

استمر محمد داود فى حكمه حتى يوم ٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٨ ولم ترض روسيا عنه رغم خطه المساير لها ؛ لأنه لم يكن شيوعياً يقبل الانضواء تحت السيطرة الروسية لذا هيأت ضده انقلاباً عسكرياً بقيادة المقدم عبد الفتاح ، واستولى الشيوعيون على ناصية الحكم فى البلاد ، وحدثت مجازر بشرية رهيبة من جراء الانقلاب ، أودت بحياة عشرة آلاف كان من بينهم الرئيس السابق محمد داود الذى أجبر على مشاهدة عملية القتل لأقاربه وأولاده البالغ عددهم تسعة وعشرين . وتكون مجلس الوزراء بكامله من وزراء شيوعيين برئاسة نور الدين تراقى رئيس الحزب الشيوعي ، ولقى الحزب الشيوعي الحاكم دعما فوريا من الاتحاد السوفيتى .

وقد بدأت هذه الجماعات الإسلامية فى مقاومة النظام الحاكم منذ قيامه ، وهذا ماجعل التفاهم بين موسكو وواشنطون يتم لضرب هذه الجماعات التي بدأت قوتها تتزايد ، فقام الانقلاب الأول والثاني على يد موسكو التي تورطت في الأمر ، ثم قام الانقلاب الثالث بزعامة بابراك كارمل ، ولايختلف عن الأولين ، ولما وجد نفسه ضعيفاً طلب الدعم الروسي ، فدخل الجيش السوفيتي أرض أفغانستان ولقي مقاومة عنيفة أقضت مضاجع موسكو حتى أن الجنود المسلمين في ذلك الجيش كثيراً ماكانوا يتركون سلاحهم للمجاهدين أو ينضمون إليهم الأمر الذي جعل الروس يستبدلونهم بجند كلهم من الروس والأوكران ، ومع هذا فلم يتمكنوا من السيطرة الكاملة على أفغانستان ، بل إن المجاهدين يسيطرون على أجزاء واسعة بقوتهم المحلية ، وقد قوي أمرهم بعد التفاهم بين الجماعات الإسلامية الست التي كانت تقاتل منفردة . واستعمل الروس الأسلحة الفتاكة كلها ، ولكن لم يجدهم ذلك نفعاً إذ استمرت المقاومة على ضراوتها .... وزاد عدد المشردين من الأفغان على المليوني لاجىء ، معظمهم يقيم في مخيمات في باكستان .

باكستان

ـ ٧ ـ

تقع باكستان فى شبه القارة الهندية ، وتشكل قسما صغيرا بالنسبة إلى مساحة ذلك الجزء الواسع ، ومع ذلك يعد تاريخها تاريخ الهند كله ، كما أن تاريخ المسلمين هو تاريخ الهند كله . وتضم شبه القارة الهندية حوالى ٢٢٥ مليون مسلم منهم ٧٥ مليونا فى الهند و٧٥ مليونا في الباكستان و٧٥ مليونا فى بنغالاديش ، كما تبلغ مساحة باكستان ٨٠٠٫٠٠٠ كم٢ .

وصل الإسلام إلى هذه البلاد قبل الفتوح الإسلامية عن طريق الرحالة والتجار العرب الذين كانوا يفدون على سواحل الهند الغربية منذ أقدم العصور ، ثم وصل الإسلام عن طريق الفتح وعن طريق الدعاة المسلمين ، وأخيرا عن طريق الممرات الجبلية التى سلكها المسلمون فى عهد الخليفة معاوية بن ابى سفيان ، وتتابع زحف المسلمين إلى حوض نهر السند شيئا فشيئا ، وبدأت فتوحاتهم تتسع تدريجيا حتى ضم أقليم السند تقريبا إلى أملاكهم فى عهد الخليفة العباسي أبى جعفر المنصور فى عام ١٤٣هـ ، ثم كانت الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند فى عهد الغزنويين فى النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ، وقد وضعت سنوات حكمهم السلطان محمود الغزنوى من أزهى عصور الإسلام فى الهند ، إذ يعود إليه الفضل فى نشر الإسلام والقضاء على الشرك . واستمرت هذه الدولة حتى عام ٥٥٥هـ وخلفتها الدولة الغورية فسارت على خطتها ونهجها . وتتابع على الهند عدة حكام يمثلون دولا مختلفة تعاقبت على حكم البلاد كالأسرة الشمسية والأسرة الخلمجية والأسرة التغلقية ، واستمرت فيها حتى جاء الحكم المغولي (الدولة المغولية) فى عام ٨٠١هـ بقيادة تيمورلنك . وقد حكم من حكامهم أناس أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . وفى المقابل لهم حكام عدلوا وأنصفوا وأصلحوا ماأفسد أولئك وكان عهدهم أزهى عصور الحكم الإسلامي فى الهند وقد بلغ الحكم الإسلامي أوجه فى عهد أورنكزيب ١٠٦٨ وركز حكام المغول على سياسة التسامح الديني وتجنب التعصب والطائفية ونشر « اللغه الأوردية » ، وقامت فى البلاد حضارة كبيرة شملت مختلف الجوانب . ومع ذلك فقد ظلت الهند تعاني من صراع بين الحضارتين الهندية والإسلامية ، فكان هذا الصراع إلى جانب تفكك الدولة المغولية بعد

أورنكزيب من العوامل الجوهرية التي مهدت لتفوق قوى خارجية أجنبية جديدة على الهند بعضها استقر على السواحل مدة مثل (البرتغاليون) (والفرنسيون) ، وبعضهم انطلق من السواحل إلى الداخل حتى جعل الهند كلها من ممتلكاته ألا وهم الانكليز .

الاستعمار الانكليزى :

فى أوائل القرن العاشر الهجري بدأ ماعرف باسم الكشوف الجغرافية على أيدى الأسبان والبرتغاليين الذين كانت أوربا من ورائهم لإخراج المسلمين من الأندلس ثم ملاحقتهم ومن هذه الملاحقة عرفت أوربا مناطق جديدة على أيدى الأسبان والبرتغاليين ، فقد وصل المكتشف البرتغالي فاسكودى غاما إلى الهند عام ٩٠٤هـ فى ثلاث سفن و١٦٠ رجلا ، وكان الهدف المعلن عن رحلته هو الحصول على البهارات والعطور من الهند ، ولكن الهدف الحقيقى هو تطويق العالم الإسلامي وضربه اقتصاديا وسياسيا ، وكذلك نشر النصرانية فى البلاد التى يدخلونها والاتصال بالنصارى لإثارتهم ضد المسلمين . ويؤكد ذلك مافعله فاسكود دى غاما فى الرحلة الثانية عندما ضرب كلكتا بالقنابل نظرا لعدم ترحيب حكام الهند به واستقباله استقبالا حسنا . وقد استولى البرتغاليون عام ٩٣٧هـ على مدينة (غوا) وجعلوها مركزا لامبراطوريتهم فى الشرق . وارتكبوا فى سبيل ذلك الكثير من الأعمال الوحشية ضد السكان بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة فاستنجد المسلمون بسلاطين المسلمين وخاصة قنصوه الغورى سلطان مصر المملوكي واستقباله الذي لبى الدعوة وبعث بأسطول كبير نازل الأسطول البرتغالي فى موقعة (ديو) الشهيرة عام ٩١٥هـ على شواطىء الهند الغربية قرب كوجرات ، ولم يحرز المماليك نصرا على البرتغاليين . ثم استنجد المسلمون بالعثمانيين .

انفرد البرتغاليون بخطوط الملاحة العالمية المؤدية إلى الهند حوالى قرن ، وبدأت امبراطوريتهم البحرية تنهار تحت ضربات القوى البحرية الأوروبية الناشئة وعلى وجه الخصوص هولندة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، إذ عملت هذه القوى على كسر احتكار البرتغاليين لخطوط الملاحة البحرية إلى الهند ونجحوا فى ذلك عن طريق الشركات التجارية الانكليزية (١٠٠٩هـ) والهولندية (١٠١١هـ) والفرنسية (١٠١٤هـ) التى كانت لها أساطيلها الحربية والتجارية القادرة على التصدى للقوى البرتغالية ، ومن أشهر هذه الشركات شركة الهند الشرقية البريطانية التى ظهرت فى مطلع القرن الحادي عشر . وقد نجحت بريطانيا دون غيرها فى استعمار الهند ، وورد الاستعمار الانكليزى

فى شكلين هما : شركة الهند الشرقية البريطانية والاستعمار البريطاني ، وهذا التنافس الاقتصادي هو الذي غطي على الروح الصليبية التي كانت السمة الرئيسية لدول أوربا كافة ، وهذا التنافس إنما حدث بسبب الاحتكار البرتغالي والأسباني ، وعدم نوال دول أوربا منه شيئاً على حين كانت الدعامة الرئيسية لأسبانيا والبرتغال في حروبهما ضد المسلمين وفي انطلاقهما لملاحقتهم .

وقد بدأت صلات انكلترا بالهند منذ عام ٩٨٧هـ حيث قدم إلى الهند الأب توماس ستيفنز وتبعه ثلاثة آخرون بهدف الحصول على تجارة البهارات ، وتلا ذلك تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٠٠٩هـ التى أسستها الدولة بمرسوم رسمي . وواضح أن تأسيس الشركة المذكورة لم يكن لهدف تجارى فقط بدليل أن الدولة ساعدت على إنشائها بهدف كسر شوكة أسبانيا والبرتغال .

كانت هذه الشركة تنشيء وكالات لها فى أول الأمر على السواحل الهندية وكان يحصل عليها الانكليز فى مقابل أموال يدفعونها إلى السلطات الحاكمة المحلية التي لم تعرها وزنا كبيرا . ومن أهم المراكز الانكليزية بومباى ، وسورات ، ومدراس وكلكتا .

كانت شركة الهند البريطانية فى أول الأمر تنقل الإنتاج من الهند إلى أوربا . أما بعد الانقلاب الصناعي فأصبحت ــ الى جانب ذلك ــ تنقل إنتاجها الصناعي المتكدس إلى الهند وهذا هو الذى يفسر لناانتقال مهمة الوكالات البريطانية من مجرد التبادل التجارى الى الاستعمار المباشر . ولذا كان على شركة الهند البريطانية أن تبيع كميات متزايدة من إنتاج بريطانيا ، ومن ثم كانت فى حاجة إلى فتح أسواق فى داخل الهند ، وجاء هذا فى وقت كانت فيه دولة المغول قد تفككت وحلت محلها إمارات متعددة إسلامية وراثية ضعيفة متناحرة وامبراطورية المهراتا الهندوسية ، ومركزها بونا في الأقاليم الشرقية . هذا التفكك وهذا التصارع جعل الأمراء فى حاجة إلى أموال الهنود الذين ارتبطوا بالشركة الانكليزية وكونوا رأسمالية هندية تؤثر على توجيه الأمور السياسية .

كان الانكليز قد بدأوا يتدخلون عن طريق الرأسماليين الهنود الذين يكرهون المسلمين ويعملون على تقويض نفوذ الحكومة المركزية المغولية فى البنغال ، فتضايق الامير سراج الدولة نائب الامبراطور الذى أراد أن يسيطر على مراكز الانكليز على الساحل وخاصة حصن فورت وليم . وهاجم سراج الدولة القوات الانكليزية الهندية المشتركة واستولى على الحصن فى شوال عام ١١٦٩هـ .

كان هذا التفوق مخيفا لبريطانيا ، فأعادت النظر فى سياستها ، وأسندت القيادة البريطانية إلى رجل كفء وهو كلايف «Clive» وتولى مهمة القضاء على سراج الدولة ، الذى اعتمد على ضباط فرنسيين لتدريب جيشه . لجأ الانكليز إلى سياسة الخديعة والخيانة لسراج الدولة الذى لم يستطيعوا قهره ، واستطاع كلايف واعوانه أن يشتروا ميرجعفر نائب سراج الدولة واتفقوا معه على أن يخون سراج الدولة خلال الحرب . وعندما دارت المعركة فى بلاسي في شوال أيضاً من عام ١١٧٠هـ ، وبينما كانت المعركة تتذبذب بين هذا الطرف وذاك ، ضرب مير ضربته فى الوقت المناسب ، وانقضت القوات الانكليزية على جيش سراج الدولة فأبادته ، ولم يلبث أن وقع سراج الدولة نفسه فى يد الانكليز فاعدموه ، بينما تولى مير جعفر حكم البنغال واستطاع الانكليز السيطرة على بعض المناطق فى شمالي وجنوبي الهند ، وأدركت القوى الإسلامية الحاكمة أن الخطر الانكليزي أصبح أعظم من أن تترك له أبواب الهد مفتوحة ، ولكن هذا الإدراك جاء بعد فوات الأوان بزمن طويل . فأرسل الامبراطور المغولي جيشا ضد الانكليز وحلفائهم . فدارت معركة بوكسار Buxar فى ١١٧٨هـ وفيها كانت الهزيمة الحاسمة للامبراطورية المغولية ، وفقدت إلى الأبد البنغال ، إذ أرغم الانكليز الامبراطور المغولي على أن يمنح الشركة حق التصرف الإدارى فى الإيرادات فى مناطق البنغال العريضة الثراء . ذلك كان مصير البنغال على يد شركة الهند الشرقية البريطانية ، ولقد أعان ذلك الانكليز على أن يكرروا خططهم نفسها مع بقية القوى المتعددة المتناحرة فى داخل الهند ، فأرغموا نظام حيدر أباد على أن يسرح القوات التى كان قد دربها الفرنسيون من قبل ، ثم هاجموا أكبر قوة حينذاك هي المهراتا ، وهزموها شر هزيمة فى موقعة آساى بالدكن ١٢١٨هـ ثم قرب بونا فى ١٢٣١هـ . ولم يبق أمامهم من قوة كبيرة قادرة على التصدى للانكليز سوى إمارة ميسور التى تولاها حيدر على ثم خلفه عليها ابنه فتح علي الملقب بـ (تيبو) أشد أعداء الانكليز .

هاجم الانجليز وحلفاؤهم (المهراتا ونظام حيدر أباد) إمارة ميسور فى عام ١١٧٩هـ ـــ ١٧٦٥ وصمد حيدر على أمامهم مؤقتا ، واستعان بالفرس فى بناء جيشه فى بادىء الأمر ثم تخلت عنه فرنسا وتركته يواجه مصيره مع انجلترا ، ولذلك تفوقوا عليه واضطروه إلى التراجع إلى الداخل ، ولم يلبث أن مات فى عام ١١٩٧هـ ليخلفه ابنه فتح علي المشهور باسم « تيبو » ، ليتابع من بعده القتال ضد الانكليز وحلفائهم فهزموه وأرغموه على عقد اتفاقية سرنكابا تام التى فقد فيها الكثير من أملاكه ودفع غرامة باهظة ١٢٠٧هـ .

ولكن تيبو أعاد تنظيم قواته ، وتطلع إلى فرنسا ، فأرسل الفرنسيون إليه رسالة فوقعت فى يد الانكليز ، وأدركوا أنهم فى موقف يتطلب القضاء عليه ، خاصة بعد أن علموا بنزول الجيش الفرنسى الى أرض مصر (١٢١٣هـ) فشدد الانكليز حملاتهم عليه وحاصروه فى عاصمته سرنكاباتام وفعلوا معه مثل مافعلوا مع سراج الدولة ، فقد أغروا أحد قواده (مير صادق) بالخيانة ، فخان فى أدق موقف . وفتح للانكليز باب القلعة فاستولوا عليها وظل تيبو يقاتل المهاجمين حتى سقط والسيف فى يده . فتخلص الانكليز بذلك من أخطر قوة وطنية تصدت لسياستهم الاستعمارية . وكان آخر حاكم إسلامي كبير يقف فى وجه الانكليز وقفة صلبة . ولم يلبث أن توسع الانكليز بسرعة فى الهند ، ليضعوها بأسرها تحت سيطرتهم المباشرة بعد أن قضوا على مقاومة المسلمين والإمارات الهندوكية . ولكن ظلت هناك آمال لدى هذه القوى لحركة كبرى ضد المستعمر ، وتحركت قوى الهند فى ثورتها الكبرى المشهورة فى شوال ١٢٧٣هـ .

لاشك أن الحكم الانكليزى قد أسفر عن وجهه الاستعماري البشع بعد سيطرته على الهند ، فاستأثرت شركة الهند البريطانية بكل خيرات البلاد ، وسلبوا الأمراء والسلطان حق الحكم ، وفقد المسلمون مركزهم السياسي فى الهند وخاصة بعد استئثار بريطانيا بالحكم . كما أخذ الانكليز جانب الهندوس وأطلقوهم ضد المسلمين يهزأون بدينهم ، ويسومونهم سوء العذاب ، وتوالى ذلك فى أكثر من مكان . وكان السيخ والمهراتا بالذات شديدي الوطأة على المسلمين . ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط بل كان هناك الكثير من المذابح التى راح ضحيتها الألوف من المسلمين بسيوف المهراتا والسيخ ، دون أن يجد المسلمون من الانكليز محاولات واضحة لوضع حد لهذا التقتيل الذى لامبرر له . وأدرك كثير من علماء المسلمين أن هناك اتفاقا غير مكتوب بين الانكليز والسيخ لإفناء المسلمين بالمذابح . وعمل الانكليز دون جدوى على تحويل المسلمين عن دينهم . ولم يعنوا بتعليم أبناء المسلمين أو حتى الإبقاء على أساليب التعليم التقليدية سائرة فى طريقها ، بل عملوا على تعطيل التعليم الإسلامي فى الكتاتيب والمساجد والمدارس . كما استولوا على الأوقاف الخيرية الاسلامية الممولة لتلك المدارس والكتاتيب . وفي الوقت نفسه فتحوا أبواب التعليم أمام الهندوس بصفة خاصة على أسس انكليزية ، ونتج عن ذلك ظهور عدد من الهندوس القادرين على المشاركة فى الدواوين الحكومية جنبا الى جنب مع الانكليز ، بينما لم يفز من المسلمين بتعليم راق سوى عددٍ ضئيلٍ جداً بالنسبة للهندوس . لقد أيقن الانكليز أنه لايمكن تحويل مسلم عن دينه فركزوا على تعليم أبناء الهندوس تعليما

نصرانياً ، فأثار هذا أشجان المسلمين ودعاهم الى التحرك دفاعا عن أنفسهم وخاصة بعد أن قرر الانكليز أن بها دور شاه هو آخر شخص مسلم يحمل لقب سلطان ، وأن من سيأتي بعده سيكون موظفا لدى بريطانيا له مرتبه ومخصصاته .

أدت هذه المشاعر الدينية المتأججة إلى ظهور عددٍ من العلماء إلى تقوية الدين الإسلامي فى قلوب الناس ، وحثهم على التمسك بأهدابه وقوانينه ، وحثهم على التكاتف ضد قوى الإبادة المسلطة عليهم . فخرجت من هذه الدعوات نداءات إلى امتشاق الحسام دفاعا عن المسلمين من سيوف السيخ والمهراتا ، وانقاذ الهند من التسلط البريطاني الذى كان فى نظر المسلمين السبب الحقيقي لما يصيب المسلمين من نكبات وآلام . وكان من الدعاة (سيد أحمد) المشهور بالشهيد الذى نادى بالعودة الى نقاوة الدين الإسلامى ، وتوحيد قوى المسلمين ضد العدوان الانكليزي وعدوان السيخ . وخاض سلسلة من المعارك ضد السيخ حتى خفف كثيرا من ضغطهم على المسلمين . ولكن الجبهة الإسلامية كانت ضعيفة ومفككة ، ولذلك كانت حركته محدودة لكنها أيقظت الوعى فى نفوس المسلمين خاصة بعد استشهاد عرفان الشهيد سيد أحمد فى ١٢٤٧هـ .

كان هذا السخط السياسي والديني يؤججه واقع اقتصادى مؤلم ، فقد دمرت انكلترا أسس النظام الاقتصادي ، فحطم الانكليز ودمروا الأنوال والمغازل الهندية ، وطردوا المنسوجات القطنية الهندية من أسواق أوربا ، ثم شرعت تصدر الخيوط القطنية والمنسوجات القطنية إلى الهند . كما أن العلم الحديث واستخدام الآلة البخارية قد دمر الرابطة بين الزراعة والصناعة الحرفية .

وعلى العموم ، فقد كان هناك سخط عام فى الهند على الوجود الاستعمارى ، ولكن البلاد كانت مفككة ، ولم يكن هناك زعيم يستطيع أن يوحدها بشعبيها الإسلامي والهندوسي فى حركة عامة ضد الانكليز . ولكن الفكرة كانت موجودة فى مناطق المسلمين الشمالية . ولهذا كانت تلك المناطق تنتظر ظرفا ملائما لكى تثور ، وهناك حركات سرية تبث منشورات تدعو للثورة . وكانت تحث الطوائف كافة على التحرك ضد العدو المشترك الانكليز ، وبدأت الثورة من مكان لم يكن يتوقعه العدو .

بدأ الجنود المسلمون والهندوس فى الجيش البريطاني المعسكرون فى ثكناتهم فى (ميرت) ، الثورة في شوال ١٢٧٣هـ ، وأن السبب المباشر لثورتهم إرغامهم أن

يقطعوا بأسنانهم قطعا من دهن مركب من دهون الخنازير والبقر لتشحيم بنادقهم . والمعروف أن المسلم محرم عليه تذوق دهن الخنزير وأن الهندوسي محرم عليه تذوق دهن البقر . ومع هذا تمادى الضباط الانكليز فى عقاب الجند الذين تذمروا ، ولم يلبث الجند أن انقضوا على ضباطهم وقتلوهم ، وانطلقوا إلى دهلي معلنين الثورة وسرعان ما انتشرت الثورة بسرعة كبيرة للغاية سواء فى دهلي أم في خارجها فى المناطق الشمالية بصفة خاصة . وعلى ذلك ، فقد قامت الثورة دون تخطيط مسبق دقيق ، ودون قيادة منظمة ، فاتجه الثوار إلى جعل قيادة تتحكم فى توجيه الثورة ، وتهدف إلى إحياء الدولة المغولية وإعادة السلطات كاملة للسلطان المغولي « بهادور شاه » . ولكن الاختيار كان خاطئا ، لأنه وأعوانه لم يعرفوا أساليب الحرب والقتال الحديثة حينذاك . فانقض الانكليز على معاقل الثوار غير الموحدة وأجهزوا عليها ، وألقوا القبض على السلطان وأخذوه أسيرا ثم نفوه إلى رانغون ، فكان آخر أباطرة المغول . وتلا ذلك انقضاض القوات البريطانية وأنصارها من رجال السيخ على المسلمين بشكل وحشي ، فقتلوا مئات الألوف وأحرقوا المدن والأسرى ، فكانت أبشع مذبحة يدبرها الانكليز . ويعزى فشل الثورة إلى عدم تنظيمها وتوحيد قواها ، واقتصارها على المناطق الشمالية ، ووقوع خلاف بين زعماء الثورة ، وانضمام السيخ إلى الانكليز . وإثر انتهاء الثورة حلت انكلترا شركة الهند الشرقية ، وجعلوا الهند مستعمرة بريطانية تابعة للتاج البريطاني مباشرة ، وكان الانكليز يخشون من المسلمين كثيرا ويحقدون عليهم صليبياً ، إذ أنهم يعلمون أن المسلمين إذا دعوا إلى الجهاد الإسلامي يستطيعون إخراجهم ، لذا عملوا على إيجاد فئة موالية لهم تكون مهمتها إلغاء الجهاد فكانت دعوة القاديانية التى قام بها ميرزاغلام أحمد القادياني ، مدعيا النبوة والتى دعا فيها إلى طاعة الحكومة البريطانية . واستفادت بريطانيا من ذلك بايقاع الفرقة والخلاف بين المسلمين واستعان الانكليز بالقاديانيين كجواسيس لهم ضد المسلمين وقربوهم منهم ، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل أمام جهود الحركة الوطنية ضد الاستعمار التي أجبرته على الخروج من الهند عام ١٣٦٧هـ .

الحركة الوطنية :

بعث اضطهاد البريطانيين للمسلمين فى الهند شعورا قويا فيهم بضرورة العمل على توحيد صفوفهم من جديد ، ورفع معنوياتهم وإصلاح حالهم ، فظهر السيد أحمد خان الذى نادى بعدم العزلة والتخلف عن المشاركة فى الحياة الهندية ، كما نادى بوجوب

الاطلاع على الحضارة الغربية والمدنية الحديثة وعلومها أو اقتباس الصالح منها واتجه الى الانكليز ، فأكد عدم عداء المسلمين لهم . وقد عاب عليه الكثيرون ممالأته للانكليز وعدم تأييده للثورة السابقة إلا أنه لم يأبه لاتهاماتهم ، وانطلق يعمل ودعا قومه إلى الاغتراف من علوم الغرب . فأسس مجلة « تهذيب الأخلاق » والتى كتب فيها المقالات العلمية والسياسية والاجتماعية . وأنشأ جامعة « عليكرة » بشمال الهند والتى قامت فيها الدراسات والعلوم التجريبية والشرعية ، وبعد أحمد خان ظهر من بين المسلمين طائفة من المفكرين والأدباء والفلاسفة الذين حملوا الرسالة من بعده ، ومنهم محمد إقبال ومحمد على جناح .

وقوي التيار الإسلامى وبدأ المسلمون يتعاطفون ويتعلمون ويطالبون بالتحرر ، وبدأت حركة التحرر التي تنادى بالتحرر السياسي أولا وهو المطالبة بالحكم الذاتي . وقد أنشأ الانكليز حزب المؤتمر الوطني ١٣٠٣ هـ على أن يتبادل رئاسته مسلم وهندوسي ، وكان حزب المؤتمر في البداية يحترم شعور المسلمين حتى دخلت فيه أعداد منهم بل وجماعات ، ثم أظهر فيما بعد عكس ذلك فنادى بتخليص الهند من الغرباء ، وإبطال القوانين التي تحترم شعائر المسلمين ، وعدَّ بعضهم المسلمين غرباء كالانكليز . وكانت بريطانيا تهدف من وراء إنشاء حزب المؤتمر إلى دمج العناصر في شعبٍ واحدٍ للقضاء على المسلمين والعمل على النهوض بالهنادكة دون المسلمين ، وأخيراً تعزيز الروابط بين انكلترا والهند .

لقد كانت كل الزعامات المثقفة ترى أن الوقت قد حان لتخليص البلاد من الاستعمار البريطانى ، وكانت هناك حركات تحررية بين المسلمين والهندوكيين ولكنها لم تستطع أن تتحول إلى حركات عامة إلا ابتداء من القرن الرابع عشر . وكان المؤتمر الهندى يقود هذه الحركة ويطالب بتحرير الهند تدريجيا من الاستعمار البريطاني . وكانت الزعامات الإسلامية في داخل المؤتمر الهندى تبذل جهدا كبيرا في تأييد الزعامات الهندية ضد الوجود الاستعمارى البريطاني .ومع ذلك فان الخلاف بين المسلمين والهندوس قد دب إثر تقسيم البنغال بين المسلمين والهندوس ، والذى قام به لورد كيرزون curzon ،فعارض الهندوس ذلك رافضين إعطاء المسلمين حقوقا لا يجب أن تعطى لهم . ومن هنا أدرك المسلمون أن المؤتمر الهندى هو مظهر من مظاهر التسلط الهندوسي على المسلمين ،وأن على المسلمين أن يؤسسوا لأنفسهم هيئة تدافع عن مصالحهم ضد المؤتمر الهندى وضد الحكم البريطانى ، فدعا المسلمون إلى عقد اجتماع في مدينة (دكا) برئاسة

النائب فخار الملك ، ونتيجة هذا الاجتماع نشأ حزب «الرابطة الإسلامية» ١٣٢٤ هـ وزاد من تماسك المسلمين وتعلقهم بالرابطة إنشاؤهم جامعة إسلامية فى دكا مما أثار الهنود . وظلت الرابطة الإسلامية محدودة النشاط حتى مال محمد على جناح عضو المؤتمر الهندى إلى الرابطة ابتداء ١٣٣٢ هـ ، وكان يعمل من قبل للتوفيق بين الطرفين .

وخلال الحرب العالمية الأولى قويت الدعوات إلى استقلال الشعوب سواء قبل صدور مبادىء ولسن الأربعة عشر أو بعدها . ولكن هذه المبادىء ألهبت حماس الشعوب المهيضة الجناح . واتجهت الحركة الهندية بزعامة غاندي إلى الضغط على بريطانيا من أجل استقلال الهند ، وفى الجانب الإسلامي الهندى كان المسلمون الهنود يسعون كذلك إلى تحرير الهند من الانكليز ، وإلى إنقاذ الخلافة العثمانية (الإسلامية) ولعلهم رأوا فى سقوط الخلافة سقوطا لهم فى أعين كل من الانكليز والهندوس .

وهاجم محمد على جناح الانكليز عندما انقضوا على الثوار الهنود فى ١٣٣٨هـ لقتل التحررية ، ولكنه فى الوقت نفسه انتقد غاندى عندما ابتدع سياسة المقاطعة والعصيان المدنى . وكانت وجهة نظر محمد على جناح وزملائه هى أن المقاطعة السلبية تضر بالشعب الفقير أكثر مما تضر بالانكليز ، وأن الالتجاء إلى المغزل ليس سوى رجعة إلى الماضى ، وخير منها إنشاء المصانع كى تستطيع الهند أن تقف بقوة أمام مصنوعات بريطانيا . وانتقد غاندى عندما لقب بالمهاتما على اعتبار أن غاندى يسير فى طريق هندوكي أواضح لايمكن أن يحفظ للمسلمين حياتهم و أرواحهم وعقيدتهم من تعديات المتعصبين من الهندوس . إذ كان الهندوس يعدون حركتهم تقوم على أربعة مبادىء هي : الوحدة ، ووحدة العقيدة الهندوسية وإجبار كل السكان عليها ، وإرجاع المسلمين إلى الهندوسية . واحتلال أفغانستان ومناطق الحدود وردّ أهلها عن الإسلام .

واشتدت معارضة محمد على جناح لغاندى ولحزب المؤتمر ، وزاد من ارتباطه بالرابطة الإسلامية تعاون الحكم البريطاني مع حزب المؤتمر على إصدار دستور للبلاد يعطيها طابعا هندوكيا ويؤدى إلى القضاء على المسلمين فى المستقبل البعيد . وحاول محمد على جناح أن يثنى غاندى وزعماء المؤتمر الهندى عن هذا الاتجاه دون جدوى ، ولهذا وضع مبادئه الأربعة عشر أمام المسئولين فإما أن يقبلوها فيقبل هو والرابطة الإسلامية الاشتراك فى الحركة الوطنية الواحدة ضد الانكليز وإلا فسيطالب بانفصال المسلمين عن الهندوكيين فى المجالات كافة .

وكانت مبادىء وشروط محمد على جناح الأربعة عشر على النحو التالي :

١ ــ سن دستور أساسي للهند يخول لكل مقاطعة الصلاحية التامة فى الحكم المباشر .

٢ ــ مساواة المقاطعات جميعها في الحقوق والامتيازات .

٣ ــ مراعاة حقوق الأقليات في سائر المقاطعات ، ومنحهم حق التمثيل النيابي في المجالس النيابية ، وحماية حقوقهم ضد الأكثرية .

٤ ــ يمنح المسلمون ربع مقاعد المجلس النيابي بمقتضى الدستور .

٥ ــ ينتخب الأعضاء الممثلون للفرق والطوائف انتخابا مستقلا .

٦ ــ لايؤثر تغيير النظم فى حقوق ومزايا المسلمين فى البنجاب والبنغال والمناطق الشمالية .

٧ ــ يضمن الدستور الهندي الحرية التامة لجميع الملل والمذاهب من إقامة الشعائر والتعليم وغير ذلك .

٨ ــ لاينفذ أي قانون فى المجلس النيابي فى أية مقاطعة ، ويكون القانون فيه مساس بقوم أو طائفة مالم يوافق على ذلك ثلاثة أرباع الأعضاء من ممثلى تلك الطائفة .

٩ ــ فصل مقاطعة السند عن بومباي فصلا تاما بغير قيد أو شرط .

١٠ ــ تنظيم مقاطعتى الحدود وبلوخستان تنظيما يتفق والحالة التى عليها سائر المقاطعات .

١١ ــ مراعاة حقوق المسلمين فى سائر الإمارات المستقلة بما يتفق والحرية الدينية التامة والعدالة الكاملة فى سائر الحقوق والوظائف .

١٢ ــ يضمن الدستور الهندى الجديد الحرية التامة للمسلمين فى إقامة شعائرهم الدينية وصيانة حقوقهم ومقدساتهم وأماكن معتقداتهم ، والمحافظة على ثقافتهم الدينية فى التعليم والتبليغ واللغة فى سائر المقاطعات والولايات المستقلة ، وأن تخصص كل مقاطعة منحة مالية تصرف سنويا على الشؤون الإسلامية .

١٣ ــ لاتؤلف وزارة أو حكومة فى المقاطعات الهندية ما لم يمثل فيها المسلمون بنسبة الثلث .

١٤ ــ ألا يقبل أي تعديل أو تغيير فى الدستور الهندى الأساسي بعد تشريعه إلا بعد أخذ رأي وموافقة سائر المقاطعات .

لكن أصر زعماء حزب المؤتمر على أن يسيروا فى الحركة الوطنية بدون محمد على جناح وبدون الرابطة الإسلامية ، وشجعهم على ذلك عدد ليس قليلا من زعماء

المسلمين كان متعاونا إلى أقصى حدود التعاون مع المؤتمر ، وهم أعضاء جمعية الخلافة الإسلامية ــ مؤتمر الشيعة ــ وفشلت محاولات محمد على جناح الذى عقد مؤتمرا مشتركا بين الرابطة والمؤتمر الهندى فى مدينة لكنو سنة ١٣٣٥هـ وأقر فيه غاندى مطالب الرابطة الإسلامية . والتى سرعان ما تنكر لها غاندى عام ١٣٤٠ هـ . ونادى غاندى باستقلال الهند . فرد المسلمون بعقد اجتماع آخر فى عام ١٣٤٧هـ طالبوا فيه بتأييد النظام الاتحادي الذى يمنح الولايات الحكم الذاتي التام والسلطات الباقية ، وتأييد حق المسلمين فى انتخاب ممثليهم . ورفض المؤتمر الهندي هذه القرارات .

وفى عام ١٣٤٩هـ ، دعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر الدائرة المستديرة بلندن ، وطالب المسلمون بوجوب تضمين الدستور النص على كفالة حقوقهم . وفى الوقت نفسه عقدت الرابطة الإسلامية دورتها السنوية بزعامة محمد إقبال ، وطالب لأول مرة بتكوين دولة إسلامية موحدة . وطلب من محمد على جناح العودة من لندن ليتسلم زمام الأمور وقيادة المسلمين ، ومن ثم عاد إلى الهند وألف العصبة المسلمة داخل الجمعية التشريعية .

اتجه الانكليز بعد ذلك إلى مفاوضة حزب الرابطة بعد قيام غاندى بالعصيان المدني . وفتحوا الباب أمام الاتصالات المباشرة بينهم وبين الرابطة (١٣٥٠هـ) ، ولاشك أن الانكليز كانوا هم الرابحين من وراء التفاوض مع هذا الطرف تارة ، ومع ذلك الطرف تارة أخرى .

ومهما كانت خطورة تلك الصراعات الطائفية إلا أنها كانت دائما موجهة ضد الوجود الانكليزي ، وكانت تكاليف السيطرة على الأمن وعلى البلاد قد أصبحت باهظة ، الأمر الذي جعل الانكليز يتجهون فعلا إلى إعطاء الهند استقلالها . وكان إصدار دستور ١٣٥٤هـ مقدمة لهذه الخطوة . وبرزت عن هذا الدستور مشكلة خطيرة هل ستكون الانتخابات النيابية المقبلة عامة أم تكون على أسس طائفية ؟

كان الهندوكيون والمؤتمر الهندى ينادون ويصرون على أن تكون هذه الانتخابات عامة . ومعنى هذا أن المجلس المقبل سيكون مجلسا هندوكيا لايمثل فيه المسلمون إلا بأقلية مهيضة الجناح . وأعلن غاندى ونهرو إصرارهم على الانتخابات العامة لأنهم كانوا يرون فى انفصال المسلمين عنهم إضعافا للهند ، كما أن ظهور دولة إسلامية فى شمال الهند سيؤدى إلى إعطاء الشعوب الإسلامية دفعة قوية من الحيوية ، وربما تقوم هناك وحدة بين هذه الدولة الإسلامية الجديدة وأفغانستان ، وفارس ، والبلاد العربية .

وفي عام ١٣٥٨هـ استقالت وزارة حزب المؤتمر لأن حكومة الهند دخلت الحرب دون أخذ رأيها ، وزاد الوضع حرجاً دخول اليابان الحرب واحتلال أندونيسيا والهند الصينية وبورما واقترابها من حدود الهند ، فأعلنت بريطانيا أنها ستعطي الهند الاستقلال بعد الحرب ورحب حزب المؤتمر بهذا ، وطالب بتسلم الحكم مباشرة وتطبيق سياسته .

وفى عبارة موجزة دقيقة صور محمد على جناح أسس الخلاف بين المسلمين والهندوكيين عندما قال :ــ « نحن من الجنس الآرى وهم درافدا ... ونحن من أهل الكتاب وهم وثنيون يعبدون البقر ويقدسون الحيوانات وسنظل إلى آخر الدهر نذبح هذا المعبود ونأكله ، وسيظلون هم الى آخر الدهر يقدسونه ويعبدونه ، هم يتكلمون الهندوستانيةولايريدون عنها بديلا . أبطال تاريخنا أعداؤهم لأنهم دحروهم وهزموهم . وأبطال تاريخهم أعداؤنا لأنهم دحرونا وهزمونا ، ويوم يحتفل أحد الفريقين بذكرى أبطاله يبكى الآخر حزناً وحسرةً ، ولايمكن أن تزول الخلافات بيننا وبينهم ، ولم نثق فى وعودهم فقد حاولنا دأبنا ومنينا أكثر من مرة . وحكومة المؤتمر دليل على صدق قولى وفظائعها معنا شهيد على ذلك فلن نقبل بعد الآن أن يحكمنا الهندوس ونحن قلة ، فبمثل ذلك فناؤنا النهائي وفرصتنا الوحيدة باكستان ، وسنريق دماءنا إلى آخر نقطة فى سبيل تحقيقها . فالمناطق الإسلامية يجب أن يحكمها المسلمون ، والمناطق الهندوسية يحكمها هندوس . وستبقى أقلياتنا عندهم وأقلياتهم عندنا فيحتفظ التوازن ويطمئن الطرفان إلى العدالة والمساواة .

وعلى ذلك ، تأكد لمحمد على جناح بدون أدنى شك عدم جدوى الاتصالات مع المؤتمر الهندى ، بعدما تأكد له أن حكومة المؤتمر ١٣٥٦هـ قد ازدادت إمعانا فى اضطهاد المسلمين وتعذيبهم وأهملت شؤونهم ، وامتهنت حرياتهم ، فأعلن أنه لابد من انفصال المسلمين ، وحينئذ قررت الرابطة الإسلامية فى عام ١٣٥٩هـ ، إعلان تمسك المسلمين بدولة خاصة بهم أطلقوا عليها (باكستان)[١] وتحقق بذلك أمل الفيلسوف الشاعر محمد إقبال الذى توفي عام١٣٥٧هـ الذى نادى منذ عام ١٣٤٩هـ بانفصال المسلمين . وكانت فترة الحرب العالمية الثانية وأعقابها أحرج فترات الصراع بين الفكرتين : (١) الهند الموحدة . (٢) الهند المقسمة .

---

(١) باكستان : يتكون اسم باكستان من مقطعين هما (باك) ومعناه طاهر أو نقى و (ستان) ومعناه أرض فيكون معنى باكستان أرض الأطهار أو الأرض الطاهرة . كما يقال : إنها مؤلفه من الأحرف الأولى من المقاطعات ذات الأكثرية المسلمة . بنجاب وبنغال ، وبلوج ، وكشمير ، والسند .

واستخدم خصوم محمد على جناح الوسائل كافة من إرهاب دموى إلى سياسة المفاوضات معه أو مع الانكليز ، وعملوا على إضعاف قوته عن طريق تحريض بعض الطوائف الشيعية والاسماعيلية ضده ، ومع هذا استطاع أن يكسب الغالبية العظمى من مسلمي الهند إلى جانب فكرة « باكستان » مع أنه ينتمي إلى الطائفة الاسماعيلية .

وفى عام ١٣٦٦هـ بذلت آخر محاولة لفرض كلمة المؤتمر الهندى على الرابطة الإسلامية ، وحاولت الجموع الهندوكية أن تفرض بالقوة وبالمذابح على المسلمين (الوحدة) ، وكانت المذابح مروعة ، وكانت سببا فى أن تقطع كافة الطرق التى كان يمكن أن تؤدى إلى ظهور حكومة اتحادية من مسلمين وهندوس . وأصبح التقسيم هو الهدف الوحيد الذى يسعى إليه المسلمون بعد تلك المذابح دون محاولة لايجاد تسوية ما . وقرر حزب الرابطة الإسلامية فى مؤتمره العام عام ١٣٦٦هـ إنشاء دولة باكستان ومطالبة بريطانيا بالموافقة على ذلك . وقد دعم موقف حزب الرابطة نجاح أعضائها فى انتخابات عام ١٣٦٦هـ وفوزهم بالمقاعد جميعها المخصصة للمسلمين ، وعددها ٤٢٧ مقعدا ، واستمر المسلمون فى مطالبهم إلى أن وافقت بريطانيا وحزب المؤتمر أخيراً على قيام دولة باكستان ، وأصدر البرلمان البريطاني قانون استقلال الهند فى منتصف رمضان ١٣٦٦هـ وظهرت باكستان بعد شهر أي في منتصف شوال من عام ١٣٦٦هـ .

استقلال باكستان :

برزت باكستان إلى حيز الوجود دولة مستقلة ذات سيادة فى الرابع عشر من شهر شوال ١٣٦٦هـ ، وذلك عند تقسيم شبه جزيرة الهند بناء على إصرار المسلمين على المطالبة بوطن منفصل مستقل لهم . وضمت باكستان من الأقسام التى كانت تعرف قبل التقسيم بإسم : إقليم الحدود الشمالية الغربية وبلوخستان والسند والقسم الغربي من إقليم البنجاب والقسم الشرقى من إقليم البنغال ، وهذه الأقسام توجد فى منطقتين بعيدتين بعضهما عن بعض ، الأولى فى الغرب ، وتعرف باسم باكستان الغربية والثانية فى الشرق وتعرف باسم باكستان الشرقية ، وتضم البنغال الشرقية فقط بينما تضم باكستان الغربية الأقسام الباقية . ويفصل القسمين مسافة من أراضي الهند يزيد مداها على ١٥٠٠كم وتبلغ مساحة باكستان الغربية ٨٠٠,٠٠٠كم٢ وعدد سكانها يومذاك ٥٠ مليوناً بينما مساحة باكستان الشرقية $\frac{1}{6}$ مساحة الغربية (١٤٣,٠٠٠) كم٢ وعدد سكانها ٧٠ مليونا أى أكثر من سكان الغربية ، ويشكل المسلمون ٨٨٪ من السكان .

وفى الحقيقة لقد كان هذا التقسيم جائرا روعيت فيه مصالح الهنود ، ولم يلتفت لما ستواجهه باكستان من مشكلات من جراء هذا التقسيم ، بل لقد كان هدف الانكليز والهنود من هذا التقسيم أن يعارض المسلمون لما فيه من إجحاف بحقهم ، ولكن المسلمين صمدوا وتحدوا ورضوا بهذه القسمة فى سبيل إقامة دولة إسلامية موحدة ، رغم ما ينتظرهم من مشكلات اقتصادية وسياسية وغيرها . وقد حملت هذه الدولة بين طياتها عوامل فنائها منذ قيامها كما خطط لها الاستعمار وكان له ما أراد .

خرجت باكستان إلى حيز الوجود في منتصف شوال ١٣٦٦هـ وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة فى أول أيام ذي الحجة ١٣٦٦هـ واختير محمد على جناح رئيسا للدولة وتولى رئاسة الحكومة لياقت على خان ، ووقعت عقب التقسيم أحداث مؤلمة ، وكان على الحكومة مواجهة مشكلة إسكان تسعة ملايين من المسلمين اللاجئين الفارين إلى باكستان ، هذا بجانب الذين قتلوا وهم حوالى مليون مسلم أثناء فرارهم ، ورفضت الهند دفع نصيب باكستان من احتياطى الدولة ومقداره حوالى ٥٥٠ مليون روبية ، وقامت الفتنة والمذابح فى كل أرجاء القسم الهندى وخاصة في دهلى التى قتل فيها يومذاك مائتا ألف مسلم خلال يومين ، كما كانت المذابح عظيمة فى البنجاب الشرقية التي أكثر سكانها من الهنود والسيخ ، فقد تعاونوا على ذبح المسلمين وسبي النساء في المدن والقرى ، وكما أن الانكليز عملوا على تسليم أنصارهم حكم باكستان وهم الاسماعيلية والقاديانية ،ومع ذلك استطاعت باكستان حل مشكلاتها ، وبدأت تشق طريقها نحو التقدم الاجتماعى والانتعاش الاقتصادى .

وبعد وفاة محمد على جناح في عام ١٣٦٧هـ خلفه فى رئاسة الدولة الخوجا نظام الدين بينما بقى لياقت على خان رئيس الوزارة . وفى عهد الرئيس الخوجا نظام الدين أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية تحت ضغط الشعب ، والتى نادت به الجماعة الإسلامية التى يرأسها أبو الأعلى المودودى منذ مطلع عام ١٣٦٧هـ . وفى عام ١٣٧١هـ اغتيل لياقت على خان وأصبح الخوجا نظام الدين رئيسا للوزراء واختير غلام محمد حاكما لباكستان ، وفى عام ١٣٧٣هـ أقيل الخوجا نظام الدين من رئاسة الوزارة وتسلمها محمد على بوغرا . وبقيت باكستان بدون دستور هذه المدة كلها . وفى عام ١٣٧٥هـ تكونت جمعية تأسيسية مهمتها وضع الدستور ، وكان من أهم منجزاتها توحيد باكستان الغربية بعد أن كانت عددا من المقاطعات . وانتهى النظام القديم ، وهو تبعية باكستان لبريطانيا كدولة من دول الدمنيون تعين حاكمها انكلترا .

وفي عام ١٣٧٦هـ وضع أول دستور للدولة وأعلنت باكستان جمهورية دستورية ونص الدستور على أن الدولة ترمي إلى توطيد المبادىء الإسلامية ، وخاصة العدالة الاجتماعية والمساواة بين الجميع ويجب مراعاة تعاليم الإسلام . كما اتخذت كراتشي عاصمة للدولة .

وأصبح اسكندر ميرزا رئيسا للجمهورية وشودرى محمد على رئيسا للوزارة ، وقامت أحزاب جديدة معارضة لحزب الرابطة الإسلامية . ولكن الأمور اضطربت واختلت الحالة الاقتصادية واضطر رئيس الجمهورية اسكندر ميرزا عام ١٣٧٨هـ إلى تعطيل الدستور وحل البرلمان وفرض الأحكام العرفية مستندا إلى قوة الجيش بسبب سوء الأوضاع فى البلاد ، وبعد عشرة أيام من العام نفسه تنازل اسكندر ميرزا عن رئاسة الجمهورية لمحمد أيوب خان الحاكم العسكري وغادر البلاد .

أدخل محمد أيوب خان عددا من الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية وأجريت الانتخابات العامة للمجالس الاتحادية القروية والمجالس الاتحادية فى المدن ، واختاره ممثلو الشعب لدولة باكستان عام ١٣٧٩هـ لمدة خمس سنوات ، ونقل أيوب العاصمة الاتحادية من كراتشى إلى روالبندى وشكلت لجنة دستورية ، وفى عيد الفطر من عام ١٣٨١هـ أعلن الدستور الجديد، وكان ينص على أن باكستان تتكون من إقليمين ، هما باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، ولهما لغتان رسميتان هما الأوردية والبنغالية ، وعاصمتها الوطنية إسلام أباد وعاصمتها التشريعية دكا .

ووقعت الحرب بين باكستان والهند عام ١٣٨٥هـ بشأن كشمير بعد هجوم مفاجىء هندي في كشمير على أراضي كشمير الحرة واحتلوا أربعة مراكز ، وقامت مباشرة باكستان برد فعل بجنوب الجزء الكشميري الذي تحتله الهند ، وانهارت المقاومة الهندية فهاجمت الهند باكستان ثم امتدت الحرب على طول الحدود الهندية الباكستانية ، ثم توقفت الحرب بعد التقاء الطرفين في طاشقند في عام ١٣٨٥هـ ، وعلى الرغم من التقدم الذى أحرزته البلاد خلال حكم محمد أيوب خان فان المعارضة وعدم الارتياح ازدادت فى السنوات الأخيرة لحكمه . وفى أواخر شوال عام ١٣٨٨هـ قامت اضطرابات عدة فى البلاد ، وكانت المعارضة قد رفضت الاشتراك معه فى محادثات لإجراء بعض الاصلاحات وطالبته بالتخلى عن سلطاته .

وفى ٥ محرم عام ١٣٨٩هـ تنحى محمد أيوب خان عن رئاسة الجمهورية لقائد الجيش الجنرال يحيى خان الذى شكل حكومة عسكرية برئاسته ، وتولى سلطات رئيس الجمهورية إلى أن يتم وضع دستور جديد للبلاد .

وكانت باكستان قد انضمت إلى منظمة حلف جنوب شرقي آسيا عام ١٣٧٤هـ ، كما أنها كانت عضوا فى الحلف المركزى (حلف بغداد سابقا)منذ عام ١٣٧٥هـ ولكن شعب باكستان استاء من اشتراك بلاده فى هذه الأحلاف التى تحركها أيد غريبة ، لأنه لا يرى فيها منفعة . وبدأت باكستان تميل إلى سياسة الحياد وعملت على تدعيم علاقاتها بالدول العربية والإسلامية .

وفى شوال من عام ١٣٩٠هـ أجريت الانتخابات العامة وأسفرت نتائجها عن فوز حزب عوامي [١]فى باكستان الشرقية برئاسة الشيخ مجيب الرحمن بعدد ١٦٧ من ٣١٣ مقعدا ، وحصل على أغلبية فى المجلس النيابي . وكان الحزب المنافس له حزب الشعب الذى يتزعمه ذو الفقار على بوتو في باكستان الغربية ، وكان على الجنرال يحيى خان أن يدعو المجلس النيابي للانعقاد ويسلم السلطة للشيخ مجيب الرحمن . لكنه أجل انعقاد المجلس النيابي مما أثار هياجاً شعبياً كبيراً وقامت الاضطربات وحركات العصيان فى باكستان الشرقية . وحاول يحيى خان القضاء عليها بالقوة المسلحة فأعلنت باكستان الشرقية فى مطلع شهر صفر عام ١٣٩١هـ استقلالها ، ولعل هناك اختلافا بين قسمي باكستان ، فالغربية أكبر مساحة بكثير وأقل سكاناً وكثافة ، وتوجد مصانع ، والتجارة نشطة ، وينخرط الطلاب بصفوف فتسعون بالمائة من ضباط الجيش الباكستاني كانوا من الغربية ، أما الشرقية فقليلة المساحة كثيرة السكان ، كثيرة المياه ، والأرض السهلية تغمر بالماء أياماً كثيرة ، وتصيبها الفيضانات وتجتاحها الأعاصير ، إذ يصعب إقامة المعامل ، والتجارة ضعيفة والحالة المادية سيئة ، الأمر الذي يجعل السكان يسيرون وراء كل منادٍ بالاصلاح أو بتحسين الأوضاع ، وهذا ماأفاد منه حزب عوامي ، كما يشعر السكان أنهم تبع للغربية ــ رغم أنهم أكثر عدداً ، كذلك هناك ــ في اللغة إذ تعد البنغالية هي

(١) حزب عوامي : تأسس عام ١٣٧٦هـ ، ويضم الشيوعيين وأنصارهم ، والفئات ذات الاتجاه المتقارب ، وقوي أمره ، وصدر له صحيفتان ثم انقسم إلى قسمين : جناح تدعمه الصين ويتزعمه عبد الحميد باشاني ، وجناح يتزعمه مجيب الرحمن وتدعمه روسيا . وضعفت معارضة جناح باشاني مدة التقارب بين الصين وباكستان فقوي جناح مجيب الرحمن ، ثم عاد فالتأم الجناحان أيام الانتخابات الأخيرة .

الرسمية في الشرقية ولغة الأوردو هي الرسمية فى العربية . وقامت حرب أهلية ورفض يحيى خان تسوية هذا النزاع السياسي القائم على مائدة المفاوضات بدلا من استخدام العنف . وقد استغلت الهند هذه الفرصة واقتحمت قواتها العسكرية حدود باكستان الشرقية لمساعدتها ضد الجيش الباكستاني ، وفى شوال من عام ١٣٩١هـ سلمت القوات الباكستانية ولم يكن الرأى العام الباكستاني متقبلا لهذا الاستسلام الذى ساعدت الدولتان العظميان والهند واسرائيل على تحقيقه لإضعاف المسلمين وتفكيك وحدتهم . وأسفر ذلك عن تنحي يحيى خان وتعيين ذو الفقار على بوتو رئيس حزب الشعب رئيساً لباكستان بدون باكستان الشرقية التى انفصلت واتخذت اسم بانغلاديش .

وكان ذو الفقار على بوتو أول رئيس غير عسكرى ، وبعد تولى مهام منصبه عقد مؤتمر (سملا) لتسوية الخلافات بين الهند والباكستان عام ١٣٩٢هـ ، إلا أن مشكلة كشمير ظلت كما هى عليه . وقامت الدول الإسلامية الصديقة بالوساطة بين باكستان وبانغلاديش للتوفيق بينهما وتم اعتراف باكستان بالدولة الجديدة بانغلاديش . ولكن حكم ذو الفقار على بوتو لم يستمر طويلا ففى عام ١٣٩٧هـ قام الجيش بحركة انقلاب ضده بقيادة الجنرال ضياء الحق إثر مظاهرات واضطرابات فى البلاد استمرت مايزيد على خمسة أشهر ، والتى كانت أحزاب المعارضة من ورائها ، وحوكم على بوتو فى مطلع عام ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م أمام المحكمة التى حكمت عليه بالإعدام نتيجة الجرائم التي ارتكبها باسم النظام ، ويعمل نظام الحكم القائم على تطبيق الشريعة الإسلامية تدريجيا ، كما يعمل على تحسين علاقاته مع الدول الإسلامية وبخاصة المملكة العربية السعودية .

أما فيما يتعلق بالمشكلات القائمة بين باكستان والهند ، فيمكن القول : إنه فى الأعوام الثلاثة التى أعقبت تقسيم الهند شهدت شبه القارة الهندية نزاعا مستمرا بين الباكستانيين والهنود ، تخلله الكثير من الشك والريبة وهجرة مستمرة بين السكان فى الدولتين . ويرجع ذلك كله إلى بعض المشكلات الرئيسية التى أمكن التغلب على معظمها فيما بعد ، منها مشكلة التصرف فى الممتلكات التى خلفها السكان الهندوكيون والمسلمون والسيخ ، ومشكلة تخفيض قيمة الروبية الهندية بالنسبة للدولار الأمريكى على عكس باكستان التى احتفظت بقيمة الروبية الباكستانية ، مما أدى إلى توقف التبادل التجارى بين القطرين ومشكلة توزيع المياه فى إقليم البنجاب ، ثم مشكلة كشمير التى لاتزال قائمة .

وتتلخص مشكلة تقسيم مياه الهند فى أن تقسيم شبه القارة الهندية شطر إقليم البنجاب إلى قسمين هما : البنجاب الشرقية ويتبع الهند والبنجاب الغربية ويتبع باكستان . وقد ترتب على هذا التقسيم أن منابع بعض الفروع تقع فى الهند بينما تجري فى أرض باكستان . وقد أرادت الهند أن تتوسع فى استصلاح أرض البنجاب الشرقية بدعوى أن عددا كبيرا من اللاجئين إليها من البنجاب الغربية لامورد لهم فيها ومن حقها أن تؤمن معيشتهم ، فى حين أن الباكستان رأت أن تظل الحال على ماهى عليه قبل التقسيم وأن تأخذ كل من الهند والباكستان نصيبها المقرر من هذه المياه التى يفيد منها أهل البنجاب الغربية . وقد تطور هذا النزاع حتى أن الهند قطعت الماء فجأة عن لاهور عدة أسابيع فى ١٣٦٧هـ وانتهى هذا النزاع الذى استمر نحو ثلاثة عشر عاما حينما وقعت الدولتان على اتفاقية مياه حوض السند ، وبمقتضى هذا الاتفاق تحصل الهند على مياه الأنهار الشرقية الثلاثة ، بينما تحتفظ باكستان بمياه نهر السند وفرعين آخرين . ويتصل بهذا الاتفاق اتفاق مالي آخر يتضمن قروضا من البنك الدولي ، الأمر الذى فتح الطريق للاستخدام السلمي وتنمية موارد المياه ، وبناء على هذا الاتفاق تقيم باكستان فى مدة عشر سنوات خزانات وقنوات ومشروعات أخرى قد تستفيد من مياه الأنهار التى تنبع فى الهند ، وتبلغ جميع تكاليفها نحو مليار دولار . وسنتناول بشيء من التفصيل مشكلة كشمير .

مشكلة كشمير :

تقع كشمير فى أقصى شمال القارة الهندية ، وتضم الممرات والثغرات فى المرتفعات الشاهقة وأنها تتحكم فى الطرق ومحاور الاتجاهات بين أرض الهند وآسيا . ولذا فهى تحتل موقعا استراتيجيا ممتازا ، إذ أنها تقع فى منطقة تتاخم دولتين كبيرتين هما الاتحاد السوفيتي والصين ، إذ تتاخم الصين ولايفصلها عن أراضي الاتحاد السوفيتي إلا شريط ضيق من أرض أفغانستان ، كما أنها تقع بين دولتين من أكبر دول أسيا هما الهند وباكستان . ومساحتها ٢٢٠,٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها قرابة سبعة ملايين منهم نحو ٨٢٪ مسلمون .

أما أهمية موقع كشمير بالنسبة لباكستان فترجع لأنها (أى كشمير) تسيطر على معظم المنابع والمجارى العليا لأهم الأنهار التى تعتمد عليها زراعة غربي باكستان في توفير مياه الرى لأكثر من ١٩ مليون فدان ، وكذلك توفير الطاقة الكهربائية . كما أن موقع كشمير الجغرافى له أهمية حربية بالنسبة لباكستان إذ أن وجود كشمير تحت سيطرة قوة

معادية لباكستان يهدد استقلالها وكيانها ، إذ أن العدو المسيطر على كشمير بإمكانه أن يقضى على باكستان فى أية لحظة شاء . ومن الناحية الجغرافية تعد كشمير جزءا من باكستان التى تشترك معها فى حدود طولها عدة مئات من الكيلومترات ولا يربطها بالهند سوى شريط ضيق من الأرض . وتؤكد الروابط الجغرافية والاقتصادية والثقافية بين كشمير وباكستان ضرورة ضمها إلى باكستان ، وذلك تأسيسا على رغبة الغالبية العظمى من الشعب المسلم . وترى الهند أن إقليم كشمير له أهمية استراتيجية واضحة بالنسبة لها خاصة بعد أن تمكنت الصين الشعبية من السيطرة التامة على التبت ، وتطور النزاع الهندى الصيني على طول الحدود فى جبال هملايا .

والجدير بالذكر أن الإسلام قد دخل هذه الولاية منذ سبعمائة عام ونصف ، وحكمها الملوك من أبنائها فى المدة مابين ٧١٠ ــ ٩٦١هـ ، ثم جاء عهد الملوك المغول وحكموها حتى عام ١١٣٢هـ ثم حكمها الولاة الذين يعينون من قبل حكومة أفغانستان . ثم غزا السيخ كشمير واحتلوها وفرضوا سلطانهم عليها ١٢٣٥ ــ ١٢٦٣هـ وارتكبوا فيها من الظلم والوحشية والهمجية مالا يتصوره عقل . وطرد الانكليز السيخ بعد أن أحكموا قبضتهم على كشمير ، وباعوا الإمارة لأحد الحكام الإقطاعيين من عائلة « الدونجرا » وهى فرع من قبيلة الراجبوت . ومنذ ذلك الوقت يتعرض السكان لأسوأ حالات الاضطهاد والتعذيب والاستبداد من قبل حكامهم الهندوكيين ، فقاموا بثورات عديدة ضد حكامهم إلا أنهم كانوا يلاقون العذاب والإرهاب والقتل الجماعي والبؤس والفقر .

وعندما أعلن عن تقسيم الهند كان المهراجا هارى سنغ يريد الانضمام إلى الهند ، بينما الشعب يريد الانضمام إلى باكستان ، ولم تستطع الهند ضمها بالقوات ، كما فعلت مع الإمارات الأخرى فى حيدر أباد وجوناكدا . فقامت الاضطرابات بعد أن أعلن المهراجا فى عام ١٣٦٦هـ الالتحاق بالهند وأعلنت الهند عن إرسال قوة لحماية كشمير . واستولى المسلمون بقيادة محمد إبراهيم على أجزاء من كشمير ، وتألفت حكومة كشمير الحرة (أزاد كشمير) وتألف الجيش الكشميرى ، وساندتهم باكستان ، وبقى قسم من البلاد تحت سيطرة الجيش الهندى . ورفعت القضية إلى هيئة الأمم عام ١٣٦٧هـ والتى أصدرت نداء إلى كل من الهند وباكستان بتصفية الجو بينهما . ولكن الهند لم تستجب للنداء المذكور بل أرسلت قوات كبيرة إلى كشمير ، وفعلت مثلها الباكستان واستمر القتال بين الجانبين فعقد مجلس الأمن اجتماعا ، وأوصى بوقف القتال وتجريد الإمارة من

السلاح وإجراء استفتاء حر محايد تحت إشراف الأمم المتحدة . وعلى ذلك ، توقف القتال فى أواخر عام ١٣٦٨هـ وتعين كذلك خط وقف إطلاق النار . ورفضت الهند محاولات التوفيق جميعها ، والتي أوصت بها هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، ولم توافق على إجراء استفتاء لتأكدها من أن ذلك سيكون إلى جانب باكستان ، لأن الشعب المسلم فى كشمير يريد ذلك ، وفي ذلك مصلحة اقتصادية إضافية إلى الجانب الأساسي وهو العقيدة ، إذ أن صادرات كشمير إنما تصدر عن طريق باكستان ، وهي الطريق الوحيدة كذلك . وظلت تماطل وتسوف حتى الآن . كما بقيت منطقة كشمير إحدى مناطق التوتر بين الدولتين فقد انفجر النزاع العسكرى بينهما فجأة فى عام ١٣٨٥هـ إلى أن تدخلت هيئة الأمم وأوقفت النزاع . ولازالت هذه المشكلة حتى الآن بدون حل .

بانجلاديش :

يحدها من الشرق بورما والهند ، ومن الغرب والشمال الهند أيضا، ومن الجنوب خليج البنغال ، ويبلغ عدد سكانها ٨٥ مليون نسمة منهم ٨٥٪ مسلمون ، وهناك أقل من ١٥٪ من الهندوكيين ، ومليون بوذى ، وقلة قليلة من النصارى . واللغة الرسمية هى البنغالية وتنتشر أيضا كل من اللغتين الأوردية والانكليزية .

وكان هذا الاقليم فى العصور القديمة بمثابة ملجأ ومأوى للفارين ، وخاصة البوذيين الذين كانوا يفرون من اضطهاد الهنادكة . عام ١٢٧٤هـ — ١٨٥٧م ، وقاد كفاح المسلمين من أجل التحرير حزب مسلمي جميع الهند « الرابطة الإسلامية » الذى عقد أول اجتماع له فى دكا سنة ١٣٢٤هـ ، ونادى هذا الحزب فى عام ١٣٥٩هـ بتكوين حكومات إسلامية فى المناطق التى يعد فيها المسلمون أغلبية ، لكن قادة المسلمين غيروا هذا الرأى واتفقوا على إقامة دولة موحدة تضم الشطرين . وفى عام ١٣٦٦هـ أنشئت دولة باكستان بشطريها الغربى والشرقي ثم انفصل الشطر الشرق وعرف باسم بانغلاديش .

وترى بانغلاديش أنه كان على باكستان أن تقوم بتحويل الاقتصاد الاستعمارى إلى اقتصاد وطني ، وكانت باكستان الغربية تنتج القطن ، ولكن مصانع النسيج كانت قرب بومباى فى الهند ، وكانت باكستان الشرقية تنتج الجوت بينما مصانع الجوت قرب كلكتا وتتبع الهند . وكانت جميع الصناعات الثقيلة فى الهند . وتحت ضغط هذه الصعوبات بدأت باكستان جهودها من أجل بناء اقتصادها .

على أن باكستان الشرقية لم تمنح نصيبها من الإدارة والتقدم الاقتصادى لباكستان وكانت هناك نداءات حالية لتصحيح هذا الوضع ، وقامت اضطرابات عديدة فى باكستان الشرقية أسفرت عن استقالة محمد أيوب خان وتسليم السلطة إلى الجنرال يحيى خان فى عام ١٣٨٩هـ ، الذى اتبع أسلوبا خاطئا فى معالجة الأزمة ، ومواجهة العاصفة فى باكستان الشرقية ، وترتب على جموده وموقفه الخاطىء أن انفصلت باكستان الشرقية باسم بانغلاديش .

وفى عام ١٣٩٣هـ صدر دستور جديد للبلاد وبموجبه أجريت الانتخابات وفاز حزب عوامي بعدد ٢٩٢ من ٣٠٠ مقعد وصار بذلك مجيب الرحمن رئيسا للوزراء وقبلت بانغلاديش بهيئة الأمم عام ١٣٩٤هـ . إلا أن حكم مجيب الرحمن لم يطل إذ قام ضده انقلاب بقيادة الجنرال ضياء الرحمن فى ١٣٩٥هـ وأطاح بحكمه .

المالديف

— ٨ —

جمهورية المالديف مجموعة من الجزر تقع في المحيط الهندي إلى الجنوب الغربي من الهند وسيلان وعلى مسافة ٤٨٠كم عن الطرف الجنوبي لشبه القارة الهندية ، وعلى مسافة ٦٧٢كم من جزيرة سيلان .

وتمتد على شكل أرخبيل من الشمال إلى الجنوب مكوناً تسع عشرة مجموعة جزرية يزيد عدد جزرها على ٢٠٠٠ جزيرة ، إلا أن بعضها يغمره الماء أثناء المد ويبقى ١٠٨٧ جزيرة ظاهرة بشكل دائم ، ولايوجد غير ٢٢٠ جزيرة فقط آهلة بالسكان . وتبلغ مساحتها مجموعة ٢٩٨ كيلو متراً مربعاً ، ولايزيد عدد سكانها على ١٥٠ ألفاً ، ويتكلم سكانها اللغة المالديفية .

وصل التجار المسلمون إلى جزر المالديف عام ٨٥هـ ، وبدأ بعض الناس يدينون بالإسلام ، ولكن ظهر أثر المسلمين بشكل واضح عام ٥٤٥هـ . ووصل أحد الدعاة إلى جزر المالديف أحد الدعاة وهو أبو البركات البربري فاستطاع ـــ بإذن الله ـــ أن يكون له أثر كبير ، وأسلم الناس جميعاً حتى لم يبق في الجزر غير مسلم ، وأسلم الملك وتسمى باسم محمد بن عبد الله .

زار ابن بطوطة الجزر عام ٧٤٤ ، ولم يكن فيها غير مسلمين وفى عام ٩١٣هـ وصل البرتغاليون إلى جزر المالديف ، واستطاعوا دخولها ، وفرضوا سيطرتهم على الأهالي ، وحاولوا التأثير على عقيدة السكان ففشلوا فشلاً ذريعاً .

وأعقب الهولنديون البرتغاليين في حكم الجزر ، وحرصوا على تغيير عقيدة السكان ، ولم يحصلوا على أية نتيجة بل وجدوا مقاومة صلبة من السكان ، وفيها تحدٍ واضح . وأصبحت المالديف تدار من قبل حكومة سيلان .

وجاء الانكليز إلى الجزر عام ١٢١١ ، وحلوا محل الهولنديين ، ثم عدّوا المالديف في عام ١٣٠٥ محمية بريطانيةً .

وفي عام ١٣٥٠هـ منح سلطان المالديف شعبه دستوراً . وبعد مدة وفي عام ١٣٦٧ استقلت سيلان فوضعت المالديف تحت حماية التاج البريطاني مباشرة .

وفي عام ١٣٧٣هـ أعلنت الجمهورية ، وعين محمد أمين ديدي رئيساً للجمهورية ، غير أنه لم يلبث أن رجع الحكم إلى السلطنة وعين السلطان محمد فريد ديدي سلطاناً على البلاد ، وهو عم رئيس الجمهورية محمد أمين ديدي . كما اختير ابراهيم ناصر رئيساً للوزراء .

وتعهدت بريطانيا عام ١٣٨٠هـ بدعم جزر المالديف مادياً ، وبعد خمسة أعوام جرت اتفاقية بين بريطانيا والمالديف تأكيداً لاتفاقية عام ١٣٧٦هـ واحتفظت بريطانيا بموجبها بقاعدة جوية في جزيرة (جان) بمقاطعة (أصول) . وقد جرى جدل عنيف حول هذه الاتفاقية ثم وقعت في كولومبو عاصمة (سيرى لانكا) ، وحصلت الجزر على الاستقلال بعد هذه الاتفاقية ، كما قبلت عضوا فى الأمم المتحدة .

وفي عام ١٣٨٨ انتخب السيد ابراهيم ناصر رئيساً للجمهورية .

اتحاد ماليزيا

ــ ٩ ــ

وتشمل شبه جزيرة الملايو ، وشمال جزيرة بورنيو ، وتبلغ مساحتها ٣٣٢٫٦٣٣ كيلو متراً مربعاً ، وتتألف من ثلاث عشرة ولاية . إحدى عشرة منها في شبه جزيرة الملايو وهي : ١ ــ كيلانتان . ٢ ــ جوهور . ٣ ــ باهانغ . ٤ ــ سيلانغور .

٥ ــ بيرق . ٦ ــ قدح . ٧ ــ مالاقا . ٨ ــ بينانغ . ٩ ــ نيغري سيمبلان .
١٠ ــ ترينغانو . ١١ ــ بيرليز .

واثنتان في شمال بورنيو وهي : ١ ــ سراواك . ٢ ــ صباح .

واتحاد ماليزيا مملكة ، ينتخب الملك لمدة خمس سنوات عن طريق مؤتمر الحكام الذي يتألف من رؤساء الولايات . ولهذا المؤتمر سلطة استشارية .

انتشر الإسلام في ماليزيا عن طريق التجارة ، وفي عام ٦٧٥هـ أسلم ملك مالاقا وتسمى باسم سلطان محمد شاه وتبعه رعاياه . وخلفه بالحكم ابنه مظفر شاه . ومن مالاقا انتشر الاسلام إلى باقي الجهات .

وصل البرتغاليون إلى مالاقا عام ٩١٧ ، وحاصروها ، وعندما سقطت بأيديهم دقت أجراس الكنائس في روما ابتهاجاً ، وعمل البرتغاليون على محاربة المسلمين والكيد لهم بكل وسيلة ملكوها . فقتلوا وفتكوا بأعداد كبيرة .

وفي ١٠٥١هـ حل الهولنديون محل البرتغاليين ، وتابعوا سياستهم في قتل المسلمين ، وملاحقتهم .

ونتيجة التنافس الاستعماري ، والاتفاقات التي تحدث بينهم لتوزيع مناطق النفوذ فقد أصبحت المنطقة ضمن نفوذ بريطانيا منذ عام ١٢٠١هـ ، واستأجرت شركة الهند الشرقية البريطانية جزيرة (بينانغ) من سلطان (قدح) ، ومع دخول الاستعمار الانكليزي اتجهت سيول من الصينيين والهنود نحو ماليزيا للعمل ، وفتحت بريطانيا لهم الطريق ، وسهلت لهم القدوم للعمل على تقليل نسبة المسلمين .

وفي عام ١٢٣٥ اتجهت بريطانيا نحو سنغافورة ، وسيطرت شركة الهند الشرقية البريطانية على سنغافورة عام ١٢٤٠ ، وحكمت بريطانيا ماليزيا من الهند ، ثم من عدن ، ولم تتدخل في بداية الأمر في شؤون السلطنات الداخلية .

وفي عام ١٢٩١ غيّرت بريطانيا سياستها فدخلت في مفاوضات مع سلطان بيرق هدفها أن يتلقى السلطان نصائح المقيم البريطاني في كل الشؤون باستثناء تلك التي تتصل بالدين الإسلامي وبالعادات الملايوية ، وقبل بعد ذلك سلطان (سيلانغور) أن يستقبل مقيماً عاماً بريطانياً عنده ، وكذلك قبل كل من سلطان (باهانغ) و (ونغري سيمبلان) ،

وفي عام ١٣٠٣ دخلت هذه الولايات الأربع في اتحاد يديره كله مقيم بريطاني ، ثم قبل سلطان (جوهور) معاهدة حماية بريطاية في السنة نفسها .

وفي عام ١٣٢٦ وافقت تايلاند بموجب اتفاق مع بريطانيا على أن تتنازل لها عن (كيلانتان) و(ترينغانو) و(بيرليز) و(قدح) والتي قبلت كل منها مقيماً بريطانياً عاماً ولكنها رفضت الانضمام إلى الاتحاد . كما رفضت جميع هذه الولايات الانضمام إلى الممتلكات البريطانية ، وظلت السيادة في يد سلاطينها ، وتحكم من قبل الاداريين في مستعمرة (اتفاقيات المضايق) ، وكان المندوب السامي البريطاني في الملايو حاكماً لمستعمرة اتفاقيات المضايق .

أما بالنسبة إلى شمالي جزيرة بورنيو ، فقد كان يتبع سلطان بورني ، وفي عام ١٣٠٠هـ تأسست الشركة البريطانية لشمالي بورنيو ، ولم يأت عام ١٣٠٦هـ إلا وكان الوجود البريطاني قد امتد على ساراواك ، وبروني ، وصباح وغدت محميات بريطانية .

وتطورت البلاد بعد افتتاح قناة السويس ، وإدخال زراعة المطاط ، ومد السكك الحديدية ، ووجود مناجم القصدير ، ولكن هذا قد رافقه تدفق المهاجرين الصينيين والهنود .

وفي عام ١٣٦٠هـ اجتاحت اليابان الملايو ، وشمال بورنيو ، وسنغافورة ، واضطر اليابانيون أن يخلوا المنطقة قبل أن تضع الحرب العالمية أوزارها ، ولما عاد البريطانيون إلى الملايو اقترحوا أن يقوم اتحاد بين المحميات البريطانية التسع في الملايو . ونشأت منظمة الملايو الوطنية المتحدة للإعداد لهذا المشروع .

وفي عام ١٣٦٧هـ تأسس اتحاد الملايو ، وتمتعت كل ولاية بحكمها الذاتي ، ولكن تحت إشراف حكومة مركزية ، وظل الحكام يتمتعون بسيادتهم في الإمارات المختلفة عدا (مالاقا) و(بينانغ) اللتين بقيتا مستعمرتين بريطانيتين . وفي هذه الأثناء منحت أعداد من الصينيين جنسية البلاد .

ودخلت (سراواك) ضمن مستعمرات التاج البريطاني عام ١٣٦٥هـ وقد رأى (الراجا) الذى عاد إلى المنطقة ذلك لمصلحته بسبب غنى المنطقة ، وكذلك كانت شمالي بورنيو مستعمرة بريطانية .

وفي عام ١٣٧٥هـ صدر دستور للبلاد ، وأجريت الانتخابات ، وتألفت جبهة ائتلافية برئاسة تنكو عبد الرحمن وتضم منظمة الملايو الوطنية المتحدة ، والجماعة الملايوية الصينية ، ومؤتمر الملايويين الهنود ، وحصلت في الانتخابات على ٥١ مقعداً من أصل ٥٢ مقعداً .

وفي مؤتمر لندن عام ١٣٧٦هـ تقرر استقلال اتحاد الملايو الذاتي في الشؤون الداخلية ، وبعد عام تم الاستقلال الذاتي ضمن رابطة الشعوب البريطانية ، وفي الوقت نفسه فقد حصلت سنغافورة على الاستقلال الذاتي .

وحصل قتال في سنغافورة عام ١٣٨٠هـ فأعلنت حالة الطوارىء . وفي عام ١٣٨٢ جرت مفاوضات ليقوم اتحاد بين الملايو ، وسنغافورة ، وشمال بورنيو ، وقد تم فعلاً عام ١٣٨٣هـ إلا أن (بروني) رغبت في البقاء وحدها . غير أن هذا الاتحاد الذي أطلق عليه اتحاد ماليزيا قد لقي معارضة شديدة وخاصة من أندونيسيا التي ترى أن شمالي بورنيو ليس إلا جزءاً من جزيرة بورنيو الكبيرة والتي هي قطعة من أندونيسيا . ومن الفلبين التي ترى من جهتها أن شمالي بورنيو كان دولة واحدة من جزر صولو التي هي جزء منها . ولكن اعترفت الدولتان بالأمر الواقع مع مرور الزمن .

وفي عام ١٣٨٥ خرجت سنغافورة من دولة الاتحاد .

أندونيسيا

— ١٠ —

أندونيسيا من أكبر الدول الإسلامية فى آسيا ، إذ يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٣١ مليون نسمة ، أكثر من ٩٢٪ منهم يعتنقون الإسلام ، وعدة ملايين يعتنقون النصرانية وباق السكان يدينون بديانات مختلفة كالبوذية والكنفوشية والهندوسية . وهي تمثل بذلك أكبر تجمع للمسلمين فى العالم الإسلامي ، ورغم بعد هذه البلاد عن العالم العربي إلا أنها تحاول على الدوام أن تكون قريبة الصلة به . وقد أسهم الإسلام بدور كبير فى تكوين هذه الدولة وتوحيدها والإبقاء على كيانها . وكان الإسلام قد انتشر فيها عن طريق التجار العرب والأندونيسيين على السواء ، لاسيما فى عهد هارون الرشيد حيث

كان التجار من الجانبين يلتقون فى موانيء الخليج العربي لتبادل التجارة . وحلّ الإسلام محل البوذية والوثنية .

ويطلق اسم أندونيسيا على مجموعة الجزر الواقعة فى جنوب شرق آسيا والتى تضم سومطرة ، وجاوة ، وبورنيو ، وسيليبس ، وتيمور ، وجزائر المولوك ، وغينيا الجديدة ، وشبه جزيرة الملايو ، وبعض الجزر الأخرى المبعثرة . وقد أطلق على مجموعة الجزر هذه أسماء متعددة فسميت باسم جزر الملايو ، وباسم جزر الهند الشرقية وغيرها ، وأطلق عليها العرب اسم جاوه ، ومازالوا حتى اليوم يحتفظون بتلك التسمية .

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري أخذ اسم أندونيسيا يغلب على ماعداه من الأسماء ، ومعناه جزر الهند لأن كلمة أندونيسيا تتكون من جزءين هما : أندو ومعناها الهند ونيسيا ومعناها الجزر . ويطلق هذا الاسم حاليا على مجموعة الجزر التى كانت خاضعة لحكم هولندا ، ولكن اسم أندونيسيا من الناحية الجغرافية يشمل أيضا جزر الفلبين التى كانت تابعة للولايات المتحدة الأمريكية .

وبإمكاننا إدراك أهمية تلك الجزر فى جنوب شرق آسيا إذا ماعرفنا أن مساحتها تبلغ ٤١٩ر٣٧١ر٢ كم² أى مايعادل ٦٨ مرة مساحة هولندا التي كانت تستعمرها . ولكن هذه المساحة من الأرض ليست متصلة ، بل هي عبارة عن جزر يفصل بعضها عن بعض بحار داخلية ، تتناثر طولا فى منطقة شاسعة تبلغ ٤٦٠٠ كم² أى مايساوى المسافة بين شواطىء الخليج العربي شرقا ، وسواحل البرتغال غربا ، وعرضا فى مسافة ٢٠٠٠ كم² .

وتنقسم تلك الجزر إلى ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولى : وتتكون من جزيرة سومطرة ، وجاوة ، وبورنيو ، وسيليبس ، وتسمى « صوندا الكبرى » .

المجموعة الثانية : وهي مجموعة الجزر الصغرى التى تقع بين جزيرة غينيا الجديدة شرقا وجزيرة جاوة غربا وتسمى « صوندا الصغرى » .

المجموعة الثالثة : تقع بين سيليبس غربا وغينيا الجديدة شرقا ، وتسمى جزر المولوك أو البهارات التى ورد ذكرها كثيرا فى كتب التاريخ .

فهذه الجزر إذن تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز ، وبموارد أولية ضخمة ، وبعدد كبير من السكان يمكن استخدامه فى استغلال موارد الأرض لصالح الصناعات الأوربية . كما أن هذا العدد من السكان يستهلك كميات ضخمة من المصنوعات الأوربية ، أى أن أندونيسيا ستكون سوقا رائجة لتلك المصنوعات . فلا عجب إذا مابدأ التنافس الاستعمارى البرتغالى ، والهولندى ، والانكليزي ، والأسباني ، والأمريكي .

التنافس الاستعمارى والاستعمار الهولندى :

عرفت أندونيسيا الوحدة السياسية منذ القرن الثاني قبل الهجرة حتى القرن السابع تحت حكم امبراطورية (سورى ويجايا) . وبعد سقوط تلك الامبراطورية فى أواخر القرن السابع قامت على أنقاضها امبراطورية أخرى هى امبراطورية (ماجا فاهيت ٧٩٦ ــ ٨٨٣هـ) واستطاعت تلك الامبراطورية أن توحد جزيرة جاوة ، وجزر صوندا الصغرى ، وجزيرة سيليبس ، وجزر البهارات ، وبورنيو ، وشبه جزيرة الملايو ، وجزيرة سنغافورة ، وسومطرة تحت حكمها ، وأن تسيطر على تجارة تلك المنطقة سواء بينها وبين الصين ، أو بينها وبين التجار الهنود الذين يقومون بتسليمها للتجار العرب فى الخليج العربي حيث تتركز فى مدينة بغداد ، ومنها تسير فى طريقين : أحدهما يمر بتركيا إلى أوروبا ، وقد توقفت التجارة عن هذا الطريق بعد فتح القسطنطينية علي أيدى العثمانيين عام ٨٥٧هـ ، والطريق الأخرى تمر بمصر ومنها إلى أوروبا .

وعلى العموم ، فقد كان لانتشار الإسلام أثره العميق فى قيام ممالك أندونيسية متعددة فى تلك الجزر ، مثل مملكة بنتام التى أسسها الملك حسن الدين فى جاوة الغربية ، ومملكة متارام التى أقامها رجل عسكرى يدعى « سنافاني » فى شرق جاوة . وبذلك أصبحت جزيرة جاوة مركزا إشعاع للدين الإسلامي ، وانتقل منها إلى غيرها من الجزر . ومملكة آتشيه فى شمال سومطرة ، ومملكة ديماك فى وسط جاوة والتى أقامها رمضان فاطمى عام ٨٣٢هـ . ومملكة بالبانغ فى جنوبي سومطرة . وبانتشار الممالك الإسلامية قضي على امبراطورية ماجا فاهيت وانتهى حكم الهنود فى تاريخ أندونيسيا .

وفى الوقت الذى بدأ المسلمون يثبتون أقدامهم فى أندونيسيا كانت مخالب الأوربيين من جهة ثانية تنشب فيها لتجد لها مركزا ثابتا مستقرا ، وذلك لحقدهم الصليبي الذي أخذ المظهر الاقتصادى بحاجتهم إلى البهارات المرتفعة الثمن فى أوربا . وقد شجعهم على ذلك ماركو بولو (٦٥٢ ــ ٧٢٤هـ) الرحالة الإيطالي الذى غادر البندقية فى عام

٦٩٣هـ متجها إلى الصين ، ونزل بسومطرة بعض الوقت ، وعندما علمت دول أوربا بأنباء رحلته هذه وما شاهده من كنوز الشرق ومنتجاته أخذت تتطلع إلى اليوم الذى تحتكر فيه تجارة الشرق بعد انتزاعها من أيدى العرب ، وتضرب الإسلام هناك كمرحلة من مراحل عملها الصليبي .

وكانت البرتغال أولى الدول الأوروبية التى شقت طريقها فى ميدان الاستعمار ، وذلك إثر خروج المسلمين من الأندلس ، فاتجهت البرتغال إلى الشرق عن طريق رحلاتها الاستكشافية للوصول إلى الهند بدءا برحلة هنرى الملاح ومرورا برحلة بارثلميوديار الذى استطاع الوصول إلى رأس الرجاء الصالح (جنوبي أفريقية) ووصولا بفاسكودى غاما الذى وصل إلى الهند عام ٩٠٤هـ واتخذ البرتغاليون جوا على الساحل الغربى للهند عاصمة لهم . وتمكنوا من توطيد نفوذهم فى الهند وخصوصا فى أيام الحاكم البرتغالي الفونسو البوكيرك ٨٥٧ ـــ ٩٢١هـ ، وأن يسيطروا على التجارة فى غربي المحيط الهندى ، وتطلعوا إلى الجزء الشرقى حيث توجد جزر الهند الشرقية .

وقد نشبت معارك شديدة بين الأندونيسيين المسلمين من ناحية وبين البرتغاليين من ناحية أخرى . وقد اتخذت تلك الحرب شكل الحروب الصليبية ، وذلك نظرا لقرب عهد البرتغاليين بمحاربة المسلمين والقضاء عليهم فى الأندلس ، بل لقد كان من أهم الدوافع التى حدت بالبرتغاليين إلى القيام بالحركة الكشفية ـــ على رأيهم ـــ هو ضرب اقتصاديات المسلمين والسيطرة على تجارتهم ومحاولة نشر الدين النصراني بالتعاون مع الأحباش ، ولذا فان المقاومة ضدهم كانت عنيفة من قبل المسلمين ، وبالعكس فان البرتغاليين الحاقدين على الإسلام والمسلمين استخدموا كافة وسائل الإرهاب والقمع الوحشى ضد المسلمين ، ومنها إعدام دفعات متتالية من الأهالي وبناء حصن بحجارة انتزعوها من قبور المسلمين .

توالت حملات البرتغاليين على الصين وسيام وجزر المولوك أو البهارات بهدف الاستيلاء على البهارات (التوابل) واحتكارها لصالحهم وحدهم . كما أرسلوا البعوث التبشيرية النصرانية إلى تلك الجزر للعمل على نشر النصرانية فيها . واستطاعوا بالفعل أن يدخلوا عددا قليلا من سكان أندونيسيا فى ديانتهم ، واتخذوهم أتباعا لهم ومؤيدين لسياستهم الاستعمارية فى تلك البلاد .

ومنذ ذلك الوقت كثر سفر التجار الأوربيين إلى أندونيسيا والتعامل مع تجارها مباشرة دون وساطة التجار العرب ، ليحققوا بذلك أكبر قدر من الربح من جهة ، ولإضعاف العرب من جهة أخرى .

وعلى الرغم من تعدد الممالك الإسلامية فى أندونيسيا وعدم توحيد قواها أمام الغزو البرتغالي ، إلا أن المسلمين قد قاموا بثورات ضد البرتغاليين وقاموا بحركات ضد النصرانية ، وخاصة بعد أن قتل أحد ملوك أندونيسيا غدرا عام ٩٧٨هـ وهو هارون سلطان « ترنات » الذى كانت سلطته تمتد حتى الفلبين . وظل البرتغاليون يحتكرون نقل تجارة التوابل إلى أوروبا حتى عام ٩٨٨هـ حيث استولت أسبانيا على البرتغال ، فآلت إليها البرتغال بكل مالها من ممتلكات . وبذلك أصبحت أسبانيا الدولة المسؤولة عن البرتغال وعن ممتلكاتها إزاء أى عدوان يقع عليها من دولة أخرى . كما أن أسبانيا لم تستطع أن تحل محلها حيث أن الأسطول الأسباني قد تحطم عام ٩٩٧هـ فى معركة الأرمادا البحرية مع انكلترا ، وهذا ماهيأ الجو لدول أخرى أن تتقدم ، فأسرعت هولندا التى كانت فى حرب مع الأسبان — سادتها وحكامها السابقون — وتحررت من حكمهم وحصلت على استقلالها ، فلم تعد تخشى أسطولهم ، فأصبحت سفنها تتنقل فى تلك البحار دون خوف من منازع قوى .

جاء الهولنديون إلى أندونيسيا كمستعمرين ، ولكن استعمارهم كان ذا صفة تجارية صرفة فوصلوا إلى سومطرة وجاوة فى عام ١٠٠٥هـ واصطدم الأهالى معهم ، غير أن الأهالى خدعوا بهم واعتبروهم منقذين لهم من البرتغاليين ، وحاول الهولنديون بطرق مخادعة كسب ود الشعب وعطفه فأقاموا معه العلاقات الودية وأزالوا من مخيلته الصورة البشعة للبرتغاليين ، مما دفع الأندونيسيين إلى الاعتقاد بأن القادمين الجدد حلفاء لهم أمام البرتغال فرحبوا بهم . ولذا فإنهم (الأندونيسيين) قد عقدوا معاهدة تحالف مع الهولنديين فى عام ١٠٠٩هـ فى جزيرة (أمبونيا) ، وتنص على منح الهولنديين حق إقامة الحصون للدفاع عن الجزيرة ، مقابل احتكارهم لتجارة البهارات ، وقد سارت هولندا على سياسة عقد المعاهدات بين الملوك والسلاطين من حين لآخر توطيدا لنفوذها وسيطرتها على هذه الجزر .

وترتب على عقد تلك المعاهدات قيام عددٍ من الشركات الهولندية لاستغلال موارد الثروة فى البلاد ، فساد التنافس بين ممثليها بشكل حاد أدى إلى الاضرار بمصلحة الهولنديين ، فقامت الحكومة الهولندية بتوحيد هذه الشركات فى شركة واحدة هى

شركة الهند الشرقية الهولندية ١٠١١هـ . وعينت هولندا المستر كون رئيسا وحاكما عاما لجميع وكلاء الشركة فى أندونيسيا . وبدأت هولندا تقيم الحصون والقلاع . واتخذت الشركة من مدينة بتافيا « جاكرتا » حاليا مقرا لها .

بدأت المنافسة بين انكلترا وهولندا فى أندونيسيا منذ عام ١٠٢٨هـ ، وانتصر الانكليز على (كون) رئيس الشركة بمساعدة الأهالي ، وفر المذكور إلى جزر المولوك . ولكن حصون بتافيا صمدت ولم يستطيعوا الاستيلاء عليها . كما دخل الهولنديون فى حروب مع حكام الجزر الأندونيسية الواحد تلو الآخر إلى أن تمكنوا من توطيد سلطتهم فى أندونيسيا . ومع ذلك فان المنافسة بين انكلترا وهولندا قد بقيت فى حين أن الحرب قد انتهت بين الطرفين على أساس إرغام هولندا على إلغاء احتكارها التجارى فى أندونيسيا والهند ، فتضاعفت بذلك خسائر شركة الهند الشرقية الهولندية وبلغت عام ١٢٠٦هـ مبلغ ٩٦ مليون روبية . وفقدت الشركة سلطانها التجارى ، وتحولت إلى السياسة والحكم ، وزادت خسارة الشركة وزادت ديونها إلى أن انتهت بصفة نهائية فى عام ١٢١٤هـ وحلت الحكومة الهولندية محلها في تسيير أمور البلاد

ومنذ ذلك الوقت أخذت الحكومة الهولندية تستعمر أندونيسيا ، وتسير على السياسة التعسفية نفسها والتى سارت عليها الشركة فى حكمها لتلك البلاد . واتبع الهولنديون نظام الحكم غير المباشر ليسهل لهم السيطرة على هذه المساحات الواسعة فكانوا ينصّبون الأمراء والزعماء المحليين بحكم الأهالي ، ويعرضونهم لسخط المواطنين وتذمرهم ، وأدخلت هولندا بعض المحاصيل الجديدة إلى أندونيسيا وأجبرت الأهالي على زراعتها ، وتسليم محصولها إلى السلطات الحاكمة بالثمن الذى تحدده ، كما استنزفوا ثروات البلاد وخيراتها .

وفى خلال الحروب النابليونية التى اجتاحت أوروبا فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى استولت قوات نابليون على هولندا ، وحاولت أن تمد نشاطها خارج حدود أوربا ، للاستيلاء على ممتلكات هولندا فى أندونيسيا فى عام ١٢٢٦هـ ، ولكن بريطانيا سبقتها إليها فى تلك السنة . فدخلت فى حوزتها جزيرة جاوة ، وجزيرة تيمور ، وماكاسار فى سيليبس ، وجنوبي سومطرة ، وتم هذا الاحتلال بواسطة شركة الهند الشرقية الانكليزية . وفى ظل الحكم الانكليزي المؤقت تمتعت أندونيسيا بشىء من الحرية فى إدارة شؤونها وفى استغلال مواردها .

وبانهزام نابليون وبعودة استقلال هولندا مرة ثانية ، تعود ممتلكاتها فى أندونيسيا إليها ، بموجب اتفاق بينها وبين بريطانيا عقد عام ١٢٢٩هـ ، تخلت بموجبه هولندا عن سيلان والكاب فى جنوب أفريقية ، وبعض جزر الهند الشرقية ، وجزر الهند الغربية وذلك مقابل محافظة الانكليز على ممتلكاتها فى أندونيسيا خلال حروب نابليون . ورفع الهولنديون رايتهم من جديد فوق بتافيا . كما استولت بريطانيا على جزيرة سنغافورة وذلك لمركزها الاستراتيجي الممتاز فى منطقة الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا . وبذلك سيطرت بريطانيا على سنغافورة والملايو واحتجت هولندا على ذلك إلا أنها عادت فوافقت بعد أن تنازل الانكليز عن قطعة من الأرض غربى سومطرة لهولندا بموجب اتفاق جديد عقد بينهما عام ١٢٤٠هـ ، وتعهد الطرفان فيه باحترام حدود مستعمراتهما . وبهذا ينتهى التنافس التجارى والسياسي بين الدولتين فى الشرق الأقصى .

ونتيجة للحروب المتعددة التى خاضتها هولندا فى القارة الأوربية وفى أندونيسيا ، تراكمت الديون على الحكومة الهولندية ، فزادت الضرائب على الأندونيسيين ، وأجبرت الأهالي على زراعة محاصيل معينة تحتاجها السوق العالمية تنفيذا لسياسة التوجيه الاقتصادي التي اتبعتها هولندا فثار الشعب الأندونيسي وقاوم المستعمر . كما أخذت هولندا منذ عام ١٢٦٥هـ تحكم أندونيسيا عن طريق وزير المستعمرات ، وترى أن مهمة أندونيسيا هى العمل على رفاهية الشعب الهولندى . وقد مر تطور النفوذ الهولندى فى أندونيسيا بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى ١٢٣٢ — ١٢٦٧هـ وهى مرحلة البناء والتشييد ، ففى خلالها خاضت هولندا حروبا ضد بريطانيا وبلجيكا ، وضد الأندونيسيين (الأمير ديبونيجبرو) فارتبكت ماليتها ، واشتدت حاجتها إلى المال ، وبالتالى إلى فرض ضرائب باهظة على السكان الأندونيسيين . ولهذا فقد اقتصرت مهمة السلطات الهولندية الحاكمة فى تلك المدة على توطيد نفوذها السياسي والاقتصادي فى جزيرة جاوة ، ولم تهتم كثيرا بالجزر الأخرى إلا إذا سنحت الظروف بذلك .

المرحلة الثانية ١٢٦٧ — ١٣٢٢هـ وفى خلال تلك المدة بدأت الأوضاع تستقر بالنسبة للهولنديين في جزيرة جاوة ، فبدأوا يتطلعون إلى توسيع ملكهم ، فحدثت بينهم وبين مملكة آتشيه فى شمالي سومطرة حرب مقدسة كبدتهم خسائر كبيرة فى الأموال والأنفس .

س**المرحلة الثالثة** ١٣٢٢ — ١٣٣٣هـ وفى هذه المدة بلغ النفوذ الهولندى أوج قوته ،

فاستطاعت هولندا أن تخضع معظم ملوك أندونيسيا لسلطانها ، إما بطريق الحرب أو بطريق الخدعة . ولكنها لم تحاول أن تظهر للشعب الأندونيسي بوجهها الاستعمارى البغيض ، فحكمت البلاد عن طريق حكامها وسلاطينها القدامى ، مع الاحتفاظ لهم بما كانوا يتمتعون به من أبهة وجاه .

أندونيسيا خلال الحرب العالمية الأولى :

كانت الأوضاع الاقتصادية فى أندونيسيا تتجه نحو حرية التجارة التى أخذت بها هولندا منذ عام ١٢٨٧هـ ، ولكنها فى الوقت نفسه احتفظت لنفسها بإدارة المزارع الكبيرة والإشراف على استغلال المناجم وشؤون المواصلات . ولكن الانقلاب الصناعي قد أحدث تغييرا كبيرا فى اقتصاد أندونيسيا لأن الدول الصناعية بدأت تتكالب على ضمان الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة ، فكانت أندونيسيا ميدانا خصبا لتنافس الدول الصناعية .

وقد شجعت هولندا الشركات ورؤوس الأموال الأجنبية على استثمار أموالها فى أندونيسيا ، باذلة لها كل عون ومساعدة بهدف ضمان مساندة الدول الأوربية والأمريكية لها فى استعمار أندونيسيا . وبفضل تلك السياسة الاقتصادية الجديدة ، ازدادت هجرة الأوروبيين والآسيويين إلى أندونيسيا ، وتضاعف نشاطهم الاقتصادى لاستغلال موارد البلاد . وفى خضم هذا النشاط الأجنبى فى أندونيسيا ، أخذ الأندونيسيون يشقون طريقهم بخطوات ثابتة نحو حياة اجتماعية ودينية وسياسية ، ونتيجة لذلك ساءت أحوال الشعب الأندونيسي بسبب امتلاك الأجانب للشركات والأراضي والمراكز الرئيسية فى الدولة ، ولم يبق للأندونيسيين إلا الاشتغال كأجراء بأجر زهيد .

وخلال الحرب العالمية الأولى أصبحت أندونيسيا مركزاً لتموين الأطراف المتحاربة (دول الوفاق والوسط) وذلك نظرا لوقوف هولندا على الحياد بين الكتلتين المتنازعتين فقد استفادت هولندا من هذا الوضع على حساب الشعب الأندونيسي الذى كان فى حاجة ماسة إلى المواد الغذائية الضرورية والتى كانت تباع للمتحاربين . ونتيجة لذلك تعرض الأهالى للمجاعات المتكررة لعدة سنوات ، لأن الإنتاج الأندونيسي كان مخصصا للتصدير ، ولجأ الناس إلى أوراق الأشجار وجذورها يستعيضون بها عن الطعام .

وقد صبر الأندونيسيون على هذا الضيم ، على أمل تنفيذ ماوعدت به هولندا من منح أندونيسيا استقلالا داخليا فى إدارة شؤونها . ولم يعلم الأندونيسيون أن هذه الوعود

ماهى إلا بمثابة تخدير للشعوب الضعيفة لكى تهدأ وتستكين ، ريثما ينجلى الموقف . وبانتهاء الحرب العالمية الأولى ١٣٣٧هـ خيبت هولندا آمال الأندونيسيين ولم تعر مطالبهم أذنا صاغية ، كما أن مؤتمر الصلح لم يقرر شيئا بشأنهم . وازدادت أوضاع الأندونيسيين سوءا واستمر هذا الوضع طوال مدة الحكم الهولندى ولم يكن أمامهم مفر من المقاومة .

المقاومة الأندونيسية منذ الاحتلال وحتى الاستقلال :

شعر الشعب الأندونيسي باستغلال المستعمر لموارده وثرواته منذ أن وطأ أرض بلاده وأدرك أبعاد السيطرة الاستعمارية وأهدافها ضد دينه . ولم تهدأ مقاومة الشعب الأندونيسي للمستعمر منذ قدومه وحتى رحيله ، فكانت المقاومة تسكن تارة وتشتد أخرى ، ويقابل البطش والجبروت بروح مؤمنة بحق الوطن والإسلام فيزداد الشعب عنادا وإصرارا على التحرر والاستقلال .

وفى القرن الحادي عشر قاد الأمير عبد الفتاح سلطان بنتام حركة تحررية ضد المستعمر ، وجمع حوله الآلاف من الرجال الأشداء ، وكون جيشا من الفدائيين أقضَّ مضجع الاستعمار ، وبنى أسطولا قويا كما تحالف مع كل من تركيا وانكلترا للوقوف فى وجه الهولنديين . غير أن الهولنديين لجأوا إلى الخيانة ليقوضوا حركته وتمكنوا فى النهاية من القضاء على ثورته وأسره .

وبعد ذلك قاد سرياتي حركة مقاومة فى جاوة واستمرت هذه الحركة عدة سنوات وانتهت بمقتله ونفى زعماء وقادة تلك الحركة .

وفى القرن الثالث عشر قاد الأمير ديبونيجبرو أحد كبار علماء جاوة المسلمين حركة المقاومة ضد الهولنديين لتعسفهم وظلمهم للسكان ، فتطورت المقاومة إلى حرب طويلة الأمد ، بدأت فى منتصف عام ١٢٤٠هـ ، واستمرت حوالى خمس سنوات ، تكبدت هولندا خلالها خسائر فادحة من الأموال والأنفس . ويقدر عدد القتلى من الهولنديين بخمسة عشر ألفا .

ولما يئست هولندا من التغلب على الأمير لجأت إلى سلاح الخديعة ، فطالبت بالدخول فى مفاوضات معه لوضع حد لهذا النزاع بالطرق الودية ، وذلك فى سنة ١٢٤٦هـ ، ولكنها غررت به ، وقبضت عليه أثناء المفاوضات ، ونقلته إلى جزيرة سيليبس ، حيث بقى مسجونا بها إلى وفاته فى ١٢٧٢هـ .

ويعّد الأمير ديبونيجيرو من المجاهدين المسلمين الذين ضربوا أروع الأمثال فى محاربة الاستعمار الهولندى ، ومن الذين دوخوا قوات الاستعمار ، وكبدوها خسائر فادحة . وعندما فشلت قوات الاستعمار فى أن تهزمه فى ميدان الشرف والجهاد ، لجأت إلى أسلحة خسيسة لايعرفها المسلمون أو بمعنى أصح لايعرفها خلق المسلم . ولكن حركته كانت الشعلة ومنارة للأجيال من بعده ، وتحولت حركته إلى نضال عام قاده الأهالى لسنوات ، وأصبح ديبونيجيرو بعد ذلك من أعلام الكفاح فى أندونيسيا وقد أطلق اسمه على أهم شوارع العاصمة جاكرتا .

وتلا ذلك حروب جماعة بدري الإسلامية التى قادها مؤيدوها وأنصارها ، وأعلنوا الجهاد واستطاعوا الانتصار ، وأقاموا حكما يرأسه ثمانية علماء ، ومن أشهر الأبطال فيها الشيخ مصطفى سحاب ، ثم أشعلت هولندا الحرب الأهلية ، بينما أعلنت الحرب هى على جماعة بدري ، وقد استمرت هذه الحرب مدة خمسة عشر عاما ١٢٣٧ — ١٢٥٣هـ . وكان الهولنديون كعادتهم ينتصرون على الملوك المحليين لا بالقوة العسكرية وإنما بالخديعة والمكر والخيانة ، وإن كان النصر يتم أحيانا على بعض الملوك بالعنف والقوة وأفضلية السلاح .

ولعل أشهر هذه الحروب التى جرت فى غير جاوة لإحكام سيطرة هولندا على الجزر ، هى الحرب مع مملكة آتشية التى استمرت إحدى وثلاثين سنة ١٢٩٠ — ١٣٢٢هـ كبدت هولندا خسائر فادحة فى الأموال والأنفس ، لأن سكان هذه المملكة قد اعتقدوا أن بلادهم أرض حرام ، فعليهم ألا يمكنوا الهولنديين من أن يطأوها بأقدامهم ، وشنوا حربا مقدسة على الهولنديين بزعامة السلطان ابراهيم منصور شاه ، ومن أبرز أبطال المسلمين « تنكو عمر » وتعدّ تلك الحرب الضروس مثالا رائعا للنضال ضد المستعمرين الهولنديين ، ونموذجاً حياً لقوة الشعب الأندونيسي وصبره وشجاعته . وفى الوقت نفسه تزعمت الحركة الوطنية فى أندونيسيا الزعيمة الأندونيسية (رادن أجنيج كارتينى) ١٢٩٧ — ١٣٢٢هـ وهى إحدى الشخصيات النسائية الكبيرة ، وأخذت على عاتقها قيادة الحركة الوطنية لتخليص البلاد من ربقة الاستعمار ، مستغلة سوء الأحوال الداخلية ، ومايلاقيه الشعب من عنت ، ومايكابده من فقر وحاجة ، ليس لقلة موارد البلاد بل للسياسة الاستعمارية القائمة ، وأعقب ذلك انتفاضات واضطرابات متفرقة حتى عام ١٣٣٢هـ .

وكانت أندونيسيا خلال الحرب العالمية الأولى أهم مصدر لتموين تلك الحرب بأطرافها المختلفة نظرا لأن هولندا كانت تقف على الحياد ، فاستفادت الشركات الهولندية والأجنبية وجنت أرباحا ضخمة على حساب الشعب الأندونيسي ، الذى صبر وتحمل المجاعة والفقر والحاجة من أجل حصوله على الاستقلال تنفيذا لوعود هولندا الخادعة .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى فى عام ١٣٣٧هـ ، تطلع الأندونيسيون إلى هولندا لتنفيذ ماوعدت به ، ولكنها لم تعر مطالب الأندونيسيين أذنا صاغية ، شأنها فى ذلك شأن الدول المجتمعة فى مؤتمر الصلح فى باريس .

كان على أندونيسيا بعد أن وجدت أبواب مؤتمر الصلح موصدة أمامها أن تسلك طريق الجهاد ، لتحصل على الحرية والاستقلال ، فظهرت الأحزاب السياسية والجمعيات التى تبنت قضية الاستقلال ، ولعب العلماء المسلمون دورا كبيرا فيها . ومن هذه الأحزاب : حزب (بودى أوتومو) ، وحزب (شركت إسلام) ، والجمعية المحمدية التى تعد من أكبر الجمعيات الإسلامية فى العالم . وكذلك الجمعية العائشية الخاصة بالسيدات ، وجمعية باسواندان ، وحزب جاوة الفتاة ، وحزب الأمراء ، وجمعية نهضة العلماء ، والجمعية الوصلية ، وجمعية اتحاد علماء المسلمين ، وغيرها من الجمعيات والأحزاب التى بلغ عددها ٥٧ جمعية .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على تلك الأحزاب والجمعيات نجد أن الأحزاب الإسلامية تمثل نسبة لها خطرها وقوتها . ومن ثم فطابع الجهاد الإسلامي كان يصبغ كفاح الأندونيسيين من أجل التخلص من الحكم الهولندى ونيل الاستقلال .

وقد تبلورت تلك الأحزاب ، وخصوصا الأحزاب السياسية ، فى حزبين رئيسيين هما : حزب القمصان الخضراء ، وحزب القمصان الحمراء . وقد اختلفت وسائل الحزبين فى تحقيق الاستقلال .

فالحزب الأول ، وهو حزب القمصان الخضراء ، كانت سياسته تهدف إلى التعاون مع السلطات الهولندية الحاكمة للوصول إلى الاستقلال التدريجي . وبناء عليه فقد طالب هذا الحزب الحكومة الهولندية بضرورة الوفاء بتعهداتها بشأن تكوين مجلس نيابي من الأندونيسيين للاشتراك معها فى إدارة البلاد .

ولما كان من صالح الهولنديين تقوية هذا الحزب المعتدل ضد الحزب الآخر المتطرف من وجهة نظرهم ، فقد وجدوا ضرورة الاستجابة إلى مطالبه بشكل صورى يرضى

الأندونيسيين من ناحية الشكل ، والهولنديين من ناحية الجوهر والموضوع . ولذلك قامت هولندا بإنشاء « مجلس الرعية » الذى يتكون من ستين نائبا ، نصفهم من الأندونيسيين ، والنصف الآخر يشترك فيه الهولنديون بخمسة وعشرين عضوا ، والأعضاء الخمسة الباقون يمثلون مصالح الأجانب المقيمين بأندونيسيا ، وللحكومة الهولندية الحق فى تعيين رئيس المجلس ، أما باقى الأعضاء فينتخبهم الشعب بطريق غير مباشر . وهذا يعنى أن أغلبية المجلس موالية لهولندا ، هذا فضلا عن أن المجلس ليس له صفة الشرعية إذ لم تكن الحكومة الأندونيسية مسؤولة أمامه ، ولذا فان الشعب الأندونيسي قد أنكر فكرة التعاون مع الهولنديين إنكاراً تاماً .

أما الحزب الآخر وهو حزب القمصان الحمراء فكان لايؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة ، ويرى أن هذا الطريق لا يوصل إلى استقلال البلاد ، فالاستقلال الحقيقى لن يتحقق بالتعاون الذى تريده هولندا ولا بالمفاوضات .

وبقيام الثورة الروسية فى عام ١٣٣٦هـ أخذت مبادئها تتسرب إلى أندونيسيا ، وتجد صداها لدى أعضاء هذا الحزب (حزب القمصان الحمراء) ، وترتب على ذلك أن كوّن هذا الحزب حزبا جديداً أطلق عليه اسم (شركت رعيت) أى حزب الجماهير الذى سمى فيما بعد باسم « الحزب الشيوعي الأندونيسي » والذى أصبح من أقوى الأحزاب السياسية فى أندونيسيا .

كان حزب (شركت إسلام) يشترك مع حزب القمصان الخضراء فى سياسة التعاون مع الحكومة الهولندية ، ظنا منه أن تلك السياسة ستحقق ماتصبو إليه البلاد من استقلال دون إراقة دماء . ولكنه عندما وجد أن تلك التجربة فاشلة ، وأن مجلس الرعية لم يكن سوى أداة تتحكم بواسطتها هولندا فى البلاد ، سحب أعضاءه من المجلس المذكور وقرر الانضواء تحت قيادة حزب الجماهير لتوحيد جهودهما فى مقاومة الاستعمار الهولندى ، وكي لاينفرد ذلك الحزب في قيادة الشعب .

وباندماج الحزبين قويت حركة المقاومة للنفوذ الهولندى واشتعلت نار الثورة فى غربي جزيرة جاوة وفى سومطرة الغربية فى عامي ١٣٤٥هـ ــ ١٣٤٦هـ . وكادت تلك الثورة تعصف بما لهولندا من نفوذ فى أندونيسيا لولا تكاتف الشركات الأجنبية ، ومعاونتها للحكومة فى إخماد الثورة خشية ضياع مصالحها فى أندونيسيا . وبذلك تمكنت هولندا من القضاء على الثورة ، ونفت زعماء الحركة البالغ عددهم أربعة آلاف ثائر من

صفوة المثقفين الأندونيسيين إلى غينيا الجديدة (الأرض الحمراء) والتى تكثر بها المستنقعات والأوبئة الفتاكة . وحكمت هولندا بعد ذلك البلاد حكما مطلقا وقيدت الحريات واضطهدت المسلمين ، واستمر ذلك الوضع حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

وقد نتساءل عن الأسباب التى دفعت حزبا إسلاميا مثل حزب (شركت إسلام) إلى الانضمام الى الحزب الشيوعي الأندونيسي ، نقول بأن الحكومة الروسية الجديدة قد أعلنت عطفها على الدول الخاضعة للاستعمار الأجنبي وبأنها ضد الاستعمار . وفى الوقت نفسه الذى لم تكن قد انكشفت بعد المبادىء والنوايا الحقيقية للشيوعيين والذين حاولوا إخفاء آرائهم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فخطر الاحتلال الهولندى قائم بالفعل . أما خطر الشيوعيين فى ذلك الوقت فخطر محتمل حسب الرأي القائم يومذاك ــ لاسيما أن الدولة الشيوعية الجديدة فى ذلك الوقت لم تكن قوة لها خطرها . فاتفاق الحزبين إذن كان اتفاقا حول هدف واحد محدد ، ألا وهو الاستقلال ، بغض النظر عن نقاط الاختلاف الأخرى بين الحزبين .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت حالة هولندا الاقتصادية تسوء نظرا لانشغالها فى إخضاع ثورة الأندونيسيين ، وفى تعقب نشاط الشيوعيين ، فأهملت التجارة ، وتركتها فى يد الشركات الأجنبية والهولندية ، وتفرغت للحكم والسيطرة وترسيخ قواعد الاحتلال الهولندى فى أندونيسيا .

وخلال فترة مابين الحربين تعرضت أندونيسيا لأزمة اقتصادية رهيبة نتيجة منافسة الشركات الأجنبية (الأوربية واليابانية والأمريكية) والأزمة العالمية ، فتعرض الاقتصاد الأندونيسى لضربات شديدة ، وقل الاقبال على شراء المنتجات الزراعية الأندونيسية ، وتوقفت حركة التبادل التجارى ، وانحط مستوى المعيشة فى أندونيسيا تبعا لهذا الكساد التجارى ، فزادت البطالة ، وتحكمت الشركات الأجنبية فى تقدير الأجور .

وإزاء تدهور الحالة الإقتصادية فى أندونيسيا ، وانحطاط مستوى المعيشة بين السواد الأعظم من الشعب الأندونيسي أخذ أعضاء مجلس الرعية يضغطون على الحكومة الهولندية للتدخل السريع ، لمعالجة الأزمة قبل أن يستفحل ضررها ويصبح من الصعب إصلاحها . واستجابت الحكومة الهولندية خشية على زعزعة النفوذ الهولندى وانهياره ، فأخذت بسياسة التوجيه الاقتصادى وإفساح المجال أمام النشاط الأهلى ليأخذ نصيبه فى تطوير الاقتصاد الأندونيسي . وكذلك حاولت التدخل لتوزيع دخل البلاد توزيعا عادلا إلى حد ما . كما عملت على إدخال بعض الصناعات وحمايتها فى إندونيسيا .

وعلى العموم ، فقد واجهت الصناعات الوطنية عقبات متعددة من أصحاب رؤوس الأموال الأجنبية . فتوقفت بعض الصناعات الناشئة وصمد بعضها الآخر فى وجه المنافسة والمؤامرات بفضل يقظة الشعب الأندونيسي وتصميمه على كسر الاحتكار الأجنبي في شؤونهم الاقتصادية ، وتخليص البلاد من السيطرة الأجنبية على اقتصادياتها ، فالشعب الأندونيسي وكذلك الأحزاب الأندونيسية قد وجد فى تشجيع الصناعات الوطنية ومقاطعة البضائع الاجنبية نوعا من مقاومة التدخل الاجنبي . وهذا يؤكد أن الحركة الوطنية تعمل فى جميع المجالات سياسية واقتصادية واجتماعية .

ولهذا السبب نشأت الأحزاب السياسية ذات البرامج الاقتصادية ، مثل الحزب الأندونيسي الذى أنشأه الدكتور محمد حتا وكيل رئيس الجمهورية الأسبق أحمد سوكارنو . والحزب الوطني الذى أنشأه أحمد سوكارنو رئيس الجمهورية الأسبق وحزب اتحاد الشعب الأندونيسي الذى أنشأه الدكتور سوتومو . وقد عرف هذا الحزب فيما بعد باسم « حزب أندونيسيا العظمى » وكان له أيضا برنامج اقتصادى شامل ، فنادى بتكوين بنك وطنى أندونيسي لتحويل المشروعات الاقتصادية الوطنية ، وإيجاد اتحادات ونقابات لمختلف الطوائف للنهوض بمستوى الصناعة والصناع .

ولكن الحكومة الهولندية والشركات الأجنبية وقفت أمام هذه الحركة الوطنية الاقتصادية وأمام التيار الوطنى المتدفق بصفة عامة وقفة صلبة عنيدة ، فعملت على انهيار المشروعات الاقتصادية الوطنية ، وقيدت حرية الصحافة والنشر ، وفرضت رقابة شديدة على الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية وحرمت على الأهالى الاشتغال بالسياسة وعدّت ذلك جريمة كافية للزج بمرتكبها فى أعماق السجون أو النفى خارج البلاد ، وطبقت ذلك فعلا مع أحمد سوكارنو ومحمد حتا وزملائهم من السياسيين ، فنفتهم إلى جزر المولوك وغينيا الجديدة ، وظلوا فى المنفى إلى قيام الحرب العالمية الثانية ، كما استخدمت الحكومة الأندونيسية الموالية لهولندا كل الطرق التعسفية للقضاء على الحركة الوطنية .

ويرجع اهتمام هولندا والشركات الأوربية بأندونيسيا لأهميتها فى الاقتصادين الهولندى والأوربي ، إذ أن الأموال المستثمرة فى أندونيسيا بلغت عام ١٣٥٦هـ مبلغ ٣٧٠ مليون جنيه منها ٢٥٠ مليونا لهولندا و ٥٠ مليونا لبريطانيا و ٢٤ مليونا لأمريكا ، وقد زادت رؤوس الأموال هذه زيادة كبيرة وحققت أرباحا كبيرة على حساب الشعب الأندونيسي الذى لم يحصل على شيء من هذه الأرباح . وأن نظرة فاحصة للدخل الأندونيسي تكفى

لمعرفة الغبن الواقع على الأندونيسيين . فالأندونيسيون البالغة نسبتهم ٩٧٫٥٪ من عدد السكان لايتجاوز ما يحصلون عليه من دخل البلاد ١٢٫٥٪ . بينما نجد أن الهولنديين الذين لاتتجاوز نسبتهم ٠٫٥٪ من عدد السكان يتجاوز دخلهم ٦٥٪ من هذا الدخل . ويحصل الأجانب ونسبتهم ٣٪ على دخل نسبته ٢٢٫٥٪ .

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر فى الأفق ، أخذ الهولنديون يخففون من غلوائهم ، وينادون بمبدأ التعاون بينهم وبين الأندونيسيين ، لما فيه مصلحة الطرفين . وقد اشتدت المطالبة بهذا التعاون بعد أن وقعت هولندا فى قبضة الاحتلال الألمانى فى عام ١٣٥٩هـ . واستغل الأندونيسيون حاجة هولندا إلى معاونتهم فى المطالبة بمنحهم دستورا حقيقيا يحقق رغبة الشعب فى اشتراكه الفعلى بالحكم ، ولكن هولندا رفضت هذه المطالب . وبينما كانت المفاوضات الأندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك الطرفين كل بوجهة نظره ، داهم أندونيسيا الخطر الياباني — وكانت اليابان إحدى دول المحور الذى يتكون منها ومن ألمانيا وإيطاليا — واستولت على أندونيسيا عام ١٣٦١هـ ، فوقعت بذلك تحت الاحتلال الياباني .

أندونيسيا فى ظل الاحتلال الياباني :

لم يكن احتلال اليابان لأندونيسيا من قبيل المصادفة ، بل كان يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ اليابان الحديث ، وبتطورها الاقتصادى السريع فى القرن الثالث عشر الهجرى ، فاليابان كدولة بدأت تسير فى ركب الحضارة الأوربية ، وتأخذ بأسباب تلك الحضارة فى نظمها الاقتصادية والسياسية ، وتمارس سياسة التصنيع على نطاق واسع ، وجدت أن من الضرورى إيجاد مجال حيوى لها فى الدول المجاورة ، وخصوصا بعد أن ازداد عدد سكانها زيادة كبيرة لاتتحمله تلك الجزر المتناثرة وزاد إنتاجها الصناعي زيادة كبيرة .

ولهذه الأسباب أخذت اليابان تتطلع إلى الشرق الأقصى كمجال حيوى لنشاطها التجارى . وتعمل جاهدة على إغلاق الأسواق فى آسيا أمام المنتجات الأوربية متخذة شعار آسيا للأسيويين « ومنطقة الرخاء الأسيوية المشتركة » . وكانت اليابان تنظر إلى الصين كسوق عظمى للمنتجات اليابانية ، ولذا فإنها غير مرتاحة لتدخل النفوذ الأوربي فى منطقة الشرق الأقصى وخاصة الصين . ونتيجة لذلك اندلعت الحرب الصينية اليابانية بشأن كوريا فى عام ١٣١٢هـ ، ونجحت اليابان فى ضمها إلى ممتلكاتها . ثم أعقبتها

الحرب الروسية اليابانية ١٣٢٢ ـ ١٣٢٣هـ بخصوص الاستيلاء على اقليم منشوريا ، وإبعاد النفوذ الروسي عن سواحل المحيط الهادى المواجه لليابان . كما انتهزت فرصة قيام الحرب العالمية الأولى ، واستولت على جزر كارولين فى شمال المحيط الهادى . وكانت تابعة لألمانيا . وكانت تلك الخطوات تمهيداً لتوطيد نفوذها فى المنطقة إلى جانب النفوذ الأمريكي والأوربي . وفى عام ١٣٥٥هـ دخلت اليابان فى حرب مع الصين ، عدّها المؤرخون بداية للحرب العالمية الثانية . ثم أخذت تتطلع إلى أندونيسيا بعد أن ارتبطت معها بروابط تجارية واسعة . وحاولت اليابان إدخال أندونيسيا لغناها بالمواد الأولية فى مضمار الاتحاد الاقتصادى والذى أطلقت عليه اسم (منطقة الرخاء الأسيوية المشتركة) أى أن اليابان باتباعها تلك السياسة كانت تهدف إلى إبعاد النفوذ الأجنبي عن تلك المنطقة الأسيوية للعالم ، والمناداة بمبدأ آسيا للأسيويين . ورفضت بريطانيا وهولندا إدخال مستعمراتها فى الاتحاد الاقتصادى ، ولكن اليابان كانت مصرة على ذلك ولو بالقوة .

وقبل أن تلجأ اليابان إلى القوة حاولت الدخول فى مفاوضات مع السلطات الهولندية الحاكمة فى أندونيسيا ، لعقد اتفاق تجارى معها فى منتصف عام ١٣٥٩هـ ، ونجحت اليابان نتيجة لضغطها المتواصل على هولندا في إبرام اتفاقية تجارية تخول لليابان الحق في الحصول على كميات ضخمة من النفط الأندونيسي استعدادا لخوض المعركة ضد دول الغرب . وترددت هولندا في تنفيذ الاتفاقية وأخيرا امتنعت عن تنفيذها ، كما أن الأندونيسيين عارضوا التدخل الياباني ، ووجدت اليابان أن من مصلحتها الانضمام إلى دول المحور (ألمانيا وإيطاليا) وهاجمت المستعمرات التابعة لدول أوربا من أعداء المحور بمنطقة الشرق الأقصى ، واستولت عليها عنوة ، ونفذت سياستها الاقتصادية كما تشتهي . فهاجمت أسطول الحلفاء فى ميناء بيرل هاربور Pearl Harbour والقضاء عليه ١٣٦٠هـ ، واستمرت فى الزحف حتى احتلت أندونيسيا فى ١٣٦١هـ وقضت على مقاومة هولندا .

وبهذا الغزو الياباني تنطوى صفحة بغيضة من صفحات الاستعمار الهولندى لأندونيسيا ، وتبدأ صفحة أخرى جديدة لا تقل بغضا عن سابقتها استمرت حوالى ثلاث سنوات ونصف السنة ، حاولت اليابان خلالها أن توهم الشعب الأندونيسي بنواياها الطيبة نحوه بصفة خاصة والآسيويين بصفة عامة . واستغلت الشعارات التى تنادى بآسيا للآسيويين ، وبتحقيق منطقة الرخاء الأسيوى المشتركة . وفى خلال فترة

حكمها وجهت اليابان نشاط البلاد الاقتصادى نحو الشرق ، وعملت على استنزاف موارد البلاد بشكل ملحوظ فى أقصر مدة ممكنة ، كما اتبع اليابانيون سياسة الاكتفاء الاقتصادى فى كل جزء من أجزاء البلاد ، فصار كل إقليم يزرع مايحتاجه من مواد غذائية ، وبذلك استطاعت اليابان أن تنقل كميات ضخمة من تلك المنتجات إلى بلادها ، كما استخدمت الأيدى العاملة الزائدة فى الأعمال الحربية اليابانية .

وكان اليابانيون قد أظهروا فى بادىء الأمر تحمسا لفكرة استقلال أندونيسيا لكى يكسبوا ود الشعب إلى جانبهم ، وتمكنوا من بث دعاية قوية فى هذا المعنى جعلت الأندونيسيين يصدقون أن يوم استقلالهم أصبح قريبا . وبدأ عهد جديد من التعاون بينهم وبين اليابانيين ، فاستقرت الأمور فى هذه المنطقة فى وقت حاسم وحساس . وشجع اليابانيون الأندونيسيين على تكوين جمعيات ووحدات عسكرية أندونيسية تحت رعايتهم لتخليص المنطقة من الاستعمار الغربي ودحر قوته .

وكانت الخطة التى اعتمدت عليها الزعامة الأندونيسية فى تلك المرحلة هي مظاهرة اليابان فى الوقت الذى تستمر فيه الدعوة إلى الاستقلال ، كما سعت إلى التخلص من أى محاولة يابانية للسيطرة على أندونيسيا والحيلولة دون عودة الهولنديين إليها فى أى صورة من الصور ، ومع ذلك فان الغزو الياباني أدى فى النهاية إلى تخليص أندونيسيا من سيطرة هولندا .

ولما وجد الشعب الأندونيسي أن اليابان غير جادة فى منحهم الاستقلال ، وأن احتلالها وتصرفاتها لايختلف عن الاحتلال الهولندى ، إذ أن نشاطها التجارى دلّ على استغلالها البشع ، ولذا فانهم هبوا للدفاع عن استقلالهم ومقاومة الاستعمار الياباني ، وليكن جهادهم متصلا أيا كان المستعمر شرقيا أم غربيا .

وقاد زعماء البلاد حركة مقاومة سرية كما قاموا بتكوين التشكيلات السرية ضد الحكم الياباني ، كما عمل زعماء البلاد وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ومحمد حتا على إلهاب الشعور الوطنى حتى لاتخدره الوعود اليابانية ، وذلك خشية أن تقع بلادهم تحت النفوذ الياباني ، كما أسس المسلمون حزب الله بقيادة زين العارفين من جمعية نهضة العلماء واشترك جميع الأندونيسيين فى مقاومة اليابانيين . فلجأت سلطات الاحتلال اليابانية إلى القبض على هؤلاء الزعماء ومحاكمتهم ، وإعدام بعضهم ، ونفى بعضهم الآخر خارج البلاد . ثم شددت قبضتها على الشعب الأندونيسي ، وفرضت الأحكام العسكرية عليه .

وظل هذا الوضع قائما إلى هزيمة اليابان واستسلامها دون قيد أو شرط عام ١٣٦٤هـ ، بعد ضرب مدينتى هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية .

استقلال أندونيسيا والنزاع مع هولندا :

بانتهاء الحرب العالمية الثانية تقدم اليابانيون بمشروع لاستقلال أندونيسيا ، ولكن زعماء البلاد ورجالها رفضوا أن يكون استقلال بلادهم هدية أو منحة ، وكان هذا الإصرار سببا فى رضوخ اليابانيين لرغبة الزعامة الوطنية التى صدر عنها الإعلان التاريخي باستقلال أندونيسيا ، وذلك عام ١٣٦٤هـ وبعد يومين اثنين من استسلام اليابان مستندين فى إعلان استقلالهم إلى وعود الحلفاء وملكة هولندا خلال الحرب .

ثم تشكلت الجبهة الوطنية لإصدار دستور الجمهورية الأندونيسية الجديدة . وفي الوقت نفسه قامت ثورة عامة ضد قوات الاحتلال اليابانية . وفى خلال ستة أسابيع من قيام الجمهورية تمكنت الحكومة الجديدة من بسط سيطرتها على معظم أجزاء جاوة ، ومادورا ، وسومطرة ومناطق أخرى .

وبينما كان زعماء أندونيسيا يعملون على توطيد سيطرتهم على معظم أجزاء أندونيسيا ، إذ بالقوات الانكليزية والهولندية تصل إلى الشواطىء الأندونيسية لنزع القوات اليابانية المهزومة . ولكن حكومة أندونيسيا الوطنية رفضت السماح لقوات هولندا أن تطأ أقدامها أرض البلاد ، وأبدت استعدادها بأن تقوم بتسليم قوات الاحتلال اليابانية إلى الحلفاء . وحاول قائد قوات الحلفاء أن يقرب بين وجهتى نظر الأندونيسيين والهولنديين . ولكن الهولنديين رفضوا الدخول فى مفاوضات مع حكومة أندونيسيا بحجة أنها غير شرعية ، ونشأت نتيجة الاحتلال الياباني ويجب أن تعود الأوضاع فى أندونيسيا إلى ماكانت عليه قبل الاحتلال الياباني ، واجتمع ممثلو الفريقين الأندونيسي والهولندى وأجروا مفاوضات استمرت خمسة أيام ، وفشلت لتمسك كلا الفريقين بأن له وحده السيادة والسلطة فى البلاد .

وفى الوقت نفسه نزلت القوات الهولندية إلى الشواطىء الأندونيسية لإرغام الحكومة الأندونيسية على التسليم والخضوع من جديد للاحتلال الهولندى . وتواطأ الانكليز مع الهولنديين ، ودارت بين القوات الانكليزية والهولندية من جهة والقوات الأندونيسية من جهة أخرى معارك فى عدة مناطق استطاعت على أثرها قوات الدولتين المهاجمتين احتلال بعض المدن المهمة فى جزيرتى جاوة وسومطرة .

بدأت المشكلة الأندونيسية تلفت أنظار العالم وتأخذ مكانها بين المشكلات المهمة التي يجب أن يوضع حل لها عن طريق هيئة الأمم المتحدة الناشئة . وفى عام ١٣٦٥هـ طلبت جمهورية أوكرانيا السوفيتية عرض القضية على مجلس الأمن . وفي خلال عرض القضية أمام مجلس الأمن ، كانت هناك مفاوضات تجرى بين الطرفين الهولندى والأندونيسي للوصول إلى حل للمشكلة بالطرق الودية . وبعد مفاوضات شاقة توصل الجانبان إلى توقيع اتفاقية عام ١٣٦٦هـ ، وتنص على اعتراف هولندا بالجمهورية الأندونيسية على أنها حقيقة واقعة ، ولها السيطرة الفعلية على جزر جاوة ، وسومطرة ، وأن تجلو القوات الانكليزية والهولندية عن تلك الجزر بالتدريج . ونصت الاتفاقية أيضا على إيجاد تعاون بين هولندا والجمهورية الجديدة فى ادارة شؤون البلاد ، وذلك بإنشاء حكومة اتحادية عام ١٣٦٨هـ تشمل أندونيسيا كلها ، يطلق عليها اسم الولايات المتحدة الأندونيسية على أن يتكون من الولايات المتحدة الأندونيسية وهولندا اتحاد يسمى الاتحاد الهولندى الأندونيسي ، يشترك فيه الطرفان على قدم المساواة تحت التاج الهولندى . ومهمة الاتحاد هى العمل على تنمية المصالح المشتركة ، والإشراف على العلاقات الخارجية والدفاع والشؤون الاقتصادية والثقافية .

وقد صدق على هذه الاتفاقية بصفة نهائية عام ١٣٦٦هـ ، وأخطرت هيئة الأمم المتحدة بذلك . وبدأ الطرفان الهولندى والأندونيسي وضع بنودها موضع التنفيذ ، وعقدوا لذلك عدة اجتماعات . واختلف الطرفان فى تفسير عدة مسائل ، وفشلت الجهود جميعها لتنفيذ وتطبيق الاتفاق ، وذلك لعدم توافر الثقة بينهما . وترتب على ذلك قيام القوات الهولندية بمهاجمة القوات الأندونيسية للقضاء على الاتفاقية المذكورة ، وبررت عملها بحجة عجز حكومة أندونيسيا عن حفظ الأمن الداخلي فى البلاد ، وذلك من أجل استرداد نفوذها فى أندونيسيا . وتدخل مجلس الأمن وفرض وقف إطلاق النار وأوصى بالدخول فى مفاوضات لحل النزاع بالطرق السلمية . وفى الوقت نفسه عين مجلس الأمن لجنة وساطة لمساعدة الطرفين على الوصول إلى اتفاق . واستطاعت اللجنة بعد جهود مكثفة أن تصل إلى اتفاقية جديدة عام ١٣٦٧هـ ، تنص على وقف إطلاق النار ، وتحديد مناطق نفوذ كل منهما .

وتشكلت على الفور أربع لجان تحت إشراف لجنة الوساطة لبحث الأمور المتعلقة بالنواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية ، ولكن هولندا كانت تضع العراقيل أمام اللجان المذكورة حتى تبقي على وجودها العسكرى فى البلاد ، فى حين

كانت الحكومة الأندونيسية مصرة على إنشاء اتحاد هولندى أندونيسي تتمتع فى ظله حكومة الولايات الأندونيسية باستقلالها كاملاً مع إيجاد نوع من الارتباط الواهي مع هولندا . وبذلك تعثرت المفاوضات بسبب تعنت هولندا وإصرارها على البقاء فى البلاد ، فأحالت لجنة الوساطة الأمر إلى مجلس الأمن . ولكن هولندا سارعت بإعلان الحرب مرة أخرى عام ١٣٦٨هـ خارقة بذلك اتفاقية الهدنة واحتلت عاصمة الجمهورية ، وألقت القبض على الرئيس أحمد سوكارنو ووكيله محمد حتا وزج بهما فى السجن .

وإزاء تدهور الموقف فى البلاد اجتمع مجلس الأمن ١٣٦٨هـ ، وأعلن ممثل هولندا تمسك حكومته ببنود الاتفاقيتين المعقودتين بين الطرفين ، وزعم أن حكومته اضطرت للقيام بمثل هذه التدابير لوضع حد للاضطرابات التى سادت أجزاء مختلفة من الجمهورية الأندونيسية . وطالب مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ، وبعودة قوات الطرفين إلى خطوط الهدنة التى حددتها الاتفاقية . ولكن هولندا لم تصدع للأمر ، واستمرت فى أعمالها العدوانية رغم هذا القرار . ولذا وجد المجلس أن الوضع يحتاج إلى حل حاسم . وبالفعل فقد وافق المجلس عام ١٣٦٨هـ على مشروع لحل الأزمة .

وينص المشروع على أن توقف هولندا جميع الأعمال العدوانية وتعطى الضمانات اللازمة بذلك ، وكذلك أندونيسيا ، وأن تطلق هولندا سراح المعتقلين السياسيين من رجال حكومة الجمهورية الأندونيسية ، والسماح لهم بالعودة إلى ممارسة أعمالهم ، وأخيراً أوصى المجلس باستئناف المحادثات بينهما بمعاونة هيئة الوساطة بحيث يتم نقل السيادة إلى جمهورية أندونيسيا فى أسرع وقت ممكن بحيث لايتجاوز ١٢ ربيع الأول عام ١٣٦٩هـ .

وأمام هذا الضغط العالمى ، استجابت هولندا تلبية لرغبة مجلس الأمن ودول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية التى هددتها بقطع المساعدات ، وأعلنت بأنها قد وافقت على انتقال السيادة إلى حكومة الولايات المتحدة الأندونيسية فى أسرع وقت مستطاع . وتعتزم عقد مؤتمر للمائدة المستديرة فى مدينة لاهاى فى القريب العاجل لوضع اللمسات الأخيرة حول تفاصيل انتقال السيادة إلى الاتحاد الهولندى الأندونيسي . ووافق مجلس الأمن على عقد مؤتمر المائدة المستديرة فى مدينة لاهاى بهولندا . وقد تم بالفعل عقد المؤتمر المذكور فى أول ربيع الأول ١٣٦٨هـ ، فى جو من التفاؤل والأمل المشوب بالتيقظ والحذر ، ومثلت فيه لجنة الوساطة التابعة للأمم المتحدة .

وبعد مفاوضات قصيرة وقع المتفاوضون على ميثاق المؤتمر فى ٨محرم ١٣٦٩هـ ، وقد تضمن النقاط التالية :

أولا : مشروع لائحة لنقل السيادة من هولندا إلى جمهورية الولايات المتحدة الأندونيسية .

ثانيا : مشروع دستور للاتحاد الهولندى الأندونيسي ، يتضمن ملاحق واتفاقيات خاصة حول أسس الموضوعات التى ستكون مجالاللتعاون فى المستقبل .

ثالثا : مشروع اتفاقية حول التدابير الانتقالية .

وخلاصة القول : إن اتفاقية المائدة المستديرة قد نقلت السيادة إلى أندونيسيا دون قيد أو شرط . وأصبحت جمهورية الولايات المتحدة الأندونيسية فى ٨ ربيع الأول ١٣٦٩هـ تتكون من ست عشرة ولاية بما فى ذلك الجمهورية الأندونيسية السابقة . وأصبح الاتحاد الهولندى الأندونيسي تحت تاج هولندا يمثل المصالح المشتركة للطرفين ، وخصوصا فى ميدان السياسة الخارجية والدفاع .

وقد عرضت قرارات مؤتمر المائدة المستديرة على مجلس الأمن ، فأظهر ارتياحه لذلك ووافق عليها ماعدا الاتحاد السوفيتى وبعض دول الكتلة الشرقية التى عارضتها ووصفتها بأنها شكل جديد من الاستعمار الهولندى ، الذى تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا ، واتهمت زعماء الجمهورية الأندونيسية بالخيانة ، بعد أن كانت تدعم الحكومة التي يرأسها شيوعي قبل أعوام كما سنرى .

ويعزى موقف الاتحاد السوفيتى هذا إلى نجاح الحزب الشيوعي في أندونيسيا الذى دعمته هولندة للوقوف أمام المسلمين ، كما أن الرئيس أحمد سوكارنو كان يؤيد الحزب الشيوعي بأفكاره وذلك لأن الأحزاب الوطنية جميعها كونت جبهة واحدة ، وجميع الأحزاب والمنظمات الإسلامية كونت حزبا واحدا عرف باسم مجلس الشورى الإسلامي أو مايسمى (ماشومى) وذلك إثر الاحتلال اليابانى . وقد أوكل الرئيس سوكارنو رئاسة مجلس الوزراء منذ منتصف شعبان عام ١٣٦٦ إلى الشيوعى عامر شرف الدين الذى احتفظ لنفسه أيضا بمنصب وزير الدفاع ، ليتمكن من الإشراف على القوات المسلحة ، وبدأ الاتحاد السوفيتي يعضد هذه الحكومة ويبرز دور الحزب الشيوعى فى الحصول على الاستقلال ، وهذا ماقوى شوكة الحزب ، ولكن الشعب المسلم عارض تعيين عامر شرف الدين رئيسا للحكومة ، ولقى هذا العمل معارضة عنيفة من الشعب

والمجلس النيابي والصحافة ، وأمام هذا الضغط الشعبي اضطر نائب رئيس الجمهورية الدكتور محمد حتا إلى استخدام سلطته ، وأقال رئيس الوزراء الشيوعي وتولى بنفسه مهمة تشكيل الوزارة فثارت ثائرة الشيوعين وابتدأ هجومهم العنيف . وكانت بداية الثورة الشيوعية الأولى فى منتصف شوال من عام ١٣٦٧هـ .

ألف الحزب الشيوعي مجلسا وقيادة عليا للثورة ، وقدم أحدهم وهو عيديد مذكرة إلى الحكومة يطالب فيها بالتبادل الديبلوماسي مع الدول الشيوعية ، وبالتأميم ، ومصادرة الأملاك ، وإقالة الحكومة القائمة التى يرأسها الدكتور حتا . وفى أيام عيد الفطر من عام ١٣٦٧هـ دعت صحيفة العمال الشيوعية الحكومة إلى الانضمام إلى المعسكر الشيوعي .

وبعد خمسة عشر يوماً من العام نفسه ، بدأت الثورة باختطاف ضباط من الجيش ، وقامت حوادث الارهاب فى كل مكان ، وتدخلت الحكومة ـــ حكومة محمد حتا ـــ فأنزلت قوات الجيش وأنذرت المختطفين بالإفراج عن من اختطفوهم ، فلم يستجب أحد للأمر بل زادت تلك الحوادث فاختطف القادة المسلمون ، وكان منهم الدكتور ماوردى وثلاثة من زملائه ، وقد قتلوا مباشرة ومثل بهم ، وهوجمت مراكز البوليس .

وفي اليوم التالي أعلنت إذاعة (ماديون) عن قيام جمهورية أندونيسيا السوفيتية ، وتولى رئاسة الحكومة فيها عامر شرف الدين وألقى بيانا من الإذاعة ، وغدا لأندونيسيا حكومتان ، سوفيتية ومركزها (ماديون) ووطنية ومركزها (جاكرتا) .

أعلن المسلمون الجهاد ودوت كلمة « الله اكبر » فى كل مكان وتحرك الجيش الأندونيسي بقيادة عبد الحارث ناسوتيون فاستطاع القضاء على الشيوعيين ، واعتقل الجيش زعماء الشيوعيين وزج بهم فى السجون والمعتقلات ، وحكم على عدد منهم بالإعدام وفى مقدمتهم عامر شرف الدين إضافة إلى تسعة آخرين من رفاقه ، وكان هذا بأوامر الدكتور محمد حتا ، بينما بقى الدكتور أحمد سوكارنو صامتا فى هذه المدة ومتعاطفا معهم .

وبمجرد القضاء على الثورة الشيوعية الأولى شعرت هولندا أن الوقت قد آن لها لتتحرك من جديد فاستأنفت أعمالها الحربية ، كما أشرنا واحتلت جاكرتا واعتقلت الزعماء سوكارنو ومحمد حتا ، وسوتان شاهرير ، والحاج عجوز سالم وغيرهم . ولكن الثورة استمرت على أيدى المسلمين ، وقامت حرب العصابات فى كل مكان حتى عقد

اتفاق مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٣٦٨هـ والذى أشرنا إليه . وانتقلت العاصمة إلى جاكرتا بعد عام ، ولم يبق من المشكلات إلا مشكلة غينيا الجديدة أو إيريان الغربية .

لقد دام الشكل الاتحادى للدولة حتى شوال عام ١٣٦٩هـ ، وقامت وحدة بين الدويلات ، وأصبح اسم الدولة جمهورية أندونيسيا ، وشكل الحكومة السيد محمد ناصر زعيم حزب ماشومى أيضا ، ثم استقالت وشكل الحكومة الجديدة الدكتور سويكيمان وهو من زعماء حزب ماشومي أيضاً ، واستمرت فى عملها عاما حيث استقالت ، ثم تقرر إجراء انتخابات لمجلس نيابي فى ١٣٧٥هـ ، وألف الحزب الوطنى حكومة ائتلافية اشتركت فيها الأحزاب المختلفة وعلى رأسها حزب ماشومي . ومما يجدر ذكره أن مؤتمر باندونغ قد عقد فى العام نفسه في مدينة باندونغ عام ١٣٧٥هـ وضم ستمائة مندوب يمثلون تسعا وعشرين دولة أسيوية وأفريقية .

وفي عام ١٣٧٦هـ أعلن الرئيس أحمد سوكارنو عن سياسته الجديدة وهي : الديمقراطية الموجهة « إثر زيارته للاتحاد السوفيتي والصين ، وتعنى هذه السياسة أن نصف أعضاء المجلس النيابي يجب أن يعينهم الرئيس ، فعارض معظم الساسة والشعب هذه السياسة واستقال الدكتور حتا نائب رئيس الجمهورية وبدأ فى انتقاد الرئيس ، ورفضت الأحزاب السياسية هذه الديكتاتورية الجديدة . وحدث انقلاب فى سومطرة عام ١٣٧٨هـ ولكنه فشل . وطالب الشعب دون جدوى باستقالة الحكومة وعودة الدكتور حتا ، وماكان من حزب ماشومى ونهضة العلماء إلا أن سحبا وزراءهما منها فاضطرت إلى الاستقالة ، وأعلن سوكارنو حالة الطوارىء وتطبيق الأحكام العرفية فى البلاد ، ولم يستطع الرئيس سوكارنو تشكيل حكومة ائتلافية فشكل الوزارة بنفسه ، نصفها من المجلس النيابي دون استشارة الأحزاب ، وفي مطلع عام ١٣٧٩هـ حل المجلس النيابي واستدعى المجلس الذى كان قائما عام ١٣٦٥هـ بالتعيين وحل حزب ماشومي واعتقل زعماءه ، وفى عام ١٣٨٠ حل المجلس النيابي ، وتأسس مجلس جديد على أساس الديمقراطية الموجهة . وانتخب الرئيس سوكارنو فى عام ١٣٨٣هـ رئيسا مدى الحياة . وكان سوكارنو خلال هذه المدة قد تعرض عدة مرات للاغتيال إلا أنه نجا من تلك المحاولات .

وخلال المدة السابقة كانت المفاوضات بين أندونيسيا وهولندا حول جزيرة إيريان الغربية مستمرة ، ولكن هولندا كانت تضع العراقيل أمام نجاح المفاوضات وتماطل وتسوف ، ولم تكن الحكومة الهولندية جادة فى مفاوضاتها مع أندونيسيا وذلك لأهميتها

الاستراتيجية ، وخصوصا بعد أن ظهر النفط فى الجزيرة ، وبعد أن أخذ النفوذ الغربي يتداعى فى جنوب شرق آسيا ، علاوة على اهتمام الغرب بمشروعات الدفاع عن المنطقة وانتهاج أندونيسيا سياسة الحياد الايجابي ، وعدم الانحياز ورفضها لمشروعات الغرب الدفاعية . ولذلك طالبت هولندا بتعديل الدستور الهولندى عام ١٣٧٢هـ بحيث ينص على جعل إيريان الغربية جزءاً من مملكة هولندا .

وقد ساندت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واستراليا هولندا فى موقفها من ضم جزيرة إيريان الغربية ، وذلك إثر موقف الرئيس سوكارنو الموالى للكتلة الشرقية وخاصة الاتحاد السوفيتى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوز الدول الغربية إلى هيئة الأمم المتحدة نفسها بإغلاق باب المفاوضات الجارية بين الطرفين منذ عام ١٣٧٧هـ لإجبار أندونيسيا على قبول الأمر الواقع . ونتيجة لذلك عقد مؤتمر شعبى فى جاكارتا فى عام ١٣٧٧هـ حضره مايزيد على المليون ، وطالب الحكومة باتخاذ إجراء حازم أمام تعنت هولندا ، ويتلخص فى تأميم الشركات الهولندية ، وترحيل الرعايا الهولنديين خارج البلاد ، وتحريم دخول أندونيسيا على الهولنديين ، وإنشاء فرقة مسلحة هدفها تخليص إيريان الغربية ، وإنشاء صندوق تمويل حركة التحرير فى الجزيرة . وقد لبت الحكومة الأندونيسية هذه الدعوة بعد فشل القضية ، فأممت الشركات الهولندية وأمرت بترحيل الهولنديين إلى بلادهم ، واستولت على المصانع ومزارع المطاط ، ومختلف المنشآت الهولندية . وبهذا الإجراء فقدت هولندا كل ماتملكه من رؤوس الأموال وتبلغ ١٢٠٠ مليون دولار .

وتدخلت الأمم المتحدة وقررت فى عام ١٣٨٣هـ وضع إيريان الغربية تحت إشراف أندونيسيا ، على أن يجرى استفتاء بعد ذلك حول تقرير مصيرها ، ولكن انسحاب أندونيسيا من الأمم المتحدة بسبب الاعتراف بقيام جمهورية ماليزيا ــ ألغى هذا الالتزام بإجراء الاستفتاء ، ولكن سرعان ماعادت أندونيسيا إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٣٨٦هـ .

وبعد أن طبق الرئيس سوكارنو سياسة الديمقراطية الموجهة ، واعتقل الزعماء المسلمين وحل حزب ماشومي ، نشط الحزب الشيوعي وخلا له الميدان فاعلن أنه سيكون الحزب الوحيد فى البلاد ، وأنه سيحول السياسة وفق أهدافه ومبادئه . فهاجم الحزب المذكور المدارس الإسلامية فى عام ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م وتكررت هذه الأحداث فى عدة مدن . وفى عام ١٣٨٥هـ أعلن الشيوعيون ثورتهم متعللين بمرض

سوكارنو وعدم اهتمام الجيش بالأمر والأخطار التى تهدد البلاد بمساعدة الرجعية والإمبريالية . وكان قائد الحرس الجمهورى قد اختطف بعض الجنرالات المسلمين ، وتم قتلهم والتمثيل بجثثهم ، ونجا منهم عبد الحارث ناسوتيون وزير الدفاع . وفى الساعة السادسة من صباح ٢٥ رجب من عام ١٣٨٥هـ أذاعت محطات الإذاعة بعد الاستيلاء عليها أول بيانات للشيوعيين . ولكن وزير الدفاع عبد الحارث ناسوتيون أمر الجنرال سوهارتو نائب قائد القوات البرية إذ كان قائد القوات البرية أحمد باني من بين الجنرالات الذين اختطفوا وقتلوا بتنفيذ الأوامر اللازمة للقضاء على الشيوعيين ، ونجح سوهارتو بعد ساعات فى القضاء على ثورة الشيوعيين إذ هبَّ الشعب يلاحقهم وسيطرت القوات المسلحة على الوضع وبدأ الصراع بين سوكارنو من جهة وقادة الجيش من جهة ثانية . فأعاد سوكارنو عام ١٣٨٦هـ الشيوعيين إلى الوزارة إلا أن الشعب ثار بشدة وعارض هذا الإجراء ، وطالب بعزل سوكارنو الذى كان من وراء الثورة الشيوعية السابقة ، فتنازل سوكارنو عن كل صلاحياته إلى وزير الدفاع الجديد الجنرال سوهارتو ، وقد صادق المجلس الاستشارى الأعلى على ذلك ، ولكن الأحزاب والقضاة والمحامين وبقية فئات الشعب طالبت المجلس الاستشارى الأعلى بالغاء رئاسة سوكارنو ، وصدق عليها المجلس المذكور ، وفى شوال عام ١٣٨٦هـ تنازل سوكارنو عن السلطة وأعطى جميع الصلاحيات للجنرال سوهارتو . وقرر المجلس الاستشارى برئاسة عبد الحارث ناسوتيون تعيين الجنرال سوهارتو رئيسا للجمهورية بالوكالة ، وحدد الشعب فى انتخاباته عام ١٣٩٢هـ رئاسة الجنرال سوهارتو . واعترفت الحكومة بالحزب الإسلامى الأندونيسي وأصبح مجموع الأحزاب فى أندونيسيا عشرة وهى : حزب نهضة العلماء ، وحزب شركت إسلام ، والحزب الإسلامي الأندونيسي ، والحزب الوطني الأندونيسي ، والحزب الكاثوليكي ، والحزب البروتستانتى ، وحزب موريا ، وحزب برتى الإسلامى ، وحزب ايكي ، والفئة العاملة .

من العرض الموجز لكفاح أندونيسيا من أجل الاستقلال ومقاومة الشيوعية نستطيع أن نتبين مدى تشبث الدول الاستعمارية باستغلال واستعباد الشعوب الإسلامية أطول مدة ممكنة ، وأن تضامن الشعب الأندونيسي فى جهاده للحصول على حريته واستقلاله كان السلاح الفعال للقضاء على قوة هولندا . واكتسب العالم الإسلامى باستقلال أندونيسيا الإسلامية التى يربو عدد المسلمين فيها على ١٣٢ مليون مسلم سندا جديدا وقوة جديدة .

وتعاني أندونيسيا اليوم من زخم التحرك التبشيرى النصراني والتفاهم بين الإرساليات التبشيرية هذه والشيوعيين الذين فشلوا في محاولاتهم للسيطرة على الحكم . وتتساهل الدولة مع هؤلاء على حين تقف في وجه الحركة الإسلامية ، وتحول دون وصولها إلى الأرياف حيث لاتزال الوثنية هناك ، وتفتح هذا الباب أمام الإرساليات النصرانية .

بروني

ـ ١١ ـ

دولة صغيرة في شمالي بورنيو تبلغ مساحتها ٥٨٠٠ كيلو متر مربع . وكانت دولة ذات شأن في الماضي يمتد سلطانها على مناطق واسعة في بورنيو والجزر المحيطة بها . وفي عام ٨٢٨ زار سلطانها مالاقا فاعتنق الإسلام على يد محمد شاه سلطان مالاقا ، وبعدئذٍ بدأ الإسلام ينتشر بسرعة بين شعبه . وفي القرن العاشر اتسع نفوذ دولة بروني إلى أوجه فشمل جزر صولو والفلبين .

وبعد أن مكنت انكلترا نفوذها فى المنطقة اتجهت نحو (بروني) واستطاعت أن تقطع أوصالها ، فتقلص نفوذ بروني .

وفي عام ١٢٦٤هـ دخل سلطان بروني في اتفاقية مع بريطانيا لمقاومة القرصنة وتطوير العلاقات التجارية .

وفي عام ١٣٠٦هـ وضعت تحت الحماية البريطانية ، واستمرت حتى اجتاحت اليابان المنطقة كلها في أثناء الحرب العالمية الثانية ، ثم انسحبت منها قبل مرور أربع سنوات .

وفي عام ١٣٨٢هـ جرى التفاوض من أجل اتحاد ماليزيا فرفضت بروني دخول هذا الاتحاد الذى قام عام ١٣٨٣هـ ، وهي المقاطعة الوحيدة التي رفضت ذلك .

وتعتمد في اقتصادها على النفط الذي يشكل ٩٩٪ من دخل البلاد ، كما تنتج المطاط ، والأرز الذي هو الغذاء الرئيسي للسكان .



القسم الثاني

الأقليات المسلمة في آسيا

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن الإسلام قد بدأ ينتشر في أوائل القرن السابع الميلادى ، وينطلق من أرض إلى أخرى بدعوته النقية الصافية التي تنسجم والفطرة البشرية ، ولاغرابة في ذلك فالبشر خلق الله والإسلام منهج الله ، وطبيعي أن يكون المنهج متسقاً مع من وضع له . واعتمدت الدعوة الإسلامية على تثبيت العقيدة وإرجاء الأمر كله لله مع العمل وفق ذلك ، وبما يتطلب من المخلوق أن يقوم به . كما اعتمدت على المساواة بين بني البشر ومحاربة الظلم أينما وجد فأقبل الناس أفوجاً يدخلون في دين الله . وخاف الطغاة وأصحاب النفوذ السيطرة على أنفسهم من هذه الدعوة التي تقف أمام مصالحهم وأهوائهم وطغيانهم فوقفوا في وجهها ولكن لم يلبثوا أن تهاووا أمامها وعمّ الاسلام جزيرة العرب .

وانتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى فاشرأبت نفوس إلى جاهليتها الأولى ، وغرّت نفوس أصحابها فأعلن بعضهم الردة ، وامتنع بعضهم عن دفع الزكاة ، ولقي كلا الصنفين دعماً من الطواغيت خارج الجزيرة ، إلا أن قوة العقيدة قد أخضعت من كان في الداخل ، ثم اتجه المسلمون نحو الجوار يقوضون أركان الظلم ، وكان يتمثل في دولتي الفرس والروم أكبر دول الأرض يومذاك وأشدها بأساً ، ولم يمض أكثر من خمسة عشر عاماً من الجهاد حتى سقطت الأولى ، وزالت نهائياً ، وورث المسلمون ديارها ، وغنموا ماخلّفته ، وفتحوا أكثر أرض الثانية حتى لم يبق لها إلا مساحات قليلة من الأرض رمزاً لبقائها واستمرارها ، وكان الصراع بين الطرفين عدة قرون . وامتد الفتح الإسلامي حتى وصل المسلمون في الغرب إلى مقربة من باريس على حين طرقوا في الشرق أبواب الصين ، وكانت الطريق ممهدة أمام انتشار الإسلام وسط إفريقية بواسطة التجارة والاتصال ، وكذلك قطع الاسلام أشواطا بعيدة في الانتشار على كل شواطىء

المحيط الهندي سواء في شرقي أفريقية أم في جنوب شرقي آسيا ، بل عمّ في تلك الجهات كلها ، وكان المحيط الهندي أشبه ببحيرة إسلامية ، وكذلك كان البحر الأبيض المتوسط بعد أن ضعفت أساطيل الروم أمام الأساطيل الإسلامية .

هذه الفتوحات الواسعة قد أصابها توقف مفاجيء إذ ضعفت العزيمة ، وفتر الجهاد ، وانصرف الناس إلى الحياة الدنيا يأخذون منها بنصيبهم وقد جاءتهم صاغرة إذ سيقت نحوهم الغنائم ، وجُبيت إليهم الأموال ، فأخذوا بالنعيم ، وركنوا إلى الأرض فنقم عليهم مواليهم الذين كانوا وقود الحركات الداخلية ، واستخفّ بهم غيرهم الذين كانوا قد هابوهم مدة من الزمن ليست قصيرة عندما كانوا يسيرون على الطريق الصحيحة ، فلما انحرفوا عن الخط الإسلامي نشأت العصبيات ، وتفرقت الأمة ، وذهبت قوتها ، وحدث الضعف ، وكانت الحروب الخارجية سجالاً بعد أن كانت لصالحهم ، ثم كانت دفاعية بعد أن كانت جهادية ، ثم أصاب الأمة الوهن ، وقد قال رسول الله ﷺ محدثاً عن هذا « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها . فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن . فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت »[1]

تقدّم أعداء المسلمين ينازلونهم في بلاد الأندلس ، ولكنهم هزموا أمامهم إذ دعم المرابطون في المغرب إخوانهم المسلمين في الأندلس الأمر الذي جعل الصليبيين يتجهون إلى قلب بلاد المسلمين لتكون الضربة حاسمة فحدثت الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي ، وحصل الصليبيون على بعض النجاح إلا أن ردّ الفعل الإسلامي حدثت معه صحوة قليلة ، فانهزم الصليبيون وخرجوا من بلاد المسلمين أيام الأيوبيين والمماليك ، وعرف الصليبيون نتيجة ذلك أنه لاقبل لهم بحرب المسلمين ماداموا يتمسكون بعقيدتهم التي هي مصدر قوتهم لذا فقد خططوا لإضعاف هذه العقيدة وإبعاد المسلمين عن دينهم ، وجاءت البعثات للتبشير بالنصرانية منذ ذلك الوقت لإحكام الخطة ، وتمكّنت هذه البعثات من التأثير على المسلمين وعطفهم على من يظهر العبادة والتدين حتى ولو كانوا من أعدائهم .

---

(١) أخرجه أبو داود ، وغيره ، عن ثوبان رضي الله عنه .

ولم تمض غير مدة قصيرة حتى عادت التفرقة إلى المسلمين ، وركن بعضهم إلى أعداء الله على الرغم من تحذير الله « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لايهدي القوم الظالمين »(١)

وحدث ضعف المسلمين ، ودبّ فيهم الوهن ، وقوي أعداؤهم الذين ركّزوا جهودهم على الأندلس حيث كانت النصرانية في أوربا تمدهم وتساعدهم ، وإذا كان الدعم يأتي إلى مسلمي الأندلس أحيانا من إخوانهم فى المغرب كما حدث أيام الموحدين وبني مرين ، ويقف الصليبي . وإذا كانت انتصارات مسلمى الأندلس تحدث أحياناً أخرى إلا أن كل ذلك كان لمدة محدودة إذ الخط العام للقوة المسلمة كان يتراجع باستمرار والتناحر بين المسلمين يقع بين مدة وأخرى ، وموالاة النصارى تحدث بين وقت وثان ، واستمر ذلك مدة حتى تمكّن النصارى في النهاية من بسط سيطرتهم على بلاد الأندلس وذلك عام ٨٩٧ ، وظهرت قوتهم فعدوا ذلك الوقت نهاية للعصور الوسطى التي كانت القوة فيها للمسلمين وبداية للعصور الحديثة .

تلا هذا التفوق النصراني تقدم نحو البلاد الإسلامية الأخرى ، ولم تمض مدة طويلة حتى سيطر نصارى أوربا على أرجاء واسعة من العالم الإسلامي ، وازداد إرسال البعثات التبشيرية لتؤدي دورها في التمكين للصليبيين والتأثير على المسلمين ومحاولة صرفهم عن دينهم ، واستمرت هذه الطريقة مدة طويلة من الزمن بقيت حتى يومنا هذا ، وامتازت بعض أوقات هذه السيطرة بميزات متشابهة يمكن أن نصنفها بمراحل معينة هي :

١ - المرحلة الأولى ٨٩٧ - ١٢١٣هـ : وتبدأ بسقوط الأندلس بيد النصارى عام ٨٩٧ والاتجاه إلى السيطرة على العالم الإسلامي ، وكانت السيطرة على مواقع صغيرة على سواحل العالم الإسلامي كله سواء أكان ذلك على سواحل المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط أم على سواحل المحيط الهندي وجنوب شرقي آسيا ، وعرفت هذه السيطرة لدى أوربا باسم الكشوف الجغرافية ، إذ عرفت بلاداً واسعة لم تكن تعرفها من قبل على حين كان المسلمون يعرفونها تماماً . وهذه السيطرة لاتمثل غلبة تامة

(١) سورة المائدة : الآية ٥٢ .

إذ لايستطيع النصارى أن يتصرفوا بالأجزاء الداخلية من العالم الاسلامي تصرفاً كاملاً إذ كانت تخضع لأبناء المسلمين خضوعاً كاملاً ، وظهر في هذه المرحلة الاستعمار البرتغالي على شواطىء أفريقية الغربية والشرقية وجنوبي آسيا ، كما ظهر الاستعمار الأسباني في جنوب شرقي آسيا إذ جاء من جهات أميركا بعد أن عرفوها ، وذلك حسب تقسيم سري بين الطرفين .

لقد أثرى الصليبيون من برتغاليين وإسبان الأمر الذي جعل بقية الصليبيين يحسدونهم بعد أن كانوا يساعدونهم وذلك لأنهم لم يحصلوا على مايتطلعون إليه من غنىً وأراض تكون تحت نفوذهم وهيمنتهم وهذا ماجعلهم ينافسونهم ، بل أن التنافس حدث بين كثيرٍ من الدول الأوربية للحصول على أرباح أكثر ومستعمرات أوسع ، وهذه المنافسة هي التي جعلت الحروب الصليبية تأخذ مظهراً عرف باسم الاستعمار ، وفي هذه المنافسة وهذا الصراع تراجعت اسبانيا عن كثير من مستعمراتها ، وكذلك فقدت البرتغال عدداً كبيراً من المناطق التي كانت تسيطر عليها ، وظهرت انكلترا وفرنسا في طليعة الدول الاستعمارية ، ثم كانت هولندة ، أما روسيا فقد بدأت أيضاً تتوسع فى الشرق وبدافع صليبي أيضا ، إذ كانت تقاتل التتار المسلمين وتستولي على أراضيهم منطقة إثر أخرى ، كما كانت تحارب العثمانيين الذين استطاعوا فتح مدينة القسطنطينية حاضرة الدولة الرومانية الشرقية التي تتبع المذهب النصراني الارثوذكسي وهو المذهب نفسه الذي ينتشر في روسيا كلها ، وبعد أن احتلت بلاد التتار بين عامي ٩٦٠ — ١١٩٨ تقدمت إلى الشرق فاجتازت جبال الأورال ، واحتلت سهوب القيرغيز . وإذا كانت الدول الأوربية الواقعة في الغرب من القارة قد سيطرت على مناطق بعيدة عنها إلا أن سيطرتها قد اقتصرت على المناطق الساحلية وعلى أجزاء منها فإن دولة روسيا الواقعة فى الشرق من القارة قد ابتلعت المناطق المجاورة لها ، وماذلك إلا بسبب بعدها عن البحار الحرة التي حرصت كثيراً على الوصول إليها ، ولاتزال تحرص .

امتازت هذه المرحلة بالروح الصليبية الحاقدة لذا فقد كثرت أعمال التخريب والإبادة الجماعية والتصرفات الوحشية ، ولم يكن للمسلمين قوة كبيرة ، ولم تكن دولتهم مجتمعة وإنما متفككة ، وأقوى مافيها الدولة العثمانية التي نشأت حديثاً والتي قامت تقاتل أوربا لتخفف ضغط أوربا عن المسلمين في بقية جهات العالم . وكانت المستعمرات تنتقل من

دولة إلى أخرى أو تتقاسمها فيما بينها . وكان نتيجة هذا كله أن ضعف المسلمون سياسياً واقتصادياً ، وبدأت تظهر عندهم الهزيمة النفسية ، واستمرت هذه المرحلة حتى عام ١٢١٣هـ حيث جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر .

٢ - **المرحلة الثانية** :وقد بدأت هذه المرحلة بقدوم الحملة الفرنسية على مصر عام **١٢١٣ - ١٣٣٧هـ** وقد زاد الجشع الأوربي ، وكثرت الأطماع ، وانطلق الجميع يبحثون عن الثراء ويعملون له ، وقد قلت الأموال التي كانت تُجنى عما كانت عليه سابقاً إذ كثُر طالبوها وكثُرت الحروب التي تلتهم المزيد من الثروات ، وتستفد العظيم من الطاقات سواء أكانت هذه الحروب بين الدول الصليبية الاستعمارية ، أم ضد الإمارات الاسلامية أم لإخماد الحركات الداخلية ، أم حرب صليبية سافرة ضد العثمانيين .

شعر المسلمون بما نزل بهم فقاموا برد فعل ضد الصليبيين ، وقادهم العلماء ، وكان في كل مكان حركة ، ولكنها كانت غير منظمة إذ لم تقم في وقت واحد ، لذا كانت الجهود مبعثرة الأمر الذي سهّل القضاء عليها فأصاب المسلمين الضعف نتيجة ذلك ، واتجه بعضهم إلى تقليد الصليبيين ، واقتنعوا أن في هذا التقليد سيرا نحو التمدين وتقدما نحو القوة ، وابتدأ بذلك الوهن إذ سمح للنصارى بافتتاح المدارس الخاصة ، والتقاضي أمام محاكم خاصة ، وسمح للأجانب بتملك الأرض ، وتسلم المناصب ، ودخول المجالس المحلية ، وأصبح كلا الطرفين من نصارى محليين وأجانب عيوناً على المسلمين يرصدون كل حركة ، وأصبحت الطائفية تلقى كل دعم وعون من الأجانب .

قاوم الأجانب العلماء ووقف قسم من الشعب وراءهم ، ووقفوا ضد الهجمة الصليبية ، وكانت حركات الجزائري ، والمهدي ، ومحمد عبد الله حسن في الصومال ، والحاج عمر ، وعمر المختار ، والأمير رابح ، وسلطان تيبو ، وكانت الجمعيات الإسلامية الكثيرة في أندونيسيا وغيرها ، ووجّه الصليبيون همهم لعزل علماء المسلمين عن الشعب .

كانت قارة أفريقية نتيجة الهجمة الصليبية مقسمة بين فرنسا وانكلترا مع بعض الجيوب للبرتغال وايطاليا وألمانيا وبلجيكا وأسبانيا . وكانت آسيا بيد روسيا وانكلترا وفرنسا مع بعض الجيوب لهولندا والبرتغال ، وكانت الدولة العثمانية في غربي هذه القارة .

٣ - **المرحلة الثالثة** وبدأت بانتهاء الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى يومنا
- ١٣٣٧ هذا ، فقد هزمت ألمانيا فقسّمت مستعمراتها بين الدولتين العظميين آنذاك فرنسا وانكلترا ، وهزمت مع ألمانيا الدولة العثمانية فقطّعت أجزاؤها ، ولم تستفد روسيا كثيرا ، إذ قامت فيها الثورة الشيوعية وقامت الحركات فى كل مكان ضد حكام روسيا الجدد ثم لم يلبثوا أن تمكّنوا من السيطرة على الوضع وعادوا إلى سياسة القياصرة الذين انتهى حكمهم ، فأعلنوا حربهم على المسلمين من جديد ، فذبحوا وشرّدوا واضطهدوا ماامكّنهم من ذلك هواهم ، وشدّدوا القبضة على مناطق المسلمين .

وألغيت الخلافة التي كانت رمزاً لوحدة المسلمين الأمر الذى زاد تفككهم وأصبحوا لاممثل لهم يسير كل حسب هواه دون نظر إلى أثر إسلامي كبير .

واختلفت أساليب الاستعمار بين دولة وأخرى فانكلترا مثلاً بدأت تعطي مستعمراتها شيئاً من الاستقلال الذاتي ، وإن كانت تحتفظ بالسيطرة ، وقبض اليد على المراكز الهامة والحيوية كالجيش والاقتصاد والسياسة الخارجية ، وأعطت أنصارها الحكم فقدّروا لها الجميل وبقوا رهن إشارتها ، أما بقية الدول الاستعمارية فقد أبقت كل شيء تحت سيطرتها وتحت ناظرها أو ابتلعت مستعمراتها ابتلاعاً كما فعلت روسيا ، أو كما حاولت فرنسا في الجزائر ، والبرتغال في غينيا بيساو ، وتيمور ، واسبانيا في الصحراء المغربية .

وجاءت الحرب العالمية الثانية وهزمت فيها إيطالية فأُخذت منها مستعمراتها ووضعت إسماً تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة التي تأسست عقب الحرب العالمية الثانية ، وفعلاً فقد كانت تحت تصرف الدول الكبرى التي تسير الأمم المتحدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا وفرنسا .

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الدول الإسلامية تحصل على استقلالها الذاتي ، أو الاستقلال العسكري فقط إذ تنسحب الجيوش المحتلة من أراضيها ، ولكن بقيت هذه الدول المستقلة خاضعة للأفكار الغربية عنها ، والتي عمل المستعمرون الصليبيون على تنشئة الأجيال المسلمة وتربيتهم عليها بما وضعوه من مناهج ومابثوا من أفكار ومعلومات مشوهة ، نقلها عنهم طلاب العلم واستمروا يلقنونها لأبنائهم .

كان الصراع واضحاً بين الدولتين الكبريين فرنسا وانكلترا ، ثم حلّت الولايات المتحدة محلهما عن طريق الانقلابات العسكرية أو السيطرة الاقتصادية ، وفي الوقت نفسه ظهرت روسيا التي كونت لها امبراطوريةً واسعة في منافسة الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين في المجالات المختلفة ، وفي كل ميدان من مناطق النفوذ إلى الصراعات السياسية والعسكرية التي تبدو أحياناً وتختفي تارة أخرى ، وإن كان التفاهم يأخذ مكانه سراً لتقاسم بعض الجهات المتنازع عليها أو للتفاهم على توزيع المصالح وأخذ الثروات بين العملاقين المختلفين ظاهراً في بعض الجوانب وحقيقة في جوانب ثانية .

استمرت انكلترا تعطي مستعمراتها شيئاً من الاستقلال ، وشكلت منها رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث) لتحتفظ بسيطرتها أو نفوذها في هذه الجهات على حين شددت فرنسا قبضتها على مستعمراتها الأمر الذي جعلها في غليانٍ دائمٍ وتنفصل عنها الواحدة إثر الأخرى حتى اضطر الرئيس الفرنسي (ديغول) أن يعطي المستعمرات شيئاً من الحرية في اختيار الحكم الذى تريده علّه يحتفظ ببعض النفوذ ، فانفصلت بعض الأقاليم عن المجموعة الفرنسية ، وشكّل بعضها الآخر مجموعة خاصة عرفت بالشعوب الفرنسية . وهكذا نال كثير من الأمصار استقلاله عام ١٣٨٠ وخاصة في أفريقية ، ولم يبق من العالم الإسلامي خاضعاً للسيطرة الاستعمارية إلا ماكان خاضعاً للسيطرة الروسية ، وبعض أجزاء التركستان الشرقية التي ضمت إلى الصين ، وكشمير التي احتلتها الهند ، وفلسطين التي اغتصبها اليهود ، وإن كان عدد من الدول الأفريقية تحكمها أقلية نصرانية وتسيطر عليها سيطرة تامة مثل سيراليون ، وساحل العاج ، والتوغو ، والبنين ، وأفريقية الوسطى ، وتانزانيا ، وقد يكون بعض الحكام من النصارى ولهم نفوذ كبير مثل : السنغال ، ولبنان ، وغيرهما .

استقلت أكثر أمصار العالم الإسلامي ، ولكن لاتزال تخضع للسيطرة الاقتصادية والتأثيرات الفكرية التي حرصت الدول الاستعمارية الصليبية على بثّها مدة سيطرتها ، ولاتزال هي السائدة بسبب ضعف الشخصية وعدم تنميتها بصورة متميزة ومستقلة عن غيرها ، كما لاتزال الهيمنة السياسية تطغى على عدد من أجزاء العالم الإسلامي ، وعندما يحاول جزء أن يتفلت من الإطار الذي يدور فيه يتغير الوضع بصورة سريعة ، ويغيب الذي يحاول التفلّت ، ويأتي من هو أكثر ارتباطاً بثوب جديد .

هكذا وجدت دول إسلامية وهي التي يعيش على أرضها أكثر من ٥٠٪ مسلمين بغض النظر عن عقيدة حكامها أو اعترافهم بأن دولهم إسلامية أو وجود تباين ف

الإحصاءات المختلفة المصادر ، وبدأت هذه الدول يتجه بعضها إلى بعض ، وتلتقى في مؤتمرات وكانت فكرة العالم الإسلامي الذي بدأ يأخذ دوره في المحافل الدولية وكافة المجتمعات .

هذا وضع الأمصار الإسلامية بعامة في العصور الحديثة التي ابتدأت حسب العرف الأوربي بسقوط الأندلس بيد النصارى الأسبان عام ٨٩٧هـ ، وهذا وضع المسلمين في هذه المدة ، وسنحرص على دراسة كل مصر من الأمصار الإسلامية في هذه العصور ، ودراسة المراحل التى مرّ عليها حتى وصل إلى ماهو عليه الآن ، وستكون دراسة البلاد العربية في آسيا تليها البلاد الإسلامية في القارة نفسها فالأقليات المسلمة التي تعيش في هذا الجزء من العالم ، وهذا مايشمله القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثاني فيضم البلدان العربية في أفريقية فالبلدان الإسلامية في القارة نفسها فالأقليات المسلمة ، وفي النهاية نتعرض بلمحة سريعة للمسلمين الذين يعيشون في القارة الأوربية ، كما نتكلم باختصار عمن يعيش من المسلمين خارج البر القديم في كل من أمريكا وأوقيانوسيا وذلك من أجل أن نعطي فكرة عامة عن تاريخ العالم الإسلامي في العصر الحديث ، وفي الواقع أن كل مسلم أينما عاش فإنما يرتبط بالعالم الإسلامي ، وجنسيته المسلمة إنما هي عقيدته ، فإن وفقنا في هذا العرض فهو من فضل الله علينا وإن كانت الأخرى فعذرنا أننا اجتهدنا وعملنا .

والله نسأل التوفيق وسداد الخطى ، فهو نعم المولى ونعم النصير ولاحول ولاقوة إلا بالله العظيم .

الأقليات المسلمة في آسيا

يقيم مايزيد على ١٧٦ مليون مسلم في آسيا يعيشون كأقليات في دول غير مسلمة ، وهذا العدد يشكل ٨٣ر٨٣٪ من مجموع الأقليات المسلمة في العالم والبالغ عددها ٢١١ مليون نسمة . وعلى الرغم من هذا العدد الكبير (١٧٦ مليونا) إلا أنه لاتوجد نسبة عالية من المسلمين في البلدان التي يعيشون فيها كأقليات وذلك لأن تلك الدول ذات أعداد كبيرة من السكان الأمر الذي يجعل عدد المسلمين كبيراً مهما قلت نسبتهم ، وخاصة إذا علمنا أن ٩٠٪ من هذه الأقليات يتجمع في دولتين كبيرتين هما الصين والهند ، إذ يقدر عدد المسلمين في الأولى (٨٠ مليونا) ، وفي الثانية (٧٦ مليونا) وتكون نسبتهم في الأولى ١٠٪ ، وتبلغ نسبتهم في الثانية ١٤٪ .

ولاشك فإن هذا الرقم الكبير في كلتا الدولتين يكون له دوره وأثره ولذا لايمكن إغفاله وإهماله ولابد من دراسته . وكذلك عندما تزيد النسبة في دوله على ١٠٪ فإن هذه الأقلية تكون ذات شأن ويجب التعرف عليها ، كما هي الحال في تايلاند والفلبين وغيرهما .

أما عندما يكون العدد ضئيلاً أو تكون النسبة قليلة فيمكن التلميح إلى المسلمين في هذه الدول لأن لهم مشكلاتهم الخاصة بهم ، وكثيراً ماتثير هذه النسبة أزمات كما هي الحال في بورما ، وكامبوديا وغيرهما ، وماذلك إلا لأن الحرب موجهة ضد المسلمين فكرياً واجتماعيا ويصل الأمر في كثير الأحيان إلى الإبادة والتصفية الجسدية ، كما هي الحال في فلسطين وكشمير ، والفلبين ، وكامبوديا ، وبورما وغيرها ، فالحرب الصليبية لاتزال قائمة بل والحرب الدينية هي التي تلعب دورها في هذه الدول رغم ادعاءاتها بغير ذلك فالنصرانية في الفلبين ، والبوذية في تايلاند ، والهندوكية في الهند كل تعادي المسلمين وتشن عليهم حرباً دينية ، هذا من جهةٍ ومن جهةٍ ثانية فإن النظم تعادي المسلمين أيضاً وتشن عليهم حرباً أيضاً ، فالشيوعية فى الصين وروسيا تعمل على إبادة المسلمين وتتهمهم بممالأة الرأسمالية والامبريالية والغرب ، والرأسمالية في الفلبين وتايلاند تتهمهم بالشيوعية .... والواقع لاهذا ولاذاك وإنما الحرب عليهم لأنهم مسلمون . بل لو أن حكومة كانت تتبع نظاماً معيناً لاتهمتهم بما يعادي نظامها ولو قامت حكومة مكانها تسير على نظام آخر لادعت أنهم يناصرون النظام الأول .... وهكذا فالحرب على الإسلام أولاً وآخراً .

المسلمون في الهند

ـ ١ ـ

لمحة جغرافية :

الهند شبه جزيرة واسعة تمتد في جنوبي قارة آسيا ، تزيد مساحتها على ٤٫٣٦٠٫٠٠٠ كم٢ ، وتمتد سواحلها على طول ٤٥٠٠ كم٢ ، وتعد هذه السواحل قصيرة إذا قيست بالمساحة الشاسعة حيث تكاد تستقيم السواحل .

تنفصل الهند عن بقية بلاد آسيا بحاجز من الجبال الشاهقة منها : جبال « هيمالايا » التي تفصلها عن الصين ، وتعدّ أعلى جبال العالم إذ تصل أكثر قممها ارتفاعاً إلى علو ٨٨٨٨م ، وجبال « كراكورم » في كشمير ، ومنها جبال « سليمان » التي تفصلها عن بلاد الأفغان ، وفي هذه الأخيرة ممرات تصل بين الهند وأفغانستان ، وأشهر الممرات ممر خيبر وممر « بولان » ، ومن هذه الممرات دخل الفاتحون ، وعبر المستوطنون ، وسلك طرقها النازحون والمهاجرون .

وفي جنوب هذه الجبال تنفرج سهول واسعة تمتد من الغرب إلى الشرق بطول ٣٥٠٠ كم ، من البحر العربي إلى خليج البنغال ، ويتراوح عرضها بين ٣٥٠ ــ ٥٠٠ كم٢ ، وتنقسم هذه السهول بعتبة قليلة الارتفاع تقع إلى الغرب من مدينة دهلي (دلهي) أو أن هذه المدينة تقع على سفوح العتبة الشرقية ، وتنقسم السهول إلى قسمين ، يسير في الجزء الغربي نهر السند ، ويجري في القسم الشرقي نهر الفانج وفيه تكثر الأمطار الموسمية فتزداد الفيضانات ، وتحدث النكبات بالأرض والسكان .

وفي جنوب هذه السهول تمتد شبه جزيرة ذات صخور قديمة على شكل مثلث قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب ، ويعد رأس « كوموران » نهاية شبه الجزيرة التي تكون هضبة تعرف باسم هضبة « الدكن » ويبلغ معدل ارتفاعها ١٠٠٠م ، وترتفع عن السهول الساحلية على شكل درجات تعرف باسم جبال « الغات » أي (السلالم) ، ويعرف الشريط الساحلي الضيق في الغرب باسم « مليبار » ، وفي الشرق باسم « كرومندل » ، وتنحدر الأنهار من الهضبة نحو الغرب ونحو الشرق ، وتكون قصيرة نسبياً ، وغير منتظمة الجريان .

تعد هذه المنطقة من البلاد الحارة إذ تمتد بين خطي عرض ٨ ــ ٣٧ شمالاً ، وتغزر الأمطار الصيفية فيها بسبب الرياح الموسمية حتى لتعدّ من أغزر بلدان العالم وبخاصة على سفوح جبال هيمالايا ، أما فصل الشتاء فيكون جافاً وقليل البرد ، وتعد صحراء ثار الواقعة في الغرب عند مدار السرطان أكثر المناطق جفافاً في شبه القارة الهندية ، وفي نهاية الشهر الجاف ترتفع الحرارة وتزداد حتى تبدأ الأمطار فى الانهمار في فصل الصيف . وتحميها الجبال الشمالية من الرياح الآسيوية الباردة .

والهند ذات ثروات كبيرة سواء أكانت زراعية مثل : الأرز ، والقمح ، وقصب السكر ، والذرة ، والشعير ، والقطن ، والجوت ، والشاي ، والبن ، والمطاط ، والفول السوداني ، والفواكه ، والتوابل ، والسمسم . وتغطي الغابة ٣١٪ من مساحة البلاد ، ولاتزال تعيش في الغابة بعض الجماعات البدائية ، وتنعزل في مجاهلها بعض الشعوب ، وكذلك تكثر فيها الحيوانات وبخاصة الأبقار ، وكذلك تزخر بالثروات المعدنية مثل : الحديد ، والمنغنيز ، وأوكسيد الألمنيوم ، والميكا ، والكروم ، والنحاس ، والذهب ، والفحم ، كما تتقدم بإنتاج النفط والغاز الطبيعي . وتدخل الصناعة طوراً جديداً ، وتسير بشكل حسن مع الأيام .

لمحة تاريخية :

كانت الهند مقر الديانة البراهمية التي تنسب إلى « براهما » ، كما تسمى « الهندوكية » نسبة إلى الهند وتقسم الشعب إلى طبقات متباينة على شكل هرم فتصنّف الكهنة في أعلاه ، يليهم المحاربون ، فالزرّاع فالخدم ، وهناك المنبوذون الذين ترفضهم كل طبقة ، وتحتقرهم كل جماعة ، فلا يلتقون بهم ، كما أن الطبقات الأخرى ينفصل بعضها عن بعض بفاصل كبير .

وكذلك وجدت الديانة البوذية في شمال شرقي الهند في سفوح جبال هيمالايا ، ولكنها لم تنتشر في الهند وانما انتشرت خارجها في الصين والهند الصينية .

وصل الاسكندر الأكبر المقدوني إلى الهند عام ٩٤٨ قبل الهجرة ، وبقي فيها عاماً كاملاً ، وتعاقبت بعده على الحكم أسر حاول بعضها نشر البوذية ، ودعا بعضها للبراهمية ، وكانت قبائل « الهون » وجموع « السيت » تدخل البلاد بين الحين والآخر فتعم الفوضى وينتشر الفساد ، والأمراء يتخاصمون من كشمير حتى البنغال ، بينما يحكم

إقليم السند قبائل « السكا » المتنافرة المتقابلة فيما بينها ، ثم خضع هذا الإقليم فى وقت متأخر لحكم ملك براهمي هو الملك « داهر » الذي طرق المسلمون أيامه أبواب البلاد .

وكان الفقر يسود بين الشعب ، والأغنياء يتحكمون في الناس ، والمجاعات تحدث بين مدة وأخرى ، والظلم قائم ، ونظام الطبقات هو السائد ، وأمام هذا لابد من أن يدخل المسلمون المنطقة ليزيلوا الظلم ويرفعوا الطغيان حسب المهمة الملقاة على عاتقهم في إزالة الظلم أينما وجد .

بدأت الغزوات البحرية تصل إلى الشواطىء الشمالية الغربية للهند وتغزو « الديبل » (كراتشي اليوم) و « بومباي » وذلك منذ أيام الراشدين ، وخاصة أيام سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وسار المهلب بن أبي صفرة على رأس جيش عام ٤٤هـ أيام سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فغزا منطقة السند ونال شيئاً من النجاح .

وفي أيام عبد الملك بن مروان أرسل سعيد بن أسلم بن زرعة عاملاً له على ثغر السند ، ولكنه قُتل ، وفر قاتلاه إلى السند حيث آواهما الملك « داهر » الأمر الذي جعل بين المسلمين والملك داهر إحتكاكا مباشرا .وعندما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر المشرق أرسل إلى السند « مُجاعة بن سُعر التميمي » عاملاً على ثغر السند فاستطاع فتح بعض المناطق ، ووافاه الأجل قبل مرور عام ، وفي هذه الأثناء اختطف القراصنة الهنود بعض النساء المسلمات ، فطلب الحجاج من ملك السند « داهر » تسليم هذه النساء ، فأجاب : بأن يده لاتصل إلى القراصنة ، فأرسل إليه الحجاج بعض المقاتلين ، وكان على رأسهم عبيد الله بن نبهان ، فقُتل ، فأرسل آخر وهو « بُديل » ولكن الأجل وافاه ، فأرسل بعدها « محمد بن القاسم الثقفي » على رأس ستة آلاف مجاهد ، ففتح « الديبل » مكان كراتشي اليوم عام ٨٩هـ ، بعد أن حاصرها براً ، ووصل الأسطول الإسلامى فحاصرها بحراً ، فحطم الأصنام التي فيها ، كما دخل مدينة « بيرون » ، وهي حيدر آباد السند ، وهي التي ينسب إليها العالم البيروني ، ثم اتجه إلى عاصمة الاقليم وهي « الملتان » ففتحها عام ٩٦هـ ، وقتل الملك « داهر » .

تولى أمر السند بعد محمد بن القاسم يزيد بن أبي كبشة حتى كانت أيام عمر بن عبد العزيز الذي أرسل عمر بن مسلم الباهلي والياً على السند فانتشر الإسلام ، وآمن أولاد الملك داهر . وزالت دولة بني أمية .

وفي أيام الدولة العباسية انتشرت الشيعة في إقليم السند وخاصة أيام المنصور حيث كان واليها عمرو بن حفص ، ثم حدث خلاف بين القبائل العربية فاغتنم الهنود الفرصة ، واحتلوا بعض أجزاء الثغر ، وفي النهاية قامت دولة اسماعيلية دامت عدة سنين ، وقد حكمها أبو الفتح داود القرمطي ، وقد قضى عليها محمود الغزنوي . إذن لم يصل الإسلام في عهد الفتوحات الأولى إلا إلى منطقة السند في الشمال الغربي من البلاد .

وتوقفت الفتوحات وانصرف الناس إلى التجارة في كل جهة ، في البر والبحر ، وكانوا يعرفون الارتحال من قبل في مياه المحيط الهندي ، وتحركت سفنهم في ذلك الاتجاه ، وتوقفوا على السواحل الغربية للهند فانتشر فيها الإسلام إذ كانوا في هذه المرة تجاراً ودعاة بل ربما كانت التجارة وسيلة للدعوة والاتصال بالناس ، أما السواحل الشرقية فكان انتشار الإسلام فيها أقل مما هي الحال في المناطق الغربية لأنها لم تكن طريقاً للسفن ، إذ كثيراً ماكانت تتحرك جنوب الهند لتتجه مباشرة إلى ماليزيا عبر جنوب خليج البنغال ، ولهذا كان انتشار الإسلام في جزيرة سيلان والسواحل الشرقية أضعف مما كان على السواحل الغربية .

وقامت الدولة الغزنوية في أرض أفغانستان اليوم ، وحكم محمود الغزنوي الدولة عام ٣٨٨هـ ، فتقدم في الهند عن طريق ممر خيبر ، وتمكّن من فتح « قنوج »[1] في وسط البلاد ، و« كوجرات[2]» على السواحل الغربية ، وهدم معبد « سومنات » الذي يعده الهنود مكان تناسخ الأرواح ، وأن مدّ البحر وجزره إنما هما إلا صلاة له[3] ، وعندما توفي محمود الغزنوي ، خلفه ابنه مسعود الذي فتح مدينة « بنارس » ، ثم ساد الاختلاف بلاد الهند .

حكم الغزنويون حتى عام ٥٥٥هـ ، وخلفهم الغوريون الذين وصلوا إلى البنغال ، وحكم منهم محمد الغورى فقط ، وخلفه مملوكه « قطب الدين أيبك » ، واستقل الخلجيون في البنغال ، ولأهمية البراهمية أراد أحد حكامهم وهو علاء الدين إيجاد دين جديد يجمع بين الأديان ، وعمل قائده من بعده على إحياء البراهمية للغرض نفسه ،

---

(١) قنوج : مدينة على نهر الغانج بين « اعرا » و« بنارس » .

(٢) كوجرات : شبه جزيرة تقع شمال مدينة بومباي على الساحل الغربي .

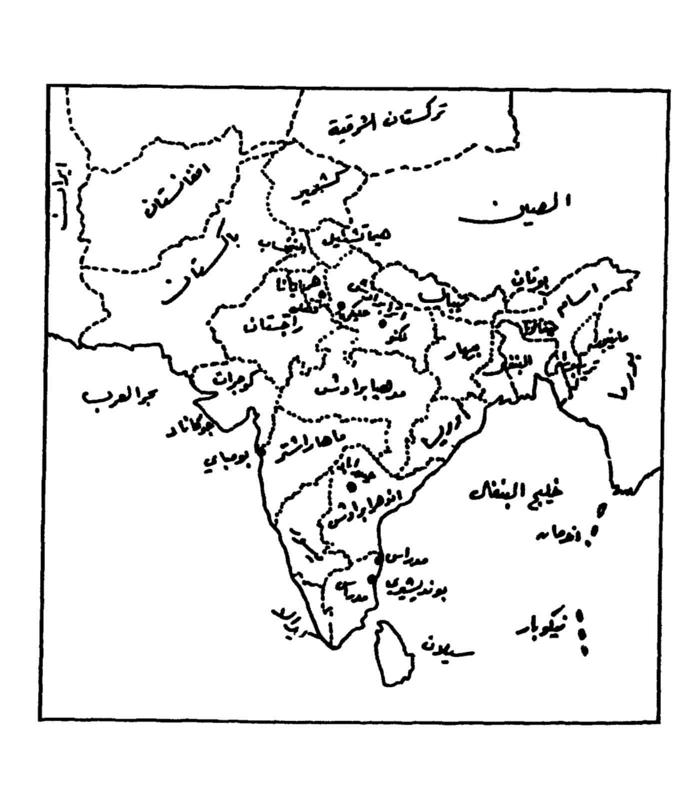
(٣) أعيد بناء معبد « سومنات » بعد تسعة قرون في عهد الحكومة الهندية الحديثة .

فوقف الشعب في وجهه ، وحكم آل تغلق البلاد فعملوا على نشر الإسلام ، ومن حكامهم غياث الدين الذي زار في عهده الهند الرحالة « ابن بطوطة » ، أما « دهلي » فقد حكمها بعد « قطب الدين أيبك » صهره ومملوكه « التمش» ، واعترف عليه الخليفة العباسي ، وأسماه ناصر أمير المؤمنين . وهكذا انتشر الإسلام في شمال الهند في السهول الممتدة بين الغرب والشرق وبخاصة في البنغال بجهود آل تغلق .

ووصل المغول إلى الهند بقيادة تيمور لنك عام ٨٠١هـ ، فانتشرت الفوضى ، ثم حكم « اللودهيون » الهند ومنهم « اسكندر شاه » الذي عمل على نشر الإسلام ، ثم عاد المغول من جديد ، وقتلوا آخر ملوك « اللودهيين » عام ٩٣٢هـ ، واستقر لهم الأمر ، وكانوا حديثي العهد بالإسلام فكان منهم المصلحون ، ومنهم المفسدون ، ومنهم الملك أكبر الذي نقل العاصمة إلى « أغرا » ، وأراد أن يضع ديناً جديداً تقرباً من البراهمية يجمع بينها وبين الإسلام ، فوقف العلماء في وجهه ووجه ابنه الذي خلفه عام ١٠١٤ وهو « جيهان كير » ، وجاء حفيده « أورنكزيب » عام ١٠٦٨ فألغى جميع منكرات أبيه وجده ، وحكم المغول الهند جميعها الأمر الذي جعل الإسلام ينتشر في كل رقعة منها ولكن بنسبة صغيرة ، وإن كانت هذه النسبة تختلف بين منطقة وأخرى حسب ظروف كل منطقة ودعاتها ، وبسبب السياسة العامة ، وجهل أكثر الحكام بالإسلام ، والفوضى التي كانت تعم البلاد . واستمر حكم المغول في الهند ، وإن كانت التجزئة قد حصلت ، وقام عدد من الحكام في آن واحد .

وفي الوقت الذي كان المغول يجتاحون الهند من الشمال الغربي كان القراصنة الأوربيون ينزلون على السواحل الهندية ، ويقومون بهجمة صليبية على المسلمين .

المسلمون في العصر الحديث : طرد النصارى من إسبان وبرتغاليين من الأندلس المسلمين ، وكانت أوربا كلها من وراء النصارى وتدعمهم وتشدّ أزرهم حتى تمكنوا من ذلك ، ووضعوا مخططاً لمتابعة المسلمين ومطاردتهم والالتفاف عليهم من الجنوب والشرق لإمكانية تطويقهم ، وحسب هذا المخطط كان على البرتغاليين أن يتجهوا إلى جنوب بلاد المسلمين فانطلقوا في المحيط الأطلسي فعرفوا رأس الرجاء الصالح ، والتفوا حول أفريقية عام ٩٠٣هـ ، وبعد عام وصلوا إلى الهند ، ونزلوا على ساحلها الغربي ، واستولوا على « غوا » التي غدت منذ عام ٩٣٧هـ عاصمة الهند البرتغالية ، وظهرت محاكم التفتيش في هذه المدينة على النحو الذي حدث في الأندلس ، ولم تكن طلائع



تركستان الشرقية
افغانستان
كشمير
الصين
هيماتشيل
هريانا
راجستان
نيبال
بوتان
اسام
بيهار
مدهيابراديش
كوجرات
بحر العرب
ماهاراشترا
بومباي
اندهرابراديش
مدراس
خليج البنغال
نيكوبار
سيلان

الصليبيين لتدخل إلى الداخل وإنما تكتفي بالمراكز الساحلية ، إذ كانت على خوف من المسلمين وفي الوقت نفسه لتتمكن من السيطرة على التجارة وعمليات النقل للأسلاب وأعمال النهب التي تتم ، كما تستطيع الفرار بسرعة إن دعت الحاجة . وبعد أن كانت أوربا تدعم الإسبان والبرتغال في قتال المسلمين وملاحقتهم لأسباب عدائية أو صليبية محضة بدأت دولها المتعددة تنافسهم وتحسدهم لما حصلوا عليه من غني وثروات فقد استطاع الهولنديون القضاء على نفوذ البرتغاليين في ساحل « مليبار » ، واتبعوا سياسة احتكارية ارتكبوا في سبيلها أبشع الجرائم وأخس الأساليب .

وظهرت انكلترا على المسرح السياسي في هذه المنطقة عام ١٠٣٢هـ فاستولت على مضيق هرمز في الخليج العربي أهم مراكز البرتغاليين ، وفي عام ١٠٤٩هـ استولت على مدراس في جنوب شرقي الهند ، واحتلت البنغال عام ١١٧١هـ ، وبدأت المنافسة الانكليزية ــ الفرنسية . وعندما احتل نابليون بونابرت أراضي هولندة في أوربا وضعت انكلترا يدها على أملاك الهولنديين في الشرق ، ثم تنازلت لها عن « جاوه » فيما بعد ، وعن « سومطرة » ، وتنازلت هولندة مقابل ذلك عن « مالاقا » و« الهند » .

واستطاعت انكلترا عام ١٢٠٥هـ أن تقضي على سلطان « تيبو » الذى استشهد عام ١٢١٤هـ وأن تسيطر على سواحل « مليبار » ، وهكذا تمكنت انكلترا أن تمد نفوذها إلى معظم أجزاء الهند ، ولو أن الحكم الاسمي بقي بيد المسلمين ، ولم يبق للدول الأخرى الأوربية سوى أجزاء بسيطة من شبه القارة الهندية ومنها : البرتغال وفرنسا . وكانت شركة الهند الشرقية الانكليزية هي صاحبة الكلمة الأولى في كل بلاد الهند .

انتقل حكم الهند عام ١٢٧٠هـ من شركة الهند الشرقية الانكليزية إلى التاج فقامت الثورة في البلاد ضد الانكليز ، وخاصة في « دهلي » و « لكنو » إلا أن الثورة قد فشلت ، ونفى السلطان سراج الدين بها دور شاه ظفر إلى « رانغون » عاصمة بورما حيث توفى هناك ، كما قُتل أبناؤه ، ولما كانت الثورة في صفوف الجيش ويتزعمها الضباط المسلمون لذا فقد اضطهد المسلمون عقب فشل الثورة ، وصودرت أملاكهم ، وهدمت مساجدهم أو أصبحت ثكنات للجيوش ، وشرد الموطنون ، ورحب الهندوس بالاستعمار ، فتسلمو الوظائف ، وقتلوا المسلمين ، وادعوا أنه قد آن لهم الأوان للأخذ بالثأر والانتقام ، وحصلوا على الثروة ، واشتروا الأرض حتى لم يبق للمسلمين سوى ٥٪ من الأراضى التي كانوا يملكونها من قبل ، وظهرت خطة التفرقة بين المسلمين والهندوس ، وقد صرح اللورد « النبرو » بذلك حيث قال « ليس في وسعي أن أغمض

عيني بأن هذا العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا ، وأن سياستنا الحقة أن نتجه إلى تقريب الهنود » .

وبعد دخول المستعمرين امتنع المسلمون عن التعليم لأن المدارس أصبحت في أيدي المبشرين حسب أوامر المستعمرين وتوجيه الحكام ، وأقبل الهندوس على التعليم وأيدوا المستعمرين الأمر الذي أصيب معه المسلمون بالجهل فتأخرت أحوالهم ، وفقدوا مراكزهم في حين تلقي الهندوس العلم فتسلموا المناصب ، وتحسنت أوضاعهم وقوي مركزهم .

وقام بعض المسلمين يريدون سد الثغرة التي حصلت وأدت إلى تأخر المسلمين ، فدعا « أحمد خان » (١٢٣٣ ـــ ١٣١٦هـ) إلى التعليم وتقليد الانكليز ، وتقبُّل حضارة الغرب كما هي ، وفسر القرآن الكريم تفسيراً خاصاً يتفق ورأيه الخاص ، وأنكر على الإسلام الرق وتعدد الزوجات ، وتقرب من الانكليز لينال عندهم الحظوة ، فساعدوه بتأسيس جريدة أسماها « تهذيب الأخلاق » وبانشاء كلية في مدينة « عليكرة » عرفت باسم « الكلية الانكليزية الشرقية المحمدية » ، وتعتني بالإسلام والنصرانية والنظم الغربية ، وعرفت بعد الاستقلال باسم « الجامعة الإسلامية » .

وسار بعض المسلمين شوطاً أكبر في سبيل الحصول على المنفعة ، وسار معهم الانكليز بصورة واضحة أيضاً في سبيل دعم حكمهم وتشويه الإسلام ، وهما الغايتان الرئيسيتان لكل استعمار ، فقد قام « ميرزا غلام أحمد القادياني » (١٢٥٥ ـــ ١٣٢٦) فكتب « البراهين الأحمدية » ، ثم ادعى عام ١٣٢٢هـ أنه المسيح المنتظر ، وأفتى بقبول الحكم الانكليزي ، وفسر الجهاد بالشكل الذي يريده الأجانب ، وعد طاعة الانكليز واجبة حيث أنهم أولى الأمر ، وحاول التقرب من الهندوس أكثرية السكان فقال : إنه يتلبس بروح السيد المسيح وبروح الإله « كرشنا » وهو رب الخير عند الهندوس ، وقد انقسم أتباعه بعد وفاته إلى قسمين :

١ ـــ الأحمدية : ويسمون بجماعة لاهور ، ويعدون ميرزا غلام أحمد إماماً ومصلحاً فقط ، ومن زعمائهم « خواجا كمال الدين » و « مولاي محمد علي » .

٢ ـــ القاديانية : ويؤمن أتباعها بنبوة غلام أحمد ، ويعدون جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة السيد المسيح الموعود كافرين خارجين عن دائرة الإسلام ، ولايجوز الصلاة خلف أحد منهم ، كما لايجوز الصلاة على من مات منهم ولو كان طفلاً صغيراً .

وهكذا نجد أن المسلمين قد ابتلوا بالحكام الذين يسعون وراء المنصب الزائل ، ويتقربون من الهندوس طمعاً في البقاء بالسلطة ، ثم ابتلوا بالاستعمار ، ثم ابتلوا بالانقسام ، فقد سار بعضهم وراء المستعمر وحصل على الدعم والتأييد ، وحارب المسلمين ، واتهمهم بالكفر ، ولو أن هذا القسم كان قليل العدد إلا أنه ذو إمكانات لما يحصل عليه من الانكليز ، أما الغالبية العظمى من المسلمين فمغلوبون على أمرهم وأكثرهم في جهل وفقر ، إلا أن هؤلاء قد بدءوا ينهضون فتأسست بجهودهم كليات إسلامية كان من أهمها كلية « ديوبند » التي تأسست عام ١٢٨٣هـ وبدأت بطالب واحد ومدرس واحد ثم توسعت ، ولاتزال إلى الآن قائمة تؤدي دورها ، وكذلك فقد تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها ، وذلك عام ١٣١١هـ في مدينة « لكنو » وتدرس باللغة العربية .

وعندما قوي التيار الإسلامي خافته انكلترا فأرادت أن تعطف المسلمين عن خط سيرهم فدعت إلى القومية الهندية حيث يلتقي تحت رايتها المسلمون والهندوس ، وتبتعد الأفكار الدينية عن المسرح السياسى ، وفي ظل هذه الدعوة تباح المحرمات من زنا ومسكرات ، ويحميها القانون ، وينحرف أبناء المسلمين عن عقيدتهم ، وعلى هذا الأساس نشأ حزب المؤتمر الهندي عام ١٣٠٣هـ ، ودخل فيه المسلمون والهندوس على حدٍ سواء بل إن بعض المنظمات الإسلامية قد اندمجت فيه مثل : « جمعية العلماء » و« مؤتمر المؤمنين الهنود » و « مؤتمر الشيعة » ، وأثناء انعقادالمؤتمر كان رئيسه يعدد نعم البريطانيين ويثني عليهم ، وأنه بالفعل لم يكن هذا الحزب ليقوم لولا دعم الانكليز . وأبدى هذا الحزب في البداية احتراماً لشعور المسلمين ، ولكنه بعد مدة أظهر عكس ذلك فنادى بتخليص الهند من الغرباء ، وإبطال القوانين التي تحترم شعائر المسلمين ، وعدهم غرباء كالانكليز . ونادى الغلاة منهم بقتل كل من يظهر ميلًا نحو المسلمين أو يحاول مسايرتهم ، ومن الذين لقوا حتفهم على أيديهم « غاندي » (١٢٨٦ — ١٣٦٨هـ) وهو زعيم المؤتمر ورئيس الهندوس ، وذلك لأنهم ظنوا أنه يساير المسلمين قليلًا . ويقول السيد « شودري فضل الحق » وهو أحد زعماء الأحرار ، ومن المسلمين ، ومن مؤيدي حزب المؤتمر : « إن المجتمع الهندي عدّ المسلمين كلهم من الأنجاس الذين لا يمسون ، وقد تكون وطنياً قحاً ، وقد تكون من أصحاب غاندي المرموقين ولكنك تعامل معاملة الانجاس الذين لايمسون ، طالما تعلن لأحد من الهندوكيين بأنك من المسلمين » .

وقد جاءت خطوط سياسة الوطنية الهندوكية موضحةً في مقال نشره أحد الثوريين المدعو « هارديال » عام ١٣٤٤هـ في جريدة « بارتاب » التي كانت تصدر في « لاهور » أيام حكم البريطانيين قال فيه : « إن مستقبل الجنس الهندي وهندستان وبنجاب يقوم على أربع دعائم هي :

١ ــ« سانكاثان » أي الوحدة .

٢ ــ« الراجا » أي الإله الهندي « رام راجا » ومعناه وحدة العقيدة وإجبار كل السكان عليها .

٣ ــ« شوذي » أي إرجاع المسلمين إلى الهندوكية .

٤ ــ فتح أفغانستان ومناطق الحدود ورد أهلها عن الإسلام .

وما لم يقم الهنادكة بتحقيق هذه الاعتبارات الأربعة فسيجابه أولادنا وأحفادنا خطراً دائماً ، ولن تكون سلامة الجنس الهندي مضمونة » .

تداعى المسلمون إلى عقد اجتماع لهم فتم ذلك ١٣٢٤هـ في مدينة « دكا » في البنغال الشرقية ، وكان برئاسة « النواب فخار الملك » ونتيجة الاجتماع تأسس حزب « الرابطة الإسلامية » ، وظهر الاختلاف واضحاً بينها وبين حزب المؤتمر الهندي ، ولكن – كما ذكرنا– كان غاندي يحاول أن يظهر بالموقف المعتدل إذ يؤيد أحياناً بعض آراء المسلمين وذلك من أجل كسب بعض عناصرهم ، وليكون مركزه على شيء من القوة ، وخوفاً من نشوب حرب أهلية بين الطرفين ، لذلك أمكن التفاهم في بعض الأحيان ، وفى الوقت نفسه كان « محمد علي جنا»[1] يحاول التوفيق بين الرابطة وحزب المؤتمر ، فقد دعا عام ١٣٣٥هـ إلى عقد مؤتمر الرابطة السنوي في مدينة « لكنو » حيث عقد المؤتمر الهندي في تلك السنة وحتى أطلق عليه اسم « سفير الوحدة الهندية » .

وإذا كان الهندوس أكثر عدداً إلا أنهم كانوا يخافون من المسلمين خوفاً شديداً لقوتهم التي تنبع من إيمانهم ، وللتعاطف الذي كان بين المسلمين آنذاك ، ولامكانية مساعدتهم من قبل العالم الإسلامي الشديد الصلة بشبه القارة الهندية ، وكانت أصوات المسلمين يسمع صداها في كل مكان يرددها إخوانهم ، وهذا ما كانت تخشاه انكلترا قبل أن يخشاه الهندوس .

---

(١) محمد علي جنا : (١٢٩٣ – ١٣٦٨هـ) نشأ على مذهب الاسماعيلية المعتدلين ، وكانت أسرته براهيمية اعتنقت هذا المذهب من قرن من الزمن من محمد علي ، انتسب إلى الرابطة الإسلامية بعد تأسيسها بسبع سنوات ، وكان رئيس البعثة الهندية التي قصدت لندن لتشرح القضية الهندية عام ١٣٣٣ ،

وكان كل ما يحدث في العالم الإسلامي يجد صدى واسعاً له ، فقد انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في البنغال صدى لما حدث في شبه جزيرة العرب ، وقام « أحمد باريللي » يدعو الناس إلى حمل السلاح لقتال جماعة السيخ ، واستمر في قتالهم حتى استشهد عام ١٢٤٧هـ . وانتشرت المهدية في الهند صدى لما حدث في السودان ، وهرع مسلمو الهند إلى جزيرة سيلان « سرنديب » يسألون أحمد عرابي الذى نفي إلى هناك عام ١٣٠٠هـ عن المهدي وأوضاع مصر والسودان . وأثرت دعوة الشيخ جمال الدين الأفغاني للجامعة الإسلامية في الهند تأثيراً واضحاً . وقام الهنود بمظاهرات عنيفة عام ١٣٣٠هـ صدى لما حدث في ليبيا إثر الاحتلال الايطالي لها ، وجمعت التبرعات ، وأرسلت البعثات الطبية ، وبدأت المطالبة بالتطوع للذهاب إلى ليبيا للجهاد . واتخذ حزب الرابطة الإسلامية قراراً يوضح استياء مسلمي الهند من موقف بريطانيا ضد تركيا في البلقان . وقامت مظاهرات عنيفة تندد بنقض بريطانيا لعهودها التي قطعت بها للعرب ، وكان « محمد إقبال » و « محمد علي » و « أبو الكلام أزاد » من الذين قادوا تلك المظاهرات . وكان مسلمو الهند يتابعون القضية المصرية حتى إن ثورة ١٣٣٧ في مصر من أهم الأسباب التي شجعت المسلمين في الهند على الثورة ، وكانت نتيجتها مذابح « أمر تسار » عام ١٣٥٠هـ . وأعلن « محمد علي جنا » باسم الرابطة الإسلامية للحاكم العام الانكليزي في الهند بأن معونة المسلمين متوقفة على ضمان الوطن الإسلامي في فلسطين ، كما احتج باسم الرابطة أيضاً على معاملة هولندة الوحشية لسكان أندونيسيا المسلمين ، ومع هذا الاتفاق في القضايا الإسلامية العامة نجد اختلافاً في وجهات النظر حول القضايا الهندية في الوقت الذي كان فيه الهندوس على اتفاق تام بالنسبة إلى نظرتهم إلى الإسلام والمسلمين ، وكان خلاف المسلمين ينحصر في :

١ ـــ يرى بعض المسلمين ضرورة الدعوة إلى الوحدة الوطنية والوقوف في وجه المستعمرين ، وتأسيس دولة واحدة تضم المسلمين والهندوس ، وقد رأى هؤلاء ضرورة الانضمام إلى حزب المؤتمر الهندي حيث يكونون فيه قوة يحسب حسابها ، كما يرون أن المتطرفين من الهندوس قلة لايعبأ بها ، ومن أشهر الداعين لهذا من المؤسسات والرجال « جمعية العلماء » ، و« مؤتمر الشيعة » و« مؤتمر المؤمنين الهنود » ، و« حسين ذاكر » الذي أصبح رئيساً لجمهورية الهند بعد عام ١٣٩٠هـ ، و « أبو الكلام أزاد » الذي أصبح وزيراً للمعارف بعد استقلال عام ١٣٦٧هـ .

٢ ـــ يرى بعض المسلمين ضرورة انفصالهم عن الهندوس ، وتأسيس دولة واحدة من المقاطعات التي يشكل فيها المسلمون أكثرية ، وعرفت هذه الدولة باسم « باكستان[١] » ، وأول من دعا إلى ذلك الشاعر محمد إقبال ، ونادى بذلك المسلمون الهنود الذين يدرسون في انكلترا ، وانقسم أصحاب هذا الرأي إلى اتجاهين اثنين :

(أ)الاستقلال ضمن باكستان والارتباط مع العالم الإسلامي ، على أساس أن باكستان جزء من العالم الإسلامي ، والأمة الإسلامية ، وذلك في ظل الخلافة الإسلامية ، ويمثل هذا الجناح الشاعر محمد إقبال .

(ب)الاستقلال ضمن باكستان والدعوة إلى القومية الإسلامية الباكستانية ، وقد قوي هذا الاتجاه بعد إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك ، ومع قوة هذا الاتجاه ضغط الانكليز على المسلمين الذين يخشون فكرة الوحدة الإسلامية والخلافة ، إذ أن القومية لايخشى جانبها مادامت فكرة دخيلة تقوم على العاطفة والقوانين الوضعية المستمدة من الأجانب ، وكان « محمد علي جنا » أبرز ممثلي هذا الجناح ، وقد أختلف مع عدد من أعضاء حزب الرابطة الإسلامية .

٣ ـــ يرى بعض المسلمين ضرورة إبقاء المسلمين والهندوس ضمن دولة واحدةٍ مع ضرورة تشكيل جمعية إسلامية قوية تعمل على نشر الإسلام بين صفوف الهندوس خاصة ، الأمر الذي يبقي الحيوية في هذه الجمعية ويزيد عدد المسلمين بالهند ، ويرى أصحاب هذا الرأي أن انفصال المسلمين في دولة واحدة سيبقى أقلية مسلمة في دولة الهندوس وسيعانون الاضطهاد ، ويتعرضون لحرب إبادة ، كما يخشى أصحاب هذا الرأى عدم تطبيق الإسلام في دولة باكستان بعد قيامها ، إذ أن العاطفة هي التي تحرك الدعاة لها حالياً ، وكان من أبرز من تمثل هذا الرأي أبو الأعلى المودودي الذي حارب حزب المؤتمر فقويت الرابطة ، ثم أعاد فأبان خطأ الرابطة في الدعوة إلى القومية الإسلامية ، وذلك حوالي عام ١٣٥١هـ ، ثم قام بتأسيس الجماعة الإسلامية عام ١٣٦٠هـ بعد اجتماع عقد في لاهور ، وانتخب أميراً لها .

---

(١) يقال : إن باكستان تعني بلاد الأطهار ، فكلمة « باك » تعني الأطهار ، وكلمة « ستان » تعني بلاد . كما يقال : إن كلمة باكستان مأخوذه من الأحرف الأولى للمقاطعات التي تضم أكثرية مسلمة وهي : بنجاب ، وبنغال ، وكشمير وكوجرات السند ، ومقاطعات الحدود .

ونتيجة المطالبة بالاستقلال فقد صدر قانون يقضي بتشكيل حكومات محلية في المقاطعات ، وحكومة مركزية ليس من صلاحيتها مهام الدفاع والشؤون الخارجية ، وللحاكم العام الحق في رفض أي قرار يتخذ ، وكان ذلك عام ١٣٥٣هـ ، رفض حزب المؤتمر هذا القانون ، ثم عاد فقبله ، ودخل الانتخاب على أساسه ، وفاز في ست مقاطعات من إحدى عشرة ، ولكنه لم يقبل الاشتراك في الحكم ، ولكنه عاد فقبل ذلك ، وشكل وزارات في المقاطعات التي فاز فيها ، واشترك في وزارة ائتلافية في المقاطعات الأخرى وذلك عام ١٣٥٥هـ .

بدأ الخلاف واضحاً بين حزب المؤتمر وحزب الرابطة الإسلامية ، فرفض غاندي مطالب المسلمين ، وصدر قرار عن المؤتمر بجعل اللغة الهندوسية لغة البلاد التي لايعرفها إلا القليل ، وترك لغة « الأوردو » التي يعرفها الناس جميعاً ، وهي لغة المسلمين ، وتكتب بالحرف العربي ، ومنها الكثير من الكلمات العربية . وبعد الخلاف الذي حدث بين الفريقين عاد المسلمون إلى فكرة التقسيم وعارض الهندوس ذلك أشد المعارضة .

وفي عام ١٣٥٨ دخلت حكومة الهند الحرب دون أخذ رأي الحكومة المركزية الأمر الذي أدى إلى استقالة حكومة حزب المؤتمر ، وزاد الوضع حرجاً احتلال اليابان لأندونيسيا والهند الصينية والفليبين وبورما واقترابها من حدود الهند ، وهذا ماجعل الانكليز يعلنون عن عزمهم في إعطاء الهند الاستقلال بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فرحب حزب المؤتمر بهذا الإعلان وطالب بتسلم الحكم .

وطالب حزب الرابطة باستقلال المسلمين في دولة باكستان ، ونجح في الانتخابات التي جرت عام ١٣٦٦هـ بعد الحرب بالفوز بجميع المقاعد المخصصة للمسلمين حسب هذه المطالبة باستقلال باكستان .

وأبرم المجلس النيابي البريطاني قانون استقلال الهند في صيف عام ١٣٦٦هـ وذلك بإنشاء دولتين مستقلتين في شبه القارة الهندية من نوع الدومنيونات[1] تعرف إحداهما بـ (الهند) ، وثانيتهما بـ (باكستان) ، وسيكون في كل دولة حاكم عام يدير الدومنيون يتم تعيينه من قبل صاحب الجلالة .

---

(١) الدومنيون : هو المستعمرة ذات الحكم الذاتي ، وبموجبه يكون للمستعمرة استقلالها الداخلي ، وحكومتها الخاصة بها ، ومجلسها النيابي مع ارتباطها بالتاج البريطاني ، وخضوعها للحاكم العام الذي تعينه بريطانية ، وهذا النظام أوجدته بريطانية ، وهو خاص بمستعمراتها .

أما المقاطعات الأخرى فقد رأت الهند أن ينظر إلى رأي السكان في بعض المقاطعات ، وينظر إلى رأي الحكام المحليين في مقاطعات أخرى ، وذلك حسب مصلحتها . أما اللورد « مونتبان » فقد كان يرى أن تلتحق هذه المقاطعات بإحدى الدولتين « الهند » أو « باكستان » أو تبقى مستقلة ، وقد نشأ خلاف حول بعض المقاطعات وأهمها :

١ ــ جوناكاد : وهي مقاطعة ساحلية في شبه جزيرة كوجرات ، يحكمها أحد المسلمين ، وقد رأى أن ينضم إلى باكستان ، ولكن الهند عارضت ذلك ، كما عارضت الاستفتاء ، ثم اكتسحت المقاطعة بالقوة ، وطردت الحاكم المسلم .

٢ ــ حيدر أباد : وتقع في هضبة الدكن وسط البلاد ، تبلغ مساحتها ٣٥٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع أي مايعادل مساحة بلاد الشام ، ويزيد عدد سكانها آنذاك على ١٣ مليونا ، ويحكمها أحد المسلمين ، وقد رأى أن ينضم إلى باكستان ، ثم قدّر بُعد بلاده عن باكستان ، فوجد من الأفضل للبلاد أن يستقل ، وفي بلاده الامكانات الكافية ، وليس من المصلحة الانضمام إلى أي من الدولتين الناشئتين ، إلا أن الهند قد رفضت ذلك ، فاقترح الاستفتاء ، فرفضت الهند أيضاً ، كما رفضت استفتاء الأمم المتحدة ، وقامت بالهجوم على حيدر أباد يوم ١٢ شوال ١٣٦٧هـ ، واحتلتها بعد مقاومة ضئيلة .

٣ ــ كشمير : وسنفرد لها بحثاً خاصاً إن شاء الله .

٤ ــ وإن بعض المقاطعات لم تدخل ضمن نطاق التقسيم ، وشكلت دولاً مستقلة ، وهى سيلان ، ونيبال ، وبوتان .

٥ ــ احتفظ الفرنسيون ببعض الموانىء « بونديشيري » .

٦ ــ احتفظ البرتغاليون ببعض الموانىء مثل « غوا » .

ويمكن أن نوضح ذلك بالجدول التالي :

مساحة الهند قبل التقسيم ٤٫٣٦٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع .

ويبلغ عدد السكان ٤٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة

وقسمت فكان مايلي :

جمهورية هندستان ٣٫٢٦٢٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٣٥٦٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة .

جمهورية باكستان ٩٤٣,٠٠٠ر٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٨٠,٠٠٠ر٣٠٠٠ر٠٠٠ نسمة .

مقاطعة كشمير ١٥٥,٠٠٠ر٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٧٠٠ر٣٠٠ر٠٠٠ نسمة .

ولم يتم التقسيم بالأمر السهل فقد حدثت المذابح وكانت أشد بكثير من المذابح التي قامت من قبل التقسيم ، إذ بدأ انتقال السكان الأقليات إلى حيث تزداد نسبة إخوانهم فحدث لهم الذبح والقتل ، فقد أحرق الهندوس والسيخ القطارات التي كانت تنقل المسلمين إلى باكستان ، وخاصة من بنجاب الشرقية التي بقيت مع الهند إلى بنجاب الغربية التى كانت ضمن ولايات باكستان . وقامت الفتنة في البنجاب الشرقية ، واستمرت الفتن حتى خرج كل المسلمين من هذه المقاطعات ، وقد تعرضوا للقتل والحرق وسبي النساء في المدن والقرى ومحطات السكك الحديدية ، ولايمكن تفصيل هذه الأحداث لما فيها من مآسٍ ولكثرتها ، وقد عمت أكثر المناطق وخاصة دهلي ، وقتل مائتا ألف مسلم في يومين فقط في مدينة « أمرتسار » وذلك يومي ٢٤ و٢٥ شوال ١٣٦٦هـ ، كما لم تخل منطقة من ذلك سواء أكان ذلك في « بيهار » أم في البنغال الغربية أم في الجنوب أم في الشمال والوسط .

الهند : وقد ضمت جمهورية هندستان بعد التقسيم والاستقلال مجموعات متباينة من السكان سواء أكان ذلك من حيث عقائدهم أم من حيث لغاتهم ، ويمكن أن نلاحظ هؤلاء السكان وتوزعهم حسب الجدول التالي ، وذلك بالاعتماد على إحصاء قديم عن ذلك اليوم :

الهندوس	٤٠٠ ر ٤٢٤ ر ٢٣٩ نسمة .
المسلمون	٩٩٦ ر ٧٣١ ر ٠٤٢ نسمة .
النصارى	٤١٩ ر ٥٩٢ ر ٠٠٥ نسمة .
السيخ	٧٤١ ر ١١٤ ر ٠٠٤ نسمة .
البارسي	٠٠٠ ر ١١٠ ر ٠٠٠ نسمة .

أما حسب إحصاء ١٣٨٢هـ فكانوا كما يلي : (مع ملاحظة أن الإحصاءات الهندية تحاول التقليل من نسبة المسلمين لأغراض سياسية) .

الهندوس	٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٢٠ نسمة ويشكلون نسبة ٨٤ ٪ من السكان .
المسلمون	٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ نسمة ويشكلون نسبة ١١٪ من السكان .

النصارى	۰۰۰ر۰۰۰ر۱۰ نسمة	ويشكلون نسبة ٥ر٢٪ من السكان .
السيخ	۰۰۰ر۰۰۰ر۰۸ نسمة	ويشكلون نسبة ٢ ٪ من السكان .
الجين	۰۰۰ر۰۰۰ر۰۲ نسمة	ويشكلون نسبة ٥ر٠٪ من السكان
البوذيون	۰۰۰ر۲۰۰ر۰۰ نسمة	
البارسي	۰۰۰ر۱۲۰ر۰۰ نسمة	
اليهود	۰۳۰ر۰۰۰ر۰۰۰ نسمة	

أما اللغة فقد كان أكثر أهل الهند يعرفون لغة الأوردو كلغة رئيسية إضافة إلى لغاتهم المحلية ، ولغة الأوردو هي لغة المعسكر الذى تضم الكثير من العربية والفارسية والتركية مع لغات ثانية ، وتكتب بالحرف العربي ، وتعد لغة المسلمين ، فلما بدأ الانفصال الشعورى بدأ الهنود بمحاربة لغة الأوردو والعمل على إحياء لغة الهندوس التي لايعرفها إلا القليل ، وعندما حدث التقسيم لم تكن لغة الهندوس إلا لغة ثانوية ، وبدأت بعد تقوى تدريجياً في عام ١٣٧٥هـ وعملت حكومة الهند برنامجاً خاصا لتعليم هذه اللغة ، وهي أقرب اللغات إلى « السنسكريتية » التي تدرس بالجامعات ، والتي تعد كاللغة « اللاتينية » بالنسبة إلى اللغات الأوربية ، ويوجد إضافة لها أكثر من مائتي لغة أخرى ، وقد أثبتت الاحصاءات التي قام بها « جون كريسون » عام ١٣٥٠هـ أن عدد لغات الهند ٢٢٥ لغة وأهمها :

الهندوسية : وتنتشر الآن في مناطق كثيرة في الهندويتكلم بها ٥٠ ٪ من السكان .

البنغال :	وتنتشر في مقاطعة البنغال الغربية	ويتكلم بها ٠٨٪ من السكان .
تلوغو :	وتنتشر في شرقي هضبة الدكن	ويتكلم بها ١٠٪ من السكان .
تاميل :	وتنتشر في مدراس وجنوبها	ويتكلم بها ٠٨٪ من السكان .
مارتي :	وتنتشر في وسط الدكن	ويتكلم بها ٠٨٪ من السكان .
غوغاراتي :	وتنتشر في شمال شرقي بومباي	ويتكلم بها ٠٥٪ من السكان .
مالايام :	وتنتشر في جنوب غربي الدكن	ويتكلم بها ٠٤٪ من السكان .

هذا بالإضافة إلى أن أهل كشمير يتكلمون لغة خاصة بهم ، وتعد اللغة الانكليزية الرسمية الثانية ، ويتعلمها الطلاب في المدارس ، وأكثر المثقفين يعرفونها .

تبلغ نسبة المسلمين في الهند حوالي ١٤٪ ، ولما كان عدد سكان الهند ٥٨٥ مليوناً لذا فإن عدد المسلمين اليوم يقدّر بـ ٧٦ مليوناً ، وإن كانت حكومة الهند تعطيهم عدداً أقل من هذا وتدّعي أن نسبتهم لاتزيد على ١٠٪ . وتختلف نسبة المسلمين بين منطقة

وأخرى في الهند حسب انتشار الإسلام وتجمع المسلمين ، فقد رأينا أن الإسلام قد انتشر في الشمال نتيجة الفتح الذي كان طريقه من بحر العرب إلى خليج البنغال ، وأنه قد انتشر في السواحل نتيجة الدعوة والتجارة ، وتعمق في الداخل أثناء حكم المسلمين للهند وانتقال الدعاة في مناطقها المختلفة ، ولولا المستعمرون الذين دخلوا البلاد ، ووقفوا في وجه الإسلام وحاربوه بكل وسيلة امتلكوها لعم المناطق كلها ، ولذا فإن المناطق الشمالية التي بين السند والبنغال أعلى نسبة بالمسلمين من المناطق الداخلية ، والسواحل الغربية التي كانت على طرق السفن أعلى نسبة من السواحل الشرقية ، لكن توزع المسلمين في أرجاء الهند كلها عندما آل حكمها إليهم جعل النسب المتباينة تتقارب ويقل الفرق بينها ، وعندما جاء الاستعمار وخضع المسلمون للاضطهاد والتفرقة اضطروا إلى التجمع في مناطق محدودة بحيث يكون بعضهم قريباً من بعض من أجل التعليم وإمكانية الحياة الاجتماعية ، وكذا بعد الاستقلال إذ أصابهم الضغط الشديد بسبب عقيدتهم ، والمذابح التي لحقتهم ، وهذا ماجعل المسلمين يعيش بعضهم بجانب بعض ، ولهذا كله تجمع المسلمون مرة ثانيةً في مناطق محدودة ، واختلفت نسبتهم في البقاع التي يحتمل أن تكون فيها كبيرة ، ومع هذا نلاحظ الاختلاف في نسبة المسلمين حسب المقاطعات التي يعيشون فيها تبعاً لموقعها .

ففي مناطق الشمال بين السند والبنغال ترتفع النسبة فهي :

في البنغال الغربية	٣١ ٪ .
وفي أسام	٣٤ ٪ .
وفي بيهار	١٤ ٪ .
وفي اتربرادش	١٦ ٪ .
وفي دهلي	٧٪

وإن انخفاض النسبة في البنجاب الشرقية إنما يعود إلى هجرة المسلمين منها وانتقالهم إلى الجزء الغربي منها ، حيث يقع ضمن دولة باكستان التي تجمع فيها المسلمون ، أما انخفاض النسبة في بيهار فإنما يعود أيضاً لهجرة أعداد منهم إلى البنغال ، وكذا في دهلي التي حدثت فيها فتن كثيرة أبيد فيها أعداد من المسلمين .

وترتفع النسبة على السواحل الغربية وبخاصة الشواطىء التي كانت محطات للسفن وتبلغ هذه النسبة :

في كوجرات ٩٪ .

وفي مهاراشترا ٨٪ .

وفي ميسور ١١٪ .

وفي كيرالا ٢٠٪ .

وتصل النسبة في جزر « لاكاديف » إلى ٩٤٪ بسبب أنها كانت محطات للسفن جميعها سواء التي كانت تريد أن تقف على سواحل الهند الغربية ولاتتعداه أم التي تريد أن تتابع طريقها دون التوقف في بلاد الهند ، ونلاحظ أن النسبة ترتفع على السواحل الغربية كلما اتجهنا نحو الجنوب حيث تضطر السفن للتوقف بعد أن تكون قد قطعت مسافات طويلة على حين لاتضطر للتوقف دائماً في المناطق الشمالية ، لأنها لاتكون قد سارت إلا مسافة قصيرة بعد انطلاقها من كراتشي .

أما على السواحل الشرقية فتكون النسبة في الجنوب أكبر منها في الشمال أيضاً ، وذلك بسبب تقعر الخليج البنغالي ، والسفن يمكنها الانتقال مباشرة نحو الملايو بعد اجتيازها مضيق سيلان ، لهذا نلاحظ أن نسبة المسلمين تكون :

في بونديشيري ١٨ر٧٪ .

وفي مدراس ٤١ر٥٪ .

وفي اندهرابرادش ٨٪ .

وفي اوربا ٥ر١٪ .

أما سبب ارتفاع نسبة المسلمين في البنغال فإنما إلى الفتح لا إلى التجارة . ويبدو كذلك أن السفن لم تكن لتتوقف في محطات قبل « مالاقا » في شبه جزيرة الملايو لذا فإن نسبة المسلمين في جزر « اندمان » و « نيكوبار » لم ترتفع كثيراً ، وهي الآن ١١٪ لأنها لم تكن محطات دائمة .

أما المناطق الداخلية فتعد قليلة النسبة إذا قارناها مع ماحولها وحتى مع النسبة فهي :

في مانيبور ٦ر٦ ٪ على حين أن ماحولها لاتقل نسبته عن ٣٠٪ .

وفي تريبورا ٧ر٠ ٪ على حين ماحولها لاتقل نسبته عن ٣٠٪ ، وهي قريبة من « مانيبور » ،

وفي مدهيا برادش ٤ر٤٪ .

وفي هيماشل برادش ٥ر١٪ حيث تقع في الشمال في المنطقة الجبلية بعيدة عن طريق الفتح .

وفي هريانا ١ر٤٪ .

وعلى هذا تكون المراكز الإسلامية الثقافية والعلمية موزعة حسب تكاثر المسلمين فنجد .

١ ـ **في شمال الهند** : أ ـ دار العلوم في « ديوبند » وتصدر مجلتين إحداهما باللغة العربية وتسمى « دعوة الحق » والثانية تصدر بلغة « الاوردو » ، وتسمى دار العلوم ، ولهذه الدار مكتبة ودار للإقامة .

ب ـ دار العلوم في « لكنو » وتتبع ندوة العلماء ، وتصدر ثلاث مجلات : (١) الرائد : باللغة العربية . (٢) البعث الإسلامي : باللغة العربية . (٣) تعمير حياة : بلغة الأوردو .

ج ـ مدرسة الإصلاح ، وتتبع ندوة العلماء .

د ـ الجامعة الرحمانية : في « بيهار » .

هـ ـ مدرسة مظاهر العلوم في لواء « سهارنبور »

و ـ المدرسة العالية النظامية في « لكنو » .

ز ـ المدرسة العالية في« رامبور » .

٢ ـ **في غربي الهند** : أ ـ دار العلوم الأشرفية قرب بومباي .

ب ـ الجامعة الحسينية .

ج ـ الجامعة العربية الإسلامية .

٣ ـ **في جنوب شرقي الهند** : أ ـ جامعة دار السلام في مدينة عمر أباد في مقاطعة مدراس ، وتأسست ١٣٤٣هـ .

ب ـ مدرسة الباقيات الصالحات ، وتأسست ١٣٠١هـ .

ج ـ المدرسة الجمالية ، وتأسست ١٣١٨هـ .

٤ ـ **في جنوب غربي الهند** : أ ـ روضة العلوم .

ب ـ مدينة العلوم .

ج ـ سلم السلام .

٥ ـ **في وسط الهند (حيدر آباد)** : أ ـ الجامعة النظامية .

ب ـ الجامعة العثمانية ، وتأسست ١٣٠٦هـ ، وتضم اليوم ٦١ كلية .

٦ ـ **مدارس الشيعة** : وأهمها : أ ـ الجامعة النظامية : في لكنو .

ب ـ كلية الشيعة : في لكنو .

٧ ــ **مدارس البوهرا** : والبوهرا طائفة من الاسماعيلية وتعني التاجر ، ويبلغ عددهم عشرة ملايين نسمة ، ويقيم معظمهم في بومباي ، ويعدون أغنى جماعات الهند ، وتعد أهم مدارسهم المؤسسة السيفية في مدينة « سورت » .

وهذه المدارس كلها تدرس بالعربية .

٨ ــ **الجامعات العصرية** : وهي لاتتقيد بتدريس العربية وأهمها :

أ ــ الجامعة الإسلامية في عليكرة .

ب ــ الجامعة الملية الإسلامية في دهلي .

ويوجد في مدينة « عليكرة » مركز ثقافي إسلامي وله أهمية كبرى ومن التنظيمات الإسلامية :

١ ــ جماعة التبليغ : التي أسسها الشيخ محمد إلياس الكاند هلوي عام ١٣٦٣هـ ، وينتقل أتباع هذه الجماعة فى القرى والمدن ، ويمرون على المساجد ويدعون الناس فيها ، وأثرهم قليل إذ أن دعوتهم إنما تقوم بين أفراد المسلمين ، وعلى طريق الوعظ ، وعندما توفي الشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة خلفه ابنه محمد يوسف الكاند هلوي .

٢ ــ الجماعة الإسلامية : وتتبع الجماعة الإسلامية في باكستان والتي أسسها أبو الأعلى المودودي عام ١٣٦٠هـ ، وتولى أمرها من بعده « طفيل محمد » ، أما في الهند فإن أميرها هو الشيخ محمد يوسف . وتدعو الجماعة إلى تطبيق المنهج الإسلامي ، ولكن تتعرض بين المدة والأخرى إلى الحل وسجن أعضائها وملاحقة أفرادها بسبب السياسة التي تنتهجها الهند في عدائها للمسلمين .

وعلى الرغم من تسلم بعض المسلمين المناصب العليا إلا أن هذا لم يكن ليؤثر على الخط العام للحكومة الهندية في حربها للإسلام فقد تسلم « أبو الكلام أزاد » وزارة المعارف الهندية إثر التقسيم ، ومع هذا فقد حدثت مذابح للمسلمين ، وتسلم « حسين ذاكر » رئاسة الجمهورية عام ١٣٩٠هـ ، إلا أن رئاسة الجمهورية منصب فخرى والسلطة التنفيذية إنما هي بيد رئيس الوزراء ، ومن المعلوم أن الكثير من أصحاب المنافع ، ومحبى المناصب يندفعون وراء الحكام في سبيل تحقيق أغراضهم دون النظر إلى مايلحق إخوانهم من أذى وماينالهم من ظلم . وقد لجأت حكومة « أنديرا غاندي » إلى تنفيذ سياسة « عقم المسلمين » عن طريق الحقن والأدوية في سبيل الإقلال من النسل ، والتخفيف من زيادة المسلمين وأثرهم .

وكلما حدث خلاف أو حرب بين الهند وباكستان تعدّ الهند المسلمين الذين يعيشون على أرضها أنصاراً لإخوانهم في باكستان فينالون الاضطهاد ، وتراق [illegible] ، وتسجن الأعداد الكثيرة منهم ، وهذا ماحدث في عامي ١٣٨٥هـ ، و١٦١ [illegible] ، وما أكثر الخلافات بين الهند وباكستان بسبب قضية كشمير ، والخلافات التاريخية . كما أن الأحداث بين المسلمين والهندوس لاتنفك تقع بين مدة وأخرى ، ومن المحتمل أن تقع في كل وقت بسبب الخلافات العقائدية فالهندوس يقدسون الأبقار ، ويخلون لها الطرقات ، ويفسحون لها المجال لتتصرف كما تحلو لها بهيميتها ، والمسلمون يذبحون الأبقار ، ويأكلون لحمها ، ويكيلون لها الضرب إذا مانال أحد من المسلمين أذاها ، ويكفي هذا لقيام المذابح بين الطرفين ، ثم تكون العاقبة الوخيمة على المسلمين بسبب تصرفاتهم ويبدأ عمل الحكومة .

هذا بالإضافة إلى الخلافات السياسية وماينتج في الحياة الاجتماعية ، وإثر كل حادث تنال المصائب المسلمين وتحل بهم النكبات . ويعطي الهنود دائماً نسبة المسلمين أقل من الواقع بكثير للتخفيف من شأنهم .

سيلان

ـ ٢ ـ

جزيرة تقع جنوب الهند وتعرف دولتها باسم « سيريلانكا » ، وتبلغ مساحتها ٦٥٫٣٦١ كيلو متراً مربعاً ، وعاصمتها مدينة « كولومبو » ، استقلت يوم استقلال أجزاء شبه القارة الهندية الأخرى عام ١٣٦٦هـ .

وصل المسلمون إلى سيلان عن طريق التجارة من جنوبي العرب ، ومن الهند ، ومن الملايو ، لذا فقد تكاثروا على السواحل سواء أكانت الشمالية الغربية مثل مقاطعة « منّار » حيث جاء إليها التجار العرب والهنود ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها اليوم ٤٠٪ من مجموع السكان ، أم على السواحل الشرقية مثل مقاطعة « ترينكو » التي تبلغ فيها نسبة المسلمين ٣٥٪ ، ومقاطعة « امباري » والتي تصل نسبة المسلمين فيها إلى ٤٥٪ ، على حين أن نسبة المسلمين فى الجزيرة عامة لاتزيد على ٨٪ .

يزيد عدد المسلمين في سيلان على المليون قليلاً من أصل السكان البالغ عددهم ثلاثة عشر مليوناً ، أما بقية السكان فهم من البوذيين وتبلغ نسبتهم ٨٤٪ ، ولاتزيد نسبة

النصارى على ٥٪ ومابقي وهو ٣٪ فهم من الهندوس ، أي أن سيلان تختلف عن الهند بأن أكثرية السكان يدينون بالبوذية على حين يدين معظم سكان الهند بالهندوسية ، وهذا الأمر الذي جعل أهل سيلان يفضلون الانفصال عن الهند .

البوذيـــــــون	١٠٫٩٢٠٫٠٠٠	٨٤٪
المسلمـــــــون	٠١٫٠٤٠٫٠٠٠	٨ ٪
الـــــــنصارى	٠٠٫٦٥٠٫٠٠٠	٥ ٪
الهنـــــــدوس	٠٠٫٢٩٠٫٠٠٠	٣ ٪
	١٣٫٠٠٠٫٠٠٠	١٠٠٪

ومعظم المسلمين في الجزيرة يطلق عليهم اسم « الموروز » وهو الإسم الذي أطلقه الإسبان والبرتغاليون على المسلمين أينما وجدوهم ، فهم « الموروز » في مدغشقر والفليبين ، و« الموروز » في سيلان ، وأغلب المسلمين يعمل في فلاحة الأرض وزراعتها ، وإذا كان الدور الأول في انتشار الاسلام يعود للتجارة إلا أنه يجب ألا ننسى دور الدعاة ، وهم قد جاءوا في أول الأمر مع التجارة وعن طريقها .

وعندما حكم المسلمون الهند فقد حكموها جميعها بما فيها سيلان ، وجاء الاستعمار البرتغالي عام ٩١١هـ يحمل معه الحقد فنكل بالمسلمين ، وأباد قرىً كاملة ، ويجب ألا ننسى أن إخراج المسلمين من الأندلس على أيديهم وأيدي الأسبان لم يمض عليه أكثر من خمس عشرة سنة ، لذا فإن محاكم التفتيش قد لعبت دورها .

وجاء مسلمون إلى الجزيرة في القرنين الحادي عشر والثانى عشر ، ومعظم من الملايو وأندونيسيا جاءوا كجنود أثناء الصراع الاستعماري ، كما نزح إليها بعض الملايويين أثناء حكم الهولنديين لها ، ويقيم في البلاد جماعة من مسلمي الهند ، وهم من رجال الأعمال والتجارة الواسعة .

وجاء الهولنديون عام ١٠٦٩هـ فتابعوا سياسة البرتغاليين تجاه المسلمين ، وأسسوا مدارس تبشيرية نصرانية للوقوف في وجه المد الإسلامي الأمر الذى جعل بعض المسلمين يتجهون نحو الداخل ويلتجئون إلى بعض الأمراء المحليين علهم يجدون عندهم المأوى والرحمة ، وهذا ماجعل الإسلام ينتشر في الداخل ، وإن كانت النسبة قليلة لاتزيد على ٨٪ في أكثر المناطق اتساعاً بانتشار الإسلام في الداخل وهي مقاطعة « كاندي » .

وجاء الانكليز عام ١٢١١هـ وساروا على السياسة نفسها التي سار عليها من سبقهم من النصارى سواء أكانوا من الهولنديين أم من البرتغاليين ، وأسسوا المدارس النصرانية ، وقصروا التعليم عليها وعلي المدارس الحكومية العلمانية ووجهوها توجيها خاصاً ضد العقيدة الإسلامية ، وأغروا المسلمين بدخولها ، إلا أن المسلمين قد عرفوا من المستعمرين النصارى الذين سبقوا الانكليز ماناالهم وماخططوا له لضرب العقيدة لذا فقد أحجموا عن انتسابهم إلى هذه المدارس الأمر الذي أبقاهم على حالةٍ من التخلف والجهل على حين سبقهم غيرهم لما نالوا من علم على أيدي المستعمرين .

استقلت سيلان عام ١٣٦٦هـ ، ويلاقي المسلمون في ظل عهد الاستقلال اضطهاد الحكومة البوذية ، وللمسلمين عدة مؤسسات أهمها :

١ ــ الجماعة الإسلامية : وتأسست عام ١٣٥٤هـ ، وتتبع الجماعة الإسلامية في باكستان .

٢ ــ جماعة أنصار السنة : وتأسست عام ١٣٦٧هـ .

٣ ــ جماعة التبليغ : وتأسست عام ١٣٧٣هـ .

٤ ــ جمعية الشبان المسلمين .

٥ ــ رابطة المسلمين .

وتوجد في البلاد منظمة ، ودائرة للأوقاف الإسلامية .

وأقام المسلمون عدداً من المؤسسات التعليمية أشهرها :

١ ــ كلية الزاهرة في العاصمة « كولومبو » وذلك عام ١٣١٠هـ ، وكان لها خمس مدارس فرعية إلا أن الحكومة البوذية قد وضعت يدها على هذه الفروع .

٢ ــ كلية السيدات المسلمات في مدينة « كيليا » الواقعة إلى الجنوب من كولومبو ، وتشتمل على قسم خاص باليتيمات .

٣ ــ مدرسة دار الأيتام لأبناء المسلمين .

٤ ــ دار الثقافة الإسلامية .

وتوجد مدارس عربية دينية يزيد عددها على خمس وعشرين مدرسة ، وهناك مدارس لتحفيظ القرآن ، ومكتبة عامة للمسلمين تأسست عام ١٣٥٢هـ . كما يصدر المسلمون ثلاث صحف شهرية .

نيبـال

- ٣ -

وهي منطقة جبلية تقع شمال الهند ، تبلغ مساحتها ١٤٢٫٠٠٠ كم٢ ، وبطبيعتها الجبلية ، وانعزالها ، وطبيعة الفاتحين المسلمين فإنهم لم يفتحوها ، وانما انتشر فيها الإسلام ببطء حيث لاتزيد نسبة المسلمين فيها على ٣٫٨٪ من عدد السكان البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة ، وبذا يقدر عددهم بـ ٣٨٠٫٠٠٠نسمة ، وقد استقلت مع استقلال الهند .

بوتـان

- ٤ -

منطقة جبلية صغيرة تبلغ مساحتها ٤١٫٢٨٠ كم٢ ، وتشبه نيبال من حيث الطبيعة والسكان والعقيدة ، وتصل نسبة المسلمين فيها إلى ٥٪ من عدد السكان البالغ مليون نسمة ، وبذا يكون عددهم خمسين ألفاً .

المسلمون في بورما

ـ ٥ ـ

تبلغ مساحة بورما ٦٨٠٫٠٠٠كيلو متر مربع ، ويسكنها مايقرب من ثلاثين مليوناً ، وبذا يشكلون نسبة من السكان تزيد على ٧٪ من السكان ، ويقطن أكثرهم في العاصمة « رانغون » ، وفي مدينة « ماندلى » التى تقع شمال العاصمة ، وتبعد عنها ٥٩٠ كم٢ .

يتكلم السكان عددا من اللغات يزيد على العشر ، وأهمها « البرمية » ، وهي السائدة ، ويتكلمها أكثر السكان ، أما المسلمون فيحرصون على معرفة العربية إلى جانب « البرمية » ، وكذلك فإن اللغة الانكليزية لها دورها الكبير وبخاصة في الأوساط المتعلمة .

وصل الإسلام إلى بورما عن طريق التجارة ، إذ كان بعض العرب المسلمون يحطون رحالهم على الشواطىء ، ولكن يبدو أن انتشار الإسلام عن هذه الطريق كان قليلاً لأن شواطىء بورما لم تكن محطات للسفن بسبب تقعرها ؛ لأن السفن كثيراً ماكانت تختصر الطريق بالاتجاه نحو مالاقا وجنوب شرقي آسيا ، لذا فإن انتشار الإسلام عن طريق التجارة كان واسعاً جنوب بورما في بلاد فطاني والملايو . والأرز هو غذاء السكان الرئيسي ، ويزيد إنتاجه على حاجة البلاد لذا فهو يدخل في قائمة الصادرات .

وغزا المسلمون التتار بورما عن طريق الصين عام ٦٨٦هـ ، فانتشر الإسلام ، وقد خلع المسلمون الملك الطاغية ، ونصبوا مكانه آخر أقل منه ظلماً .

وكذلك وصل الإسلام عن طريق الهند ، ففي القرن الحادي عشر الهجري حكم الهند « أورانكزيب » واختلف مع أخيه « سوجا » فانتقل الأخير إلى بورما مع عدد من أتباعه المسلمين ، وتوغلوا في الداخل ، وتعايشوا مع السكان ونشروا دينهم هناك .

وقد وصل إلى بورما عدد من مسلمي الصين والهند ، وعاشوا فيها .

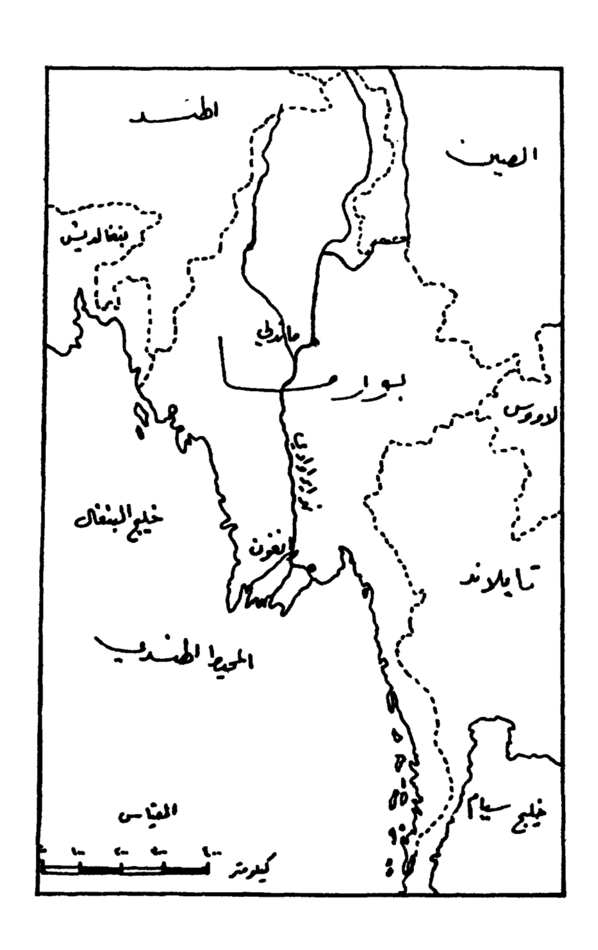
وينتقل كثير من المسلمين بين الصين (يونّان) وبين (ماندلي) في بورما بشكل عادي على شكل أفراد ، وعند المحن والنكبات بشكل جماعي .

لقي المسلمون اضطهاداً يوم الاستعمار الانكليزي فكان حائلا بينهم وبين المناصب والوظائف بل والأعمال ، وقد زاد هذا الاضطهاد بعد الاستقلال ، وقد تعرضوا في الآونة الأخيرة لحرب إبادة ذهب ضحيتها الكثير ، وأجبر الكثير على مغادرة البلاد فانتقلت أعداد كبيرة منهم إلى البلدان المجاورة وخاصة بنغالاديش .

المسلمون في الهند الصينية

ـ ٦ ـ

تشمل الهند الصينية دول فيتنام ، وكامبوديا ، ولاوس ، وتقع هذه الدول في جنوب شرقي آسيا ، وتبلغ مساحتها مجتمعة ٧٤٨٫٠٩٣كم² ، ويقدر عدد سكانها بستين مليوناً ، خمسون منهم في فيتنام ، وسبعة ملايين في كامبوديا ، والباقي في لاوس .



الهند
الصين
بنغلاديش
ماندلاي
بورما
لاوس
خليج البنغال
رانغون
تايلاند
المحيط الهندي
خليج سيام
المقياس
٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠
كيلومتر

تدين شعوب المنطقة منذ عصور قديمة بالنظريات والمعتقدات المختلفة ، ومنها البراهمية التي وصلت إليها من الهند ، وعمت المنطقة ماعدا منطقة أنام (شمال فيتنام) والتي أثرت فيها نظرية « كونفوشيوس » التي وفدت من الصين ، ثم وصلت إليها البوذية وعمت شعوب المنطقة ، وظهر الإسلام فى منطقة« تشامبا » في القرن الخامس الهجري ، وجاءت النصرانية أخيراً مع الاستعمار الفرنسي .

لمحة جغرافية : تتألف الهند الصينية من سلسلة جبال « أنام » التي تنفصل عن كتلة الصين ، وتمتد على شكل قوس يأخذ اتجاه السواحل ، وتحصر هذه الجبال بينها وبين الساحل سهولاً ساحلية يختلف اتساعها بين منطقة وأخرى ، وتمتد في الشمال سهول فيضية يشكّلها النهر الأحمر بما يحمل من مجروفات أثناء انحداره من الجبال ، ويروم بها خليج « طونكين » ، كما تمتد في الجنوب سهول فيضية أخرى يشكلها نهر « الميكونغ » بعد أن ردم منطقة واسعة من خليج « سيام » ، ووصل بين البر وجزيرة كانت قائمة في جنوب غربي مصبه ، وتكون هذه السهول معظم أراضي« كامبوديا » عدا إقليم « كوشانشين » الذي ضمته فيتنام إليها ، أما جبال أنام فتشكل بلاد « فيتنام » و« لاوس » وتكون ذراها الحدود الفاصلة بين الدولتين ، أما السهول الفيضية الشمالية فتتبع « فيتنام » ولايزيد ارتفاع هذه الجبال على ٢٥١٠م ، وإن كانت تصل في الشمال إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر .

تمتد شبه جزيرة الهند الصينيةبين خطي عرض ٣٠ر٨ ــ ٢٣ شمالاً ، ولما كانت في جنوب شرقي القارة كانت ضمن نطاق المناخ الموسمي ذي الأمطار الصيفية الغزيرة التي تسبب فيضان الأنهار في ذلك الفصل ، وقد يحدث الدمار في كثير من الأحيان . وتسود زراعة الأرز الذي يعد غذاء السكان الرئيسى ، وتتألف منه أكثر أطعمتهم ، كما يزرع المطاط والنباتات المدارية كلها .

لمحة تاريخية : وصل الإسلام إلى الهند الصينية في القرن الرابع الهجرى أو قبل ذلك بقليل عن طريق التجار الذين عملوا في الدعوة إلى الإسلام ، وكان هؤلاء التجار ينزلون على السواحل البارزة في البحر أو التي تكون محطات إجبارية للسفن لذلك ؛ فقد كان ساحل مملكة أنام مجالاً لتوافد التجار المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام هناك بين شعب « تشام » ، وكان يطلق عليهم اسم « هوي هوي » وهو الإسم الذي يطلقه الصينيون على المسلمين حتى الآن .

وقد ازدهر الإسلام في تشامبا في القرن الثامن الهجري عندما توطدت العلاقة بين مملكة تشامبا وسلطان المسلمين في الجزر الأندونيسية . وتعود مملكة تشامبا في تاريخها إلى عام ٤٢٠ قبل الهجرة ، وقد دخلت في صراع مع جيرانها الصينيين والكامبوديين ، ولعل هذه الدول هي أقدم دولة أسستها الأقوام الملايوية ، وكانت تعتمد في حياتها على التجارة . ولم ينتشر الإسلام في الهند الصينية في غير هذه المنطقة وذلك لتراجع السواحل التي تؤلف خلجاناً واسعة مثل خليج « سيام » في الجنوب ، وخليج « طونكين » في الشمال .

ومنذ القرن الثامن الهجري أصبحت « تشامبا » إمارة إسلامية ، وبلغ أقصى امتداد لها عام ٨٧٥هـ إذ وصلت حدودها الشمالية إلى بداية خليج طونكين عند مدينة « دونغ هوي » الحالية أي تضم الجزء الجنوبي مما عرف اليوم باسم « فيتنام الشمالية » ، أما حدودها الجنوبية فقد وصلت إلى إقليم « كوشانشين » وذلك على بعد ٧٥ كيلو متراً تقريباً شمال مدينة « سايغون » الحالية ، وبذا شملت دولة تشامبا الإسلامية أكثر أجزاء فيتنام الجنوبية ، وجنوبي فيتنام الشمالية ، وكانت تضم خمس ولايات .

كانت صلة تشامبا قوية مع المسلمين في كل بلادهم ، فلما ضعف شأن المسلمين ، وضعفت قوتهم ، ضعفت معهم تشامبا الأمر الذي أطمع فيها جيرانها ، وبدءوا يغزونها ، فتقدمت فيتنام التي كانت تضم أرضها منطقة « طونكين » على ضفاف النهر الأحمر من الشمال وذلك عام ٨٧٥هـ .

استمر الغزو الفيتامي مايقرب من أربعة قرون (٨٧٥ ــ ١٢٣٨هـ) وكان يتقدم تدريجياً من الشمال حتى قضى على الدولة نهائياً ، وكان الفيتناميون يشنون حرب إبادة تامة ضد المسلمين التشامبيين ، أو ينقلون أعداداً كبيرة منهم إلى فيتنام ، أو يضطرونهم إلى الفرار خارج البلاد ، فعندما سقطت « فيجايا » عاصمة تشامبا بأيدي الفيتناميين قتل الغزاة ستين ألفاً من السكان ، وأسروا ثلاثين ألفاً ساقوهم إلى « هانوي » عاصمة فيتنام ، ومن بينهم خمسون من أفراد الأسرة الحاكمة ، ثم لجأوا بعد ذلك إلى أخذ الأراضي من يد مالكيها وإعطائها إلى الغزاة الذين بدءوا بالاستيطان في تشامبا بل انتقلت إليها أعداد كبيرة من فيتنام ، حيث قدمت لهم الأرض ، وهكذا أصبح شعب تشامبا غريباً في بلاده ، ولا يملك شيئاً من أراضيه ، ولما رأى الملك ذلك وهو لايملك من الأمر شيئاً قرر مغادرة البلاد واللجوء إلى كامبوديا ، فرحب به ملك كامبوديا وبمن تبعه من

التشامبيين الذين فضلوا أن يكونوا غرباء في كامبوديا من أن يكونوا غرباء في وطنهم ، ومن هنا بدأ الوجود الإسلامى في كامبوديا وذلك بعد عام ١٢٣٧ ، ولايزال هؤلاء التشامبيون يقيمون في كامبوديا حتى الآن ، ويطلق عليهم « خمير إسلام » «Khm§ß islam» أي الكامبوديون المسلمون .

تابع الغزاة الفيتناميون سياستهم التعسفية ضد المسلمين الأمر الذي أجبر الكثير إلى الهرب من البلاد ، فانطلق بعضهم إلى ماليزيا ، واتجه بعضهم نحو أندونيسيا هذا بالإضافة إلى من سار منهم إلى كامبوديا .

أ ــ المسلمون في فيتنام :

يقدر عدد المسلمين اليوم في فيتنام بحوالي مليون وربع ، وبذا يشكلون ٢٫٥٪ من السكان ، ومن الصعب أن نعرف شيئاً عنهم بسبب الأوضاع السياسية القائمة ، وهذا العدد هو ممن بقي في هذا الجزء من الهند الصينية ، ويعيش أربعون ألفاً منهم في اقليم « كوشانشين » وهو الجزء الجنوبي من فيتنام ، ويعد منطقة سهلية ، ويتوزعون في منطقة « تشادوق Chandrı»الواقعة على حدود كامبوديا على يمين نهر « الميكونغز » ، وفي مدينة « سايغون » ، ومنطقة تاي نينه Taynė ×الواقعة على حدود كامبوديا أيضاً . كما يعيش خمسون ألفاً في اقليم بينتهيوان ، إلا أنهم في هذا الاقليم قد أصابهم جهل كبير بسبب انقطاع الصلة بينهم وبين إخوانهم في اقليم « كوشانشين » ، وغدت مساجدهم لاتفتح إلا يوم الجمعة ، ويصلي فيها الأئمة نيابة عن الشعب ، كما يصومون عنهم شهر رمضان ، وعندهم بعض السور من القرآن الكريم مكتوبة باليد . هذا بالنسبة إلى الكبار ، أما الجيل الجديد فقد نشأ على صورة أكثر جهلًا ، فلا يعرفون عن الإسلام إلا ما يقول عنه أعداؤهم ، وقد ارتد بعضهم فاعتنق النصرانية ، ومنهم من سار في طريق البهائية حيث وصل دعاتها إليهم عن طريق معونة الاستعمار .

وفي عام ١٣٨١هـ قام بعض الأفراد من المسلمين التشامبيين في « كوشانشين » وشاركهم بعض التجار الهنود بالدعوة إلى الاسلام ، فوجدوا نجاحاً في مهمتهم ، وتنبه آلاف المسلمين فأقبلوا على تعلم العبادات وبعض الأحكام ، وبنوا المساجد في مناطقهم ، كذلك تأسست جمعية « هي الجمعية التشامبية الإسلامية الفيتنامية » في العام نفسه ، وللغرض نفسه .

وفي العهد الجمهوري السابق كان يكلف أحد التشامبيين بوزارة« التنمية للشعوب الأقلية » ، كما يشغل أحدهم عضوية مجلس النواب ، وآخر عضوية مجلس الشيوخ . ولكن لايسمح للمسلمين بالالتحاق بالكليات الحربية ، وإذا صادف وتجاوز الفيتناميون عن هذا التجاوز لايصل إلى الكلية الجوية ، ثم إن نظام التجنيد لايشمل المسلمين أبداً .

وعندما استولى الشيوعيون على فيتنام الجنوبية عام ١٣٩٥هـ فر الكثير من المسلمين خارج حدود البلاد إذ علموا بمصيرهم ، وطريقة الشيوعيين في القتل ، فمنها أنهم أمضوا عشرين يوماً في دفن الناس أحياء بعد أن دخلوا مدينة هوي القريبة من الحدود بين دولتي فيتنام آنذاك . ومع ذلك فقد تمكن الشيوعيون من نقل بعض زعماء المسلمين إلى هانوي في الشمال وقد انقطعت أخبار هؤلاء المنقولين ، كما زُجّ الآف المسلمين في السجون ، كما أخذوا أئمة المساجد إلى أمكنة مجهولة بحجة أنهم رفضوا رفع صورة الزعيم الشيوعي (هوتش مينه) في مساجدهم ، واستولوا على المساجد والمدارس التي تعلم القرآن الكريم وجعلوها وحدات صحية ، أو مقرات للاجتماعات ، وأبقوا المسجد الجامع في مدينة « سايغون » والذي يقع قرب مبنى مجلس الأمة ، وبالمناسبة فقد أعادوا للمسلمين في « هانوي » مسجدهم بعد أن حولوه إلى مصنع مدة من الزمن .

ولايُسمح للمسلمين بأداء الصلاة اليومية ، أما صلاة الجمعة فلا تقام إلا بعد الحصول على تصريح من الشرطة على أن تدوّن أسماء المصلين وعنوان كل واحد منهم ، وهذا التصريح أسبوعياً .

ويعيش المسلمون الآن على حالة من الفقر لاتكاد تصدق ، فلا يجد المرء ثمن الكفن لميته ، كما لاتستطيع المرأة أن تستر عورتها في الصلاة لأنها لاتملك ثمن تلك الثياب الطويلة .

وتقدر مساحة فيتنام اليوم بـ ٣٣٦,٠٠٠كم٢ ، وبذا تكون كثافة السكان فيها كبيرة وتزيد على ١٥٠ شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد .

ب ــ **المسلمون في كامبوديا** : تبلغ مساحة كامبوديا ١٨٢,٠٠٠كم٢ ويقدر عدد سكانها بسبعة ملايين ، وبذا لاتصل الكثافة إلى أكثر من ٣٠ شخصا في الكيلو المتر المربع الواحد ، وهي كثافة ضئيلة .

بدأ وجود المسلمين في كامبوديا عام ١٢٣٧هـ بعد وصول الشامبيين الهاربين من بلادهم إليها ، ولم يكن فيها من قبل مسلمون . ويصل عدد المسلمين اليوم في كامبوديا إلى مليون نسمة وبذا يشكلون ٨ر١٤٪ من مجموع سكان البلاد ، وإن كانت الحكومة لاتعترف بهذا أبداً ، وتعطي إحصاءات متناقضة عنهم فتارة لايصلون إلى مائة وخمسين ألفاً ، وتارة يصلون إلى نصف مليون ، وأخرى إلى ثلاثة أرباع المليون ، وتمنع المسلمين من الخروج سواء أكان ذلك لأداء فريضة الحج أم للدراسة في الدول الإسلامية ؛ وذلك ليبقى خبرهم مجهولاً .

عاش التشامبيون المسلمون في كامبوديا في قرى خاصة بهم لاختلافهم عن المجتمع الذي يعيشون معه فى العقيدة واللغة والعادات ، وكان يقال لهذه القرى **(Phum $ Cham)** أي قرى التشام ، وفي كل قرية مسجد ، وتوجد أماكن أخرى تخصص للعبادة لتسهل للسكان إمكانية صلاة الجماعة في غير المسجد ، وهناك قرى ليست فيها مساجد وهي أكثر القرى التشامبية فتوجد أماكن خاصة للصلاة ، أما صلاة الجمعة فتقام في فناء وسط القرية . ويبلغ عدد المساجد اثنين وثلاثين ومائة مسجدا موزعة على القرى . ولايتم الزواج بين التشامبيين والكامبوديين إلا على نطاق ضيق وفي حالة إسلام الكامبودي أو الكامبودية ممن يريد الزواج من المسلمين ــ وهذا كان قليلاً ــ لذا فإن عدد المسلمين من أبناء كامبوديا قلة .

ويشرف على كل قرية تشامبية حاكم عام يساعده رجل أو اثنان ، ويشرف على أحوال المسلمين التي تتعلق بالعبادات والأحوال الشخصية ، كما يعين الإمام والخطيب والمؤذن . والإمام يخصص عادة ليوم الجمعة ، أما بقية الأيام فيصلي بالناس أحدهم دون تعيين ، وتكون الإمامة تطوعاً أو ممن يختاره المصلون من بينهم .

وتخضع القرى التشامبية كلها للجنة العليا لشؤون المسلمين ، وتتألف من إمام ونائبين ومستشارين له ، وتخضع هذه اللجنة لإشراف وزارة الدين البوذي في الحكومة الكامبودية .

وفي عام ١٣٩٠ أعلنت الجمهورية في كامبوديا ، وظهرت في البلاد جمعيتان إسلاميتان وهما :

١ ــ الجمعية الإسلامية المركزية في كامبوديا وتشرف على أوضاع المسلمين الثقافية والاجتماعية .

٢ ــ جمعية الشبان المسلمين في كامبوديا : والهدف منها الإشراف على حل مشكلات الطلاب التعليمية والاجتماعية والدينية ، وتأمين السكن للطلاب الفقراء الذين يأتون للدراسة في العاصمة أو المدن الأخرى ، وقد كان لهذه الجمعية دور أثناء الحرب إذ آوى إلى العاصمة الكثير من المسلمين الفارين من المناطق التي اجتاحتها الحرب .

ويسود الجهل أكثر المسلمين إذ يرفضون إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية خوفاً على عقيدتهم ، ويكتفون بتعليمهم في الكتاتيب مبادىء القراءة والحساب وتلاوة القرآن ، وأكثر ماتكون هذه الكتاتيب في المساجد .

ويعمل أكثر المسلمين في الصيد وخاصة صيد السمك وزراعة الأرز ، ويستخدمون الأدوات القديمة في أعمالهم سواء أكانت صيداً أم زراعة أم صناعة ، وقل من يعمل منهم في التجارة .

أما في العمل السياسي فنصيبهم قليل ففي العهد الملكي ، إذ يوجد مسلم مساعد لوزير الدين البوذي ، كما يوجد مسلم آخر يعمل مستشاراً لشؤون المسلمين في الديوان الملكي ، وهذا كل مايناله المسلمون من مناصب سياسية في الدولة أما بعد عام ١٣٩٠ حيث حلّ النظام الجمهوري فقد زادت مناصب المسلمين السياسية زيادة طفيفة إذ أصبح أحدهم عضواً في مجلس الشيوخ وأربعة أعضاء في مجلس النواب ، وعين المسلم أيضاً وكيلًا للأمانة العامة لشؤون الدولة ، كما عين خمسة مسلمون في وزارة الخارجية .

ودافع المسلمون ضد الشيوعيين في غزوهم كامبوديا فذاقوا الويلات فدفن بعضهم وهم أحياء ، وأبيدت جماعات منهم ، وتعرضوا للقتل الجماعي ، وأُخذت مساجدهم ، وقبض على أئمة المساجد والعلماء والأساتذة وحكام القرى المسلمة ، وذلك بعد سيطرة الشيوعيين على كامبوديا عام ١٣٩٥ ، كما أنتهكت الأعراض وحدثت حوادث تقشعر لها الأبدان ، وأعلن المسلمون الجهاد المقدس وانضموا إلى جبهة (فول رو) التي لاتزال تقاتل في المناطق المرتفعة من البلاد . وفرّ أعداد من المسلمين إلى خارج البلاد وأصبحوا يهيمون على وجوههم .

ج ــ المسلمون في لاوس :

تبلغ مساحة لاوس ٢٣٦٫٠٠٠كم٢ ، ويزيد عدد سكانها على الثلاثة ملايين ، وبذا فالكثافة العامة قليلة لاتزيد على ١٢ شخصا في الكيلو متر المربع الواحد .

يعيش عدة آلاف من المسلمين في لاوس ، وقد هاجروا من فيتنام إليها عندما سقطت إمارة تشامبا ، ولكن لانعزالهم فقد تأثر بعضهم بالنصرانية أو فقد دينه نهائياً دون أن يرتد إلى أية عقيدة ثانية وذلك نتيجة الجهل والبعد عن بقية المسلمين .

وأخيراً فإنه يوجد في الهند الصينية عشرات الألوف من التجار المسلمين من هنود وباكستانيين ويمنيين وغيرهم ، ومعظم المسلمين في الهند الصينية تشامبيون وعددهم مايقرب من مليونين وربع ، ويوجد ربع مليون آخر من المسلمين نصفهم في كامبوديا ونصفهم الآخر في فيتنام وهم من غير التشامبيين .

تايلند

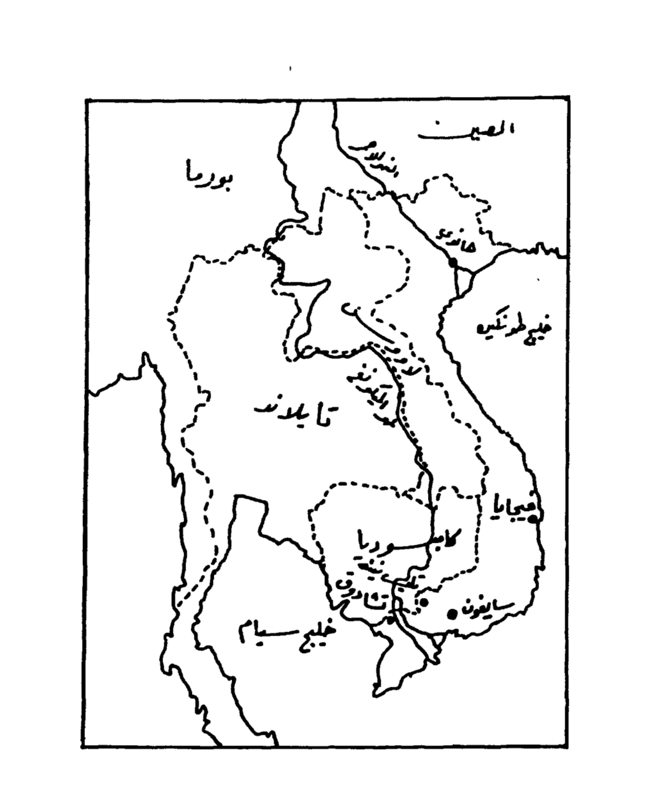
ـ ٧ ـ

دولة مساحتها ٥٢٠ ألف كيلو متر مربع ، ويقيم على أرضها أكثر من ستةٍ وثلاثين مليوناً ، ويدين أكثرهم بالبوذية التي تنتشر في جنوب شرقي آسيا ، ويعيش بينهم أكثر من خمسة ملايين مسلم ، ويمثلون بذلك ١٤٪ من مجموع السكان . ويتجمع المسلمون في منطقتين رئيسيتين هما : فطاني ، وحول العاصمة بانكوك .

انتشر الإسلام في المنطقة عن طريق التجارة منذ أن توقفت الفتوحات واتجه الناس نحو العمل بالتجارة وغيرها ، وانطلقوا عبر البحار يتخذون من التجارة وسيلةً للدعوة إلى الله . وبدأ الإسلام يتوسع في منطقة فطاني منذ النصف الثاني من القرن الثامن عن طريق مالاقا الذي أخضع سلطانها فطاني إلى حكمه عام ٨٦٥هـ .

وصل البرتغاليون إلى المنطقة واحتلوا مالاقا عام ٩١٧هـ ومنها احتلوا المناطق الشمالية منها وكانت فطاني من بينها ، ثم جاء الهولنديون وكانت لهم علاقات تجارية مع فطاني منذ عام ١٠١٨هـ ، ثم مع الانكليز عام ١٠٢١ ، وقد أقاموا مراكز تجارية لهم .

استطاع التايلنديون الاستيلاء على فطاني عام ١٢٠١ بعد محاولات كثيرة استمرت أكثر من قرنين ، إذ قاموا بهجومهم عليها عام ١٠١٢ و١٠٤٢ ، و ١٠٤٣ ولكنهم باءوا بالخسران في كل محاولة . ونقلوا منها ٤٠٠٠ أسير ، ونقلوهم إلى منطقة بانكوك ، كما قسموا المنطقة إلى سبع ولايات لإضعاف المقاومة ، إلا أن الفطانيين قد قاموا بثورة بعد عام من الاحتلال التايلندى ، وقادهم (تنكولميدين) غير أن هذه الثورة قد فشلت ،


الصين
بورما
هانوي
خليج طونكين
تايلاند
كامبوديا
سايغون
خليج سيام

وقتل قائدهم . وقامت ثورة أخرى عام ١٢٢٣هـ لقيت الفشل أيضاً ، وهذا ما جعل التايلنديين يعملون على تقسيم المنطقة إلى ولايات صغيرة ، ويشردون الزعماء ، ويضعون بجانب كل أمير فطاني أحد التايلنديين إضافة إلى فرض ضريبة .

وفي عام ١٢٤٧هـ قام ولي عهد ملك قدح بثورة فاشترك معه الفطانيون ، ولكن فشلت هذه الثورة ودخل التايلنديون الأرض الفطانية فنهبوها ، وعاثوا فيها الفساد ، ونقلوا أربعين ألفاً حملوهم إلى منطقة بانكوك .

وفي عام ١٣٢٠ ربط التايلنديون الفطانيين ببانكوك وجعلوا عليهم حاكماً تايلندياً فقام عبد القادر قمر الدين بثورة ولكه هزم وأسر وحمل إلى بانكوك وطلب منه توقيع وثيقة يتنازل فيها عن حقه في الإمارة ، ولكنه رفض ذلك وأصر على موقفه .

عمت البلاد الفوضى عام ١٣٢١ ، ونفي الأمير عبد القادر ، وتولى الإمارة مكانه ابنه محيى الدين ، وأرسل إلى لندن للدراسة .

وفي عام ١٣٢٧ اتفقت انكلترا وتايلند فأخذت انكلترا بعض الولايات الملايوية وأخذت تايلند المقاطعات الفطانية . وكان الفطانيون يفضلون أن يكونوا تحت سيطرة انكلترا النصرانية من أن يكونوا تحت تايلند البوذية ، وكانوا فيما مضى يطلبون دعم انكلترا ضد تايلند ، ولم يعرفوا أن انكلترا سبب الفوضى ، وتقسيم مناطق النفوذ بين المستعمرين .

وفي عام ١٣٤٢ تكتل الفطانيون ورفضوا دفع الضرائب وإيجارات الأراضي التي فرضت عليهم ظلماً وعدواناً ، فالأرض ملكهم ، ولكن ملك تايلند عدها له وأهلها أجراء عنده . ولكن هذه الحركة قد فشلت ، فألقي القبض على عدد كبير منهم ، وقتل عدد آخر ، وفرّ آخرون ، وشُرِّد مثلهم .

وفي عام ١٥٣١ حصل انقلاب في تايلند دعمه الفطانيون فكتب له النجاح ، وتغير نظام الحكم من ملكي مطلق إلى ملكي دستورى ، وتقدم أهل فطاني بمطالبهم وهي :

١ ـــ أن يكون حاكم المنطقة فطانياً .
٢ ـــ أن يكون ٨٠٪ من موظفي المنطقة مسلمين .
٣ ـــ أن تكون اللغة الملايوية ولغة سيام رسميتين .
٤ ـــ أن تكون اللغة الملايوية لغة التعليم الابتدائى .

٥ ــ الاعتراف بالشريعة الإسلامية وتطبيقها بالمحاكم الشرعية ، وأن تكون تابعة لإدارة مستقلة بذاتها ومستقلة تماماً عن المحاكم التايلندية .
٦ ــ تكوين مجلس إسلامي .

واختار الفطانيون محمود محيي الدين أصغر أبناء السلطان عبد القادر قمر الدين الذي يعيش في المنفى . وحدثت فوضى في البلاد عام ١٣٥٢هـ .

إن مجيء العسكريين إلى حكم تايلند قد جرّ وبالًا كبيراً على الشعب الفطاني لأنهم حملوا فكرة القومية السيامية والتي حاربها الفطانيون لأنهم يدينون بالإسلام ، ويتكلمون لغة ملايوية ، وتكتب بالحرف العربي .

كان هدف تايلاند منذ عام ١٣٥١ تحويل الملايونيين في فطانيين إلى تايلانديين بإجبارهم على الزي التايلندي ، واستعمال اللغة التايلندية ، وقبول الثقافة التايلندية ، واتخاذ أسماء تايلندية ، وترك العقيدة الإسلامية .

وزاد الضغط على الفطانيين منذ عام ١٣٥٧هـ إذ حرم المسلمون من وظائف الدولة ، وأجبر الطلاب ومن يعمل بالمؤسسات الثقافية أن يتسمى بأسماء تايلندية . وأغلقت المدارس الدينية والمساجد ، كما أجبر المسلمون على دخول المعابد البوذية .

قامت الحرب العالمية الثانية ودخل اليابانيون البلاد ، وعمل الانكليز على تنظيم المقاومة ، وقد اعتمدوا على السلطان محمود محيي الدين ووعدوه بالحصول على الاستقلال بعد انتصار الحلفاء . وعندما انتهت الحرب ، وكانت اليابان قد هزمت إلا أن وعد الانكليز للفطانيين قد انتهى مع انتهاء الحرب ، بل إن اقتصاد البلاد قد وضع تحت تصرف انكلترا .

وفي عام ١٣٦٧ قام الحاج محمد سولونغ رئيس الهيئة التنفيذية لأحكام الشريعة الإسلامية بتقديم مطالب الشعب الفطاني وهي لاتختلف كثيراً عن المطالب السابقة ، وتقدمت المطالب إلى الأمم المتحدة فكانت النتيجة أن قبض على محمد سولونغ ورفاقه وأودعوا السجن ، وحكم عليهم بالسجن ثلاث سنوات ، ثم أفرج عنهم ، ثم اعتقلوا ثانية وقتلوا سراً عام ١٣٧٤هـ .

وقع انقلاب عسكري في تايلند عام ١٣٦٦ ، وفي عام ١٣٧٥ وقع انقلاب آخر وكان كل انقلاب يعمل على إذابة الشخصية الفطانية ، ووقفت الدول الكبرى بجانب تايلند ، وظن المستعمرون أن أمر فطاني قد انتهى .

وفي عام ١٣٧٨هـ تشكلت عدة منظمات وأحزاب لمواصلة الكفاح ، ولكن تعدد القيادات كان له الأثر السيىء ، ثم توحدت المنظمات وتغيرت فكرة المقاومة السلمية إلى فكرة القتال ، وقامت الثورة التي لاتزال مشتعلة .

وتتهم السلطات التايلندية الثورة الفطانية بكل تهمة يمكن أن توجه . وقد تمكنت من تجزئة الفطانيين إذ نقلت في خلال الحرب الطويلة مايقرب من مليوني فطاني وأقاموا في منطقة بانكوك ، ويمكن أن نقول : إن هؤلاء قد انعزلوا عن أبناء عقيدتهم ، وقد قطعوا شوطاً في مرحلة الذوبان في المحيط التايلندي .

سنغافورة

— ٨ —

سنغافورة جزيرة صغيرة تكاد تلاصق شبه جزيرة الملايو ، تبلغ مساحتها ٧٢٥ كيلو متراً مربعاً فقط ، وتشمل مدينة سنغافورة وماحولها .

انتشر الإسلام في سنغافورة عن طريق التجارة بعد انتشاره في مالاقا ، ويقدر عدد المسلمين اليوم بحوالي ٣٤٠ ألفاً ، وهو مايعادل ١٧٪ من مجموع السكان البالغ مليوني نسمة .

يعدّ تاريخ سنغافورة جزءاً من تاريخ شبه جزيرة الملايو ، ولكن غدت إثر الحرب العالمية الثانية مستعمرة بريطانية منفصلة عن بقية ولايات الملايو . وعند قيام اتحاد الملايو عام ١٣٨٣هـ كانت سنغافورة إحدى ولاياته ثم عادت فانفصلت منه بعد عامين من قيامه .

تعود أهمية سنغافورة إلى موقعها التجاري . وتسربت إليها الشيوعية ، ووجدت المناخ ملائماً لها بين الصينيين . كما امتد نشاط اليهود إليها عن طريق النفوذ الانكليزي .

الصيـــن
ـــ ٩ ـــ

تبلغ مساحة الصين مايزيد على تسعة ملايين كيلو متر مربع ونصف ، ويزيد عدد سكانها على ثمانمائة مليون نسمة فهي بذلك أولى دول العالم سكاناً ، وثالثتها مساحةً بعد الامبراطورية الروسية وكندا . ويعيش فيها مايقرب من ١٠٪ من سكانها من المسلمين ينتشرون في كل جهاتها . وقد وصلها الإسلام عن طريق الفتح وهذا بالنسبة إلى تركستان الشرقية ، وعن طريق الدعوة في المناطق الداخلية ، وعن طريق التجارة في المناطق الساحلية .

لقد فتح المسلمون تركستان الشرقية عام ٩٥هـ بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي ، وأخذوها من الصين ، كما حكم المغول هذه المنطقة ، ثم جاء الصينيون بعد أن ضعف أمر المسلمين ، وقد عمل الصينيون على تسلم مرافق الحياة جميعها ، وقامت الثورات الإسلامية واستمرت مايزيد على المائة عام ١١٧٣ ـــ ١٢٩١ وأخيراً استطاعت الصين إخضاع سلطنة كاشغر عام ١٢٩٢ ، ثم قامت ثورة أخرى عام ١٣٥٠ استمرت خمسة أعوام ، ولم يتمكن الروس من إخمادها إلا بعد مساعدة الروس الذين دخلوا المنطقة ، وبقوا فيها حتى عام ١٣٦١ حيث انسحبوا منها بعد ماأخذوا معهم جميع المنشآت التي أقاموها في البلاد أثناء وجودهم .

وبعد الحرب العالمية الثانية تمكن الصينيون من فرض النظام الشيوعي وذلك عام ١٣٦٩ ، ودخلوا على تركستان الشرقية وأذاقوا أهلها الويلات ، وقد فرّ عدد كبير منهم . وأعطوا تركستان الاستقلال الذاتي ضمن الكيان الصيني ، وأصبح عام ١٣٧٣ سيف الدين رئيس مقاطعة تركستان التي أعطيت سينكيانغ أي المقاطعة الجديدة .

تبلغ مساحة تركستان الشرقية ٧٤٥ر١٧١٠ر١ كيلو مترا مربعاً أي أكثر مساحة من المملكة العربية السعودية ، ويقدر عدد سكانها بثمانية ملايين ونصف مليون نسمة ، ويدين سكان المقاطعة الأصليون بالإسلام ، ويؤلفون ٩٥٪ من السكان الحاليين أما البقية فهم من الصينيين ويدينون بالبوذية ، ومن الروس الذين يدينون بالنصرانية ويعدون من الدخلاء على المقاطعة .

ومن تركستان الشرقية انتشر الإسلام في غربي الصين لذا تكون نسبة المسلمين مرتفعة فهي في كانو ٧٩٪ ، وفي نينغ هسيا ٧٥٪ . ثم تأخذ النسبة في الانخفاض فتصل في ستشوان إلى ٨٪ ، ولكنها تكون في يونّان وشنسي حوالي ٣٠٪ ، ثم في شانسي ١٦٪ ، وتستمر في الانخفاض فهي في هيونان ١٠٪ ، وفي هونان ٥ر٦٪ ثم تصبح دون ١٪ ولكنها تعود فتزيد في المناطق الساحلية بسبب وصول التجار المسلمين إلى تلك الجهات ، إذ تتراوح النسبة حوالي ٦٪ . ولقد وصل الإسلام إلى جنوب الصين في القرن الأول الهجرى ، واستقر المسلمون في مدينة (كانتون) مرفأ جنوبي الصين .وقد عرفت هذه المدينة عند العرب باسم (خانسو)و (الخنساء) وأول مسجد بني بالصين إنما شيد فيها وهو المسجد ذو المنارة .

وتزيد نسبة المسلمين في المناطق المحدبة حيث تكون ممراً للسفن فتنشأ فيها المحطات ، وينزل فيها التجار المسلمون ، أما المناطق الساحلية المقعرة فتقل نسبة المسلمين فيها حيث تبتعد السفن عنها اختصاراً للطريق ، ولهذا ترتفع النسبة في شانغهاي إلى ٦ر١٣٪ ، وتكون في شبه جزيرة شانتونغ ٦٪ -وأما بكين فهي مقاطعة ليست ساحلية الآن ، ولكن كانت من قبل جزءاً من ولاية ساحلية تسمّى (تشيهلي) ، ولكونها العاصمة ومدينة كبيرة فإنها تضم عدداً من المسلمين ، وقد كان فيها وحدها أربعون مسجداً .

أما المناطق النائية فتقل فيها نسبة المسلمين كثيراً مثل : التبت ، ومنغوليا الداخلية ، ومنشوريا وكذلك الجزر المحيطة بالبلاد ، وخاصة إذا كانت قد خضعت للاستعمار الصليبي في وقت مبكر ، فقد عملت طلائع الصليبيين وخلفاؤهم على حرب إبادة ضد المسلمين وتشريدهم ، ولذا فإن نسبتهم تنخفض جداً في فورموزا التي تسمى الآن الصين الوطنية (تايوان) ، وفي (هونغ كونغ) التي خضعت للاستعمار الانكليزي ولاتزال ، ومقاطعة (مكاو) مقابل (هونغ كونغ) التي سيطر عليها البرتغاليون ، وكلها في الأصل جزء من الصين .

وانتشار الإسلام في الصين وإن كان مبكراً في بعض النقاط الساحلية وفي تركستان الشرقية إلا أن بقية الأجزاء قد وصل إليها في وقت متأخر ، لذا فإن المسلمين لم يعوا الإسلام بشكل جيد ، ولم تظهر لهم قوة مادامت دول الإسلام ضعيفة ، وبقي أثر مجتمعهم عليهم واضحاً .

وقد أرسل السلطان العثماني عبد الحميد (١٢٩٣ ــ ١٣٢٧هـ) بعثة من استانبول

مؤلفة من السيدين (حسن حافظ) و(على رضا) إلى بكين وقد أسس مدرسة فى (نيو كياي) وانتظم فيها مائة وعشرون طالباً ، وأقبل عليها المسلمون إقبالاً كبيراً .

كان المسلمون يشكون سوء أوضاعهم لذا فقد أيدوا قيام الجمهورية الوطنية عام ١٣٢٩ وعملوا على نجاحها ، إذ قاسوا من الحكم الامبراطوري كثيراً واضطرهم إلى القيام بعدة ثورات أخمدت بمنتهى الوحشية .

وعدت الجمهورية الصينية المسلمين أحد العناصر الخمسة الذين تتكون منهم الأمة الصينية وهذه العناصر هي : الصيني ، المنشوري ، المنغولي ، التبتي ، المسلم (الهوي) ، ومن ثم كان العلم الصيني مؤلفاً من خمسة ألوان هي الأحمر ، والأصفر ، والأزرق ، والأسود ، والأبيض ، ويشير اللون الأبيض إلى العنصر المسلم في أمة الصين . ومن هذا يكوّن المسلمون عنصراً واحداً على الرغم من انتمائهم لمجموعات متعددة فالعقيدة هي التي تجمع بين المسلمين وتجعلهم وحدة متميزة . وقد عمل المسلمون في الصين على إقامة بعض المؤسسات الخاصة بهم مع وجود المسجد الذي يجمعهم ومن هذه المؤسسات : جمعية تقد مسلمي الصين التي وجدت عام ١٣٣٠ في بكين وزاد عدد فروعها على ثلاثمائة فرع موزعة في أنحاء الصين كافة . وجمعية الأدب الإسلامي التي تأسست عام ١٣٤٤ ومقرها شنغهاي ، ودار المعلمين الإسلامية في بكين عام ١٣٤٤ واتحاد المسلمين في شنغهاي عام ١٣٤٧ ، والجمعية الاتحادية الإسلامية لكل الصين وتأسست عام ١٣٥٧ في مدينة هانكيو .

ودخلت اليابان الصين ، وحاولت استغلال المسلمين وعملت على تأسيس اتحاد المسلمين الصينيين لتستفيد منهم وذلك في بكين ، وأسست لهذا الاتحاد مجلة حملت اسم « الإسلام » ، كما صدرت للمسلمين في شنغهاي آنذاك جريدة حملت اسم « نور الإسلام » وبدأت الدعاية لليابان عن طريق بعض المسلمين ، وفي الوقت نفسه فإن الحكومة الصينية التي تحارب اليابان كانت تؤكد في دعايتها تأييد المسلمين . كما أن الشيوعيين قد وعدوا المسلمين وعوداً معسولة بنهاية طرد اليابانيين ، وانتهت الحرب ، وهزمت اليابان ، وخرجت من الصين . ولم يف واعد بما وعد فالحكومة الوطنية تدعي أنها لم تتمكن من الحكم ، والشيوعيون يدعون بأنهم لم يسيطروا تماماً على الوضع مادامت فورموزا خارج قبضتهم ، وأبدوا شيئاً من التسامح في بداية الأمر ، فأسسوا جمعية إسلامية شعبية كان من زعمائها برهان الدين شهيدي حاكم تركستان الشرقية ،

ومحمد مكين من منطقة يونّان ، وسيف الدين وابراهيم دابو شنغ من شنغهاي ، وافتتحت الجمعية لها عدداً من الفروع ، ونشرت عدداً من الكتب التي تساير الفكرة الشيوعية . ولكن عندما استتب الوضع للشيوعيين بدءوا ينفذون خطتهم المرسومة ضد المسلمين فوضعت الدولة يدها على الأوقاف الإسلامية ، ولم يعد للمساجد والمدارس الإسلامية دخل تؤدي دورها منه إذ كانت الأوقاف موردها الوحيد ، وأنشئت المعسكرات التي حشد فيها شبان المسلمين فتيان وفتيات وأجبروا على الحياة فيها معاً بشكل فاسد و .....

قامت حركة في كاشغر عام ١٣٧٧ احتجاجاً على التصرفات المنافية للإسلام ووضع الفتيات في المعسكرات بشكل فاضح مع الشباب ، ودارت معركة ذهب ضحيتها ٣٥٠٠ مسلم ، وشردت أعداد كبيرة من بينها من كان من الزعماء الذين سايروا الشيوعية مثل برهان الدين شهيدي .

ونشط الشيوعيون لإذابة المسلمين في الكيان الصيني — حسب زعمهم — بإيجاد وحدة في المأكولات والمشروبات ، واللباس ، ومراسم الزواج ، والمقابر الواحدة ، وطريقة دفن الموتى . كما غيّر الشيوعيون أسماء المدن الإسلامية مثل كاشغر الذي أصبح اسمها (شوفو) وغيرها .

وزاد الأمر عندما قام ماوتسي تونغ يحارب المسلمين باسم الثورة الثقافية إذ قضى على المدارس الإسلامية ، والمساجد ، ومابقى من مؤسسات ، الأمر الذي أجبر المسلمين على القيام بحركة واسعة في بكين في شارع (نيوكياي) الذي يسكنه أكبر عدد منهم هناك ، وهاجموا مركز الشرطة فاعتقل القادة ، وأبيد أكثر من اشترك في هذه الحركة ... ولايعلم مصير (محمد مكين) و (عبد الرحيم ماسونغ تينغ) واتخذ الصينيون هذه الحركة ذريعة فزادوا من اضطهادهم للمسلمين .

والمعلومات التي تتسرب عن المسلمين من داخل الصين قليلة ..... وربما قلّت نسبياً موجه الاضطهاد بعد هلاك (ماو) وتوقف مد الثورة الثقافية .

أما منغوليا الخارجية فهي منطقة واسعة كانت تتبع الصين ، تغطيها الصحراء ، وتزيد مساحتها على مليون ونصف من الكيلو مترات المربعة ، ولما كان الجفاف يسود كل أرضها فإن سكانها قلة لايزيدون على المليون ونصف يعيش بينهم أقل من ١٥ ألف مسلم أي أن نسبة المسلمين لاتصل إلا إلى ١٪ .

الفليبين

ـ ١٠ ـ

الفليبين مجموعة من الجزر يزيد عددها على ٧١٠٠ جزيرة ، تقرب مساحتها من ٣٠٠ ألف كيلو متر مربع ، ويزيد عدد سكانها اليوم على خمسة وخمسين مليوناً .

أشهر هذه الجزر جزيرة لوزون في الشمال وهي التي تقع فيها العاصمة مانيلا ، وتبلغ مساحتها ١٥٠ ألف كم٢ ، وجزيرة ميندناو في الجنوب وتبلغ مساحتها ١٤٠ ألف كم٢ ، وفيها غابات ، ثم جزر صولو في الجنوب أيضاً ، وسكانها من المسلمين مع جزيرة بالاون وميندناو .

وصل الإسلام إلى الفليبين عن طريق التجارة في أواخر القرن الثالث الهجرى (٢٧٠هـ) ، ولكن بقي عدد المسلمين قليلاً ، ثم بني أول مسجد في جزر صولو عام ٦٧٩هـ ، ومن ثم بدأ الإقبال على الإسلام يزداد ، وفي نهاية القرن التاسع كان المسلمون يؤسسون سلطنات في تلك الأرجاء ، وكان من أشهر السلاطين (رجا سليمان) الذي يحكم مانيلا وماحولها في مطلع القرن العاشر .

وفي عام ٩٢٧ وصلت طلائع الصليبيين إلى تلك الجزر قادمة من الشرق بإمرة ماجلان في محاولة لتطويق المسلمين بعد أن أخرجوهم من الأندلس عام ٨٩٧ ، وانطلقوا يلاحقونهم ، وشده ماجلان عندما رأي المسلمين يحكمون تلك الجهات ، وقد عرف المسلمين باسم المورو وهو الاسم الذي لايزال يحملونه إلى اليوم وفي مناطق أخرى من العالم مثل مدغشقر ، وسيلان و ......

ظنّ ماجلان أن الجزر التي حلّ بها هي جزر التوابل « الملوك » ، ولما علم أنها ليست هي أطلق عليها اسم (سانت لازار) .

كان أهل الفليبين منظمين أنفسهم في كيانات سياسية صغيرة على رأس كل منها حاكم يدعى « داتو » ، ويندمج بعضها مع بعض في كيانات أكبر يحكمها (راجا) .

وما إن وصل ماجلان حتى بدأ يعمل للنصرانية متخذاً طريق القوة أحياناً بما يملك من أسلحة غير معروفة هناك ، ومستعملاً طريق الإغراء أحياناً أخرى ، وقد توصل إلى

اتفاق مع (هومابون) حاكم جزيرة سيبو على أن يدخل هذا الحاكم في الديانة النصرانية الكاثوليكية مقابل أن يكون ملكاً على جميع الجزر تحت سلطة التاج الإسباني . ثم أخذ ينتقل إلي بقية الجزر للتمكين لصديقه (هومابون) وللدعوة للنصرانية ، ووصل إلى جزيرة صغيرة هي جزيرة (ماكتان) التي يحكمها حاكم مسلم يدعى (لابولابو) فاستعمل الإسبان طريق الإرهاب إذ أضرموا النار في أكواخ السكان ، وسطوا على الأرزاق والأموال ، وطاردوا النساء .... فقاوم (لابولابو) هذه الأعمال ، وأخذته الحمية فرفض الاستسلام لماجلان ومن ورائه الإسبان وحرّض بقية الجزر على الغزاة ، فرأى ماجلان أن يظهر قوته ، ويخيف الناس بالإرهاب ، ويظهر قوة أتباعه ، وصلاحية سلاحه وفعاليته ، وعاد يخيف بقية الأمراء والسلاطين في الجزر .

طلب ماجلان من لابولابو الاستسلام قائلاً : « إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم ، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد » فهجم عليه (لابولابو) وقتله ورفض تسليم جثته للأسبان ، ولايزال قبره هناك . وانسحب الأسبان بعد ذلك عن الجزر وعادوا إلى بلادهم عن طريق جنوب آسيا الذى كان البرتغاليون قد عرفوه ، وهم شركاؤهم في التخطيط لتطويق المسلمين .

بعثت إسبانيا إثر ذلك أربع حملات متتابعة نزلت على شواطىء جزيرة (ميندناو) حيث يكثر المسلمون ، وكان أفراد هذه الحملات قادمين بروح حاقدة ، وصليبية واضحة ، فكان يباد جنودها جميعهم . وكان على رأس إحدى هذه الحملات (روي لوبيز) وهي الحملة التي جاءت عام ٩٤٩ ، وهو الذي أطلق على الجزر اسم الفليبين .

بعد إبادة هذه الحملات الإسبانية المتكررة بدأ الغزو الإسباني عام ٩٧٣ فكانت حملة كبيرة استقرت في جزيرة سيبو ، حيث شيدت قلعة حصينة لحماية الجند ، واتخذ قائد الحملة (ميغل لوبيز) من هذه الجزيرة قاعدة لغزو بقية الجزر الأخرى حتى استطاع أن يستولى على مملكة (راجا سليمان) بعد قتال مرير عام ٩٧٩ ، وتهدمت مدينة (مانيلا) فأعاد الإسبان بناءها على أسس نصرانية ، فبنوا مدينة مسورة محصنة تماماً في الوسط أطلقوا عليها اسم (أنترامورس) ، ثم كان البناء حولها وذلك ليتحصن الإسبان في الوسط داخل الأسوار .

ومن مانيلا بدأت الحملات تخرج لمد نفوذ إسبانيا على جزيرة لوزون ، وبعدئذ حاولوا السيطرة على بقية الجزر .

وتمكن الإسبان من بسط حكمهم على الجزر الشمالية والوسطى حيث المسلمون قلة ولكنهم عجزوا عن إخضاع الجزر الجنوبية حيث يكثر المسلمون الذين صمدوا صموداً قوياً ، جعل الإسبان ييأسون نهائياً من إمكانية السيطرة على المناطق الإسلامية في تلك الجزر ، لذلك انصرفوا إلى البقاع التي سيطروا عليها يوطدون سلطانهم ، وينشرون ديانتهم النصرانية ، وقد تمكنوا من ذلك رغم بقاء عناصر بقيت وثنيتها وتقوقعت على نفسها سواء في المناطق المنعزلة ، مثل الغارات أم في جزر نائية . أماالمسلمون فبقوا على حالتهم يحكمهم سلاطين منهم .

قامت ثورة في البلاد ضد الإسبان عام ١٢٩٠ ، وتمكن المستعمر من إطفاء نارها لكنها عادت فاشتعلت عام ١٣١٤ ، واضطر الحاكم الإسباني أن يفر إلى هونغ كونغ ، وإذا قُدّر للإسبان أن يقضوا على هذه الثورة إلا أن منظمة سرية بقيت تعمل في الخفاء ، وتلقت الدعم من الولايات المتحدة التي رغبت أن تحلّ محلّ الإسبان . وفي عام ١٣١٦ دُمّر الأسطول الإسباني في خليج مانيلا ، وبعد هذه الهزيمة جرى اتفاق سري بين الولايات المتحدة وإسبانيا يقضي بانسحاب إسبانيا من تلك الجزر مقابل مبلغ خمسة ملايين دولار تدفعها الولايات المتحدة لها .

انسحبت إسبانيا من الجزر بعد معارك تمثيلية وعاد الحاكم العام الأسباني من (هونغ كونغ) وهو الجنرال « غوينالدو » ليعلن استقلال الفليبين عن إسبانيا ، وفي هذه الاتفاقية التي تمت في باريس تخلت إسبانيا أيضاً عن كوبا وبورتوريكو لمصلحة الولايات المتحدة .

رفض السكان اتفاقية باريس كما رفضوا حكم الولايات المتحدة التي تمكنت من القضاء على الثورة عام ١٣١٩ ، وعدت البلاد إحدى الولايات الأمريكية .

أما المسلمون فقد بقوا في جزر الجنوب واستمرت مقاومتهم ، ومن كان منهم في الجزر الشمالية فقد أهمل إهمالاً واضحاً ، وانصرف الاهتمام إلى النصارى ولم يكن حال المسلمين في الشمال بأسوأ مما هم عليه في الجنوب . استمرت مقاومة المسلمين عشرين سنة ثم تمكنت الولايات المتحدة من دخول مناطقهم بالدعاية والخداع .

حصلت الفليبين على الاستقلال الذاتي عام ١٣٥٣ ، وقامت حكومة محلية تعمل على استقلال البلاد التام خلال عشر سنوات إلا أن منصب الحاكم العام قد بقي قائماً ، كما

تتولى الولايات المتحدة شؤون الدفاع والخارجية . ووصل إلى البلاد في هذه الأثناء بعض الشخصيات التي كان لها دور في النشاط الإسلامي هناك .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان الفليبين عام ١٣٦٠ وطردت القوات الأمريكية منها ، وتشكلت في البلاد فرق لحرب العصابات ، وتمكن الجنرال (ماك أرثر) من العودة إلى الفليبين عام ١٣٦٣ ، وقاتل معه أبناء البلاد حتى استطاعوا طرد اليابانيين عام ١٣٦٤ ، وهزمت اليابان في الحرب العالمية الثانية . وقاتل المسلمون اليابانيين قتالاً عنيفاً واشتركوا في كل مراحل النضال .

حصلت الفليبين على الاستقلال عام ١٣٦٥هـ ، وأصبح الحكم فيها رئاسياً يشبه الحكم في الولايات المتحدة ، ويضم مجلس النواب مائة وعضوين ينتخبون حسب نظام المناطق ، ويضم هذا المجلس عضوين مسلمين . فهم بذلك لايحصلون إلا على خمس حقهم إذ يجب أن يكون لهم ١١ عضواً حسب نسبتهم المئوية . أما مجلس الوزراء فيضم عادة وزيرا مسلما واحدا ، وغالباً ماتسند إليه وزارة الأقليات لأن المسلمين يشكلون أكبر عددٍ من الأقليات في البلاد . وفي الفليبين حزبان : الحزب الوطني ، وهو الحاكم . والحزب المعارض إلا أن رئيس الجمهورية الحالي ماركوس قد أعلن الأحكام العرفية وجمد الأحزاب . وتعاني البلاد مشكلة الجريمة والفساد الخلقي .

شهدت البلاد بعد الاستقلال نهضة إسلامية يرعاها « اتحاد مسلمي الفليبين » وقد نظم ثلاثة مؤتمرات لبحث شؤون المسلمين في الفليبين وحضرها ممثلون عن أكثر الدول الإسلامية ، وبدأت هذه النهضة تثمر فحركت الحقد الصليبي .

بدأ العمل ضد المسلمين واتخذ وسيلة شق صفوف المسلمين ، وأصبح بالفعل لهم منظمتان بعد أن كانوا كتلة واحدة ، ثم بدأ التخطيط للاستيلاء على أراضي المسلمين فتشكلت عصابة نصرانية أطلق عليها اسم عصابة الفئران ، أسسها وأشرف عليها رئيس الجمهورية بذاته ومهمتها اتخاذ الارهاب بالهجوم على المسلمين والتنكيل بهم ، وقتل ماتستطيع قتله منهم كي يغادروا أرضهم فيستولي عليها النصارى ، وخاصة إذا علمنا أن الأرض غير مسجلة بعد بصورة نظامية . كما وجدت منظمة الأخطبوط ولها المهمة نفسها .

أوجد النصارى أسباباً للهجوم على المسلمين إذ طالبوا بتطبيق القانون المدني على المسلمين إذ به يمكن للنصارى أن يتزوجوا من المسلمات ، وقد رفض المسلمون تطبيق

هذا القانون ، وهذا مادعا إلى الهجوم على أراضيهم والاستيلاء عليها ، وبالتالي جر المسلمين إلى قتال وهم غير مستعدين له .

بدأ الزحف النصراني من الشمال ، وبدأ الاستيلاء على الأراضي بمساحات محددة ومنتقاة ، وبدأت الدولة تسجل هذه الأراضي المستولى عليها بأسماء مغتصبيها على حين رفضت من قبل تسجيلها لأصحابها المسلمين ، وبدأ الارهاب مع الاستيلاء على الأراضي : اغتيالات ، حرق مزارع ، اختطاف ، إلقاء السم بآبار مياه الشرب ، قتل الحيوانات ، هتك أعراض . وبذا شرد ستون ألف أسرة مسلمة التجأت إلى الغابات والجبال .

وبدأت حرب الإبادة تارة بجمع الشباب في معسكرات باسم التدريب ثم إبادتهم ، وتارة بنسف المساجد أثناء تأدية صلاة الجمعة ، وثالثة بالإغارة على المدن والعمل بإبادة الموجودين في الأسواق وأماكن تجمع السكان .

وتسلّح المسلمون أمام هده الحوادث للدفاع عن النفس فعدّ الحكم هذا تمرداً ، وهذا حجة للقضاء على المسلمين وتحرك الجيش النظامي نحو الجنوب .

رفع المسلمون شعار الوحدة الإسلامية ، وطالبوا بفصل المناطق الإسلامية ، كما طالبوا العالم الاسلامي ، والأمم المتحدة بالدفاع عنهم وحمايتهم . وبدأت المعارك بين الطرفين ، وتمكن المسلمون من الصمود والمقاومة ، واضطرت الحكومة للتفاوض وقد تم ذلك في طرابلس عاصمة ليبيا التي شاركت في المفاوضات ، كما شاركت كل من السنغال ، والصومال ، والمملكة العربية السعودية ، وتقرر بهذه المفاوضات إعطاء المسلمين الحكم الذاتي في جنوب الفليبين وكان ذلك في مطلع عام ١٣٩٧ ، إلا أن هذه المفاوضات والاتفاقية لم تكن إلا لتتيح الفرصة أمام ماركوس لتنظيم قواته من جديد والاستعداد للدخول ثانية في معركة حاسمة تقضي على المسلمين ، إضافة إلى استغلال الدول الإسلامية للحصول على النفط والدعم المادي ، وقد تم هذا ، وبعد أربعة أشهر من توقيع الاتفاقية أعلنت حكومة ماركوس عن تخليها عن جميع التزاماتها السابقة ، وعادت العمليات العسكرية من جديد بل لم تتوقف من الأصل إلا عدة أيام .

إلا أن تفوق الحكم بالعدد والعتاد ، والدعم الصليبي ، وغفلة المسلمين ، والإهمال كل هذا يدعو إلى انتصار الحكم مع الزمن .

اليابان

ـ ١١ ـ

لم يصل المسلمون إلى أبعد من شبه جزيرة شانتونغ في الصين شمالاً ربما للتركيز على المناطق التي وصلوا إليها أولاً أو لنوعية السفن التي كانت مستخدمة آنذاك ، أو للضعف الذي أصاب المسلمين يومذاك أو ....

وكان وصول الإسلام إلى اليابان لأول مرة على يد رجل تتاري يدعي ابراهيم من مدينة قازان شجعه جمال الدين الأفغاني للدعوة إلى الإسلام هناك ، ويقال : إن امبراطور اليابان قد طلب من السلطان عبد الحميد العثماني إرسال دعاة مسلمين لإبلاغ شعب اليابان دعوة الإسلام ، فدعا السلطان العثماني جمال الدين الأفغاني واستشاره بالأمر فأشار عليه بابراهيم هذا . ثم إن هذا قد دعا جماعة من التتار للتوجه إلى اليابان تخلصاً من الروس الذين يحتلون بلادهم ، فاستقر هؤلاء التتار بطوكيو وأسلمت جماعة من اليابانيين على أيديهم ، وأول رجل ياباني أسلم يدعى (كازاكا)

وعندما احتلت اليابان منشوريا اتصل بعض اليابانيين ببعض المسلمين المنشوريين فأسلموا ومنهم الحاج عمر ميتا رئيس الجمعية الإسلامية السابق .

وفي الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان مناطق واسعة من بلاد المسلمين مثل أندونيسيا وماليزيا أو مناطق فيها مسلمون مثل الفليبين ، وتايلند و..... فاختلط اليابانيون بالمسلمين ، ورجع عدد من اليابانيين مسلمين .

وفرّ عدد من المسلمين من الصين إلى اليابان بعد قيام الحكم الشيوعي في الصين . كما وصل عدد من الدعاة الهنود والباكستانيين إلى اليابان ، وكل هذا كان له الأثر إلا أن الأثر الأكبر كان لليابانيين أنفسهم إذ نشطوا بالعمل ، ويقدر عدد المسلمين اليوم بحوالي عشرين ألفاً فقط ولهم عدد من الجمعيات الاسلامية .

كوريـا

ـ ١٢ ـ

لم يصل الإسلام إلى كوريا إلا في الآونة الأخيرة يوم انقسمت إلى قسمين وقامت الحرب بينهما عام ١٣٧٥هـ ، ووصلت قوات دولية لدعم كوريا الجنوبية ، وكان من بين هذه القوات فرقة تركية ، وكان إمامها الشيخ عبد الرحمن الذي استطاع أن ينشر الإسلام بين أفراد قلائل من السكان هم طلائع المسلمين هناك .

يقدر عدد المسلمين اليوم في كوريا بخمسة آلاف مسلم يتجمع أكثرهم في مدينة سيول العاصمة ، ولهم مسجد وسط المدينة ، كما ينظمهم اتحاد المسلمين في كوريا ، وتصدر مجلة باسمهم تحمل اسم صوت الإسلام . والعدد هذا خمسة آلاف لايعادل أية نسبة إذ يبلغ سكان كوريا الجنوبية أكثر من خمسة وثلاثين مليوناً ، ويعيشون على أرض مساحتها مائة ألف كيلو متر مربع .

أما كوريا الشمالية فتبلغ مساحتها ١٢٢ ألف كم٢ ، وتكاد تخلو من أي أثر للإسلام فإضافة إلى أن المسلمين لم يصلوا إليها من قبل ، فإن عقيدتها لا تسمح بوجود أي دين .

المسلمون في الامبراطورية الروسية

ـ ١٣ ـ

مقدمة : أقول الامبراطورية الروسية سواء أكان ذلك في عهد قياصرتها أم في عهد شيوعيتها ، وذلك لأن شعباً واحداً ، وهو الروسي ، يستذل شعوباً كثيرةً ، ويسيطر على أرضها ، ويستغلها بشرياً واقتصادياً ، ولما كانت روسيا تحكم أجزاء واسعة من آسيا لذا فإننا سندرس المسلمين في الامبراطورية الروسية ، والروس شعب من السلاف (الصقالبة) يعيش في شرقي أوربا ، وهو ثلاث شعب : الروس الكبار ، ويعيشون حول موسكو ، ويكفي إطلاق كلمة روس عليهم ، والروس البيض ، ويقطنون إلى الغرب ، وعاصمتهم منسك ، والاوكرانيون في الجنوب ، وعاصمتهم كييف . وجميعهم يدينون بالنصرانية على المذهب الأرثوذكسي .

ويتجمع المسلمون في الامبراطورية الروسية في ست مناطق رئيسية :

١ ــ أذربيجان .
٢ ــ آسيا الوسطى (تركستان الغربية) .
٣ ــ بلاد القازاق (قازاقستان) .
٤ ــ شمال القوقاز .
٥ ــ حوض الفولغا .
٦ ــ وأخيرا منطقة القرم التي أبعد أهلها عنها ، وأقام مكانهم الروس .

لمحة تاريخية (انتشار الإسلام) :

دخل المسلمون فاتحين عام ١٧ هـ منطقة أذربيجان ، وعام ٢١ بلاد الداغستان وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفتحوا مدينة باب الأبواب (دربنت) من بلاد الداغستان أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولم يتوغلوا شمالها لمقاومة الخزر لهم ، وانتشر الإسلام بين سكان هاتين المنطقتين (أذربيجان وداغستان) ولم ينتصف القرن الأول الهجري ، وبقيت أقليات صغيرة جداً من النصاري واليهود عاشت في ظل الحكم الإسلامي ، ثم اختفوا نهائيا بطردهم في القرن الخامس لأنهم كانوا يحّركون الفتن باستمرار ، حتى بدا أن هذه البلاد لم تستقر إلا بزوال هذه الأقليات . كما لم يتوغل المسلمون إلى الغرب ، في جورجيا وأرمينيا ، لوعورة المنطقة ، وإن دانت لهم بعض أجزائها ، واعتنق الإسلام بعض أبنائها .

وفتح المسلمون بلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) عام ٩٢ هـ أيام الوليد بن عبدالملك الأموي على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ، وساد الإسلام بين السكان منذ القرن الثالث ، وزالت الأديان السابقة نهائياً من بوذية ، وزرادشتية ، ومانوية ، ونساطرة نصاري ، وأصبحت مدن هذه المنطقة من المراكز الإسلامية الأكثر شهرة في العالم الإسلامي مثل بخاري ، ونسف ، وترمذ ، وبهيق ، ومرو ، ونسا ، وأبيورد .

وفي المراحل التالية انتشر الإسلام من آسيا الوسطى في سهوب القازاق ، وسيبيريا ، وقيرغيزيا ، نتيجة انطلاق الدعاة والاحتكاك المباشر بين المسلمين وجيرانهم .

أما في حوض الفولغا فقد انتشر الإسلام عن طريق التجارة في بداية الأمر ، ثم عن طريق الدعوة ، إذ دخل الإسلام إلى مملكة بلغار التي كانت قائمة على المجرى الأوسط لنهر الفولغا ، وكانت حاضرتها بلغار بالقرب من موقع قازان الحالية ، وذلك في نهاية

القرن الثالث إذ وصل إليها التجار الذين يتاجرون بالفراء مع أصقاع الشمال ، وعن طريقهم أسلمت جماعة من البلغار ، فطلبت من الخليفة العباسي في بغداد أن يرسل لهم من يفقههم في الدين ، فبعث لهم قائده أحمد بن عباس والمعروف بـ (ابن فضلان) .

وغزا المغول بقيادة جنكيز خان آسيا الوسطى ، وكان جيشه يضم أعداداً من البوذيين والنساطرة النصارى ، وبتحريض من الصليبيين الذين فشلوا في حروبهم . وتمكّن جنكيز خان من الانتصار على جيش خوارزم ، وقتل من جيشها مائة وستين ألفاً ، ثم دخل مدينة بخارى ، وأحرقها ، ونهب وسبى ماشاء له طغيانه ، ثم تقدّم نحو الغرب فقاومته نيسابور ، فكان جزاء أهلها القتل ، وتابع سيره غرباً فدخل أوربا واحتل بلاد الروس ، وتوفي فخلفه ابنه (اوجتاي) الذي غزا الصين ، ثم عاد فاتجه غربا فدخل روسيا وجعلها ولاية تتارية عام ٦٣٣هـ . كما استولى على المجر وبولندة ، إلاّ أن المغول انسحبوا من بعض مناطق أوربا عندما حدث بينهم خلاف على الحكم بعد (كيوك بن اوجتاي) .

قسّم جنكيز خان امبراطوريته الواسعة قبل أن يموت بين أولاده ، فكان نصيب ابنه الكبير (جوجي) القسم الغربي ، ويضم روسيا وبولندة ، وأعطى ابنه الثاني (جغطاي) آسيا الوسطى ، وكانت الصين لابنه (اوجتاي) ، وهو ولي العهد ، وأعطى فارس لولده (تولوي) ، فأسس كل واحدٍ من هؤلاء الأبناء أسرة حكمت المنطقة التي كانت من نصيبه . وقد أسس (أباتو بن جوجي) القبيلة الذهبية التي لم تلبث أن اعتنقت الإسلام ، حيث أسلم خانها (بركة خان) (٦٥٤ ــ ٦٥٥هـ) ، وذلك قبل سقوط بغداد والقضاء على الدولة العباسية على يد هولاكو ، وساعد بركة خان المسلم المماليك المسلمين حكام مصر يومذاك في قتالهم المغول المتقدمين نحو الغرب بقيادة هولاكو . وبعد مدة غدا المغول التتار مسلمين ، واستقروا في المناطق التي دخلوها ، وهذا ماجعل الأجزاء التي يحكمونها مسلمةً ، وتشمل حوض الفولغا ، وسهوب أوكرانيا ، وشبه جزيرة القرم ، وأجزاء من المناطق الوسطى ، وجزراً متفرقةً في بولندة ، والمجر ، وليتوانيا ، وبقاعاً على سواحل بحر البلطيق في فنلندة ، وفي موقع لينغراد اليوم .

وبدأ أمر المغول يضعف بعد مدة في الوقت الذي أصبح أمر الروس يقوى حيث بدءوا يجمعون أنفسهم حول بعض أمرائهم ، وخاصة حول أمير موسكو ، وأمير كييف .

نظر الروس إلى هؤلاء المغول من التتار على أنهم أعداء لهم بصفتهم حكام بلادهم ، فيريدون أن يحلّوا محلهم ، ويحكموا أرضهم . ونظروا إلى العثمانيين الترك في جنوبهم على أنهم أعداء لهم لأنهم فتحوا القسطنطينية ، واتّخذوها حاضرة لهم ، وغدت ضمن بلاد المسلمين ، وكانت من قبل مركز الأرثوذكس ، والروس من النصارى الأرثوذكس . فاتّخذ الروس من أنفسهم خلفاء للبيزنطيين ، ومن عاصمتهم موسكو مقراً للكنيسة الأرثوذكسية عوضاً عن القسطنطينية . كما نظر الروس إلى التتار والعثمانيين على أنهم إخوة ماداموا جميعاً يدينون بالإسلام ، وماداموا يعودون إلى أروقة واحدة ، وانصب عداؤهم على الإسلام بدافع حقدهم الصليبي ، والمسلمون يحكمونهم ، وسلبوا منهم كذلك القسطنطينية ــ على حد زعمهم ــ . هذه النظرة لم تزل ، وهذه السياسة لم تتغير ، والروس روس سواء أكانوا من القياصرة أم من الشيوعيين . فهم يرون من الضروري الانتقام من التتار واحتلال أراضيهم في شرق روسيا بحجة إيجاد مجال طبيعي لهجرة السكان الذين يزدحمون في القسم الغربي والأوسط حول موسكو ، في حين تفتقر بلاد التتار إلى السكان ، وبعد الاحتلال يندفعون نحو الشرق في سيبيريا بالحجة نفسها . كما يرى الروس أنه من الضروري الانتقام من العثمانيين والسيطرة على القسطنطينية وإعادتها مركز المذهب الأرثوذكسي بحجة محاولة الوصول إلى المياه الدافئة ، ولقد سكتت الدول الأوربية الأخرى عن هذه الأعمال من باب محاربة الإسلام والحقد عليه ، ولكي تندفع روسيا نحو الشرق بدلاً من أن تتجه نحو الغرب ، وتشتغل في حروبٍ مع أوربا الغربية ، أو تتجه نحو استعمار أجزاء أخرى تهم الدول الاستعمارية الكبرى ، لذا فإن انكلترا وفرنسا قد شجعتا روسيا في الاندفاع نحو الشرق كي لاتنافسهما في المستعمرات على حين وقفتا في وجه الروس من أن يحتلوا القسطنطينية لاحرصاً على المدنية ، ولاحباً فى العثمانيين ، ولكن تجنباً من أن تنزل روسيا إلى المياه الدافئة ، وتصبح المضائق بيدها (البوسفور والدردنيل) ، وتدخل مجال المنافسة الاستعمارية ، وفي الوقت نفسه فإن اندفاع الروس نحو الشرق إنما هو تحرك بأرض المسلمين ، وإضعاف لهم ، وهذا مايجعلهم يتجهون نحو الشمال بدلاً من أن يتجهوا نحو الأماكن الأخرى التي يتسلل إليها الصليبيون الآخرون من أوربا الغربية ، ويعملون فتكاً بالمسلمين ، ويحتلون بلادهم .

أما شمال القوقاز فلم ينتشر الإسلام إلا في الداغستان التي فتحت منذ صدر الإسلام وذلك حتى القرن الخامس حيث دخلت قبائل النوغاي التركية إلى المنطقة ، وبدأت

تعمل على نشر الإسلام بين قبائل القبرطاي ، والكاراتشاي ، والبلكار ، والشركس ، حتى جاء دور العثمانيين وخانات القرم فنشروا الإسلام في الوقت الذي كان فيه الروس يحاولون التدخل في شؤون المنطقة . وهكذا فقد انتشر الإسلام في البلاد الإسلامية الواقعة اليوم تحت السيطرة على الشكل التالي :

أيام الراشدين دخل الإسلام إلى أذربيجان وداغستان .

وأيام الأمويين دخل الإسلام إلى بلاد ماوراء النهر (آسيا الوسطى) .

وأيام العباسيين دخل الإسلام إلى حوض الفولغا ، ثم إسلام التتار الذين استقروا في المناطق التي دخلوها ومنها حوض الفولغا وشبه جزيرة القرم ، والرقع الصغيرة المبعثرة في أوربا الشرقية .

وأيام العثمانيين انتشر الإسلام في شمال القوقاز بعدما قدمته قبائل النوغاي .

الاستعمار الروسي : تجمّع الروس حول أمير موسكو ، وأمير كييف وبدأوا بعد أن قوي أمرهم بقتال المسلمين التتار ، وأثار همتهم فتح العثمانيين للقسطنطينية ، وقامت الحروب الصليبية في شرقي أوربا ، وفي عهد (ايفان الثالث ٨٦٧ ــ ٩١١) بدأ التمرد على التتار ، وفي عهد (ايفان الرابع) الذي سمّي بالرهيب لما قتل من المسلمين ، غزا المناطق الإسلامية فتوسعت دولته إذ دخل قازان عام ٩٦٠ ، وأوفا ٩٦٣ ، واستراخان (الحاج طرخان) عام ٩٦٤ ، وبلاد الأدمورت ٩٦٨ ، وهكذا لم يبق من الأجزاء الإسلامية في أوربا الشرقية إلا خانة شبه جزيرة القرم التي حكمتها خانات منها ، فوقفت في وجه الروس ، وانتصرت عليهم في كثير من الوقائع ، كما وقف العثمانيون أيضاً وبكل قوة ، واستطاعوا وخانات القرم نشر الإسلام بين القبائل الشركسية ، وفي بلاد الابخاز بشكل خاص ، كما تمكّن العثمانيون بفضل قوتهم العسكرية أن يوقفوا نشر النصرانية في القوقاز بعد أن وصل الروس إليها في مطلع القرن الحادي عشر ، وبنوا الكنائس في بلاد البلكار ، ولكن لم تمض سنوات حتى غدت بلاد البكار مسلمة ، ومنها بدأ الإسلام ينتشر في بلاد القوشحة (الأوستين) ، كما عمّ الإسلام في هذا الوقت منطقة غوريا (آجاريا) .

وفي مطلع القرن الحادي عشر ضم الروس إليهم منطقة سيبيريا الغربية ، فقد دخلوا عاصمتها مدينة سيبير الواقعة على نهر أوبي عام ٩٨٨ ، وقد كان يحكمها (كوتشم خان) أحد أفراد القبيلة الذهبية ، ولكن استمر وصول الدعاة وخاصة من مدينة بخارى

إلى هذه المناطق ، ونشروا الإسلام بين قبائل التتار الذين يقطنون منطقة (باريا) ، ولم يأت القرن الثالث عشر إلا وأصبحت المنطقة مسلمة .

وبعد أن ضمت روسيا إليها سيبيريا الغربية في القرن الحادي عشر تقدمت وفرضت حمايتها على بلاد القازاق ، والتي بقيت السلطة فيها بيد أربعة خانات ، ثم عادت فاستولت على البلاد كلها ، وأسقطت حكم الخانات من عام ١٢٣٨ ــ ١٢٥٨هـ .

ودخلت روسيا أذربيجان في النصف الأول من القرن الثاني عشر ، ثم اضطرت إلى إخلائها نتيجة المقاومة التي وجدتها والتي استفادت من وعورة المنطقة ، لكنها عادت فاستولت عليها في بداية القرن الثالث عشر .

أما بالنسبة إلى شمال القوقاز فقد استمر الصراع بين العثمانيين والروس لمد النفوذ إلى المنطقة مدةً من الزمن ، ثم بدأ الاستعمار الروسي للمنطقة من ١١٩٨ ــ ١٢٩٥ ، وقد قاومه الداغستان بقوة عنيفة ، قادها المشايخ الذين شكلوا حكومة سيطرت على أجزاء واسعة من المنطقة واستمرت من ١٢٤١ ــ ١٢٧٨ ، ومن أشهر هؤلاء المشايخ الشيخ شامل ، ومع هزيمة السكان وانتهاء الحرب بصورة رسمية عام ١٢٧٨ فإن المقاومة قد استمرت حتى عام ١٢٩٥ .

ولما انتهى الروس من حروب شمال القوقاز التفت الروس إلى آسيا الوسطى (تركستان) ، كي يقطعوا أية نجدات يمكن أن تأتي إلى الداغستانيين من بلاد المسلمين ، ولكي يوسعوا مناطق نفوذهم ، ففي عام ١٢٧٢ استولى الروس على تشمقند ، وعلى طاشقند عام ١٢٨٢ ، وفرضوا الحماية على إمارة بخارى عام ١٢٩٠ ، وعلى إمارة خيوه (خوارزم) عام ١٢٩١ ، وتقدموا نحو خوقند ١٢٩٢ ، فوجدوا مقاومة عنيفة ، فأزيلت خوقند من مكانها ، واحتلوا بلاد التركمان ١٢٩٠ ــ ١٣٠٢ ، ووصلوا إلى هضبة بامير عام ١٣١٨هـ .

أما بالنسبة إلى شبه جزيرة القرم فقد استولت روسيا على مدينة آزوف عام ١١٨٨ ، ورفعت السيادة العثمانية عن خانة القرم ، ووضعت يدها على بعض الحصون وذلك إثر توقيع معاهدة قينارجة في ذلك العام ، ولكنها لم تلبث أن عادت فنقضت المعاهدة واحتلت المنطقة ١١٩١ ، ثم ألغت خانة تتار القرم عام ١١٩٨ ، وضمتها إلى بلاد الروس .

وهكذا كان استعمار الروس للمناطق الإسلامية على النحو التالي :

١ ــ حوض الفولغا . ٩٦٠ ــ ٩٦٨ .
٢ ــ القرم . ١١٨٨ ــ ١١٩٨ .
٣ ــ شمال القوقاز . ١١٩٨ ــ ١٢٧٨ .
٤ ــ أذربيجان . ١٢٠١ ــ ١٢٠٧ .
٥ ــ قازاقستان . ١٢٣٨ ــ ١٢٥٨ .
٦ ــ آسيا الوسطى . ١٢٧٢ ــ ١٣١٨ .

توزيع المسلمين اليوم : ولكن معاملة الروس للمسلمين اختلفت بين جزء وثان ، كما اختلفت بين قيصر وآخر ، كما أن ردود فعل المسلمين تباينت بين منطقة ومنطقة ، وكان تطور المسلمين مختلفاً حتى وصلوا إلى ماهم عليه الآن .

أولاً ــ بلاد التتار : بعد أن احتل الروس بلاد التتار في حوض الفولغا استولوا على الأراضي الخصبة على طول مجاري الأنهار ، وشيّدوا القلاع ، وهدّموا المساجد ، وحاولوا تنصير المسلمين بحجة التحويل إلى السلاف ، وكي يكون المواطنون سلافاً لابدّ من أن يكونوا جميعاً نصارى أرثوذكس ، وعندها تتحقق الوحدة الوطنية ــ حسب زعمهم ــ وقد رفض المسلمون هذه الاجراءات مع استثناءات قليلةٍ . وفي أيام القيصرة حنا (١١٤٣ ــ ١١٥٣) أُقفلت كل المساجد في بلاد التتار في مجرى نهر الفولغا الأوسط ، وأُلغيت الصفة الدينية عن الأوقاف الإسلامية المخصصة للتعليم والإحسان ، ونُقلت ملكيتها إلى الدولة ، وطُرد المسلمون من قراهم ، وفرضت الضرائب الباهظة عليهم ، وصدر أمر يقضي بالحكم بالموت على كل من يمارس دعوة دينية . وأُعلن عن إعفاء التتار الذين يقبلون النصرانية من الضرائب ، ومن الخدمة العسكرية الإلزامية . وكانت محاولات لهضم المسلمين بالقوة ، وصهرهم في بوتقة المجتمع الروسي النصراني الأرثوذكسي ، وقد دعا هذا إلى قيام بعض الثورات والتي كان من أهمها ثورة الباشكير ، ولكنها أخمدت في منتهى القسوة ، وهُجّر المسلمون من قراهم ، وحلّ محلهم الروس ، ودُكّت المساجد ، وهدّمت مراكز العلم ومنع التتار من العمل في التجارة . وتحت الضغط الشديد ، وفي سبيل الوصول إلى بعض الحقوق الرئيسية ، ومن أجل تأمين بعض المصالح اليومية ، أو تسلم بعض الأعمال الضرورية ، بل حتى من أجل الحصول على

لقمة العيش أحياناً ، وتأمين التعليم في المدارس في كثيرٍ من الأحيان ، كانت جماعات قليلة توافق الانتساب إلى النصرانية الأرثوذكسية ، وتم عملية التعميد .

وعندما تولت الحكم القيصرة كاترين الثانية في روسيا عام (١١٦٧ ــ ١٢١١هـ) وجدت أن حروبها مع الدولة العثمانية بالدرجة الأولى ، وأن الضغط على المسلمين في بلادها يجعلهم يتحركون لمصلحة العثمانيين لذا فمن الضرورة بمكان تخفيف هذا الضغط ، فأعلنت عام ١١٧٨ التساهل الديني ، وسمحت عام ١١٨١للتتار بالعودة إلى قازان بعد أن كانوا قد طردوا منها ورفعت الحظر عن عملهم في التجارة ، ونادت بالحرية الدينية عام ١١٨٧ ، والحق في بناء المساجد ، وتشييد المدارس القرآنية ، وسمحت بتأسيس المجمع الإسلامي في اورنبرغ عام ١١٩٧هـ ، فنشط لهذا التتار في الدعوة إلى الإسلام فانتشر في باشكيريا التي كانت لاتزال فيها بعض الجزر الوثنية ، وفي سيبيريا الغربية ، وفي سهوب القوزاق .

وبعد كاترين الثانية عاد الضغط على التتار المسلمين فقامت ردود فعل وانتفاضات بين التتار والباشكير (فتنة بوغاتشيف) ، وإن الضغط على العنصر التتاري قد جعل مفهوم الدين يمتزج مع مفهوم العنصرية التتارية ، واستمر هذا الضغط حتى عام ١٣٢٣ حيث أُعطيت الحرية الدينية إذ ظنّ الروس أن أمر الإسلام قد انتهى ، وما إن منحت الحرية الدينية حتى اعتنقت الإسلام إحدى وتسعين أسرة ١٣٢٤ ، وأسلم ثلاثة وخمسون ألفاً آخرون في العام نفسه ، وأن قبيلة (الفوتياك) قد انتشر الإسلام بين أبنائها على الرغم من أن معظمهم كان قد عُمّد ، وأن قبيلة (الشيريمس) وهي مثل قبيلة (الفوتياك) من قبائل (الفن) قد أسلم القسم الأعظم منها على الرغم من أن كثيرين منهم كانوا نصارى اسماً ، وقد دخلت قراهم جميعها الإسلام بسبب اتصالهم بالتتار والباشكير الذين كانت عاداتهم متشابهة إلى حدٍ ما ، وأما قبائل (الجوفاش) الذين بلغ عددهم المليون آنذاك وكانوا قد عُمّدوا جميعاً فإن الإسلام قد انتشر بينهم حتى عمَ ، وارتفعت المآذن في قرى هذه القبائل .

وإن كثيراً من القبائل الوثنية ماكان دخولها في النصرانية إلا تغطية لدخولها في الإسلام . وأمام هذا التحول السريع نحو الإسلام خافت الحكومة الروسية على أتباعها من الذين كانت تريد أن تدخلهم في عقيدتها لذلك أقامت الجمعيات الدينية لحماية دينها ، وفرضت اللغة الروسية ، ولكن هذا لم يفدها شيئاً إذ قام التتار في هذه المدة

بنشاطٍ كبيرٍ بالدعوة إلى دينهم سواء في منطقة (الأورال) أم في شبه جزيرة القرم . وعادت روسيا فألغت الحرية الدينية ، ولكن لم تلبث أن اندلعت نار الحرب العالمية الأولى .

كانت العربية ، والفارسية ، ولغة تتار قازان هي اللغات السائدة والمستعملة في الكتابة والأدب ، وهي خاصة بالمتعلمين ، ثم ظهرت الدعوة إلى إيجاد لغة تكون في متناول الجميع ، وكانت أذربيجان وبلاد التتار هي مركز هذه الدعوة بالنسبة إلى جميع المسلمين الذين يعيشون في الامبراطورية الروسية ، ودعا اسماعيل غسبرالي إلى لغة تركية تكتب بأحرف كيريلية (روسية) ، وأسس جريدة الترجمان التي استمرت تصدر من ١٣٠١ ــ ١٣٣٢ بهذه اللغة في مدينة (باغجة سراي) قاعدة بلاد القرم ، وغدت قازان ، وأوفا ، وأورنبرغ ، وباكو ، وباغجة سراي ، وترويتيسك آنذاك أهم المراكز الثقافية ولاتقلّ عن استانبول ، ودمشق ، والقاهرة يومذاك .

وقبل عام ١٣٢٣ كانت هناك محاولات في بلاد التتار لإظهار الإخلاص للروس ، والتعاون الدائم بين روسيا والعالم الإسلامي ، ويرى أصحاب هذه المحاولات أنها ليست إلا في صالح الإسلام ــ حسب قناعة بعض الزعماء ــ إلاّ أن هزيمة روسيا أمام اليابان في ذلك العام ، وإعطاء الحرية الدينية قد شجع التتار على محاولة الأخذ بالثأر وبدأ العمل لذلك بجديةٍ ، فعقد في صيف ذلك العام مؤتمر سري إسلامي في (نيجني نوفغورد) حضره مائة مندوب تتاري ، وكانت نتيجته مطالبة الروس بالمساواة ، والحقوق الشخصية ، كما عمل الحضور على اتفاق المسلمين الذين يقطنون أرجاء الامبراطورية الروسية بعضهم مع بعض .

وفي ١٨ ذي القعدة من عام ١٣٢٣ عقد مؤتمر ثان في (بطرسبرغ) ، وكان سرياً أيضاً ، وحضره مائة مندوب تتاري ، وقرمي وقفقاسي ، وقازاقي ، وعدد قليل من تركستان تقرر فيه تقديم المساعدة لحزب الدستوريين الديمقراطيين .

وفي مطلع شهر رجب من عام ١٣٢٤ عقد مؤتمر ثالث بشكل رسمي وعلني ــ مادامت الحرية الدينية قد أعطيت ــ في (نيجني نوفغورد) ، وحضره مائتا مندوب ، وتقرر فيه المطالبة بالحرية الدينية التامة ، وحرية التعليم ، وحاول المندوبون تحويل اتفاق المسلمين إلى حزب سياسي إسلامي . إلا أن وحدة المسلمين قد عراها الانفصام بسبب الانقسام السياسي بين صفوف الحاضرين .

حاول المسلمون التعاون مع المنادين بالحرية في روسيا والذين كان يمثلهم حزب الدستوريين الديمقراطيين ، إلاّ أن هؤلاء لم يكونوا صادقين مع المسلمين فهم نصارى قبل كل شيء ومن الروس ثانياً ، فكان كل طلب يقدمه المسلمون إلى الدوما (مجلس ممثلي الشعب فى روسيا) يفشل لعدم دعم هذا الحزب لطلب المسلمين ، لذا فقد فشل هذا التعاون ، وحلّ أنصار هذا التفاهم من المسلمين أنفسهم ، وهاجر عدد من القيادات إلى تركيا وإلى جهات ثانية ، وتركوا قيادة العمل للشباب الذين هم أكثر حماسة وأشد عداء للروس .

ولما كان التتار قد مضى عليهم مدة طويلة تحت سيطرة الروس وضغطهم لذا فقد ضعفت الروح الإسلامية شيئاً ما ، وأصبح الإسلام جزءاً من تاريخهم التي ارتبطوا بها ، ولما كان حزب الدستوريين الديمقراطيين قد خذلهم لذا فقد أرادوا الانتقام منه ، ورغبوا في الانضمام إلى خصومه ، واندفعوا للثورة والدعوة إلى التغيرات الجذرية في روسيا ، واستفاد البلشفيك (الماركسيون) من هذا الحماس ، ونادوا بالأممية ، لذلك ظهرت عند شباب التتار نزعة نحو الماركسية .

تأسس في قازان عام ١٣٢٤ حزب برك (الوحدة) ، وكانت له نزعة ماركسية . وتأسس في العام نفسه حزب (محاربو نجمة الصبح) « تانغتشيلار » في مدينة قازان أيضاً إلاّ أن رجال الأمن قد فرّقوا زعماء هذا الحزب عام ١٣٢٥ ، وأنهاه رجال الشرطة في العام نفسه . وقام في أورنبرغ حزب « محاربو الأورال » (أورالتشيلار) في نهاية عام ١٣٢٤ ، ويدعو إلى محاربة القوميات ، ويميل إلى النزعة الماركسية ، ويخفي معاداته للدين .

عقد المسلمون مؤتمراً كبيراً في موسكو في شهر رجب من عام ١٣٣٥ هـ ،حضره تسعمائة عضو من كل الأقاليم الإسلامية في الامبراطورية الروسية ، وظهرت في المؤتمر أفكار تحاول التوفيق بين الإسلام والاشتراكية رغم السمة البارزة في التشديد على الملة الإسلامية . واختلف الأعضاء على بعض النقاط فالتتار يرون الاستقلال الذاتي ضمن دولة روسيا ، ويرى التركستانيون والأذربيجانيون ضرورة اتحاد المسلمين والانفصال عن الروس ، ونتج عن المؤتمر تشكيل :

١ ـــ إدارة مركزية لتنسيق شؤون الأمة الإسلامية .
٢ ـــ مجلس إسلامي مركزي (ملي شورى)
٣ ـــ لجنة إسلامية تنفيذية .

وفي شهر رمضان من العام نفسه عقد في قازان مؤتمر حضره التتار فقط من قازان ، وباشكيريا ، والقرم ، ولم يتمكن غيرهم من حضوره ، وتقرر فيه فكرة اتحاد المسلمين ، وأعلن عن وحدة مسلمي روسيا ثقافياً وسياسياً ، وعززت الإدارة الإسلامية المركزية بإنشاء مجلس حزبي (حزبي شورى) مقره قازان ، وكان شديد الحرص على الوحدة الإسلامية .

بدأ المجلس بتجنيد المسلمين تحت قيادة ضباط من التتار والباشكير ، وأنشأ المجلس إدارة ملية مركزها مدينة أوفا كُلِّفت بالإعداد لعقد مجلس ملي في أوفا في ٤ صفر عام ١٣٣٦ لبحث مصير الأمة الإسلامية في الإمبراطورية الروسية ، إلا أن الثورة الشيوعية قد قامت في اليوم الأول من عام ١٣٣٦ أي قبل موعد عقد المؤتمر بحوالي الشهر الأمر الذي حال دون عقده .

واختلفت الحركات المحلية في أهدافها رغم وجود قاسم مشترك وهو الحصول على الحرية الجماعية ، ومحاولة المحافظة على الأساس الديني للمجتمع الإسلامي ، واختلفت بين الانفصال عن روسيا أو الاستقلال الذاتي ثقافياً وسياسياً داخل دولةٍ روسيةٍ اتحاديةٍ اشتراكية ليبراليةٍ ، وكان بعضهم يعدّ الإسلام أساساً للعمل مثل الداغستان ، أو التحرك في مرونة مثل التركستان ، على حين يرى الآخرون العلمانية دون الرغبة في هدم الكيان الإسلامي ـــ حسب قناعتهم مع أنهم يعملون على هدمه دون علم أو دراية .

قامت الثورة الشيوعية في ١ محرم ١٣٣٦ ، ووجد المسلمون فرصة للاستقلال نتيجة الفوضى التي عمت ، ولكن الحركات الإسلامية كانت محلية ، وتشكلت عدة حكومات في وقت واحد فضاعت الجهود ، وتشتت القوى . فقد شكل الباشكير حكومة محلية في أورنبورغ في ربيع الأول عام ١٣٣٦ ، إلا أن الجيش الأحمر البلشفي لم يلبث أن احتل اورنبورغ ، واعتقل الذين تعاونوا مع خصوم القوزاق ، وذلك بعد شهر فقط من قيام حكومة الباشكير ، وبعد شهرين آخرين تمكّن القوزاق من النصر على البلشفيك ، وألّف زكي والدي طوقان حكومةً باشكيرية ثانية في مدينة أوفا ، وأطلق عليها اسم حكومة روسيا الموقتة ، ولم تعمر سوى سبعة أشهر إذ عاد الروس البيض ، والمانشفيك ، ودعوا إلى حكومة روسيةٍ موحدةٍ تعادي البلشفيك فحلوا لذلك حكومة أوفا الباشكيرية ، وصفّوا الفرق الباشكيرية التي كانت بجانبهم بالأمس ، وهذا مادعا زكي والدي طوقان إلى أن يتجه نحو البلشفيك ، ويلتقي بـ (لينين) الذي أعلن عن

حرية القوميات مستفيداً من الوقت ومن الصراع ، والتحق الباشكير بالجيش الأحمر في مطلع شهر رجب عام ١٣٣٨ ، وعندما انتصر الجيش الأحمر ، وعادت القوة إلى البلشفيك ضربوا بوعودهم عرض الحائط واضطر أن يفرّ زكي والدي طوقان إلى آسيا الوسطى بعد أن خذله النصارى الروس سواء أكانوا من البلشفيك أم من المانشفيك فالجميع نصارى ونظرتهم إلى المسلمين واحدة ، وهي نظرة حقد دفين بغضّ النظر عن الأفكار التي ينادون بها سواء أكانت دينية أم معادية .

وفي نهاية شهر ربيع الآخر من عام ١٣٣٦ أعلن عن قيام جمهورية ترالسن بولاق (ضاحية من ضواحى قازان) ذات الحكم الذاتي ، وهي ضد حكومة سوفييت مدينة قازان .

وفي شهر رجب قطع اليساريون التتار صلتهم بالحركة القومية التتارية ، وأسسوا في مدينة قازان اللجنة الاشتراكية المسلمة التي مدت فروعها إلى مدن المجرى الأوسط لنهر الفولغا ، وجبال أورال ، وكان رئيسا هذه اللجنة مير سعيد سلطان غالييف ، وملانور فاختيوف ، وقد كانا ذي خط سياسي ماركسي مع بقائهما من دعاة الوحدة الإسلامية الثورية ، ولم يكونا يثقان أبداً بالاستعمار الروسي ، كما يرفضان الكفر الذي يعلنه البلشفيك ، ويرفضان كذلك التخلي عن الإسلام كقاعدة يقوم عليها المجتمع ، أو بالأحرى لم يفهما الاسلام ، ولم ينظرا الشيوعية إلا من جانب معين ، ويتصوران إمكانية ترقيع الإسلام بالفكر الماركسي ، أو ترقيع الماركسية بالإسلام ، ثم أصبحا رئيسي الشيوعية القومية الإسلامية .

وعندما اندلعت الثورة الشيوعية أعلن قادتها الحرية الدينية مبدئياً كي يضمنوا سكوت الشعوب الإسلامية ، وعدم قيامها في وجههم ، وليظن المسلمون أن الأمر أفضل مما كان عليه ، فيحصلوا على بعض التأييد ، وقد وزع لينين آنذاك منشورا جاء فيه « لقد قمنا لننصف المسلمين من شعبنا والذين طال عليهم الظلم ولنعلم مدى الاضطهاد الذى كان يحيق بالمسلمين يكفى أن نقول : إن الحرية المكذوبة التي أعطيت للمسلمين مؤقتاً قد أعادت سكان مائة قرية بجوار قازان إلى الإسلام ، كانت قد حملتهم الحكومة القيصرية على النصرانية قسراً منذ مائتي عام ، وحولت مساجدهم إلى كنائس ، وأرسلت إليهم القساوسة ، وكانوا لايزالون في حقيقة أمرهم مسلمين ، ولكن لم يتمكنوا من إظهار الإسلام إلا بعد سقوط الحكومة القيصرية ، إذ لم يصدقوا الحرية التي أعطتها قبل ثلاث عشرة سنة ، فلما زالت عادوا إلى الإسلام ، وأعادوا مساجدهم إلى

أصولها ، ولكن ماهي إلا غمامة صيف وانقشعت حتى ظهر الشيوعيون على حقيقتهم ، وكشروا عن أنيابهم ، فما أن سيطر الجيش الأحمر سيطرة تامة ، واطمأن الشيوعيون على وضعهم حتى بدأت أعمال السلب والنهب تحت اسم مصادرة المحاصيل الزراعية ، والثروات الحيوانية ، والخيرات تطبيقاً للنظام الجديد للحكم . وحدث ماحدث من جرائم ومذابح فقد قتل في هذه الأحداث خمسة ملايين ونصف المليون من المسلمين ، منهم مليون ونصف من العلماء وطلبة العلم ، إضافةً إلى الذين فرّوا من أوطانهم والتجأوا إلى مناطق ثانية ، كما شنت على المساجد حرب لاهوادة فيها فإن سبعمائة مسجد في بلاد التتار قد حوّلت إلى اسطبلات ونواد ، واستمر الاضطهاد مدة ثماني عشرة سنة وإن أخذ شكلاً أوسع وأشد حتى قامت الحرب العالمية الثانية . وقسّمت البلاد إلى وحدات صغيرةٍ ، وتلاعب الحكام في هذه التقسيمات بضمّ أجزاء أو فصل رقع ، وإبقاء مجموعات من التتار خارج حدود هذه الوحدات ، حتى استقر لهم الوضع بشكل يفرّق المسلمين ، ويجزىء بلادهم ، ويرضي عن الروس ، وسنتحدث بعد قليل عن هذه الوحدات التي أطلق عليها اسم جمهوريات ذات حكم ذاتي وارتبطت كلها بموسكو .

قامت الحرب العالمية الثانية ، ووقفت روسيا بجانب الحلفاء ضد دول المحور ، وتقدمت الجيوش الألمانية في الأرض الروسية فخافت الحكومة الشيوعية من أولئك الذين عاشوا ردحاً من الزمن في اضطهادٍ دائمٍ تحت سيطرتها فأعلنت الحرية الدينية ، وسمحت بإقامة الأبنية الدينية على نفقة أصحابها ، وأنشأت أربعة مراكز ادارية إسلامية تحت إشراف أربعة مفتين يقيمون في طاشقند ، وباكو ، وأوفا ، وبونايسك ، وفي الوقت نفسه أرسلت أكثر من مليوني روسي من سكان المناطق التي اجتاحتها الجيوش الألمانية إلى البلاد الإسلامية الأخرى .

انتهت الحرب ، وأنتصر الحلفاء ومن بينهم الامبراطورية الروسية الشيوعية فعادت السياسة إلى أصولها في الظلم ، والاضطهاد ، والقتل الجماعي ، والانتقام ، وتهجير السكان ، ولعل أشد أنواع الإضطهاد ماوقع في شبه جزيرة القرم .

وقبل أن نتحدث عن الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي ، أو الوحدات الادارية في بلاد التتار وحوض نهر الفولغا نرى من المفيد سرد حكام روسيا القيصرية منذ نشأتها حتى قيام الثورة الشيوعية فيها :

أولاً ــ أدواق موسكو (الروس الكبار)

١ ــ ايفان الثالث (الكبير) ٨٦٧ - ٩١١هـ .
٢ ــ بازيل الثالث ٩١١ - ٩٤٠هـ .
٣ ــ ايفان الرابع (الرهيب) ٩٤٠ - ٩٥٤هـ .

ثم ضمّ إليه اوكرانيا وأصبح قيصراً على روسيا .

ثانيا ــ قياصرة روسيا

١ ــ ايفان الرابع (الرهيب) ٩٥٤ - ٩٩٢هـ .
٢ ــ تيودو الأول ٩٩٢ - ١٠٠٧هـ .
٣ ــ بوريس كودرنوف ١٠٠٧ - ١٠١٤هـ .

وحدثت مدة من الاضطرابات دامت من ١٠١٤ ــ ١٠٢٢ حيث تسلمت أسرة رومانوف

ثالثاً : أسرة رومانوف

١ - ميخائيل ١٠٢٢ - ١٠٥٥ هـ .
٢ - الكسيس ١٠٥٥ - ١٠٨٧ هـ .
٣ - تيودور الثاني ١٠٨٧ - ١٠٩٤ هـ .
٤ - إيفان الخامس ١٠٩٤ - ١١٠١ هـ وحكم معه بطرس الكبير مدة من الزمن .
٥ - بطرس الكبير ١١٠١ - ١١٣٨ هـ .
٦ - كاترين الأولى ١١٣٨ - ١١٤٠ هـ .
٧ ــ بطرس الثاني ١١٤٠ ــ ١١٤٣هـ .
٨ ــ حنا ١١٤٣ ــ ١١٥٣هـ .
٩ ــ إيفان السادس ١١٥٣ ــ ١١٥٤هـ .
١٠ ــ إليزابيت ١١٥٤ ــ ١١٧٦هـ .
١١ ــ بطرس الثالث ١١٧٦ ــ ١١٧٦هـ .
١٢ ــ كاترين الثانية ١١٧٦ ــ ١٢١١هـ .
١٣ ــ بول الأول ١٢١١ ــ ١٢١٥هـ .

١٤ ــ اسكندر الأول ١٢١٥ ــ ١٢٤١هـ .
١٥ ــ نيقولا الأول ١٢٤١ ــ ١٢٧٢هـ .
١٦ ــ اسكندر الثاني ١٢٧٢ ــ ١٢٩٨هـ .
١٧ ــ نيقولا الثاني ١٢٩٨ ــ ١٣٣٦هـ حيث قتله الشيوعيون في بطرسبرغ .

الوحدات الإدارية في بلاد التتار

قسم الروس بلاد المسلمين في شرقي روسيا وجنوبيها إلى عددٍ من الوحدات الادارية في سبيل تفتيت المسلمين ، وتجزئة أراضيهم ، وتفرقة صفوفهم في الوقت الذي استوطن عدد كبير من الروس في هذه المناطق حتى شكّلوا نسباً كبيرة تختلف بين وحدة وأخرى . وبين هذه الوحدات جمهورية ذات استقلال ذاتي ترتبط كلها بموسكو ، ومقاطعة واحدة ذات استقلال إداري وترتبط بكييف عاصمة أوكرانيا كما بقيت أعداد من المسلمين وخاصة من التتار خارج حدود هذه الوحدات .

١ ــ جمهورية باشكيريا : أول جمهورية ذات حكومة اندمجت بجمهورية روسيا الاتحادية ، وتشكلت في شعبان عام ١٣٣٧هـ ، وكانت عاصمتها (سترليتا ماك) لأن مدينة أوفا بقيت بيد البيض إلى ذي القعدة من ذلك العام .

تبلغ مساحة جمهورية باشكيريا ١٤٣٫٥٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٣٫٩٢٤٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩هـ . ويتوزع سكان باشكيريا على المجموعات التالية :

٩٣٦٫٠٠٠	باشكير ويشكلون	٢٤٫٣٪ من السكان .
٩٤٠٫٠٠٠	تتار ويشكلون	٢٤٫٤٪ من السكان .
١٢٢٫٠٠٠	جوفاش ويشكلون	٣٫٢٪ من السكان .
١٠٧٫٠٠٠	ماري ويشكلون	٢٫٨٪ من السكان .
١٢١٫٠٠٠	مجموعات أخرى ويشكلون	٣٫٠٪ من السكان .
٢٫٢٢٦٫٠٠٠	المجموع	٥٧٫٧٪ ومعظم هؤلاء من المسلمين ، وهذه النسبة هي نسبة المسلمين في باشكيريا .

١٫٦٢٣٫٠٠٠	روس	٣ر٤٠٪
٧٥٫٠٠٠	أوكرانيون	٠ر٢٪
١٫٦٩٨٫٠٠٠	المجموع	٣ر٤٢٪ وهم من النصارى الأرثوذكس .

ويبلغ عدد الباشكير (الباشغرد) في الامبراطورية الروسية ١ر٣٧١ر٠٠٠ نسمة منهم ٧٢٪ في جمهورية باشكيريا . والباقي موزعون . ويسكن الباشكير الريف عادةً ، وهم من أصل تتاري ، ويتكلمون لغة تختلف اختلافاً بسيطا عن لغة تتار قازان . وفي مدينة أوفا عاصمة الجمهورية ، وقد وجد منذ أيام كاترين الثانية ، وأعيد عام ١٣٦١ أيام الحرب العالمية الثانية . وأوفا اليوم هي مركز الإدارة الإسلامية لروسيا الأوربية وسيبيريا . وارتدت جماعة من الباشكير في القرن الثاني عشر ، وبدأوا يعودون إلى الإسلام ، وبقي منهم عام ١٣٤٥ مايقرب من أربعة عشر ألفاً ، ولم يبق منهم الآن أحد إلا وقد عاد إلى الإسلام .

٢ ــ **جمهورية تتاريا** : تشكلت جمهورية تتاريا ذات الاستقلال الذاتي في رمضان عام ١٣٣٨هـ . وعاصمتها مدينة قازان التي يبلغ عدد سكانها ما يقرب من المليون . تبلغ مساحة الجمهورية ٦٨ر٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٣ر٤٣٦ر٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩هـ .

ارتدت جماعة من التتار في نهاية القرن العاشر ، وأخرى في مطلع القرن الماضي ، ولكن هؤلاء الأخيرين قد عادوا إلى الإسلام منذ أن أعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢١ ، ولكن لايزالون يقطنون وحدهم في قرى خاصة ، ويطلق عليهم اسم « كرياشن » .

حاول الروس دمج التتار ، وتحويلهم إلى سلاف بتغيير عقيدتهم ، وبذلوا في ذلك جهوداً كبيرة ، فلم يفلحوا ، وحافظ التتار على إسلامهم ، وتمسكوا بعنصرهم حتى ارتبط عندهم مفهوم الدين بمفهوم العنصرية .

يؤلف التتار والباشكير ٦ر٤٧٪ من سكان تتاريا ، ويقدر عددهم ١ر٦٤١ر٦٠٠ نسمة ، والباقي معظمه من الروس والأوكرانيين ، إذ يحاول الروس ترويس هذه الجمهورية ، ولاتزيد نسبة المسلمين في تتاريا على ٥٥٪ لهذا السبب .

يقدر عدد التتار في الامبراطورية الروسية ٤٫٩٦٨٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ ، يعيش أكثر من ربعهم في جمهورية تتاريا ، والباقي موزعون ، بعضهم في حوض الفولغا مثل استراخان ، وساراتوف ، وبعضهم في جبال الأورال مثل تشليابنيسك ، وبعضهم في أورنبرغ ، ويعيش مايقرب من مليون منهم في جمهوريات آسيا الوسطى وأذربيجان . وفي موسكو ١٥٠٫٠٠٠ ، وفي لينينغراد ٦٠٫٠٠٠ ، وفي سيبيريا ٢٠٠٫٠٠٠ ، ويطلق على الذين استقروا في بلاد الباشكير ، عندما فروا من قازان يوم احتل الروس بلادهم عام ٩٦٠هـ اسم التبتيار .

وذهبت أعداد من التتار خارج حدود الامبراطورية الروسية ، واستقرت في أميركا الشمالية وخاصة في نيويورك وفي غيرها .

جمهورية جوفاشيا : تبلغ مساحتها ١٨٫٣٠٠ كيلو متر مربع ، ويسكنها مليونْ ونصف المليون ، ويتكلم الجوفاش لغة ليست من أصل تركي . ارتد كثير من الجوفاش ، وعُمّدوا جميعاً ، وعندما أعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢٣هـ عمّ الإسلام معظم مناطقهم ، الأمر الذى سبب الضغط عليهم . وتأسست لهم جمهورية عام ١٣٤٤هـ ، وعاصمتها مدينة (شبوقساري) .

جمهورية موردوفيا : تبلغ مساحتها ٢٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويسكنها مليون وربع المليون نسمة ، ويتكلم الموردوف لغة خاصة لاتعود إلى أصل تركي .

٥ ـــ **جمهورية أدمورتيا** : تبلغ مساحتها ٤٢٫١٠٠ كيلو متر مربع ، ويعيش على أرضها مايقرب من مليون من السكان ، ويتكلم الأدمورت لهجة لاتمت بصلة إلى التركية . وتعيش بينهم قبائل من الفن مثل (الفوتياك) و (الشريمس) ، وقد أسلمت هاتان القبيلتان بسبب احتكاكهما مع التتار والباشكير على الرغم من أن أفرادهما كانوا نصارى إسماً ، وعُمِّدوا جميعاً ، وبعضهم كان وثنياً ، وفي السجلات ضمن عداد الوثنيين لذا لم يسمح لهم بإقامة المساجد ، وكانوا يختنون ، ولم يشهروا إسلامهم ، لذا أطلق عليهم الروس اسم « الكلاب المختونون » ، لذا فإنهم هجروا مجتمعاتهم وأقاموا في قرى خاصة ، فلما أعلنت الحرية الدينية ظهر أن هذه القرى إسلامية ، وارتفعت فيها المساجد ، وحاولت القيصرية فصلهم عن المسلمين فلم تفلح ، فلما جاءت الشيوعية أتمت مابدأت به القيصرية ، فأنشأت لهم جمهورية خاصة عام ١٣٥٣هـ ، وجعلت عاصمتها (إيجفسك) ، وتريد روسيا أن تبقي الذين لم يدينوا بالإسلام على ديانتهم السابقة سواء

أكانت الوثنية أم النصرانية اسماً ، هذا ماتعتقده ، والواقع أنهم أصبحوا جميعا من المسلمين .

جمهورية ماريا : تبلغ مساحتها ٢٣٫٨٠٠ كيلو متر مربع ، ويسكنها ثلاثة أرباع المليون من السكان، تأسست هذه الجمهورية عام ١٣٥٥هـ . وعاصمتها (يوشكار أولا) ، ومنذ أن احتل الروس أرض هذه الوحدة الادارية من سنة ٩٦٠هـ إلى الآن ، وهي في إهمالٍ تامٍ ، ويلقى شعبها أشد أنواع الاضطهاد ، ويتكلم السكان لغة لاتعود إلى أصل تركي .

ثانيا ــ بلاد القرم : أما في شبه جزيرة القرم فبعد أن ضمت كاترين الثانية القرم إلى روسيا إلا أنها أعطت الحرية الدينية وممارسة الشعائر ، كما أبقت الدعاء للخليفة العثماني أيام الجمع ، ولم تحاول ترويس السكان ، ولكنها في الوقت نفسه قد صادرت أفضل الأراضي على شواطىء شبه الجزيرة . إلا أن الشدة القاسية قد أعقبتها سياسة اللين ، وهذا ماأوجد محاولات من السكان لمسايرة الروس والتعاون معهم .

وقبل الثورة الشيوعية وجد حزب (ملي فرقة) أي الإدارة القومية التتارية وذلك عام ١٣٣٥ ، تقريبا فشكل المسلمون حكومة تتارية إسلامية في مدينة (سمفروبول) ، بزعامة حزب ملي فرقة ، فأعلنت استقلال البلاد ، وأجرت الانتخابات ، واجتمع المؤتمر الوطني ، ووضع دستورا للبلاد . ولكن قضي على هذه الحكومة بعد ثلاثة أشهر بهجوم مفاجىء من سيبا ستيبول ، وبعد ثلاثة أشهر أخرى احتل الألمان المنطقة ، وشكّلوا حكومةً تتاريةً بإشرافهم من أعضاء حزب (ملي فرقة) . وهزمت ألمانيا أخيراً ، وانسحب جنودها من القرم ، وعاد أعداء الشيوعية المانشفيك من روس وغيرهم واحتلوا القرم ، وحلّوا حزب (ملي فرقة) . وبعد أن نجح الشيوعيون في السيطرة على أكثرية الأقاليم التي كانت خاضعة لروسيا القيصرية اتجهوا نحو القرم ولكن التتار في القرم قاوموا الشيوعيين ببسالة ، وعندما عجزوا عن الوقت في وجه الطغيان اعتصموا بالجبال ، ولما رأى الشيوعيون أن حبل المقاومة طويل لجأوا إلى حرب التجويع ، فنقلوا كل ماكان في شبه الجزيرة المكافحة من أقوات ، الأمر الذي عرض السكان للهلاك ، وقد نشرت جريدة (الأزفستيا) في عددها الصادر في ٢٥ تموز ١٩٢٢ (١ صفر ١٣٤١هـ) تقريراً للرفيق كالينين عن مجاعة القرم جاء فيه « بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر كانون الثاني ٣٠٢٫٠٠٠ مات منهم ١٤٫٤١٣ ، وارتفع عددهم في شهر آذار إلى

۳۷۹,۰۰۰ مات منهم ۱۹,۹۰۲ ، وبلغ في شهر نيسان ۳۷۷,۰۰۰ مات منهم ۱۲,۷٥٤ ، وفي شهر جزيران ۳۹۲,۰۷۲ » ، ولم يذكر عدد الموتى إلا أنه قال : « إن أكل لحم الإنسان لم يكن من الحوادث التي يستغرب لها أو تبدو عجيبة في بابها » . وكانوا قد قتلوا من السكان مائة ألف مسلم قبل عام أي أثناء دخولهم القرم ، كما أنهم هجّروا خمسين ألفاً آخرين ، ونصّبوا رئيساً لجمهورية القرم الإسلامية الشيوعي البنغاري (بالاكون) .

واستمر هذا الضغط وذلك الارهاب حتى جرّدوا المسلمين من أملاكهم ومالديهم من ثروات بعد أن استسلموا ، وبدأ الشيوعيون بهدم المساجد والمعاهد الدينية فلم يبق من ١٥٥٨ مسجداً بالقرم إلا آحاداً قليلةً ، أما جمهرتها الكبرى فقد أزيلت أو تحولت إلى أنديةٍ ، وقهاوٍ ، ودور لهوٍ ، واصطبلات للخيل ، وحظائر للماشية ، وبدأ عدد سكان القرم يتناقص تدريجياً .

قامت الحرب العالمية الثانية ، وغزا الألمان روسيا ، ودخلوا أجزاء واسعة منها حتى اقتربوا من موسكو ، وأثناء المعارك التي احتدمت بين الروس والألمان على أبواب القرم استسلم الفيلق القرمي للألمان ــ وتعداده ثمانية عشر ألفاً ــ انتقاماً من الروس وتخلصاً منهم ، وظنّاً بأن الألمان أفضل من الروس الذين أذاقوهم الويلات ، وأنزلوا بهم النكبات ، ولم يدر في خلدهم أن الكفر ملة واحدة . وأن عداء النصارى إنما هو موجه للإسلام قبل كل شيء . وما إن عرف الألمان أن المستسلمين من المسلمين حتى نزعوا منهم السلاح ، وساقوهم حفاة مسافة مائة وخمسين كيلو متراً سيراً على الأقدام ، ودون طعام ، فسقط بعضهم على الطريق من شدة الإعياء ، ثم سجنوهم في جامعة أصلها قلعة من القلاع القديمة لايدخلها نور ، ومنعوا عنهم الطعام بحجة نقص المواد الغذائية عند الألمان ، فبدءوا يتساقطون جوعاً ، وقد امتدت ألسنتهم تقطر منها الدماء ، وقد ثلّمتها جدران السجن الخشنة أثناء أخذ الدهان منها ..... وبعد مدةٍ بدأ يخفّ عدد الموتى بدلاً من أن يزداد مع زيادة الجوع فعرف الضباط الألمان أن بعض السجناء يأكل بعضاً ممن مات فاقتادوا الجميع خارج السجن وقتلوهم رمياً بالرصاص .

وهزمت ألمانيا ، ونجح الشيوعيون فادعوا أن تتار القرم من عملاء الألمان ــ رغم ماحلّ بهم ــ لذا يجب محاكمتهم ، فدخلوا العاصمة (باغجة سراي) وطمسوا معالم الإسلام فيها حتى المساجد الأثرية مثل (جامع خان) ، و(جامع بازار) ، و(جامع

اصماقويو) وغيرها كثير ، وجمعوا المصاحف وأحرقوها في الميادين العامة ، وقتلوا من السكان مايقرب من نصف مليون ، وأجلوا الباقي وهو ٢٣٨٫٠٠٠ تتاري ، وفي العام التالي حلّت جمهوريتهم وغدت منطقة تتبع موسكو ، ثم ألحقت بكييف .

ولايزال تتار القرم يهيمون على وجوههم في مناطق متفرقة من مجاهل سيبيريا وغيرها ، ويطالبون بعودتهم إلى وطنهم وإعادة جمهوريتهم على الرغم من أنهم يعرفون أنها صورة وألعوبة بيد الروس ، يعرفون ذلك من تاريخهم مع الروس الشيوعيين . ففي عام ١٣٤٧ قتل الشيوعيون رئيس جمهورية القرم (ولي ابراهيم) مع جميع وزرائه ، وفي ١٣٤٩ قتلوا أيضاً رئيس الجمهورية (محمد قوباي) مع وزرائه ، ثم كرروا الحادثة مع رئيس الجمهورية (إلياس طرخان) عام ١٣٥٦ إذ استدعوه إلى موسكو وقتلوه مع وزرائه رمياً بالرصاص على الرغم من أنهم كانوا هم الذين يوافقون على تعيين هؤلاء الرؤساء والوزراء .

وفي عام ١٣٩٦ شعر الروس أن بعض المنفيين من تتار القرم يعودون إلى بلادهم دون إذن من السلطات الرسمية فأرسل الروس بعض رجال الأمن يخربون البيوت التي قطنها هؤلاء العائدون فوق رءوس ساكنيها ، ويقتادون من ينجو من الموت إلى السجن ، كما رفضت السلطات طلب الذين رغبوا بالعودة إلى وطنهم من التتار .

ولما نفي التتار حلّ محلهم الروس من أوكرانيين ، وبيض ، وروس كبار ، وقد بلغ عدد سكان منطقة القرم ٢٫١٣٥٫٩١٦ حسب الإحصاء الروسى لعام ١٣٩٩ ، ويوزعون على المجموعات التالية :

١,٤٦٠,٩٨٠	روسي	٢٢,٥٩٧	يهودي .
٥٤٧,٠٠٠	أوكراني	١٥,٠٧٨	تتاري .
٠٤٣,٠٠٠	من روسيا البيضاء	١,١٥١	مجموعات ثانية

ثالثاً – بلاد القوقاز : أما في شمال القوقاز فقد جابه السكان الحكم الروسي بمقاومة عنيفة كان أشهرها حركة عام ١١٩٨ التي قادها منصور أشرمه ، ولم يحاول الروس الاستيطان في داغستان بعد الانتصار على أهلها ، وإنما اكتفوا بإقامة بعض المراكز العسكرية في المناطق الجبلية ، والنقاط الاستراتيجية ، كما لم تشجع الدولة الاتصال بين السكان والروس بل حظرت على دعاة النصرانية دخول الجبل ، ولم تحاول هي كذلك التدخل في شؤون البلاد ، وهذا ما شجع بعض المتنفذين من القومون ، والقبرطاي ، والقوشحة والشركس أن يظهروا

الولاء للروس ولأسرة رومانوف الحاكمة بالذات ، على حين وقف أصحاب النفوذ الحقيقي ، وهم المشايخ موقفاً عدائياً ، وهذا ما جعل المقاومة تأخذ صفة الطابع الديني .

وقام المشايخ بحركة ضد الروس وأسسوا حكومة المريدين التي امتدت من ١٢٤٢ — ١٢٨١ ، وكان آخرهم الشيخ شامل الذي هزم أمام الروس ، ورغم دخول الروس البلاد وانتصارهم على السكان ، وهجرة أعداد كبيرة خارج أوطانهم ، وقد انتقل أكثرها إلى أوربا الشرقية ، واستقروا في الجهات الساخنة إلا أن هزيمة العثمانيين ، قد جعلتهم يرضخون في مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ لأمر الروس ، ويوافقون على نقل هؤلاء اللاجئين من بلاد القوقاز إلى بلاد الشام وبلاد الرافدين حيث أقاموا على هامش الصحراء لردّ غارات البدو . وذلك لما عرف عن هؤلاء القوقازيين من الشجاعة سواء في بلادهم أم في أوربا الشرقية .

وقام الداغستان في آخر ثورة لهم عام ١٢٩٦ ، وبعد ذلك بدأ الضغط الروسي على سكان المنطقة بشكل واسع فاستمرت الهجرات ، ووجدت جماعات تتعاون مع الاشتراكيين ، كما انضمت جماعة قليلة من الشباب إلى الحزب الشيوعي ، وعندما قامت الثورة الشيوعية تعاونت جماعة أخرى مع حكومة بتروغراد ، أما المشايخ الذين بقوا أصحاب النفوذ الحقيقي في البلاد ، فقد حاربوا الشيوعية ، ورفضوا التعاون مع الروس سواء أكانوا شيوعيين أم اشتراكيين ، أم حكام بتروغراد ، وفي الوقت نفسه فقد رفضوا التعامل مع المسلمين الذين يريدون التعاون مع الروس على اختلاف أسمائهم ، واشتهر من بين هؤلاء الشيخ نجم الدين ذي غوتسو (غوتسينسكي) الذي انتخب إماماً في بلاد الداغستان والشاشان ، والشيخ أوزان حجي ، وقد بدأ هؤلاء بالإعداد للجهاد المقدس ، وسيطروا على البلاد أثناء الثورة الشيوعية وحالة الفوضى التي قامت في البلاد يومذاك .

استطاع الجيش الأحمر أن يدخل شمال القوقاز في رجب من عام ١٣٣٨ ، وقاد العلماء تمرداً ضد الشيوعيين انطلق مع مطلع ١٣٩٩ ، واستمر ما يقرب من عام ، وقد حيكت الأساطير حول البطولات والتضحيات التي ظهرت في المقاومة . وعندما سيطر الروس تماماً عملوا على تقسيم البلاد إلى أقسام ووحدات صغيرة تعتمد على العنصريات بالدرجة الأولى وذلك في سبيل تجزئة صف المسلمين ، وربطت هذة الوحدات بموسكو لامكانية مراقبتها بصورة جيدة ، ومن هذه الوحدات ما هو جمهوريات ذات استقلال ذاتي ، ومنها ما هو مناطق حكم ذاتي . وهناك جمهوريتان صغيرتان ربطتا بجورجيا . وهذه الوحدات هي :

١ ـــ **جمهورية داغستان** : وقد تأسست في ربيع الأول من عام ١٣٣٩ ، وتبلغ مساحتها ٥٠٫٣٠٠ كم٢ ، ويبلغ عدد سكانها ١٫٦٢٧٫٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٣٩٩ ،

وعاصمتها (محج قلعة) ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٣ر٨٥٪ من السكان ، وهم من :

الداغستان	وعددهم	١ر٢٦٧ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠ر٧٨٪
الاذربيجان	وعددهم	٦٥ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠ر٤ ٪
الشاشان	وعددهم	٤٩ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠ر٣ ٪
الطاط	وعددهم	٧ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢ر٠ ٪
التتار	وعددهم	٥ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ١ر٠ ٪
		١ر٣٩٣ر٠٠٠	**٣ر٨٥٪**

ويشكل النصارى ٧ر١٤٪ من السكان ، وهم من :

الروس	وعددهم	١٩٠ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ٦ر١١٪ .
الأوكران	وعددهم	٥٠ر٠٠٠	ويشكلون نسبة ١ر٣٪ .
		٢٤٠ر٠٠٠	**٧ر١٤٪ .**

ويشكل الداغستان سكان الريف ، إذ أنهم فلاحون ومربو حيوانات .

وتضم الداغستان عشر مجموعات قبلية منها القوموق ، والنوغاي من أصول تركية ، وقد كان للقوموق دور بارز في حروب الشيخ شامل ضد الروس ، ومنها اللزكي ، واللان ، والعفر ، وهي من أصول قوقازية ، ومن العفر قبائل الآندي التي كان لها دور فى مقاومة الاستعمار الروسى . وهاجر جماعات من الداغستان إلى تركيا ، والعراق ، وبلاد الشام ، ولهم قرى شرق حمص . كانت اللغة العربية هي السائدة ، ولغة التخاطب حتى عام ١٣٤٦هـ ، كما تستعمل أحياناً اللغة التركية الأزرية ، وحظرت اللغة العربية كلغة أدبية منذ عام ١٣٤٠ .

والداغستان كلهم مسلمون ، ويوجد في الجبل عدد قليل من اليهود يطلق عليهم (داغ تشوفوت) أي يهود الجبل جاءوا إلى المنطقة منذ أيام السامانيين .

وتعد (محج قلعة) المركز الاداري الإسلامي لداغستان وشمال القوقاز ، ولغة المركز الرئيسية هي العربية .

٢ ــ جمهورية شاشان ــ انغوشيا : ألغيت هذه الجمهورية أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦١ ، ونقل السكان جميعهم إلى سيبيريا ، وآسيا الوسطى في ظروف رهيبة

وقاسية ، ويبلغ عدد السكان ١٫١٥٥٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩هـ ، وتبلغ مساحتها ١٩٫٣٠٠ كم٢ ، (غروزني) هي عاصمة الجمهورية ، ويبلغ عدد سكانها ٣٧٥٫٠٠٠ نسمة معظمهم من الروس . ويتوزع السكان على النحو التالي :

شاشان	٦١١٫٠٠٠	ويشكلون نسبة	٥٢٫٩٪ .
انغوش	١٣٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة	١١٫٦٪ .
داغستان	٠٢٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة	٢٫٠٪ .
	٧٦٨٫٠٠٠		٦٥٫٥٪

وهؤلاء كلهم من المسلمين . وتصل نسبة الروس في الجمهورية إلى ٢٠٪

وتتألف الجمهورية من المجموعتين الرئيسيتين اللتين تحملان اسمى الشاشان ، والأنغوش .

أما الشاشان فيبلغ عددهم في الامبراطورية الروسية ٧٥٥٫٨٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ ، منهم ٨١٪ في جمهوريتهم ، والباقي وهو ١٩٪ موزعون في آسيا الوسطى ، والداغستان ، وأوستينيا الشمالية . وتوجد أعداد منهم قد هاجرت من بلادها واستوطنت في العراق ، وتركيا ، وأكثرها في بلاد الشام ويصل عددها إلى عشرات الألوف موزعة في رأس العين والقنيطرة في سورية ، وفي الزرقاء ، والصويلح ، وأزرق الشاشان والسخنة .

وأما الأنغوش فيبلغ عددهم ١٥٧٫٠٠٠ يقيم ٧٢٪ منهم فى هذه الجمهورية ، ويتوزع الباقون .

ويتكلم الشعبان لغتين متقاربتين تنتميان إلى القفقاسية ، وليس لهاتين اللغتين المحليتين أبجدية ، ثم أصبحتا تكتبان بالحرف اللاتيني ثم بالكيرياب .

وقد قاتل الشاشان مع الشيخ شامل الروس قتالاً شديداً ، وكانت بلادهم القلعة الصامدة في وجه الروس ، وكذلك فقد اشتركوا في انتفاضة الداغستان عام ١٣٣٨ ، بينما لم يشترك الأنغوش في كلتا الحربين . وإسلام الشاشان حديث لم يمض عليه أكثر من قرنين ، وثبت في نفوسهم بشكل جيد بعد عام ١٢٨٢ إثر هزيمة الشيخ شامل .

٣ ـ جمهورية كبارديا ـ بالكاريا : تشكلت هذه الجمهورية بعد الثورة الشيوعية ، ثم هُجّر البلكار بتهمة التعاون مع الألمان ، فبقيت الجمهورية تحمل اسم كبارديا ، وفي عام ١٣٨٨ أعيد للبلكار اعتبارهم ، وأُعيدوا إلى بلادهم ، ورجع للجمهورية اسمها الأول .

تبلغ مساحة هذه الجمهورية ١٢٫٥٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٦٧٥٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩ ، وعاصمتها مدينة (نالتشيك) التي وصل عدد سكانها إلى ٢٠٧٫٠٠٠ نسمة .

يتألف سكان هذه الجمهورية من عنصرين رئيسيين الكبارد ، والبلكار ، وهما اللذان تحمل الجمهورية اسمهما ، والكبارد (القبرطاي) من أصول قفقاسية ، وهم يشبهون الشركس ، وقد خرجت منهم جماعات مهاجرة بدينها كبقية سكان المنطقة ، ومنهم من يقيم في خناصر جنوب حلب .

والبلكار وهم من أصول تركية تبلغ نسبة المسلمين في هذه الجمهورية ٥٥٪ من السكان ، إذ يصل عددهم إلى ٣٧٣٫٠٠٠ ، أما النصارى فتصل نسبتهم إلى ٤٥٪ ، وعددهم ٢٩٦٫٠٠٠ ومعظمهم من الروس .

٤ ـ جمهورية أوستينيا الشمالية : تبلغ مساحتها ٨٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٥٩٧٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ منهم ٢٩٩٫٠٠٠ أوستيني ، ويطلق عليهم كذلك قوشحة ، كما يسمون بالآيرون وهم غالباً النصارى منهم . وتسمى هذه الجمهورية بالشمالية لأن هناك جمهورية أوستينيا الجنوبية ، وهي ذات استقلال ذاتي أيضا ، وترتبط بجمهورية جورجيا الاتحادية ، وغالبية سكانها من النصارى . وهاجرت جماعات من القوشحة مع هجرة أبناء المنطقة عندما احتلها الروس .

٥ ـ جمهورية ابخازيا : وهو جمهورية ذات حكم ذاتي ، تتبع جورجيا ، وتقع على ساحل البحر الأسود ، تبلغ مساحتها ٨٫٦٠٠ كيلو متر مربع ، عاصمتها سوخومي ، يبلغ عدد سكانها ٤٨٦٫٩٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ ، وفيهم من الأبخاز ٩١٫٠٠٠ . والأبخاز من العناصر الشركسية ، ونسبة النصارى كانت فيهم كبيرة ، وعندما أعطيت الحرية الدينية عام ١٣٢٣ دخل عدد كبير منهم في الإسلام .

قضت روسيا على حكومة (ايمارتي) التي كانت قائمة حتى عام ١٢٢٥ ، وتأسست جمهورية أبخازيا عام ١٣٤٩ .

٦ ــ جمهورية آجاريا : تبلغ مساحتها ٣٫٠٠٠ كم٢ ، ويسكنها ٣٠٠٫٠٠٠ نسمة ، تقع على ساحل البحر الأسود ، بين جورجيا وتركيا ، وعاصمتها مدينة باطوم ، وتتبع جمهورية جورجيا أيضاً .

ضمت روسيا حكومة (غوريا) التي كانت قائمة هناك وذلك إثر مؤتمر برلين ١٢٩٦ ، واعترفت الدولة العثمانية بذلك . ثم تأسست جمهورية آجاريا عام ١٣٤٠هـ .

المناطق ذات الحكم الذاتي :

١ ــ منطقة الأديغة : تبلغ مساحتها ٧٫٦٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٤٠٤٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩هـ ، عاصمتها مدينة مايكوب . وهي ملحقة باقليم (كرانسنودار) .

والأديغة هو الاسم القومي للعناصر الشركسية ، والشركس مجموعة من القبائل أشهرها : الأبزاخ ، والبزادوغ ، والشابسيغ ، والحاتوقواي . وهاجرت جماعات من هذه القبائل بدينها إلى أوربا الشرقية ثم إلى تركيا ، والعراق ، وبلاد الشام ، وسكنت على هامش الصحراء ، ومنهم من يقيم في منبخ ، وعندان ، وحلب ، والرقة ، وقرى حمص ، ودمشق ، ومرج السلطان ، والجولان ، وعمان . سيطر الروس على المنطقة عام ١٢٩٥ ، وتأسست مقاطعتهم عام ١٣٤١هـ .

٢ ــ منطقة كاراتشاي ــ الشركسية : تبلغ مساحتها ١٤٫١٠٠كم٢ ، ويبلغ عدد سكانها ٣٦٩٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ . وعاصمتها مدينة شركسك ، وهي ملحقة باقليم (ستافروبول) .

يتألف السكان من مجموعتين رئيسيتين : الكاراتشاي ، وهم من أصول تركية ، والشركس وهم من أصول قفقاسيا ، وتحمل المنطقة اسم المجموعتين .

هُجّر الكاراتشاي أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٢ ، ولم يرجعوا إلى منطقتهم إلا عام ١٣٧٧هـ . وكانت المنطقة قد خضعت للروس بعد مؤتمر برلين عام ١٢٩٦ . وهاجرت جماعات منهم مع هجرة السكان ، ومنهم من يقيم في قري البويضان ، وبلي في سورية .

تبلغ نسبة المسلمين في هذه المنطقة أكثر من ٥٠٪ بقليل إذ غزاها الروس بشكل واسع .

رابعاً ــ أذربيجان : أما في أذربيجان فلم يحرص الروس على تحويل المسلمين إلى سلاف الأمر الذي أبقي هؤلاء المسلمين تحت النفوذ الديني للعثمانيين والإيرانيين سواء من الناحية السياسية أم الناحية الثقافية .

وتأسس في مدينة باكو عام ١٣٢٢ حزب همة (الإدارة) ، وكان ماركسيا ، وبرز عام ١٣٢٤ وعمل سراً من عام ١٣٢٥ ــ ١٣٣٥ . وتأسس حزب المساواة عام ١٣٢٩هـ في مدينة غاندجا (كيروفوباد) ثم نقل مقره إلى باكو ، ثم أصبح يتكلم باسم العنصرية الاذربيجانية ، ونشأ حزب العدالة في مدينة باكو أيضاً ، وكان جلّ أعضائه من الإيرانيين ، وهو الذي أصبح فيما بعد الحزب الشيوعي الإيراني .

كان الشيوعيون أقلية في أذربيجان فلم يحاولوا السيطرة على المنطقة عندما قامت الثورة الشيوعية ، وفي شهر جمادى الأول من عام ١٣٣٦ نجحوا في ثورتهم في أذربيجان بمساعدة الاشتراكيين الثوريين ، والفرق العسكرى الأرمينية لحزب طاشناق ، ومقاتلي حزب همة ، وتألفت كومونة باكو السوفيتية ، وبعد ثلاثة أيام من المعارك قتل فيها ثلاثة آلاف مسلم ، هرب قادة حزب المساواة إلى مدينة غاندجا وشكلوا هناك حكومة ضد حكومة كومونة باكو السوفيتية ، وأطلق عليها اسم (مجلس أذربيجان الوطني) .

وفي شهر شوال من عام ١٣٣٦ سقطت حكومة باكو السوفيتية بعد أن اتفق ضدها أنصارها بالأمس الاشتراكيون ، والطاشناق الأرمن ، ولم يشترك المسلمون في هذا الانقلاب .

وفي شهر ذي الحجة من العام نفسه دخلت قوات من الجيش التركي أذربيجان ، واحتلت مدينة باكو ، وتبعتها قوات حكومة مجلس أذربيجان الوطني في غاندجا ، وحدثت مجازر في صفوف الأرمن ، ثم انسحبت القوات التركية ، وبقيت حكومة حزب المساواة في السلطة ، وجاء الانكليز من جهة إيران ودخلوا أذربيجان ، ثم عادوا فانسحبوا عام ١٣٣٧ ، وبقيت أذربيجان حكومة مستقلة مايزيد على سبعة أشهر ، حيث احتل الجيش الأحمر البلاد وحكم الحزب الشيوعي الأذربيجاني ، وهو الوريث لحزب همة . وتأسست جمهورية أذربيجان السوفيتية في ٥ شعبان ١٣٣٨ (٢٨ نيسان ١٩٢٠) ، وتبلغ مساحتها ٨٦٫٦٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٦٫٠٢٨٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ بينهم ٥٫٠١٧٫٠٠٠ مسلم ، فتبلغ بذلك نسبة المسلمين ٨٣٫٣٪ من السكان وهم من :

الأذربيجان	وتبلغ نسبتهم	٧٨٫١٪	من السكان .
الداغستان	وتبلغ نسبتهم	٣٫٤٪	من السكان .
التاليش	وتبلغ نسبتهم	١٫٠/	من السكان .
التتار	وتبلغ نسبتهم	٠٫٥٪	من السكان .
مجموعات أخرى			
		٨٣٫٣٪	

أما النصارى فتبلغ نسبتهم ١٦٫٢٪ من السكان ، وهم من :

الروس	وتبلغ نسبتهم ٧٫٩٪ من السكان ،	وعددهم ٤٧٥٫٠٠٠ نسمة	
والارمن	وتبلغ نسبتهم ٧٫٩٪ من السكان	وعددهم ٤٧٥٫٠٠٠ نسمة	
والاوكرانيون	وتبلغ نسبتهم ٠٫٤٪ من السكان	وعددهم ٢٦٫٠٠٠ نسمة	
	١٦٫٢٪	٩٧٦٫٠٠٠ نسمة	

ويوجد عدد من اليهود تبلغ نسبتهم ٠٫٥٪ من السكان وعددهم ٣٥٫٠٠٠ نسمة .

ويمثل الشيعة ٧٠٪ من المسلمين ، وأكثرهم يقيم في الجنوب ، ويمثل أهل السنة ٣٠٪ ومعظمهم يقطن الشمال . كما يوجد أعداد من البهائيين ، واليزيديين (عبدة الشيطان) ويسكن الأوائل منهم في مدن باكو ، وكوبا .

١ ــ **جمهورية ناختشيفان** : وهي ذات استقلال ذاتي ، وترتبط بأذربيجان ، رغم وجود مناطق أرمينيا بين الجمهوريتين ، وتقع على حدود أرو وتركيا ، وتبلغ مساحتها ٥٫٥٠٠ كيلو متر مربع . ويبلغ عدد سكانها ٢٤٠٫٤٥٩ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ ، ويتوزع السكان على المجموعات التالية :

الأذربيجانيون وعددهم	٢٢٩٫٩٦٨	نسمة ويشكلون نسبة	٩٥٫٦٪	من السكان ومعظمهم شيعة
الروس وعددهم	٣٫٨٠٧	نسمة ويشكلون نسبة	١٫٦ ٪	من السكان وهم نصارى
الأرمن وعددهم	٣٫٤٠٦	نسمة ويشكلون نسبة	١٫٤ ٪	من السكان وهم نصارى
مجموعات ثانية وعددهم	٢٫٢٧٨	نسمة ويشكلون نسبة	١٫٤ ٪	من السكان من مسلمين ونصارى
	٢٤٠٫٤٥٩		١٠٠ ٪	

وتبلغ جمهورية أذربيجان الاتحادية منطقة قرة باخ ذات الحكم الذاتي . وهي وسط أذربيجان ، وتبلغ مساحتها ٤٫٤٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ١٦٢٫١٨١ حسب احصاء ١٣٩٩هـ . ويتوزع السكان على المجموعات التالية :

الأذربيجانيون ويبلغ عددهم	٣٧٫٢٦٤	نسمة ويشكلون نسبة	٢٣٫٠٪ من السكان .
الروس ويبلغ عددهم	١٫٢٦٥	نسمة ويشكلون نسبة	٠٫٨ ٪ من السكان .
الأرمن ويبلغ عددهم	١٢٣٫٠٧٦	نسمة ويشكلون نسبة	٧٥٫٩٪ من السكان .
مجموعات ثانية ويبلغ عددهم	٥٧٦	نسمة ويشكلون نسبة	٠٫٣ ٪ من السكان .
	١٦٢٫١٨١		١٠٠٪ .

ويعيش في منطقة باخ عشرون الفاً من الذين يؤلهون علياً .

وجمهورية أذربيجان جمهورية اتحادية عاصمتها مدينة باكو التي عدد سكانها ١٫٥٥٠٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩هـ . ويتكلم السكان اللغة الأزرية التي تعود إلى أصول تركية .

خامسا ــ قازاقستان : أما في قازاقستان فلم تشجع الحكومة الروسية هجرة الروس إلى تلك الجهات ، كما لم تتدخل في حياة القبائل القازاقية ، بل تركتهم على عاداتهم ، وأعفتهم من الخدمة العسكرية الالزامية حتى بداية القرن الرابع عشر ، وفي عام ١٣٠٩ سمحت للروس والأوكرانيين بالاستيطان في بلاد القازاق فسارت جموع إلى تلك الجهات ، وأخذت أفضل الأراضي ، وقد وصل عدد المستوطنين من النصارى الأرثوذكس مليون مستوطن قبيل الحرب العالمية الأولى ، وهذا مادعا القازاق إلى القيام برد الفعل ومناهضة الروس والانضمام إلى العمل الإسلامى .

وفي عام ١٣٣٠ تشكل حزب الأش أوردا ، وهو غير مبال بالإسلام ، ويحمل أفكار الوحدة التركية ، ويطالب بإيقاف الروس في المنطقة .

كما تأسس حزب القبائل الثلاث (أوش جوز) ، ويدعو إلى الوحدة الإسلامية ، ويعادي الروس ، ويناهض حزب أوردا ، وكانت قوته في منطقة سيمون ، ومع أنه انحرف عن خطة الرئيس إذ بدأ يتجه إلى المطالبة بالتغييرات الجذرية لكنه بقي يحمل فكرة الوحدة الإسلامية ، ويعادي الروس والتتار على حد سواء ، وفي النهاية انتسب قادته إلى الحزب الشيوعي .

وفي عام ١٣٣٤ انفجرت ثورة القبائل ضد تجاوزات المستوطنين الروس ، فأخمدت هذه الثورة بوحشية ، وأبيدت بعض القبائل ، وفرت قبائل أخرى إلى الصين . واضطر

حزب ألاش أوردا الذي كان متعاطفاً مع الروس أن يغير من خطته ، وأن يحمل من جديد فكرة طرد الروس من البلاد . وبعد ثورة فصل الربيع من عام ١٣٣٥ وجدت جمهورية قازاقستان ذات الاستقلال الذاتي ، وأوكلت هذه الجمهورية إلى حزب ألاش أوردا مسؤولية إدارة المنطقتين الوسطى والشرقية من قازاقستان . وعندما قامت الثورة الشيوعية مع أول يوم من عام ١٣٣٦ كان في قازاقستان جمهورية ذات استقلال ذاتي . وسيطر حزب ألاش أوردا الميال إلى الاشتراكية ، والمنادي بالحرية ، والمعادي للشيوعية على بلاد القازاق كلها . وفي ربيع الأول بدأ قادته في الالتحاق بالقوة المعادية للشيوعية المتمثلة بالقوزاق ، والباشكير ، وأعلنوا استقلال بلادهم ، ولاتساع بلادهم .فقد ألفوا حكومتين إحداهما في المنطقة الغربية ، والثانية في المنطقة الشرقية .

وفي منتصف عام ١٣٣٨ انسحب القازاق من قتال الشيوعيين لأن الأميرال كولتشاك قد تسلم الأمر وهو عدو القوميات ، كما أنه يدعو إلى وحدة الروس ، ثم خضعوا للقوة البلشفية ، واعترفوا بالحكم السوفيتي ، وتشكلت لجنة ثورية قازاقية نصف أعضائها من حزب ألاش أوردا والنصف الآخر من مندوبي السوفييت ، وقبل أعضاء الحزب في الحزب الشيوعي ، وبقوا عشر سنوات في السلطة ثم طردوا ، وتسلط الشيوعيون على الحكم ، وعلى الشعب ، وفي سياسة التحضير التي اتبعها الشيوعيون ذهب نصف الشعب القازاقي في منتصف القرن الرابع عشر الهجري .

وتشكلت جمهورية قازاقستان يوم عيد الأضحى من عام ١٣٣٨ وتبلغ مساحتها ٢,٧١٧,٣٠٠ كم٢ ، وكانت عاصمتها قيزيل أوردا ، ثم أصبحت مدينة ألمارضا منذ عام ١٣٤٨ ، وقد بلغ عدد سكانها عام ١٣٩٩ حوالي ٩١٤,٠٠٠ نسمة ، بينما بلغ عدد سكان الجمهورية في العام نفسه ١٤,٦٨٤,٠٠٠ نسمة ، وهم يتوزعون حسب المجموعات على النحو التالي :

القازاق	٥,٢٨٩,٠٠٠	ويشكلون	٣٦,٠٪
التتار	٠,٣١٣,٠٠٠	ويشكلون	٠٢,١٪
الأوزبك	٠,٢٦٣,٠٠٠	ويشكلون	٠١,٨٪
الأويغور	٠,١٤٨,٠٠٠	ويشكلون	٠١,٠٪
أذربيجان	٠,٠٧٣,٠٠٠	ويشكلون	٠,٥٪
	٦,٠٨٦,٠٠٠		٤١,٤٪ .

وهؤلاء جميعهم من المسلمين ، ويسكنون الريف بالدرجة الأولى ، ثم هناك المجموعات التالية :

الروس	٥ر٩٩١ر٠٠٠	ويشكلون	٨ر٤٠٪ .
أوكرانيون	٠ر٨٩٨ر٠٠٠	ويشكلون	١ر٠٦٪ .
روس بيض	٠ر١٨١ر٠٠٠	ويشكلون	١ر٠١٪ .
كوريون	٠ر٠٩٢ر٠٠٠	ويشكلون	٦ر٠٪ .
.	٧ر١٦٢ر٠٠٠		٦ر٥٨٪ .

وهؤلاء من النصارى ، ويقيمون في المدن غالباً ، وهم غرباء عن البلاد ، ومستعمرون لها ، ويتكلم القازاق لغة قازاقية تعود في أصولها إلى المجموعة التركية .

سادسا ــ آسيا الوسطى : وضع الروس المنطقة تحت إشراف إدارة عسكرية وتخضع لها حكومة عموم تركستان ، على حين بقيت إمارة بخارى ، وخانية خيوه تتمتعان باستقلال ذاتي ، وأعفوا السكان من الخدمة العسكرية الإلزامية ، وتركوهم يخضعون لتشريعاتهم وقوانينهم الخاصة ، كما حاولوا عدم صهر السكان بالمجتمع الروسي ، وعملوا على عزل تركستان وحمايتها من تأثر تتار الفولغا . وكان وضع المنطقة يبدو عليه الاستعمار من حيث التمييز ومحاولة استغلال السكان وأرضهم دون تقديم أية خدمات لهم ، ولذا فقد بقي أصحاب النفوذ محافظين على عاداتهم وتقاليدهم ، وكرههم للروس ، وتمسكهم بالإسلام .

وتأسس في طاشقند عام ١٣٣٥ حزب الشورى الإسلامية ، ويدعو إلى الإسلام والانفصال عن روسيا ، كما كان حزب الشباب البخاريين منذ عام ١٣٢٧ ويدعو إلى كره الروس وأمير بخارى الذي يرضى بحماية الروس ، ويقتصر نشاط هذا الحزب على إمارة بخارى .

كانت الأحزاب ضعيفة التنظيم ولكنها مرتبطة بالإسلام على حين كانت برامجها الاجتماعية اشتراكية ، الأمر الذي يدل على عدم الوعي الكامل بالإسلام .

وعندما قامت الثورة الشيوعية مع مطلع عام ١٣٣٦ سيطر الشيوعيون على الحكم في طاشقند ، وساعدهم في ذلك المستوطنون الروس جميعاً بصفتهم نصارى ، فهم ضد المسلمين الذي يؤلفون غالبية سكان تركستان ، وأبعد المسلمون نهائياً عن السلطة ، وبعد شهر واحد عقد المسلمون مجلساً شعبياً فى خوقند ، وأعلنوا استقلال تركستان بينما

بقيت طاشقند بيد الشيوعيين ، وبعد أقل من ثلاثة أشهر تمكّن الشيوعيون من دخول خوقند ، فهدموها ، وعملوا بأهلها قتلاً ، وبعد شهر آخر شنّ الشيوعيون هجوماً على أمير بخارى ، ولكنهم فشلوا في هجومهم هذا رغم دعم حزب الشباب البخاريين لهم .

وحدثت حركة في وادي فرغانة ، وانضم إليها أنور باشا ، وزير خارجية تركيا السابق ، وزكي والدي طوقان أحد زعماء باشكيريا ، ولقيت هذه الحركة دعماً من قبائل القيرغيز ، والأوزبك ، والتركان ، وعرفت هذه الحركة باسم البصمجية ، وهو اسم أطلقه الروس على هؤلاء المسلمين ، ويعني اللصوص ، واستطاع الجيش الأحمر دخول مدينة بخارى في مطلع عام ١٣٣٩ ، وقضى على الحركة بعد عامين ، وقتل أنور باشا يوم عيد الأضحى عام ١٣٤٠ .

وقسم الروس المنطقة إلى الجمهوريات التالية :

١ ـــ **جمهورية أوزبكستان** : وتأسست في مطلع ربيع الأول عام ١٣٤٣ ، ثم ضمت إليها بخارى ، وخوارزم ، وفصلت عنها بلاد الطاجيك ، وألحقت بها جمهورية كاراكلباكيا . تبلغ مساحة هذه الجمهورية ٤٠٨٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ١٥٫٣٩١٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٣٩٩ ، وعاصمتها مدينة طاشقند التي بلغ عدد سكانها ١٫٧٨٥٫٠٠٠ نسمة ، وتعد رابع مدينة سكاناً في الامبراطورية كلها بعد موسكو ، ولينغراد ، وكييف .

ويتألف السكان من المجموعات التالية :

الأوزبك	ويبلغ عددهم ١٠٫٥٦٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٦٨٫٧٪ من السكان .
التتار	ويبلغ عددهم ٦٤٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٤٫٢٪ من السكان .
القازاق	ويبلغ عددهم ٦٢٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٤٫٠٪ من السكان .
الطاجيك	ويبلغ عددهم ٥٩٥٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٣٫٩٪ من السكان .
الكاراكلباك	ويبلغ عددهم ٢٩٨٫٠٠٠	ويشكلون نسبة١٫٩٪ من السكان .
القيرغيز	ويبلغ عددهم ١٤٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٠٫٩٪ من السكان .
التركمان	ويبلغ عددهم ٩٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٠٫٦٪ من السكان .
مجموعات أخرى	ويبلغ عددهم ٣٨١٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٢٫٦٪ من السكان .
	١٣٫٥٢٦٫٠٠٠	٨٦٫٨٪ .

وهم من المسلمين السنة ، وتوجد بينهم مجموعة من الشيعة ، يقدر عددها بمائة ألف ، ويعيش أتباعها في كل من سمرقند ، وطاشقند ، وبخارى . ويقيم الأوزبك عادة في الريف .

أما الباقي فهم من المستعمرين النصارى إضافة إلى الكوريين ، ويقيمون عادة في المدن ويتوزعون كما يلي :

الروس	ويبلغ عددهم ١٫٦٦٦٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٠٫٨٪ من السكان .
الأوكرانيون	ويبلغ عددهم ١٦٣٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ١٫١٪ من السكان .
الكوريون	ويبلغ عددهم ١١٤٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٠٫٧٪ من السكان .
	١٫٩٤٣٫٠٠٠	١٢٫٦٪ .

ثم يوجد اليهود ويبلغ عددهم ١٠٠٫٠٠٠ ويشكلون نسبة ٠٫٦٪ .

ويتكلم الأوزبك اللغة الأوزبكية ، وهي من المجموعة التركية ، وكانت تكتب بالحرف العربي ، ثم استبدل به الحرف اللاتيني عام ١٣٤٦هـ .

وتتبع أوزبكستان جمهورية كاراكلباكيا ذات الاستقلال الذاتي والتي تبلغ مساحتها ١٦٥٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، ويبلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٣٩٩هـ مايقدر بمليون تقريباً (٩٠٥٫٠٠٠) ، ويشكل المسلمون بينهم ٩٥٪ ، بينما يشكل الروس ٣٫٢٪ ، وعاصمتها مدينة نوخوس التي تقع عل نهر جيحون عند بداية تفرعه قبل مصبه في بحيرة خوارزم .

٢ ــ **جمهورية طاجيكستان** : وتأسست في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ ، ثم أضيف إليها قسم من هضبة بامير ، وهو اقليم باداخشان ذو الحكم الذاتي . تبلغ مساحة الجمهورية ١٤٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ٣٫٨٠٦٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ ، وعاصمتها مدينة دوشامبي التي بلغ عدد سكانها في العام نفسه ٤٩٣٫٠٠٠ ، ويتألف سكان الجمهورية من المجموعات التالية :

الطاجيك	ويبلغ عددهم ٢٫٢٣٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٥٨٫٥٪ من السكان
الأوزبك	ويبلغ عددهم ٨٧٣٫٠٠٠	ويشكلون نسبة ٢٣٫٠٪ من السكان

التتار ويبلغ عددهم ٨٠٫٠٠٠ ويشكلون نسبة٢٫٢٪ من السكان
القيرغيز ويبلغ عددهم ٤٨٫٠٠٠ ويشكلون نسبة١٫٢٪ من السكان
التركمان ويبلغ عددهم ١٤٫٠٠٠ ويشكلون نسبة٣٫٪ من السكان

٣٫٢٥٢٫٠٠٠ ٨٤٫٢٪

وهم من المسلمين السنة ، وتوجد جماعات من الشيعة أكثرها من عنصر الطاجيك ، ويكثرون في العاصمة دوشامبي ، وبعض المدن ، كما توجد جماعة من الاسماعيلية النزارية من أتباع آغاخان ، ويسكنون إقليم باداخشان في بامير .

أما النصارى فهم المستعمرون الدخلاء وهم :

الروس ويبلغ عددهم ٣٩٥٫٠٠٠ ويشكلون نسبة١٠٫٥٪ من السكان
الأوكرانيون ويبلغ عددهم ٣٦٫٠٠٠ ويشكلون نسبة١٫٠٪ من السكان

٤٣١٫٠٠٠ ويشكلون نسبة١١٫٥٪ من السكان
ويوجد عدد من اليهود يبلغ عددهم ١٥٫٠٠٠ ويشكلون نسبة ٠٫٤٪ من السكان .

أما اللغة الطاجيكية فهي فارسية ، وكانت بالحرف العربي حتى عام ١٣٥٨ ، وبعدها أصبحت تكتب بالحرف الكيريلي . ولكن شعوب البامير يتكلمون لغة ايرانية .

ويتبع طاجستان منطقة باداخشان ذات الحكم الذاتي ، وتبلغ مساحتها ٦٣٫٧٠٠ كيلو متر مربع ، ويبلغ عدد سكانها ١٢٧٫٠٠٠ حسب إحصاء ١٣٩٩ ، ويتألف السكان من المجموعات التالية :

١١٥٫٠٠٠ من الطاجيك ، و٨٫٥٠٠ من القيرغيز ، و١٫٧٨٠ من الروس ، وفيها الاسماعيليون النزاريون .

٣ ـ جمهورية قيرغيزيا : وأصبحت جمهورية اتحادية منذ عام ١٣٥٥ ، وكانت من قبل جزءاً من جمهورية روسيا الاتحادية أي مرتبطة بموسكو ، ثم منطقة ذات حكم ذاتي ، تبلغ مساحتها ١٩٧٫٠٠٠ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها ٣٫٥٢٩٫٠٠٠ نسمة حسب إحصاء ١٣٩٩ ، ويتألف السكان من المجموعات التالية :

القيرغيز ويبلغ عددهم ١٫٦٨٧٫٠٠٠ ويشكلون نسبة٤٧٫٩٪ من السكان
الأوزبك ويبلغ عددهم ٩١٢٫٠٠٠ ويشكلون نسبة٢٥٫٩٪ من السكان

التتار	ويبلغ عددهم ٧٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٠٫٢٪ من السكان
الأويغور	ويبلغ عددهم ٣٠٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٨ر٠٪ من السكان
القازاق	ويبلغ عددهم ٢٧٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٨ر٠٪ من السكان
الطاجيك	ويبلغ عددهم ٢٣٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٧ر٠٪ من السكان
	٢٫٧٢٨٫٠٠٠	٧٧٫٤٪ من السكان

أما النصارى وهم من المستعمرين الدخلاء وهم :

الروس	ويبلغ عددهم ٧١٢٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٣ر٢٠٪ من السكان
الأوكرانيون	ويبلغ عددهم ٨٩٫٠٠٠	ويشكلون نسبة٣ر٢٪ من السكان
	٨٠١٫٠٠٠	

وعاصمة البلاد هي مدينة فرونزى .

٤ ــ **جمهورية تركمانستان** : ينتمي التركمان إلى قبيلة الأوغوز التركية ، وهم شعب محارب ، قاتلوا دولة ايران الشيعية مدة قرن من الزمن ، ووقفوا في وجه خانة خوارزم ، وصارعوا الروس ودمّروهم في قلعة كوب تيب عام ١٢٩٧هـ ، وبعد هزيمتهم أمام الروس تعرضوا لمجازر رهيبة عام ١٢٩٩هـ .

اشترك التركمان في حركة البصمجية ١٣٣٥ ــ ١٣٤٠ ، وتمردوا هم ضدّ الروس من ١٣٤٥ ــ ١٣٥٠هـ . ويشترك التركمان في طريقة عيش واحدة ، وكلمة مسلم تستعمل عندهم للدلالة عليهم ، فهناك مزج بين الدين والعنصر .

وتتألف الامبراطورية الروسية من أربع عشرة جمهورية اتحادية ، ست منها إسلامية وهي :

١ ــ أذربيجان	ومساحتها ٠٫٠٨٦٫٦٠٠ كم٢	وعدد سكانها ٦٫٠٢٨٫٠٠٠
٢ ــ قازاقستان	ومساحتها ٢٫٧١٧٫٣٠٠	وعدد سكانها ١٤٫٦٨٤٫٠٠٠
٣ ــ أوزبكستان	ومساحتها ٤٠٨٫٠٠٠ر	وعدد سكانها ١٥٫٣٩١٫٠٠٠

٤ ــ طاجيكستان ومساحتها ١٤٣٫٠٠٠ر٠ وعدد سكانها ٨٠٦٫٠٠٠ر٣
٥ ــ قيرغيزيا ومساحتها ١٩٧٫٠٠٠ر٠ وعدد سكانها ٥٢٩٫٠٠٠ر٣
٦ ــ تركمانستان ومساحتها ٤٤٥٫٠٠٠ر٠ وعدد سكانها ٥٠٠٫٠٠٠ر١

٣٫٩٩٦٫٩٠٠ ٤٤٫٩٣٨٫٠٠٠

كما يوجد في الامبراطورية الروسية عشرون جمهورية ذات استقلال ذاتي ، أربع عشرة منها مسلمة وهي :

١ ــ باشكيريا	ومساحتها ١٤٣٫٥٠٠ كم²	وعدد سكانها ٩٢٤٫٠٠٠ر٣
٢ ــ تتاريا	ومساحتها ٠٦٨٫٠٠٠	وعدد سكانها ٤٣٦٫٠٠٠ر٣
٣ ــ جوفاشيا	ومساحتها ٠١٨٫٠٠٠	وعدد سكانها ٥٠٠٫٠٠٠ر١
٤ ــ موردوفيا	ومساحتها ٠٢٥٫٠٠٠	وعدد سكانها ٢٥٠٫٠٠٠ر١
٥ ــ أدمورتيا	ومساحتها ٠٤٢٫١٠٠	وعدد سكانها ٠٠٠٫٠٠٠ر١
٦ ــ ماريا	ومساحتها ٠٢٣٫٨٠٠	وعدد سكانها ٧٥٠٫٠٠٠ر٠
٧ ــ داغستان	ومساحتها ٠٥٠٫٣٠٠	وعدد سكانها ٦٢٧٫٠٠٠ر١
٨ ــ شاشان انغوشيا	ومساحتها ٠١٩٫٣٠٠	وعدد سكانها ١٥٥٫٠٠٠ر١
٩ ــ كبارديا بلكاريا	ومساحتها ٠١٢٫٥٠٠	وعدد سكانها ٦٧٥٫٠٠٠ر١
١٠ ــ أوستينيا الشماليةو	مساحتها ٠٠٨٫٠٠٠	وعدد سكانها ٥٩٧٫٠٠٠ر٠
	٤١٠٫٥٠٠	١٤٫٩١٤٫٠٠٠

وترتبط هذه كلها بموسكو عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية .

١١ ــ ابخازيا	ومساحتها ٨٫٦٠٠ كم²	وعدد سكانها ٤٨٦٫٩٠٠
١٢ ــ آجاريا	ومساحتها ٣٫٠٠٠	وعدد سكانها ٣٠٠٫٠٠٠
	١١٫٦٠٠	٧٨٦٫٩٠٠

وترتبط هذه بتفليس عاصمة جمهورية جورجيا الاتحادية .

١٣ ــ كاراكلباكيا	ومساحتها ١٦٥٫٠٠٠ كم²	وعدد سكانها ٩٠٥٫٠٠٠
١٤ ــ ناختشيفيان	ومساحتها ٥٫٥٠٠	وعدد سكانها ٢٤٠٫٤٥٩
	١٧٠٫٥٠٠	١٫١٤٥٫٤٥٩

وترتبط الأولى بطاشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان الاتحادية ، وترتبط الثانية بباكو عاصمة جمهورية أذربيجان الاتحادية .

ويوجد في الامبراطورية الروسية عدد من المقاطعات ذات الحكم الذاتي ، خمس منها وهي :

١ ــ القرم ومساحتها ٢٦٫١٥٠ كم٢ وعدد سكانها ٢٫١٣٥٫٩١٦
وترتبط بكييف عاصمة جمهورية أوكرانيا الاتحادية .

٢ ــ الأديغة ومساحتها ٧٫٦٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٠٫٤٠٤٫٠٠٠

٣ ــ كاراتشاى الشركسيةومساحتها ١٤٫١٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٠٫٣٦٩٫٠٠٠
وترتبطان بموسكو عاصمة جمهورية روسيا الاتحادية .

٤ ــ قره باخ ومساحتها ٤٫٤٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٠٫١٦٢٫١٨١
وترتبط بباكو عاصمة جمهورية أذربيجان الاتحادية .

٥ ــ باداخشان ٦٣٫٧٠٠ كم٢ وعدد سكانها ٠٫١٢٧٫٠٠٠
وترتبط بدوشامبي عاصمة جمهورية طاجيكستان الاتحادية .

١١٥٫٩٥٠ ٣٫١٩٨٫٠٩٧

وبذا تبلغ مساحة الأرض الإسلامية في الامبراطورية الروسية كما يلي :

٣٫٩٩٦٫٩٠٠ كيلو متر مربع جمهوريات اتحادية .
٠٫٥٩٢٫٦٠٠ كيلو متر مربع جمهوريات ذات استقلال ذاتي .
٠٫١١٥٫٩٥٠ كيلو متر مربع مناطق ذات حكم ذاتي .

٤٫٧٠٥٫٤٥٠ كيلو متر مربع ، وهذا مايعادل خمس مساحة الامبراطورية الروسية كاملة والتي تصل إلى ٢٢٫٤٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، منها مايقرب من خمسة ملايين كيلو متر مربع أرض روسية والباقي مستعمرات .

وتقدم الأرض الإسلامية للامبراطورية الروسية معظم نفطها ، وغالبية قطنها ، وأكثرية النحاس ، والرصاص ، والتوتياء ، والكروم ، والثروة الحيوانية ، وكميات كبيرة من الحديد والفحم .

أما بالنسبة إلى السكان فقد بلغ عدد سكان المنطقة الإسلامية حسب إحصاء ١٣٩٩ كما يأتي :

٤٤٫٩٣٨٫٠٠٠	سكان الجمهوريات الاتحادية .
١٦٫٨٤٦٫٣٥٩	سكان الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي .
٣٫١٩٨٫٠٩٧	سكان المقاطعات ذات الحكم الذاتي .
٦٤٫٩٨٢٫٤٥٦	المجموع .

وهذا يعني أن سكان المناطق الإسلام في الامبراطورية يعادل ٢٥٪ من مجموع السكان البالغ عددهم حسب إحصاء العام نفسه (١٣٩٩) ٢٦٢٫٠٨٥٫٠٠٠ نسمة ، ولكن ليس جميع سكان هذه المناطق هم من المسلمين ، وإنما تبلغ هذه النسبة حوالي ٧٠٪ وبذا يكون عدد المسلمين نحو ٤٢ مليون نسمة ، وتختلف النسبة بين منطقة وأخرى ، فلا تزيد على ٥٥٪ في التتار حيث يغزو الروس هذه المنطقة ، ويريدون ترويسها ، كذلك يكثرون فيها لغناها الزراعي والمعدني ، وتنخفض النسبة أيضا في بلاد القرم حيث هاجر التتار جميعاً منها وعددهم ٢٣٨٫٠٠٠ ، وقطنها الروس من بعدهم ، وليس فيها من التتار سوى ١٥٫٠٧٨ نسمة . وتصل النسبة إلى ٨٥٫٣٪ في بلاد الداغستان ، و٦٥٫٥٪ في بلاد الشاشان ــ أنغوش ، ثم تعود فتنخفض في أوستينيا الشمالية ، وكبارديا ــ بلكاريا ، وفي بلاد الأبخاز والآجار حيث لاتزيد على ٥٥٪ وذلك لغزو الروس لهذه المناطق ، والحال نفسها في مناطق الأديغة ، والكاراتشاي الشركسية . وتعود لترتفع في أذربيجان إلى ٨٣٫٣٪ ، وتصل في جمهورية ناختشيفيان إلى ٩٥٫٦٪ . وتنخفض في بلاد القازاق إلى ٤١٫٤٪ لغزو الروس لغنى هذه الجمهورية بالنحاس والثروات المعدنية الأخرى . أما في آسيا الوسطى فهي في أوزبكستان ٨٦٫٨٪ ، وفي طاجيكستان ٨٤٫٢٪ ، وفي تركمانستان ٨٦٪ ، وفي قيرغيزيا ٧٧٫٤٪ .

ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء المسلمين أعداداً أخرى موزعة في أرجاء الامبراطورية الروسية ، ومعظمهم من التتار والأتراك ، وأهم مناطق هذا التوزع هي :

سيبيريا	وفيها	٢٠٠٫٠٠٠	موسكو	وفيها	١٥٠٫٠٠٠
بارايا	وفيها	١٠٠٫٠٠٠	لينغراد	وفيها	٦٠٫٠٠٠
استراخان	وفيها	١٠٠٫٠٠٠	اورنبورغ	وفيها	١٦٠٫٠٠٠

كيروف وفيها	١٠٠ر٠٠٠	اليانـــوفسك وفيها	١٣٥ر٠٠٠
ساراتـــوف وفيها	٥٠ر٠٠٠	كويبيشيـــف وفيها	١٦٠ر٠٠٠
أومسك وفيها	٥٠ر٠٠٠	غوركـــي وفيها	٧٠ر٠٠٠
بنـــزا وفيها	٨٠ر٠٠٠	كورغـــان وفيها	٢٥ر٠٠٠
تيومـــن وفيها	١٤٠ر٠٠٠	نوفوسيـــبيرسك وفيها	٣٠ر٠٠٠
تشيليا بينسك وفيها	٢٢٠ر٠٠٠	في حوض الدونتز وفيها	٩٠ر٠٠٠
سفرولـــفسك وفيها	١٨٠ر٠٠٠	أركانجلسك وفيها	٦ر٠٠٠
ليتوانيـــا وفيها	٦ر٠٠٠	مولدافيـــا وفيها	٢٥٠ر٠٠٠

وبذا يصل عدد هؤلاء الموزعين إلى ٢ر٣٦٢ر٠٠٠ نسمة ، وبذا يقترب عدد المسلمين في الامبراطورية الروسية من ستة وأربعين مليوناً إذا أضفنا لهم المسلمين في جورجيا وأرمينيا الذين سنتحدث عنهم بعد قليل . أي أنهم يشكلون ١٩٪ من سكان الامبراطورية ، ولما كانت زيادتهم تفوق زيادة الروس فإنه يتوقع أن يتكاثروا في مدة قصيرة ويصبحوا ربع سكان الامبراطورية ، مع العلم أن هذا كله اعتماداً على إحصاءات الروس وهي لايوثق بها ، ويتوقع أن يكون العدد اليوم يعادل هذه النسبة .

المسلمون في جورجيا : جورجيا جمهورية اتحادية تبلغ مساحتها ٧٠ر٠٠٠ كم٢ ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٤ر٥ مليون ، بينهم عدد من المسلمين تبلغ نسبتهم ١٩٪ من السكان ، ويقدر عددهم بـ ٨٣٥ر٠٠٠ نسمة ، وعاصمتها مدينة تفليس .

المسلمون في أرمينيا : أرمينيا جمهورية اتحادية تبلغ مساحتها ٣٠ر٠٠٠ كم٢ ، ويقطنها مليونا نسمة بينهم ١٢٪ من المسلمين ، ويكون عددهم بذلك ٣٤٠ر٠٠٠ مسلم ، وعاصمتها مدينة اريفان .

يعيش بين هؤلاء المسلمين الذين يصل عددهم إلى ٤٦ مليون نسمة في الامبراطورية الروسية أربعة ملايين من الشيعة معظمهم في أذربيجان ، والباقي أكثره في بلاد الأوزبك ، والتركمان ، والطاجيك ، كما يعيش بينهم ٦٠ ــ ١٠٠ ألف من الاسماعيليين في اقليم باداخشان ، و٣٥ ألفاً من عبدة الشيطان في أرمينيا وهم من الأكراد ، ومايقرب من العدد نفسه من البهائيين في باكو ، وعشق أباد ، واستراخان ، وجميع هؤلاء لايصل عددهم إلى مائتي ألف . أما الباقي فكلهم من المسلمين السنة و٤ ملايين من الشيعة ــ كما ذكرنا ــ .

يؤلف المسلمون في الامبراطورية الروسية ثلاثة وسبعين شعباً ، وتعد آسيا الوسطى أكبر تجمع للمسلمين إذ يسكن فيها ٧٥٪ من مسلمي الامبراطورية .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وتقسيم بلاد المسلمين ، واستقرار الوضع للشيوعيين حدث بالنسبة إلى المسلمين الاجراءات التالية :

١٣٤٣ ألغيت المحاكمة الشرعية .
١٣٤٧ أغلقت المدارس الدينية .
١٣٤٩ حجزت الأوقاف الإسلامية .
١٣٥١ ملاحقة رجال الدين بتهمة الوقوف في وجه الثورة ، ثم التجسس لحساب ألمانيا واليابان .

وأثناء الحرب العالمية الثانية أعلن الروس مهادنة المسلمين ، وعندما انتهت الحرب اتهمت شعوب كاملة بالتعاون مع الألمان فنفيت إلى مجاهل سيبيريا وآسيا الوسطى فى ظروف رهيبة ومن هذه الشعوب ـــ الشاشان ، والبلكار ، والكاراتشاي ، وتتار القرم .

وفي أيام خروتشوف ١٣٧٤ ـــ ١٣٨٤ بدأت حرب جديدة ضد الدين ، رغم السماح بعودة الشاشان ، والبلكار ، والكاراتشاي .... إلا أن تتار القرم لايزالون يهيمون على وجوههم في مجاهل سيبيريا . وبعد خروتشوف خفّ الهجوم على المسلمين ، دون أن يتحسن الوضع أى بقي على ماكان عليه . وتوجد اليوم أربعة مراكز ادارية للمسلمين في طاشقند ، وباكو ، ومحج قلعة ، وأوفا .

حاضر المسلمين : يمكن أن نتساءل هل ترك المسلمون في الامبراطورية الروسية عقيدتهم ، وساروا في ركب الشيوعية بعد هذا الحكم الالحادي الطويل ، والتخطيط المركز ضدهم ، والتربية المعادية للأديان الموجهة ، أم لايزالون محافظين متمسكين بالإسلام .

الواقع أن المسلمين في الامبراطورية الروسية لايمكّنهم الحكم هناك من ممارسة شعائرهم ، ومن يُعرف عنه التأدية يلقى الاضطهاد الكبير ، ويُفصل من عمله بتهمة الرجعية ومعاداة الثورة ومخالفة الأنظمة ، وربما تكون نتيجته الموت ، ويمكن أن نستثني من ذلك أفراد قلائل تجاوزت أعمارهم السبعين ، إذ يعدون في حكم الذين انتهوا ، أما الآخرون فالمراقبة عليهم شديدة .

وهناك أفراد يؤدون عبادتهم بشكل سري تام بعيدين عن أعين السلطة ، ويعرف هذا من الذين ارتحلوا إلى تلك الديار ، ووثق بهم المسلمون هناك ، ومما تنشره الصحف الروسية نفسها بين الآونة والأخرى وتشير إلى ذلك ، فقد نشرت جريدة البرفدا السوفيتية : « إن وفاة طالب ثانوي في الصف التاسع كشف النقاب عن وجود مدارس دينية إسلامية سرية في آسيا الوسطى ، فقد توفي دوليه اصلانوف بمرض في جمهورية طاجكستان بعد أن رفض مساعدة الطبيب قائلاً لاأريد مساعدة من ملحد فكل شيء بيد الله ، ثم توفي وهو يشتم غير المؤمنين » ، ومضت الصحيفة تقول : « إن المسؤولين الشيوعيين صدموا أمام هذا الموقف خصوصاً أن الشاب عضو في الكومسومول (رابطة الشباب الشيوعي) ، وقالت الصحيفة : « ثم تبين أن اصلانوف العضو في الكومسومول منذ بضع سنوات كان يحضر الدروس في المدرسة الثانوية الحكومية ، ثم يحضر دروساً أخرى في مدرسة دينية إسلامية حيث يعتبر من أفضل الطلاب . وقد توجه أحد المحققين لإجلاء المدرسة السرية فانتهى إلى مقهى لتقديم الشاي في مزرعة جدانوف التعاونية حيث توجد أربعة صفوف من المراهقين يتعلمون هناك اللغة العربية والآيات القرآنية ، ولكن حين اقترب المحقق من المكان سمع صفيراً خفيفاً ، فلما دخل وجد الطلاب يشربون الشاي وقد اختفت من بين أيديهم الكتب العربية وأجزاء القرآن » ، وقالت الصحيفة : « إن أولاد المزرعة التي معظم سكانها من المسلمين كانوا يقضون عدة ساعات يومياً في تعلم القرآن » . وختمت الصحيفة مقالها بما يلي : « وهكذا فإن الأيدي القذرة لهؤلاء المشايخ المشردين تتولى تكوين طباع الأطفال »(١) .

وعند المسلمين في الامبراطورية الروسية عاطفة شديدة نحو الإسلام لايستطيعون إخفاءها وفي الوقت نفسه لايتمكنون من إبدائها فلو سألت أحدهم عن الدين لأجابك أنه ملحد لكنه يردف ذلك بقوله إنه مسلم . وفي الاحصاءات الروسية الرسمية يعلنون أنهم ملحدون إلا أنهم يسجلون أنفسهم مسلمين ، وهذا معناه أن أعداداً من المسلمين لايسجلون أنفسهم تغطية لهم ، أولا يرون فائدة ، ولهذا كانت إحصاءات الروس عن المسلمين غير دقيقة بل تظهر أحياناً تناقصاً في أعدادهم لهذا السبب أو لأسباب أخرى . كما يبدو واضحاً أن قولهم ملحدين إن هي إلا تغطية وخوف من السيف المصلت

---

(١) جريدة الحياة عدد ٥٦٧٦ السبت ١٠ تشرين الأول ١٩٦٤ ، الحياة الاقتصادية .

عليهم ، وكلمة مسلم دلالة على العاطفة الدينية والاعتزاز بالاسلام ، ثم رأينا كيف أن مفهوم الدين ارتبط بالعنصرية كي يذكر المرء عنصره وهو يريد أن يقول « مسلم » .

كما يمكننا أن نتلمس هذه العاطفة مما حدث في أفغانستان عندما نزل الجنود السوفيت فيها ، إذ انضم المسلمون من هؤلاء الجند إلى إخوانهم المجاهدين الأفغان ، حتى اضطرت السلطات الروسية إلى إبدال قواتها هناك ، وحرصت ألا يكون بين جنودها هناك مسلمون .

وربما يكون من أصلاب هؤلاء الذين أذلهم الحكم من يستطيع أن ينتصر لعقيدته ، ويأتي اليوم الذي ينطلق فيه المسلمون مما هم فيه ، ويكّونون دولة تشد أزرها بالمسلمين في كل مكان .

قبرص

ــ ١٤ ــ

قبرص أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط الشرقي ، تبلغ مساحتها ٩٢٥١ كيلو متراً مربعاً ، تبعد عن ساحل تركيا الجنوبي مسافة ٦٥ كيلو متراً ، وعن الساحل السوري ٩٠ كيلو متراً ، وعن الساحل المصرى ٤٠٠ كم ، وعن بلاد اليونان ٩٠٠ كم .

يعدها الغربيون من أوربا لربطها ببلاد اليونان النصرانية ، ويسير على هذا من ينقل عنهم دون معرفة بالهدف الخبيث ، ونعدها آسيوية لطبيعتها التي تشبه الأرض السورية وتضاريسها تتمة لها ، هذا إضافة إلى قربها وارتباطها التاريخي .

فتح المسلمون قبرص عام ٢٨هـ وكان من بين المجاهدين من صحابة رسول الله ﷺ أبو ذر ، وأبو الدرداء ، وشداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت .

وفي أثناء الحملات الصليبية استولى ريتشارد قلب الأسد على قبرص وهو في طريقه إلى الشام ، واتخذ من قبرص قاعدة لمد الصليبيين بالمساعدات الحربية . وعندما اندحر الصليبيون من بلاد الشام انتقل بعضهم إلى قبرص واستقر بها ، كما انتقل معهم عدد من النصارى سكان البلاد الذين كانوا يؤيدون الصليبيين ويساعدونهم ، ولايزالون في قبرص إلى الآن ، وهم الموارنة الذين يعيشون فيها ، وبذا كانت هذه الجزيرة مقر تجمع القوى الصليبية ، وأضحت شواطئها ملجأ للقراصنة يغيرون منها على السفن الإسلامية .

وفي أيام المماليك اضطرت قبرص أن تدفع الجزية لمصر . ثم احتلتها جيوش البندقية عام ٨٩٥ ، وبقوا فيها حتى فتحها العثمانيون عام ٩٧٩هـ ، وبقوا فيها ثلاثة قرون فتوطد الإسلام في الجزيرة .

وعندما ضعف العثمانيون ، وانطلق الانكليز يسطون نفوذهم ، ويستعمرون مع الصليبيين أمصار العالم الإسلامي ، وينافسون أحياناً شركاءهم في الاستعمار ، وكان همهم المحافظة على طريق الهند ، لذا فقد أكرهوا السلطان العثماني على قبول احتلال انكلترا لجزيرة قبرص بعد عقد معاهدة التحالف الدفاعي عام ١٢٩٦هـ . وادعت انكلترا أن هذا الاحتلال مؤقت .

كان أكثر سكان جزيرة قبرص يومذاك من المسلمين فعملت انكلترا على تشجيع النصارى من اليونان للهجرة إلى الجزيرة ، وفي الوقت نفسه ضغطت على المسلمين للهجرة منها ، واتخذت كل وسائل الإغراء لليونان ، وجميع وسائل الإرهاب بالنسبة إلى المسلمين ، وهذا ماجعل نسبة المسلمين في الجزيرة تنخفض .

ثم ضمت انكلترا قبرص إلى ممتلكات التاج البريطاني ، وأنهت إلحاق قبرص الاسمي بالدولة العثمانية ، واضطرت تركيا أن تعترف بهذا رسمياً إثر هزيمتها في الحرب العالمية الأولى .

قامت في قبرص حركة (أينو) وتعني الاتحاد مع اليونان ، ويرأس هذه الحركة الأساقفة في الجزيرة ، وقامت هذه الحركة باغتيالات واسعة ، الأمر الذي أدى إلى قيام حوادث دامية عام ١٣٤٩هـ .

كانت الجزيرة في أثناء الحرب العالمية الثانية قاعدة حربية للحلفاء ، وامتلأت بالمؤن والذخائر . وبعد الحرب طالب وفد قبرص بحق تقرير المصير ، وبرز المطران مكاريوس الذي انتخب رئيساً لأساقفة الجزيرة ، وبدأ يطالب باجراء استفتاء لمعرفة آراء الشعب ، وقد تم الاستفتاء عن طريق الكنيسة فقط عام ١٣٦٩ .

حاولت اليونان عرض قضية قبرص على الأمم المتحدة عام ١٣٧٠ ، وحاول المطران مكاريوس ، إلا أن الجهود قد فشلت فبدأت أعمال التخريب والاغتيال الأمر الذي أدى إلى عرض الموضوع على الأمم المتحدة عام ١٣٧٤ ، إلا أن النتائج لم تكن مرضية بالنسبة إلى اليونان ، كما لم تتفق مع أهداف المطران ، وفشل كذلك المؤتمر الثلاثي الذي عقد في لندن عام ١٣٧٥هـ .

بدأت الأسلحة تتدفق من اليونان إلى الجزيرة فقوي أمر النصارى فيها فلجأوا إلى أعمال العنف ضد المسلمين أولاً ثم ضد الانكليز الذين لايسيرون حسب رأي اليونان مباشرة . وزاد من إشعال نار الاضطرابات القبض على قارب يوناني يفرغ الأسلحة في الجزيرة .

تكونت منظمة (الإيوكا) من متطرفي حركة (أينوسيس) أي الجبهة الوطنية لتحرير قبرص . وترأس قسم التنفيذ في منظمة ايوكا (غريفاس) وهو جنرال يوناني متقاعد وصل إلى الجزيرة عام ١٣٧٣ ، وبدأ يحضر لأعمال الإرهاب .

بدأت أعمال الإرهاب من جديد ، وأبدت اليونان غضبها فقاطعت حلف البلقان ، وصندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، ورفضت الاشتراك في مناورات الحلف الأطلسي ، وهددت الغرب بالوقوف على الحياد .

نفت انكلترا المطران مكاريوس مع ثلاثة من أعوانه إلى جزيرة سيشل في المحيط الهندي لتسليط الأضواء عليه ... عام ١٣٧٦ ، ولإعطاء فكرة للرأي العام العالمي أنها تقف على الحياد . واتخذت الجزيرة قاعدة للعدوان الثلاثي على مصر في ذلك العام .

عرضت قضية قبرص على الأمم المتحدة عام ١٣٧٦ ، ورفضت انكلترا مشروعاً تقدمت به الهند ، وفي الوقت نفسه سمحت للمطران أن يعيش في أثينا بدلاً من المنفى في سيشل ليكون قريباً من منطقة الأحداث . وتتضارب الآراء حول القضية .

ترى تركيا أن أكثرية السكان الأصليين من الأتراك ففي عام ١٣٠٨ كان السكان كما يلي :

٦٠٫٠٠٠	مسلم	يمثلون	٧٥٪ .
٢٠٫٠٠٠	نصراني	يمثلون	٢٥٪ .

ولاينظر الى المهاجرين أو الذين يقيمون خفية ، وظهروا فقط أيام الإحصاء الذي ليس فيه مايدل على صحته ، وترى اليونان أن السكان في الجزيرة كما يلي :

١٠٤٫١٨٣	مسلما .	
٤٤٨٫٠٤٣	نصرانيا	حسب إحصاء ١٣٨٠ .

ويخشى الأتراك على مستقبلهم ، إذ أنه سيكون مصير ٨٩ ألف مسلم كانوا في جزيرة كريت — يوم ضمت إلى اليونان عام ١٣١٦ — الاندثار ، إذ اختفوا قبل مرور عشرة أعوام على ذلك الانضمام .

وترى تركيا استقلال الجزيرة إذ يمكن أن يتعايش الترك المسلمون واليونان النصارى دون تدخل أجنبي وإلا فالتقسيم ، حيث يتمركز الاتراك في الجزء الشمالي من الجزيرة .

أما اليونان فتصر على ضم الجزيرة إليها .

اشتعلت نار الفتنة مرة أخرى عام ١٣٧٩ .

وبعد مناورات واجتماعات تم الاتفاق على استقلال الجزيرة عام ١٣٧٩ وينص الاتفاق على :

١ ـــ يكون رئيس الدولة من الجالية اليونانية ونائبه من الجالية التركية ، وينتخبان لمدة خمس سنوات ، ولهما فقط حق رفض أي قانون .

٢ ـــ يتألف مجلس الوزراء من عشرة أعضاء ، سبعة منهم من اليونانيين ، وثلاثة من الأتراك يعهد إلى أحدهم وزارة الدفاع ، أو المالية ، أو الخارجية . وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة .

٣ ـــ ينتخب مجلس النواب لمدة خمس سنوات ، وتنتخب كل جالية على انفراد بحيث يمثل اليونانيون ٧٠٪ من المجلس ، والأتراك ٣٠٪ ، وتكون القرارات بالأغلبية المطلقة .

٤ ـــ يتألف الجيش من عشرين ألف جندي ٦٠٪ من اليونانيين و٤٠٪ من الأتراك .

٥ ـــ تضم قوات الأمن ألفي جندي ٧٠٪ من اليونانيين ، ٣٠٪ من الأتراك .

ويقوم تحالف عسكري بين تركيا واليونان وقبرص ، وتستبعد فكرة انضمام قبرص مع أية دولة أخرى ، كما تستبعد فكرة تقسيمها . واحتفظت انكلترا بقاعدتين لها في جنوب الجزيرة .

حصل خلاف بين المطران مكاريوس وغريفاس ... وكان مكاريوس قد نجح رئيساً للدولة الجديدة ، وفاضل كوتشوك نائباً له .

وعادت الاضطرابات عام ١٣٨٣ ، وحصل انقلاب على مكاريوس عام ١٣٩٤ وفر المطران من البلاد ، وزاد أوار نار القتال ، وأوشك زوال المسلمين فنزلت قوة تركية في الجزيرة واحتلت الجزء الشمالي الذي يتجمع فيه الأتراك .

يقدر عدد السكان في الجزيرة اليوم بحوالي ستمائة ألف يمثل النصارى بينهم حوالي ١ر٧٨٪ والمسلمون ٢٠٪ ، واليهود ٩ر١٪ .

كتاب تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر(آسيا)
الجزء الأول

المصادر والمراجع العربية

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	تاريخ ومكان النشر وبيانات اخرى
١	أحمد فخرى	اليمن . ماضيها وحاضرها	
٢	أمين الريحاني	ملوك العرب	
٣	أيمن سعيد	الثورة العربية الكبرى	
٤		ثورات العرب فى القرن العشرين	القاهرة ١٩٧٤
٥		تاريخ مصر السياسي	
٦	أحمد قدرى (الدكتور)	مذكراتى عن الثورة العربية	
٧	أحمد شلبى (الدكتور)	موسوعة التاريخ الإسلامي ص ٤ ، ج٥ ، ج٦ ، ج٧	القاهرة ١٩٧٧
٨	السيد رجب حراز (الدكتور)	الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب	القاهرة ١٩٧٠
٩	السيد رجب حراز (الدكتور)	التوسع الايطالي فى أفريقيا	القاهرة ١٩٦٨
١٠	السيد رجب حراز (الدكتور)	اريتريا	القاهرة ١٩٧٤
١١	السيد رجب حراز (الدكتور)	تاريخ مصر الحديث	القاهرة ١٩٧٤
١٢	السيد رجب حراز (دكتور) ومحمد انيس (دكتور)	الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر	القاهرة ١٩٦٧
١٣	اسماعيل ياغى (الدكتور)	حركة رشيد عالي الكيلانى	بيروت ١٩٧٤
١٤	اسماعيل ياغى الدكتور	تطور الحركة الوطنية العراقية (١٩٤١ – ١٩٥٢)	بغداد ١٩٧٩
١٥	أنور الرفاعي وشاكر مصطفى	العالم الحديث	دمشق ١٩٥٠

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	تاريخ ومكان النشر وبيانات أخرى
١٦	السيد مصطفى سالم (الدكتور)	الفتح العثمانى الأول لليمن	القاهرة ١٩٦٧
١٧	السيد مصطفى سالم الدكتور	اليمن والامام يحيى	القاهرة ١٩٧٠
١٨	أحمد طربين (الدكتور)	فلسطين فى خطط الصهيونية والاستعمار	القاهرة ١٩٧٠
١٩	أحمد طربين (الدكتور)	الوحدة العربية	دمشق ١٩٧٤
٢٠	احمد طربين الدكتور	متصرفية لبنان	
٢١	أبو القاسم سعدالله	تاريخ الجزائر الحديث	
٢٢	أبو القاسم سعدالله	الحركة الوطنية الجزائرية	القاهرة ١٩٧٧
٢٣	إحسان حقى	تونس العربية	بيروت
٢٤	أحمد الساداتى	تاريخ الدول الإسلامية فى آسيا	القاهرة ١٩٧٧
٢٥	جامع عمر الصومالي	تاريخ الصومال	
٢٦	جورج أنطونيوس	يقظة العرب	بيروت ١٩٧٧ ط٥
٢٧	جمال حمدان (الدكتور)	أفريقيا الجديدة	
٢٨	جمال حمدان (الدكتور)	العالم الاسلامى المعاصر	
٢٩	جمال زكريا قاسم (الدكتور)	الخليج العربى	القاهرة ١٩٧٣
٣٠	جمال زكريا قاسم (الدكتور)	عُمان	القاهرة ١٩٧٧
٣١	جورجى زيدان	تاريخ مصر الحديث	
٣٢	حسين مؤنس (الدكتور)	الشرق الإسلامى في العصر الحديث	
٣٣	حسن جوهر ، حسن مخلوف	السودان	
٣٤	جلال يحيى (الدكتور)	تاريخ مصر الحديث	القاهرة ١٩٨٠
٣٥	جلال يحيى	المدخل إلى تاريخ العالم الغربى	القاهرة ١٩٦٦
٣٦	جلال يحيى	تاريخ العرب الحديث	القاهرة ١٩٧٠
٣٧	جلال يحيى	السياسة الاستعمارية الفرنسية فى الجزائر	القاهرة ١٩٥٩
٣٨	خير الدين الزركلى	شبه جزيرة العرب	
٣٩	ذوقان قرقوط	تطور الحركة الوطنية فى سوريا	بيروت ١٩٧٥ دار الطليعة للطباعة والنشر
٤٠	روم لاندو	تاريخ المغرب فى القرن العشرين	

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	تاريخ ومكان النشر وبيانات أخرى
٤١	زاهر رياض (الدكتور)	استعمار أفريقيا	
٤٢	زاهر رياض	الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا	
٤٣	زاهية قدورة (الدكتورة)	تاريخ العرب الحديث	بيروت ١٩٧٣
٤٤	ساطع الحصري	البلاد العربية والدولة العثمانية	
٤٥	سامى منصور	نيجيريا عملاق أفريقيا	القاهرة ١٩٦٦
٤٦	شريف الدين بيرزادة	نشأة باكستان	
٤٧	صلاح العقاد (الدكتور)	المشرق العربى المعاصر	القاهرة ١٩٧٠
٤٨	صلاح العقاد	المغرب العربى	القاهرة ١٩٦٢
٤٩	صلاح العقاد	الخليج العربى	القاهرة ١٩٥٦
٥٠	صلاح العقاد	زنجبار	القاهرة ١٩٦٦
	صلاح المختار	تاريخ المملكة العربية السعودية	
٥١	عبدالعزيز نوار (الدكتور)	تاريخ العرب الحديث	بيروت ١٩٧٢
٥٢	عبد العزيز نوار	تاريخ الشعوب الإسلامية	بيروت ١٩٧٠
٥٣	عبدالكريم غرايبة (الدكتور)	مقدمة تاريخ العرب الحديث	دمشق ١٩٦٢
٥٤	عبدالكريم غرايبة	أفريقيا العربية	دمشق ١٩٦٦
٥٥	عبدالرحمن النجار	الإسلام فى الصومال	
٥٦	عبدالعزيز الشناوي (الدكتور)	الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها	القاهرة ١١٩٨٠ جزءان
٥٧	عبدالعزيز الشناوى	تاريخ العرب الحديث	
٥٨	عمر عبدالعزيز (الدكتور)	تاريخ العرب الحديث	
٥٩	عبدالرحمن زكى (الدكتور)	الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا	
٦٠	عبدالرحمن زكى	الإسلام والمسلمون فى غرب أفريقيا	
٦١	عبدالفتاح أبو علية (الدكتور)	الدولة السعودية الثانية	الرياض ١٩٧٠
٦٢	عبدالفتاح أبو علية	الاصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبدالعزيز	الرياض ١٩٧٥
٦٣	على الطنطاوى	أندونيسيا	
٦٤	عبدالرحمن الرافعى	الثورة العرابية	القاهرة
٦٥	عبدالرحمن الرافعى	مصطفى كامل	القاهرة

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	تاريخ ومكان النشر وبيانات أخرى
٦٦	عبدالرحمن الجبرتى	عجائب الآثار فى التراجم والأخبار	القاهرة ١٣٢٢هـ
٦٧	عبدالرحمن البزاز	العراق من الاحتلال حتى الاستقلال	بغداد ١٩٦٧
٦٨	عبدالعظيم محمد رمضان (الدكتور)	تطور الحركة الوطنية فى مصر	بيروت ١٩٨٠
٦٩	عبدالله الفياض (الدكتور)	الثورة العراقية الكبرى	بغداد ١٩٦٣
٧٠	عبدالوهاب الكيالي (الدكتور)	تاريخ فلسطين الحديث	بيروت ١٩٧٠
٧١	قدرى قلعجى	الخليج العربى	دار الكاتب العربى — بيروت ١٩٦٢
[illegible]	كارل بروكلمان	تاريخ الشعوب الإسلامية	بيروت ط٤ ١٩٧٧
٧٧	محمد أحمد أنيس (الدكتور)	الدولة العثمانية والمشرق العربى	القاهرة
٧٨	محمد فؤاد شكرى (الدكتور)	الحملة الفرنسية على مصر وظهور محمد على	القاهرة
٧٩	محمد أسد شهاب	صفحات من تاريخ أندونيسيا المعاصرة	
٨٠	محمد رفعت رمضان	على بك الكبير	القاهرة
٨١	محمد شفيق كامل	مذكراتى فى نصف قرن	القاهرة
٨٢	محمد عزة دروزة	حول الحركة العربية الحديثة	٦ أجزاء
٨٣	محمد عزة دروزة	القضية الفلسطينية	جزءان القاهرة ١٩٦٣
٨٤	محمد عزة دروزة	الوحدة العربية	بيروت ١٩٥٧
٨٥	محمد بن عبدالسلام بن عبود	تاريخ المغرب	الدار البيضاء ١٩٦١
٨٦	محمد عمر الخطيب	نكبة فلسطين	بيروت ١٩٦٧
٨٧	محمود شبيب	جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر	بغداد
٨٨	فائق طهبوب (الدكتور)	البحرين	
٨٩	معهد الدراسات العربية	البحرين	
٩٠	مكى شبيكة (الدكتور)	السودان عبر القرون	
٩١	مجيد خدوري (الدكتور)	ليبيا المعاصرة	
٩٢	محمود شاكر	سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية ، البلدان الاسلامية والأقليات الاسلامية المعاصرة	الرياض ١٩٨٠

الرقم	اسم المؤلف	اسم الكتاب	تاريخ ومكان النشر وبيانات اخرى
٩٣	مصطفى مؤمن	قسمات العالم الاسلامى المعاصر	بيروت ١٩٧٧
٩٤	نادر العطار	تاريخ سوريا فى العصر الحديث	دمشق
٩٥	نجلاء عز الدين (الدكتورة)	العالم العربى	القاهرة ١٩٥٧
٩٦	نجيب الأرمنازي	سوريا من الاحتلال حتى الجلاء	بيروت
٩٧	نعوم شقير	جغرافية وتاريخ السودان	بيروت ١٩٧٢
٩٨	نقولا زيادة (الدكتور)	تونس فى عهد الحماية	
٩٩	نقولا زيادة	ليبيا	
١٠٠	نور الدين حاطوم (الدكتور)	تاريخ القرن العشرين	دمشق ١٩٦٢
١٠١	نور الدين حاطوم	التاريخ الدبلوماسى	دمشق ١٩٦٠
١٠٢	نور الدين حاطوم	قضايا عصرنا	
١٠٣	نور الدين حاطوم ، مكى شبيكة ، جمال زكريا ، شاكر مصطفى	تاريخ الوطن العربى الحديث	الكويت ١٩٧٤
١٠٤	لور يمر .. ح	دليل الخليج القسم التاريخي	٧ أجزاء قطر ١٩٧٧
١٠٥	تقويم البلدان الاسلامية	المؤتمر الاسلامى (كراتشى)	١٩٦٥
١٠٦	دائرة المعارف الإسلامية		القاهرة

محتويـات الكتـاب

صفحة

صفحة

طبع بمطابع

International Press

٥ جمال القاصد — مدينة الصحفيين ت ٨١٤٢٥٩

